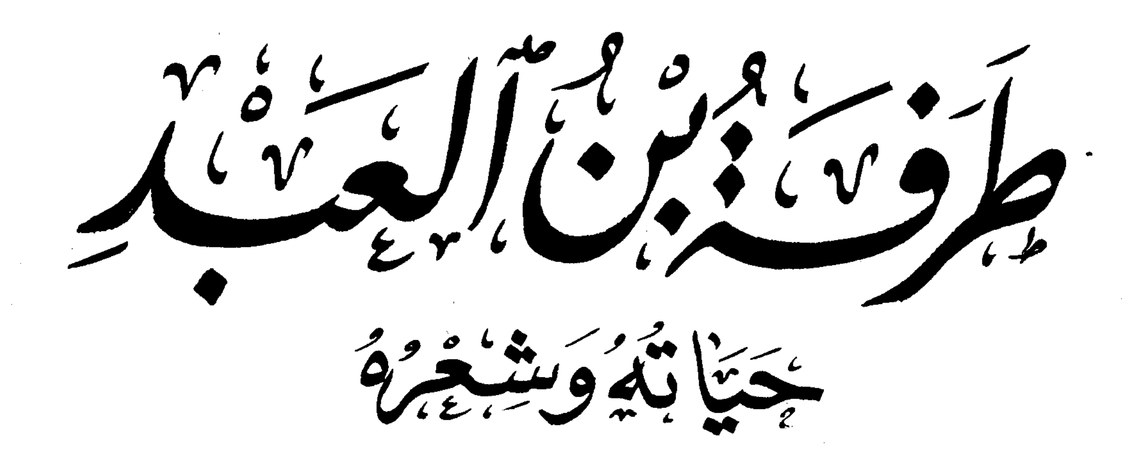

بسم الله الرحمن الرحيم

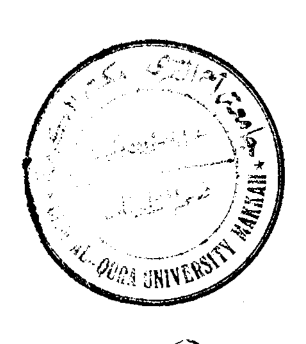
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة





بحث مقدم من الطالب / محمد الشيخ محمود صيام

لنيل درجة الماجستير في الآداب



إشراف الأستاذ الدكتور

حسن محمد باجودة

رئيس قسم الدراسات العليا العربية

١٣٩٩ - ١٤٠٠هـ

١٩٧٩ - ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من أشرقت بنور وجهه الظلمات . ورضى الله عن آل بيت رسول الله ، وعن أصحابه أجمعين . وعمن نهج نهجهم ، وسلك سبيلهم إلى يوم الدين .

وبعد..

فإنَّ العشرين سنة الماضية ، التى أعقبت تخرجى من الجامعة بما فيها من كد ونَصَب ، وراحة أو تعب ، لم تستطع أن تنتزع من نفسى أملا ، طالما أَمضَّها التشوف إليه ، وأَرَّقها التلهف عليه .

حتى إذا سنحت هذه الفرصة المباركة ، فى هذه الكلية المباركة ، فى هذا البلد المبارك ، لم يثننى عن افتراصها فراق الأهل والعيال ، بالرغم من شدة وقع ذلك الفراق علىَّ ، كما لم يثننى عن افتراصها ، هذا الشيب الذى ألمَّ بمفرقىَّ .

لقد سنحت لى الفرصة بمواصلة الدراسات العليا ، فى قسم اللغة العربية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، بجامعة الملك عبدالعزيز ، بمكة المكرمة ، فانتهزتها على عجل ، فكانت هذه الرسالة :

طرفة بن العبد .. حياته وشعره

والحقيقة أن صلتي بطرفة بن العبد قديمة ، قدم تخرجي من جامعة القاهرة قبل عقدين من الزمان . فقد وجّهنا – هناك – أساتذتنا الأجلاء ، جزاهم الله عنا خير الجزاء – منذ دراساتنا المنهجية ، الى تراثنا الغني الخصيب . لننهل من منهله الفرات ، ونسيح في ميدانه الرحيب . فكان أن قمت أنا بتحقيق شعر طرفة بن العبد كله .

نعم ، لقد عشت سنوات طوالاً مع ذلك الشعر ، سواء في مخطوطاته المحفوظة بدار الكتب المصرية ، أو في مصوراته المحفوظة بمكتبة جامعة القاهرة . ولازلت أحتفظ – إلى الآن – بصور عن تلك المخطوطات والمصورات التي كنت أرجع اليها عند الحاجة .

ولذلك فقد اجتمع لرسالتي هذه من الأسس القوية ما اجتمع . فشغفٌ بالدراسة لايدانيه شغف ، وتحقيق قديم لشعر الشاعر الذي أنا بصدد دراسته ، وتوجيه سديد ، وحرص شديد من أستاذي المشرف كانا الشعاع الذي – إنْ غُمَّ عليَّ أمرٌ – به أستضيء ، وكانا الظل الذي – إنْ أجهدني البحثُ – إليه أفيء .

هذا ، ولقد قسمت رسالتي هذه الى بابين ، جعلت الأول منهما لحياة طرفة ، وجعلت الثاني لشعره . ثم قسمت الباب الأول إلى أُطُرٍ ثلاثة ، متداخل بعضها في بعض . فالإطار الأكبر هو بيئة الشاعر وعصرُه . والإطار الأوسط هو قبيلتُه ، والإطار الأصغر هو حياتُه . وقد جعلت لكل إطار فصلا من الفصول . وقسمت كل فصل إلى عدد من المباحث .

ففى الفصل الأول الذى هو بيئة الشاعر وعصره ، درست شرق الجزيرة العربية فى ذلك الزمان ، جغرافيةً وحضارةً ومجتمعاً. كما درست فيه مملكة الحيرة ، وصلتها بالقبائل العربية فى شرق الجزيرة .

ومهدت للفصل الثانى الذى هو قبيلة طرفة ، بدراسة موجزة عن العرب فى الجاهلية ، مساكنهم ونسبهم ، ثم درست نسبَ ربيعة قبيلةِ الشاعر ، ومساكنَها ، وديانتَها وشعراءَها وأيامَها .

وفى الفصل الثالث من هذا الباب ، درست حياة الشاعر نفسها ؛ اسمه وكنيته ونسبه ، ومولده ونشأته ونبوغه ، وعلاقته ببلاط الحيرة ، وأخيرا نهايته .

أما الباب الثانى وهو شعر طرفة ، فقد قسمته هو الآخر إلى ثلاثة فصول . قصرت أحدها على دراسة مصادر شعر طرفة ، ورواة ديوانه ، والانتحال فيه ، وختمت ذلك الفصل بمبحث عن طرفة فى رأى القدماء .

وفى الفصل الثانى درست موضوعات الشعر التى عرض لها طرفة من وقوف بالأطلال ، وغزل ووصف وفخر وهجاء وحكم وأمثال . وختمت ذلك الفصل بمبحث عرضت فيه لدراسة آراء طرفة الخاصةِ فى الحياة .

أما الفصل الثالث فقد قصرته على دراسة خصائص شعر طرفة ومميزاته ، فمبحث لدراسة أسلوبه ، ومبحث لدراسة تطور أشعاره ، ومبحث لدراسة معلقته ، ثم ختمت ذلك الفصل بمبحث درست فيه آثار

طرفة فيمن جاء بعده من الشعراء.

وأخيرا ذيلت البحث كله ، بخاتمة عرضت فيها أهم أركانه ، وأبرز النقاط فيه ، بما استطعت من الإيجاز والاختصار ، وذلك هربا من الملل الذى يولده التكرار.

هذا ولم يفتنى أن أستغل الهوامش - كذلك ما استطعت - حيث لم أقصرها على الإحالة للمصادر والمراجع ، ولكننى استفدت منها فى شرح الشواهد باختصار ، كما استفدت منها كذلك فى الترجمة لمن عرض لهم البحث من الأعلام.

وبودى أن أذكر أننى نهجت فى دراستى لشعر طرفة ، نهجا كانت نفسى تتوق اليه ، ووجدت من أستاذى المشرف - كل تشجيع عليه . ألا وهو صبغ النقد بالصبغة الأخلاقية ، ودراسة ذلك الشعر من وجهة النظر الاسلامية . وذلك حتى لاتكون تلك الدراسة عقيمة جافة ، ندور فيها مع شاعرنا ، كما يدور كثير من الباحثين مع شعرائهم حيث يدورون ، ونسير فيها - بلاهدف - كما يسيرون.

لا والله لم نفعل كذلك . فقد كنا نقف مع شاعرنا ، بعد أن نستوفى الدراسة الأدبية لأى من موضوعاته ، فنوافقه على آرائه إن أصاب ، ونضاده إن جانب الصواب . ولذلك فقد كنا ضدًا عليه ، فى غزله وأحاديث لهوه وشرابه ، التى اتسمت بمجافاة الخلق الكريم . كما كنا حربا عليه فى آرائه المنحرفة التى كان يعلنها بصراحة.

فنتناول كل ذلك ، بالتوضيح والتبيين ، والتفنيد والتهجين وذلك ليتضح ما فيها من اعوجاج أو هبوط أو انحراف أو ما إليها ،

فتتحاماها الأجيال التي نعلق الآمال عليها . فان الشر - كما لايخفى - إذا بان خطله ، هان خطره .

وبودي أخيرا ، قبل أن أختم مقدمتي هذه ، أن أتقدم بالشكر الجزيل ، والتحية الصادقة لأولئك النفر الكريم من المسئولين في هذه الكلية ، والمسئولين في قسم الدراسات العليا ، وأساتذة القسم ، فقد اختصوني بعطفهم ، وغمروني بفضلهم . وإن من الفضل شكرَ ذي الفضل ، وذكرَ فضله ، وإن من الجميل عرفانَ الجميل وشكرَ أهله .

فأما المسئولون في هذه الكلية الموقرة ، فقد استقبلوني بالترحيب الكامل ، وتولوني بالتشجيع المتواصل . وعلى غرارهم سار المسئولون في قسم الدراسات العليا العربية والشرعية - الفنيون منهم والإداريون . اذ منحوني كل عناية ، وأحاطوني بكل رعاية .

وأما أساتذة الدراسات العليا العربية ، فقد شملوني بعطفهم ، واختصوني بنصحهم ، ولم يبخلوا على بشيء من وقتهم أو يضنوا على بشيء من جهدهم .

وأما رئيس هذا القسم ، والمشرف على هذه الرسالة ، فلست أدري بأي أعماله الخيرة أذكره ، وعلى أيٍ من أفضاله أشكره .

أأذكره بحرصه الشديد عليّ ، أم بنصحه السديد الذي كان يسديه إليَّ .. وهل أشكره على متابعاته لما أبحث ، وملاحقاته لما أكتب ، بالتصويب والتصحيح والتقويم ، إنْ بالشمال أو باليمين ،

أم أشكره على الساعات الإضافية التى كان يقتطعها لى من وقته الثمين ..

لقد تضافرت لبحثى كل تلك الجهود الميمونة ، من كل أولئك الأجلاء الميامين ، فكانت عَمَدَهُ وأطنابَهُ وأوتادَه .

فاللهم ارْضَ عن أولئك الكرام ، رضاك عن المخلصين ، واجْزِهِمْ عَنِّى جزاءَ الصادقين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

*****
*

الباب الأول

حياة طرفة

الفصل الأول : بيئة طرفة وعصره
الفصل الثانى : قبيلة طرفة
الفصل الثالث : حياة طرفة

الفصل الأول

بيئة طرفة وعصره

المبحث الأول : شرق الجزيرة العربية ، جغرافيته وحضارته ، ومجتمعه ، وحيوانه ، وسبل العيش فيه ، وعادات أهله وطباعهم ، وأيام العرب فيه.

المبحث الثاني : مملكة الحيرة ، وصلتها بالقبائل العربية في شرق الجزيرة العربية.

الفصل الأول
بيئة طرفة وعصره

تمهيد :

لقد كثرت التآليف حول العصر الجاهلى ، كثرة توهم الباحث لأول وهلة ، أن مجاهيله قد كشفت ، وأن خباياه قد عرفت .. ولكن الذى يدقق النظر ، يظهر له غير ذلك . اذ يعترف الباحثون بأن العصر الجاهلى ، لايزال بحاجة الى بحث وتنقيب وامعان نظر . ويرجع ذلك كما يرى الدكتور شوقى ضيف فى كتابه العصر الجاهلى الى أن " كثيرا من الآثار الأدبية القيمة - لذلك العصر - لايزال مخطوطا لما ينشر ، وكثيرا مما نشر فى حاجة الى أن يعاد نشره نشرا علميا ."(١)

* * *

وطرفة بن العبد الشاعر ، ظاهرة من ظواهر ذلك العصر التى تحتاج الى الدراسة ، سواء أكان ذلك من ناحيته هو كانسان له مكان فى تاريخ أدبنا القديم ، أو من ناحية شعره كنتاج أدبى قيم ، اجتاز أثره عصره الماضى ، وانبرى يعمل بوضوح فيما أعقبه من عصور .

وسأحاول بعون الله تعالى وحوله ، أن أدرس تلك الظاهرة من ناحيتيها السابقتين .. طرفة الانسان ، وطرفة الشاعر . على أن البحث فى ذلك لايستقيم أمره ، الا اذا تعرضنا بالدراسة لبيئة الشاعر وعصره . فان ذلك - بلا ريب - سيلقى أضواء ضرورية على حياته من ناحية ، وعلى أشعاره من ناحية أخرى .

(١) مقدمة العصر الجاهلى ص ٥ .

المبحث الأول : شرق الجزيرة العربية :

كان شرق الجزيرة العربية موطنا لطرفة بن العبد ، وموطنا لقبيلته ربيعة ، فكانت أوديته المتعددة ، وتلاله المترامية وواحاته المتناثرة هنا وهناك ، ملاعب لصباه ، ومصدرا لأفكاره وملهما لأشعاره . ولذلك فان دراسة شرق الجزيرة من بعض جوانبه اللازمة لبحثنا ، هي هدفنا في هذا الجزء من هذا الفصل.

جغرافية شرق الجزيرة العربية :

بقيت أغلب بقاع الجزيرة العربية ، شبه مجهولة عند الجغرافيين القدماء ، فكانوا اذا تحدثوا عن الجزيرة أوردوا كلاما عاما لايشفى غليل الباحث وهو يريد أن يعرف كل شيء ، ولا يبل صداه وهو متشوق لكشف الغموض عن جزء من أجزاء الجزيرة يتعلق بدراسته عن ظاهرة من ظواهر ذلك الزمان .

ثم اننا لانستطيع أن نعتمد على ما كتب الجغرافيون المحدثون فقد تكون جغرافية الجزيرة قد تغيرت عن ذي قبل ، والأغلب أن تكون قد تغيرت ، فان قديما في تضاريس الأرض لايبقى على قدمه وكيف يبقى على قدمه ووراءه كرّ الجديدين ، وعواملا لتعرية ..

ولما كان شاعرنا طرفة بن العبد ، قد عاش في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية - كما ذكرنا - فاننا سنقصر الحديث هنا على تلك المنطقة ، وسنعود للجزيرة برمتها عندما يتطلب البحث ذلك.

كانت الرحلة الى شرق الجزيرة العربية فى الماضى صعبة شاقة ، اذ أنها كانت تستلزم أن يقطع الرحالة وسط الجزيرة الصحراوى ، اما على قدميه أو بوسائل وسائل النقل القديمة وليس يعلم الا الله مغبة هذا الأمر ، ولذلك فقد بقىهذا الجزء كغيره من أجزاء الجزيرة العربية مجهولا عند القدماء . ولعله قد بقى كذلك مجهولا عند المحدثين لذات السبب .

فهذا أحدالباحثين المحدثين يقول : " وليست بلاد الاحساء الممتدة من عمان الىمصب الفرات ، على طول الخليج الفارسى معروفة جيدا ويظن أنها قليلة السكان." (١) فهو يظن ظنا ليس الا ويعترف بأن المنطقة كانت لازالت مجهولة ، ويرجع ذلك بلا شك ، الى صعوبة الرحلة ، وضعف امكانيات الاستكشاف ، قبل عصرالنهضة الذى نعيش فيه .

وقد وصف الهمدانى جزيرة العرب فى كتابه المعروف بصفة الجزيرة ، فجعلها خمسة أقسام ، نزل بها العرب وتوالدوا فيها وهى فى أشعارهم . وهى تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن (٢)

---

(١) انظر حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون ص : ٥٧
(٢) انظر صفة الجزيرة ص : ٤٧ ـ ٤٨

فأما بلاد اليمامة والبحرين[١] وما والاها فهى العروض.

وهذا هو القسم الذى تهمنا دراسته هنا. وقد استقى الهمدانى وصفه لتلك البلاد ـ كما يقول ـ من أخبار تلقاها من العرب الذين تيسر لهم أن يزوروا تلك البقاع[٢]

ففى تلك المنطقة نجاد وأغوار، لقربها من البحار وفيها مسايل أودية، وانخفاض مواقع، والعروض يجمع ذلك كله.[٣]

حضارة شرق الجزيرة فى القديم :

ويبدو أن هذه المنطقة كانت ذات حضارة فى غابر الأزمنة فقد كانت حلقة الاتصال بين بلاد الشرق (الأقصى) وبين دول الشرق وشرق أوربا التى كانت قائمة فى ذلك الزمان، كالاغريق والفرس والروم وغيرهم.

ففى احدى الجزر الموجودة بأحد خلجان تلك المنطقة، وهى جزيرة (فيلكا) التابعة لدولة الكويت[٤]، عثر مؤخرا على

---

(١) البحرين ـ قديما ـ كانت تضم جزءا كبيرا من شرق الجزيرة العربية وأطراف العراق، قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان " وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان ". وكانت عاصمتها هجر (وهى الاحساء اليوم)، وقد تسمى البحرين بهجر. وعاصمتها الاحساء (المعروفة اليوم فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية). وكانت البحرين قديما من أعمال الفرس، وكان يقيم فى بواديها خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم. (انظر معجم البلدان بحرين).

(٢) انظر صفة الجزيرة ص ٤٧ ـ ٤٨

(٣) انظر نفس المصدر ص ٤٨، والعروض (بالفتح) الناحية. وقد يطلق على مكة والمدينة وماحولهما الى اليمن (انظر اللسان عرض)

(٤) كان الاغريق يسمون الكويت (لاريا)، ويسمون جزيرة فيلكا (ايكاروس) ـ دليل المتحف الكويتى ص ٢٢

مجموعة ضخمة من الآثار[١] ، الأغريقية ، كالحجارة والأعمدة والمعابد والقلاع والقصور الملكية ، والنقود والتماثيل والأختام والجرار الفخارية ، والتي يرجع تاريخها الى القرون الثلاثة التي سبقت الميلاد[٢] ، والتي تدل على أن الاغريق في ذلك الزمان قد عرفوا معرفة وثيقة ، بل عاشوا عيشة استقرار واطمئنان في تلك البلاد.[٣]

أما في العصر الجاهلي الذي يعنينا ، والذي عاش فيه شاعرنا طرفة بن العبد ، فلم يكن الساحل الشرقي من جزيرة العرب ، كما يذكر الهمداني في صفة الجزيرة ، سوى منطقة رعوية تصلح لبعض الزراعة ، ويسكنها عدد من القبائل العربية ، التي كانت حياتها تعتمد على الرعي وبعض نتاج الزراعة من حبوب ونخيل وغير ذلك . فقد كانت ساحلية كثيرة النخل والزروع ، وفيها عيون تنبع بالماء[٤] . مع أن غربها كان هضابا وصحراوات[٥]

ولاتزال التربة في الشمال تصلح لزراعة النخيل والحبوب وغيرها ، وان كانت في الجنوب رمالا خالية من الزراعة . وبها تلال وأودية وبعض الواحات ، نتيجة لوجود الينابيع غير الجارية.[٦]

(١) كان أول حجر أثري منها قد عثر عليه السكان سنة ١٩٣٧م . أما بقية الآثار فقد عثرت عليها البعثة الدنمركية التي استدعتها الحكومة الكويتية لهذا الغرض ، والتي ظهرت أولى نتائج تنقيبها عام ١٩٥٨م (انظر المصدر السابق ص ٢٢ أيضا)

(٢) انظر تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا ص ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ وانظر كذلك "نقود يونانية من جزيرة فيلكا ص ١

(٣) انظر دليل المتحف الكويتي ص ٢٢

(٤) انظر صفة الجزيرة للهمداني ص ١٣٦

(٥) انظر المصدر نفسه ص ١٣٨

(٦) انظر جغرافية شبه جزيرة العرب ـ لعمر رضا كحالة ـ ص ١٦ وما بعدها .

رياح شرق الجزيرة وأمطاره :

وتهب على المنطقة رياح الصَّبا[1] التى تأتى من المشرق ، ورياح الدَّبُور التى تأتى من المغرب[2] ، ورياح الجَنوب التى تأتى من اليمن[3] ورياح الشَّمال التى تأتى من الشام[4] . وكذلك رياح الحَرْجَف[5] التى تهب بين الشمال والصبا ، كما يذكر صاحب صفة الجزيرة[6] . قال الأعلم الشنتمرى فى شرحه لديوان طرفة : الحرجف الشمال اذا عصفت ، وقيل هى الشديدة من كل ريح "[7]

ويذكر طرفة فى شعره كثيرا من تلك الرياح ، فهو يقول فى الحرجف :[8]

صادفته حَرْجَفٌ فى تَلْعَةٍ فسجا وسطَ بلاطٍ مسبطر

---

(١) الصبا ريح معروفة تقابل الدبور . ومهبها مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار . وتكون اسما وصفة . وتثنيته صبوان وصبيان ، والجمع صبوات وأصباء . وقد صبت الريح تصبو صبوا وصبا (انظر اللسان صبا).

(٢) الدبور الريح التى تقابل الصبا . وقد دبرت الريح تدبر دبورا . وتكون صفة دائما . (اللسان دبر).

(٣) الجنوب ريح تخالف الشمال فتأتى عن يمين القبلة " قال الأصمعى: مجىء الجنوب ما بين مطلع سهيل الى مطلع الشمس فى الشتاء . واذا جاءت جاء معها خير وتلقيح . واذا جاءت الشمال نشفت . وجنبت الريح اذا تحولت جنوبا (اللسان جنب)

(٤) الشمال الريح التى تهب من ناحية القطب . من قبل الشام عن يسار القبلة ، وتكون اسما وصفة . وفيها خمس لغات : شمل (بالتسكين) ، وشمل (بالتحريك) ، وشمال وشمأل (مهموز) وشأمل (مقلوب) والجمع شمالات وشمائل (اللسان شمل)

(٥) الحرجف الريح الباردة . وريح حرجف باردة وليلة حرجف : باردة الريح ، واذا اشتدت الريح مع برد ويبس فهى حرجف (اللسان حرجف)

(٦) انظر صفة الجزيرة ص ١٥٤

(٧) انظر شرح البيت ٢١ من القصيدة الثانية من الديوان ص ٥٨

(٨) الديوان ص ٥٨) ، والحرجف الريح الباردة ، والتلعة مسيل =

ويقول فى ذكر الشمال والصبا (١) :

أ ـ فأنتَ على الأدنى شمال عَرِيَّةٌ شآمية تَزْوِى الوجوهَ بليلُ (٢)
ب ـ وأنتَ على الأقصى صبا غيرُ قَرَّةٍ تَذاءَبُ، منها مُرْزِغ ومُسِيلُ (٣)

ويقول فى ذكر الجنوب (٤) :

مَرَتْهُ الجنوب ثم هبَّتْ له الصبا إذا مس منها مسكنا عُدْمُلاً نَزَلْ

هذا وبعض مناطق شرق الجزيرة لارياح فيه ، " غير تنسم سَموم انصاف النهار .(٥)

وأما أمطار تلك المنطقة (٦) فأولها الوسمى (٧) ، وهو مطر أول الربيع وله أنواء كثيرة . ثم يتلوه الربيع ، وهو المطر الذى يكون

= الماء الى الوادى ، وقوله " فسجا " أى سكن واستقر . والبلاط الأرض المستوية . والمسيطر السهل الممتد .

يصف ماء فيقول : انه قد استقر فى بلاط فصفا وهبت عليه ريح باردة فبرد .

(١) (الديوان ص ٨٣)

(٢) الأدنى الأقارب ، شمال عرية اذا كانت فى غير شمس ، وبليل باردة . ونسبها الى الشام لأنها تأتى من قبله . وتزوى الوجوه أى تقبضها لشدة بردها .

وقد ضرب طرفة هذا مثلا لابن عمه عبد عمرو فى شدته على الأقارب وسوء معاملته اياهم .

(٣) الأقصى البعيد النسب والصبا الريح اللينة المحبوبة عند العرب ، غير قرة أى غير باردة ، وتذاءب : أى تأتى من هنا مرة ومن هناك مرة .. كالذئب اذا حذر من وجه جاء من وجه آخر . ثم استأنف فقال : منها مرزغ ومسيل . فالمسيل من المطر الذى تسيل الأرض منه ، والمرزغ دونه .

والمعنى: تقطع الأقارب وتسىء اليهم ، وتصل الأباعد وتحسن معاملتهم .

(٤) (الديوان ص ٩٠) ومرته الجنوب أى مسحته واستدرته . وذكر الجنوب والصبا لأنه اذا كان السحاب ـ كما يقول الأعلم الشنتمرى من عين القبلة ثم الحقته الصبا فذلك أجود المطر وأكثره . ومس منها مسكنا : أى أمطره وباشره . ونزل: أى سكن وتمكن.

(٥) صفة الجزيرة ص ١٥٤

(٦) نفس المصدر ص ١٥٤

(٧) الوسمى: سمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات ، فيُصَيِّر فيها أثرا فى أول السنة .(اللسان وسم)

فى فصل الربيع ، ثم الصيِّف(١) وهو المطر الذى يجئ فى الصيف(٢) ثم الخريف(٣) وهو أول ما يبدأ من المطر فى قبال الشتاء . وقد ذكر طرفة بعض هذه الأمطار كذلك فى شعره فقال(٤) :

فلا زالَ غيثٌ من رَبيعٍ وَصَيِّفٍ على دارِهَا حيثُ استقرَّتْ له زَجَلْ

وأعشاب المنطقة وأشجارها الصحراوية كثيرة جدا . منها الشِّيْحُ وهو نبات سهلى له رائحة طيبة وطعم مر . وهو مرعى للخيل والنعم(٥) . ومنها الحَاذُ وهو شجر يألفه بقر الوحش(٦) ، ومنها الغَضَا وهو شجر إليه تنسب أخبث الذئاب وأخطرها(٧) . ومنها الطَّحْمَةُ والطَّحْمَاءُ وهما من الحَمْض(٨) .

---

(١) انظر اللسان (ربع)

(٢) الصيف(بتشد يد الياء) ، والمفرد صَيِّفَةٌ ، يقال أصابتنا صيفة غزيرة (انظر اللسان صيف)

(٣) قال الأصمعى: أول ماء المطر فى قبال الشتاء اسمه الخريف وهو الذى يأتى عند صرام النخل ، ثم يليه الوسمى ، وهو أول الربيع ثم يليه الربيع ، ثم الصيف ، ثم الحميم وخرفت الأرض اصابها مطر الخريف ، وكذلك خرف القوم (انظر اللسان خرف)

(٤)(الديوان ص ٩٠) ، يدعو طرفة لصاحبته بالسقيا حيث كانت ، وأراد بالربيع مطر الربيع ، وبالصيف مطر الصيف ، وقوله :له زجل أى له رعد وصوت ، وأغزر ما يكون المطر مع الرعد.

(٥) قيل ويتخذ من بعضه المكانس ، ومنابته القيمان والرياض ، وجمعه شيحان . (انظر اللسان شيح)

(٦) انظر اللسان(حوذ) وواحدته حاذة .

(٧) واحدته غضاة (انظر اللسان غضا)

(٨) الطحمة (بفتح الطاء وسكون الحاء وفتح الميم) ضرب من النبت ليس له حطب ولا خشب انما ينبت نباتا تأكله الابل. والطحماء مثله (انظر اللسان طحم)

ومنها السَّحَمَةُ والسَّحْمَاءُ ، وهما كلأ أبيض ليس بعشب ولا شجر(١) ومنها العُشَرُ وهوشجر أملس لين العود(٢) ، عريض الورق ينبت صُعُدًا في السماء(٣) . ومنها الخِرْوَع ، وهوالشجرالمعروف(٤) ، ومنها الشَّقِرُ وهوشجر له ثمر أحمر(٥) . ومنها الأُقحوان وهو من نبات الربيع ، مفرض الورق طيب الريح دقيق العيدان له نَوْر أبيض(٦) ومنها السَّمُرُ وهو شجر صغيرالورق قصيرالشوك جيد الخشب(٧)

---

(١) السحمة (بفتح السين والحاء والميم)٠ انظراللسان سحم

(٢) انظر شرح الأعلم الشنتمرى للبيت ٦٠ من معلقة طرفة في الديوان ص ٣٥٠

(٣) والعشر (بضم العين وفتح الشين)، واحدته عشرة وله صمغ حلو (اللسان عشر)

(٤) الخروع (بكسر فسكون ففتح) : شجر له حب كأنه بيض العصافير (اللسان خرع)

(٥) الشقر (بفتح فكسر) : نبت أحمر يقال له شقائق النعمان واحدته شقرة (اللسان شقر)

وانظر كذلك ما نقله الأعلم عن الأصمعى فى شرح البيت ٤٠ من القصيدة الثانية (الديوان ص ٦٤)

(٦) " كأنه ثغر جارية حَدَثة السن ، واحدته أقحوانه ، ويجمع على أقاح" (انظراللسان قحا)

(٧) السمر (بضم الميم) واحدته سمرة (انظر اللسان سمر)٠

ومنها الأَرْطَى والأُمْطِيُّ والضَّالُ ، وهو السدر البرى (١) ، ومنها الرُّغْلُ وهو أطيب الحَمْض (٢) . وأطيب ألبان الابل اذا رعته وأمر لبنها اذا رعت المُرَّار (٣)

هذا وقد تردد فى شعر طرفة كثير من تلك الأعشاب والأشجار نذكر بعضها على سبيل المثال

فالحاذ فى قوله : (٤)

حيثما قاظُوا بنجدٍ وشتَوا ... حولَ ذات الحاذ من ثِنْيَىْ وُقُرْ

---

(١) الأرطى (كالأفعى) شجر من شجر الرمل وأديم مأروط ومَرْطِى مدبوغ بالأرطى (اللسان رطا) . والامطى (كالجندى) : شجر ينبت فى الرمل أيضا ، وله صمغ يمضغه صبيان العرب (انظر اللسان حوذ ، ومطا) . وانظر كذلك شرح البيت ١٠ من القصيدة الثانية لطرفة فى ديوانه ص ٥٤ .

(٢) الرغل (كالجند) : من شجر الحمض ، وورقه مفتول . والابل تحمض به ، وأرغلت الارض أنبتت الرغل . (انظر اللسان رغل) .
والحمض (كالبرق) : كل نبت مالح أو حامض ، والجمع حموض والخلة (كالحُلَّة والجُبَّة) من النبات ما كان حلوا والعرب تقول الخلة خبز الابل ، والحمض فاكهتها . (انظر اللسان حمض) .

(٣) انظر فى هذه النباتات والاشجار صفة الجزيرة للهمدانى ص ١٥٥ وما بعدها . والمرار شجر مر . واحدته مرارة . (وضبطه كالحكام) (انظر اللسان مرر) .

(٤) قاظوا من القيظ وهو شدة الحر ، وذات الحاذ مكان ينبت فيه الحاذ ، وثنيا وقر موضع . (انظر الديوان ص ٥٥) .

والغضا في قوله :(١)

وكَرِّى إذا نادى المُضافُ مُحَنَّبًا كَسِيْدِ الغَضا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ

والعشر والخروع في قوله :(٢)

كأن البُرَيْنَ والدَّمالِيْجَ عُلِّقَتْ على عُشَرٍ أوخِرْوِعٍ لَمْ يُخَضَّدِ

---

(١) الكر العطف ، والمضاف المكروب الذى أحاط به العدو والمحنب الفرس الذى فى يديه انحناء وهومما يمدح به . والسيد الذئب وخص ذئب الغضا لكونه أخبث الذئاب وأنكرها ونبهته هيجته والمتورد الذى يطلب الورد ، .. يقول : ومما أعيش له أيضا نجدة الملهوف ـ على فرس سريع جدا ـ حتى أدركه قبل أن يفتك العدوبه ـ وشبه فرسه فى سرعته بذئب الغضا وقدهاج . وذلك أسرع له .

(وانظرشرح البيت ٥٨ فى الديوان ص ٣٣)

(٢) (انظرالديوان ص ٣٤، ٣٥) والبرين الخلاخيل ، والدماليج والدمالج المعاضد واحدها . دملوج ودملج . ولم يخضد لم يثن ليكسر .. شبه ساقيها وعضديها به فى نعمته ولينه .

والشقر في قوله :(١)

وتساقى القومُ كأساً مُرَّةً ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ وعلا الخيلَ دماءٌ كالشَّقِرْ

والأقحوان في قوله :(٢)

بابنٌ تجلو إذا ما ابتسمت ‍‍‍‍ عن شتيتٍ كأقاح الرملِ غُرّْ

والطحماء والسحمة في قوله :(٣)

خيرُ ما ترعونَ من شجرٍ ‍‍‍‍ يابِسُ الطَّحْماءِ أو سَحَمَهْ

والأرطى في قوله :(٤)

ظَلِلْتُ بذي الأرطى فُوَيْقَ مُثقَّبٍ ‍‍‍‍ ببيئةِ سوءٍ هالكاً أو كهالِكِ

والسمر والضال في قوله :(٥)

جأبةُ المِدْرى لها ذو جُدَّةٍ ‍‍‍‍ تنفضُ الضَّالَ وأفنانَ السَّمُرْ

---

(١) (الديوان ص ٦٤) وتساقى القوم مثله أي سقى بعضهم بعضا كأس الحتوف،
وتسايلت الدماء على جسوم الخيل (من الفرسان بسبب الطعان)
وهي دماء حمراء قانية شبهها بهذا الشجر.

(٢) (الديوان ص ٥٦) وبادن أي ضخمة كاملة البدن. وتجلو تكشف وتبدي والشتيت الثغر المتفرق النبت شبهه بالأقاحي في البياض والرقة والصفاء. وانما اراد نور الاقحوان. وغر أي بيض .. وهو يقصد أسنان المتغزل بها .. ولما أوقع الثغر على الاسنان جمعه.

(٣) (انظر الديوان ص ٧٧، ٧٨) ـ يقول فيمن يهجوهم : لقد ضيقنا عليكم، فأفضل ما ترعون فيه ابلكم يابس هذا النبت أو رطبه وقيل بل هما نوعان من النبات ليسا بطيبين.

(٤) (انظر الديوان ص ٨٧، ٨٨) يقول لقد مكثت في هذا الموضع الذي فيه أرطى، بمكان سيء .. فوق ذلك الموضع الذي اسمه مثقب.

(٥) جأبة المدرى أي غليظة القرن ملساؤه (يريد حداثتها وصغرها) "ولها ذو جُدَّة" أي لها ولد في ظهره جُدَّة وهي الطريقة التي في متنه وهي تخالف لونه. وتنفض الضال أي بقرنيها ليسقط ثمره. يقول هي كظبية صغيرة ذات ولد تعيش في خصب وهو مما يزيد حسنها (انظر الديوان ص ٥٤).

حيوانات شرق الجزيرة العربية :

تختلف الحيوانات فى تحملها للظواهر الجوية من برد وحر واستساغتها للبيئات المختلفة مخصبة ومجدبة ، تماما كما يختلف بنو الانسان. فكما أن الانسان الذى يعيش فى أواسط أوربا حيث الجو المعتدل ، والأرض المخصبة ، والماء الوفير .. لايطيق العيش الا بصعوبة فى البلاد الصحراوية ، ذات الحرارة المرتفعة والأرض المجدبة ، وسبل العيش الصعبة ، فان الحيوانات أيضا تكاد لاتختلف عن ذلك.

فبعض الحيوانات يتحمل شظف العيش وصعوبة الجو ، ووعورة الأرض وما الى ذلك ، وبعضها الآخر لايستطيع أن يحيا الا حيث يعتدل المناخ ، وتخصب الأرض وما الى ذلك كذلك.

وقد خص الله - سبحانه - الجزيرة العربية بأنواع من الحيوانات ، كانت كأنما أعدت اعدادا خاصا لتعيش فى تلك البيئة . بما يحوطها من جو قارى تشتد حرارته فى بعض أشهر السنة شدة لاتكاد تطاق ، ويشتد برده فى بعضها الآخر شدة أيضا لاتكاد تطاق.

هذه الحيوانات رافقت انسان الجزيرة منذ وجد فى اقدم العصور، وتحملت معه ما تحمل على مر الأيام والدهور. بل لعل وجودها كان مساعدا له على اجتياز مشقات الحياة ، معينا له على ما كان يلقاه من الصعاب والعقبات . فكان الانسان بتلك الحيوانات يصبر على ما يطاق من أمور معيشته وما لا يطاق .

وقد انقسمت تلك الحيوانات الى قسمين . هذا تألفه الانسان

فتألف الانسان ، وعاش في كنفه عبر تلك الأزمان . وهذا نفر من الانسان فطارده وحاول أن يصطاده حيث كان.

فأما القسم الأول منها فان أهم حيواناته الابل والخيل والاغنام والابل بطبيعتها مهيأة تهيئة ربانية لجوال الصحراء بمختلف نواحيه[١] فهى صابرة على الجوع والعطش ، صبرا يعجز عنه أى حيوان آخر. وهى جلدة قوية ، تحمل الاثقال والمتاع ، وتتنقل بسهولة فى الرمال لاتعرف الكلل أو الملل حتى سميت بحق" سفينة الصحراء ".

هذا فضلا عما تدره من وبر ولبن فى حياتها ، ومن لحم وشحم عند ذبحها . ولذلك تعشقها البدوى من قديم ، يمتطى ظهورها متنقلا وغازيا ، ويحمل أمتعته عليها ، ويشرب لبنها ، ويأكل لحمها ويلبس جلودها ، ويسكن فيما ينسجه من أوبارها . يقول الدكتور فيليب حتى فى تاريخه الموجز عن العرب:

" وقد يصعب على العقل أن يتصور الصحراء صالحة للعيش بدون الابل فهى قوام أهل البداوة ، ومطية تنقلهم ، ووسيلة معاملاتهم . فمهر المرأة ، ودية القتيل ، وربح الميسر ، وثروة الشيخ .. كل أولئك تحسب بعدد الابل ".[٢]

وقد أصابت ابنة الخُس[٣] حين سئلت عن الابل فقالت : " هى اركاب الرجال ، وارقاء الدماء ، ومهور النساء "[٤]

---

(١) يذهب ابن خلدون الى " ان الابل هى التى أعانت العرب على التوحش فى القفر والاغراق فى البدو " انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٤

(٢) انظر تاريخ العرب الموجز ص ١٧

(٣) هى هند بنت الخس بن حابس بن قريط ـ الايادية ، وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب ، وكانت تأتى سوق عكاظ .

(٤) المزهر للسيوطى ٢/٥٤٠ والرقوء ـ على فعول ـ بالفتح ـ الدواء الذى يوضع على الدم ليرقئه فيسكن . والاسم رقوء (كثمود) اى أن الابل تعطى فى الديات بدلا من القود فتحقن بها الدماء (اللسان رقا)

" والابل هي رفيقة البدوي التي لاتفارقه ، وخدنه ومعيله . يشرب لبنها بدلا من الماء الذي يحرمه نفسه ويوفره لماشيته ، ويتلذذ بأطايب لحمها ، ويلبس جلودها ، ويصطنع خيامه من وبرها "(١)

" ويدلك على مكانة الابل في حياة البدو ومعاملاتهم ان في اللغة العربية على ما يقال ، ما يقارب ألف اسم للابل بأنواعها المختلفة ، وأنسابها وحالاتها وأطوار نموها . وهو عدد لايضاهيه سوى عدد أسماء السيف ".(٢) وأين هذا من ذاك الذي قد جمع من الألفاظ التي كانت لشئون الجمل عند العرب أربعة وأربعين وستمائة وخمسة آلاف لفظ . كما يقول الدكتور صبحي الصالح في كتابه : دراسات في فقه اللغة .(٣)

ويقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه العصر الجاهلي " وكان أهم حيوان أعانهم على احتمال هذه الحياة المجهدة ، البعير الذي يتحمل مثلهم مشاق الصحراء ، ولايرهقه عطش ولا جوع ، ولا ما يحمله من أثقال . فهو رفيقهم المفضل الذي يوافقهم ، ولذلك طالما أشادوا به في شعرهم .(٤)

ويقول المستشرق الدكتور غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : " وهو - أي الجمل - لقناعته وقوته ، واحتماله المشاق ، وصبره على العطش أياما ، لايقوم مقامه حيوان في الركوب وحمل الاثقال .(٥)

---

(١) انظر تاريخ العرب الموجز لفيليب حتي ص ١٧
(٢) انظر المصدر السابق ص ١٧ ، ١٨
(٣) دراسات في فقه اللغة ص ٢٩٤
(٤) انظر العصر الجاهلي ص ٧٩
(٥) حضارة العرب ص ٦٠

وخلاصة الأمر هي ما قال الدكتور صبحي الصالح، بأن الجمل هو "رفيق الأعرابي في الصحراء ، ومؤنسه في وحشته " ... "وهو الكائن الحي الذي لا يستغني عنه العربي لحظة في حياته "(١) .

وقد عقد ابن سيده في المخصص كتابا خاصا بالابل ، ذكر فيه من شئونها عند العرب حملها ونتاجها ، وصفاتها وأولادها وأعمارها وحياتها وموتها وفطامها ورضاعها وحلبها وألبانها وطوائفها وحسنها وتمامها وسمنها وضعفها ولحومها وأوبارها وأصواتها وعلفها ورعيها واجترارها وبروكها واناختها وعطشها وصبرها وسيرها . وغير ذلك مما تضيق هذه الصفحات بتفصيله .(٢)

ولم يختلف شرق الجزيرة عن بقية أجزائها في اهتمام أهله بالابل ، ذلك الاهتمام الذي قد نستنبطه من طغيان وصف الناقة والحديث عنها ، على أي موضوع آخر في معلقة طرفة بن العبد . كما قد نستنبطه من أن شعراءهم قد سلك كل واحد منهم الى الحديث عن الابل ، سبيلا أي سبيل . سواء أكان ذلك عند بعضهم بايجاز ، أو كان عند بعضهم الاخر بالتفصيل .

وأما الخيل فقد كانت عمادا آخر من أعمدة المواصلات في الجزيرة العربية ، كما كانت عدة ثانية من عدد الحرب عند العرب وان كانت الابل قد حظيت بالمكانة الاولى ، وانتشرت الانتشار الأوسع ، واعتمد عليها الاعتماد الأوفر ، فان الخيل قد حظيت هي الأخرى بمكانة مرموقة ، وجعلها أهل الجزيرة عمادا لحياتهم وأي عماد ، واهتموا بها اهتماما نافس اهتمامهم بالابل أو كاد .

---

(١) دراسات في فقه اللغة ص ٢٩٤

(٢) انظر كتاب الابل في المخصص لابن سيده

لقد كان الغزو غير ذي خطورة اذا خلا الغازون من الفرسان الخيالة ، الذين ينقضون على عدوهم انقضاض الصواعق ، فيسلبون وينهبون ثم يفرون على صهوات خيولهم لا يستطيع أن يلحق بهم لاحق . وفي ذلك يقول الدكتور غوستاف لوبون" وسرعة عدو الفرس هي التي تنقذ في الغالب حياة المقاتل في الصحراء "(١)

وشاعرنا طرفة - كما وصف الناقة - لم يفته وصف الخيل في القتال ، والحديث عن أهميتها وعملها وسرعة حركتها ، مما سنبين في حينه باذن الله .

وقد فاق اهتمام العرب بالخيل اهتمامهم بأبنائهم ، ففضلوها عنهم لضرورتها لهم ، وأهميتها عندهم ، وفي ذلك يقول الدكتور فيليب حتي :" وأهم ما يعجب العربي من الخيل سرعتها ، اذ بدونها لا يصلح غزو . وهي تستخدم أيضا في السباق والقنص .(٢) واذا عز الماء في مخيم احدى القبائل ، وضج الاطفال وعلا عويلهم من العطش لم يكترث رب البيت بهم ، بل أصر على تقديم الماء للخيل أولا ، فاذا بقي منه شيء دفعه الى الصبية .."(٣)

ولقد كان للعرب في استعمالهم للخيل في الحروب ، عادات تدل على حنكة ودراية لم تكونا لغيرهم من الشعوب لقد كانوا اذا خرجوا الى الغزو يمتطون الابل أثناء الطريق ، ويجنبون الخيل أي يقودونها دون أن يركبوها - حتى تظل بكامل قوتها وراحتها فتبلى في المعركة ما يطلب منها من بلاء ، وتؤدي أقصى درجات الأداء .

---

(١) حضارة العرب ص ٦١

(٢) القنص (بفتح النون) : الصيد . والقنص (بسكونها) : فعل القانص (انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس - قنص) وفي اللسان ... (قنص) : "قنص الصيد يقنصه (بكسر النون) قنصا وقنصا والقنص المصدر .

(٣) تاريخ العرب الموجز ص ١٨ ، ١٩

ولعل حديث غزوة أحد المشهور ، من خير الادلة على ذلك . قال ابن هشام : " ثم بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ابن أبى طالب (رضى الله عنه) ، فقال : اخرج فى آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون . فان كانوا قد جنّبوا الخيل (١) وامتطوا الابل ، فانهم يريدون مكة . وان ركبوا الخيل وساقوا الابل ، فانهم يريدون المدينة . والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرنّ اليهم فيها ثم لأناجزنّهم . قال على: فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون . فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة ".(٢).

يضاف الى كل ذلك ما للخيل من منظر خلاب ، وشكل - سبحان خالقها - لطيف جذاب . ولذا انتشرت بين الموسرين من العرب وكان يتزين بها الى جانب استعمالاتها المعروفة . فان لها حين تسرج وتعد ، منظرا يسر العين ويروق الفؤاد.

ومما يستدل به على ذلك ، أن القرآن الكريم قد تعرض لذكر الخيل فى ذينك الموضعين .. فقال يذكرها فى موضع الحرب: " وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ "(٣)

---

(١) جنبوا الخيل أى قادوها ولم يركبوها ، فالمجنب المقود .. أو ساقوها الى جنوبهم (انظر اللسان جنب).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام - بتحقيق مصطفى السقا وآخرين ص ٩٤ من القسم الثانى .(٣/٩٤).

(٣) سورة الانفال آية ٦٠

وقال يذكرها في موضع الجمال : " والخَيْلَ والبِغالَ والحَمِيْرَ ، لِتَرْكَبُوْهَا وَزِيْنَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ." (١)

وأما الغنم فهى وان تكن توام الثروة الرعوية ، الا انها كانت في الجزيرة العربية عامة - دون مرتبة الابل ، التي تتساوى معها في انتاج الصوف واللبن واللحم ، ولكنها تفوقها في كونها أداة للتنقل والرحيل ، وحمل الأثقال وقطع المفاوز .

ولذلك فان ذكرها في أشعارهم - اذا وجد لها ذكر - فهو لايرقى من قريب أو بعيد الى ذكر الابل والخيل على أي حال . ذلك أنها لاتصلح لزينة أو تستخدم في قتال ، ثم إنها لاتسعفهم في حمل أثقال أو تنقل أو تجوال . (٢)

تلك هي أهم الحيوانات الأليفة التي خص الله بها الصحراء العربية . قال سبحانه وتعالى: " والأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فيها دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ومِنْهَا تَأْكُلُوْنَ . ولَكُمْ فِيْهَا جَمَالٌ حِيْنَ تُرِيْحُوْنَ وحِيْنَ تَسْرَحُوْنَ . وتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُوْنُوا بَالِغِيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوْفٌ رَّحِيْمٌ . والخَيْلَ والبِغَالَ والحَمِيْرَ لِتَرْكَبُوْهَا وزِيْنَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ " (٣)

---

(١) سورة النحل آية ٨

(٢) ومن طريف ما روى الجاحظ في حيوانه قال :" وقيل لابنة الخس ما تقولين في مائة من المعز ؟ قالت : قنى . قيل فمائة من الضأن ، قالت : غنى . قيل فمائة من الابل ؟ قالت منى (انظر الحيوان ٥/٤٥٩-٤٦٠) .وقنى جمع قنية وهو ما يقتنى .

(٣) سورة النحل الآيات (٥-٨)

وقال سبحانه وتعالى أيضا : " وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ، كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُم اللَّهُ ..."(١).

هذه اذن هي الحيوانات الأليفة التى خص الله بها الصحراء العربية . فاعتمد عليها أهلها فى حياتهم الطويلة الشاقة ، وسطرت أشعارهم فوائدها عندهم ، كما خلدت ذكرها بعدهم.

لقد كان لتلك الحيوانات فى شعرهم نصيب كبير ، بل ان بعضهم قد أوقف أجزاء من شعره على وصفها والحديث عنها ، وعن رحلاتها وغزواتها وكرها وفرها ، وسيرها وعدوها .. وكل حركة وسكنة من حركاتها وسكناتها . والذى يقرأ شعر طرفة أو الأعشى فى الناقة ، وشعر عنترة أو امرئ القيس فى الحصان ، سيجد مثل هذا الذى نقول ، بل وأكثر مما نقول.

واليك بعض هذه الاشعار كأمثلة على هذا . قال طرفة (٢) فى ناقته :

وانّى لأُمْضِي الهَمَّ عند احْتِضَارِه ... بعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وتَغْتَدِى (٣)

أَمُونٍ كأَلْواحِ الإِرَانِ نَسَأْتُهَا ... على لَاحِبٍ كأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ (٤)

تُبَارِى عِتاقًا ناجياتٍ وأتبعت ... وظيفًا وظيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ (٥)

---

(١) سورة الانعام (اية ١٤٢) . والحمولة (بالفتح) الابل التى تحمل وعن ابن عباس رضى الله عنه أن الحمولة الكبار من الابل والفرش الصغار منها . وعنه أيضا أن الحمولة الابل والخيل والبغال والحمير وكل شىء يحمل عليه . والفرش الغنم . وقيل الحمولة كالركوبة كلما يحمل عليه . والفرش الصغار من الابل والبقر والغنم وهو ما لا يصلح الا للذبح . انظر فتح القدير فى شرح هذه الآية ، وانظر اللسان (حمل وفرش).

(٢) الأبيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ من المعلقة (انظر الديوان ص ١٢ ، ١٣)

(٣) العوجاء : الضامرة ، والارقال أن يسرع البعير وينفض رأسه . وتروح وتغتدى أى تصل آخر النهار بأوله فى السير . يقول اذا حضرنى هم أذهبته عنى بالارتحال على تلك الناقة .

(٤) الأمون التى يومن عثارها . والاران تابوت كانوا يحملون فيه الموتى ، شبه ناقته فى عظمها وشدة خلقها به . ونسأتها زجرتها أى بالمنسأة وهى العصا . واللاحب الطريق المعبد ، والبرجد كساء مخطط شبه به الطريق لما فيه من طرائق .

(٥) العتاق الكرام والناجيات السراع ، يقول ان ناقته تبارى =

وقال الأعشى في ناقته كذلك :(١)

وعَسِيرٍ أَدْمَاءَ حَادِرَةِ العَيْـــن خَنُوفٍ عَيْرَانَةٍ شِمْـــلَالِ (٢)

مِنْ سَرَاةِ الهِجَانِ صَلَّبَهَا العُضُّ ورَعْيُ الحِمَى وطُوْلُ الحِيَـــالِ (٣)

لَمْ تَعَطَّفْ على حُوَارٍ ولَمْ يقطــع عبيد عُروقَها مِنْ خُمَــالِ (٤)

= تلك النوق أي تفعل في مشيها فعلهن . وأتبعت وظيفا وظيفا أي وضعت وظيف رجلها موضع وظيف يدها .. وهو (المناقلة) في سير الابل ، والوظيف في اليد من الرسغ الى الركبـــة وفي الرجل من الرسغ الى العرقوب . والمور الطريق. والمعبد المذلل من كثرة المشي فيه .

(١) هو ميمون بن قيس وسيأتي ذكره عند الحديث عن شعراء ربيعة في الفصل الثاني .

الأبيات ١٨، ١٩، ٢٠ من مطولته التي مطلعها :

ما بُكاءُ الكبير بالأطـــلالِ وسؤالي وما تَرُدُّ سُـــؤالِـــي

وهي القصيدة الأولى في ديوانه . وقد اعتبرها القرشي معلقة الاعشى ـ فرواها في الجمهرة ـ رابعة المعلقات ـ انظـــر الجمهرة بتحقيق البجاوي ص ٢٤٢

(٢) ناقة عسير ترفع ذنبها في عدوها ، وأدماء خالصة البيـــاض وحادرة العين صلبة العين ، والخنوف النشيطة ، تخنـــف برأسها وعنقها من النشاط ، وعيرانة تشبه العير وهو حمار الوحـــش ، وشملال سريعة .

(٣) سراة كل شيء أعلاه .. والهجان من الابل البيض الكرام . والعض (بضم العين) العلف. والحيال من حالت الناقة فهـــي حائل غير حامل.

(٤) الحوار ولد الناقة ، فهي لم تلد (وهو أشد لها وأصلب). والخمال داء يصيب القوائم فتتشنج عروقها . وعُبَيْدٌ الذي كان يـــداوي الابل من ذلك الداء .

وقال عنترة بن عمرو بن شداد فى حصانه :(١)

مازلتُ أرميهم بثُغْرة نَحْــرِهِ ... ولَبانِه حتى تَسَرْبَلَ بالــدَّمِ (٢)

فازورَّ منوقْعِ القَنا بلَبانــه ... وشكا إلَيَّ بعَبْرَةٍ وتَحَمْحُــمِ (٣)

لو كان يَدْرى ما المُحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلامَ مُكَلِّمى (٤)

---

(١) الأبيات ٧٨، ٧٩، ٨٠ من معلقة عنترة ـ وهى الأولى فى ديوانه ومطلعها :

هلْ غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ ... أم هل عرفتَ الدارَ بعدَ تَوَهُّمِ

وقد جعلها القرشى أولى المجمهرات (انظر جمهرة الاشعــــار بتحقيق البجاوى ص ٤٣٠ وهى الرابعة عند ابن الأنبارى والخامسة عند كل من أبى جعفر النحاس والتبريزى والسادسة عنــد الزوزنى.

(٢) الثُّغْرةُ الوَقْبَةُ فى أعلى النحر والجمع الثُّغَر . واللبان الصدر والسربال القميص .. يقول :

لم أزل أرمى الأعداء بنحر فرسى وصدره حتى جرح وتلطخ بالدم وصار الدم له بمنزلة السربال أى عم جسده .

(٣) الازورار الميل والتحمحم من صهيل الفرس : وهو ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له .

يقول : فمال فرسى مما أصاب صدره من رماح الاعداء ، ونظر الى كأنه يشكو بصوته ذاك .

(٤) يريد أنه لو قدر على الكلام لشكا الى مما أصابه من الجراح .

وقال امرؤ القيس كذلك فى حصانه : (١)

وقد أغتدى والطير فى وُكُناتها	بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ (٢)
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبرٍ معًا	كجلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ مِنْ عَلِ (٣)
له أَيْطَلا ظَبْيٍ وساقا نعامةٍ	وإرْخاءُ سِرْحانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ (٤)

* *

---

(١) من قصيدته المشهورة ـ الأولى فى ديوانه ـ وهى أولى المعلقات عند الجميع ومطلعها :

قفا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل بسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخول فحَوْمَلِ

(٢) الوكنات (كالحجرات) مواقع الطير واحدتها وكنة (كحجرة) . والمنجرد الماضى فى السير ، القليل الشعر . والأوابد الوحوش . والهيكل الفرس العظيم .

يقول: " وربما باكرت الصيد قبل نهوض الطاير من أوكارها على فرس ماض فى السير قليل الشعر عظيم الجرم يقيد الوحوش بسرعة لحاقه اياها ".

(انظر شرح البيت ٤٧ من معلقته فى الزوزنى)

(٣) الكر والكُرور العطف والرجوع (من كر يكُر بالضم) . ومكر كأنه أداة للكر . والمفر ضده (من فر يفر بالكسر فرارا) . والجلمود والجلمد الحجر العظيم الصلب . وجمعه جلامد وجلاميد . يقول : هذا الفرس مكر اذا أريد منه الكر . ومفر اذا أريد منه الفر ومقبل اذا أريد منه اقباله . ومدبر اذا أريد منه ادباره . ثم شبهه فى سرعته وصلابته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال الى حضيض ". انظر فى ذلك شرح البيت ٤٨ من المعلقة فى الزوزنى.

(٤) الايطل الخاصرة والجمع الاياطل . والارخاء ضرب من عدو الذئب والسرحان الذئب . والتقريب وضع الرجلين موضع اليدين فى العدو والتتفل ولد الثعلب =

وأما القسم الثانى من حيوانات الجزيرة العربية ، وهو القسم المتوحش الذى لم يتمكن الانسان من تألفه ، " كالاوعال والظباء والنعام والغزال والزراف ، وحمار الوحش وأتنه ، وثـــور الوحش وبقره "[1] ، وغيرذلك .. فقدكان لها هى الأخرى أثر واضح فى شعر الشعراء العرب ، اذ خصصوا جزءاً من حياتهم لمطاردتهـا ومحاولة صيدها . هذا الى جانب ما انتشر فى شعرهم من حديـث عن الحيوانات المفترسـة سواء الخرافية منها ـ كما فعل تأبط شرا مع الغول[2] . أو الحقيقية منها كالأسد والضبع والذئـب والفهد والنمروغيرها .

واذا كانت قصة الشاعر تأبط شرا مع الغول قد ابتدعهـا خياله ، فان أحاديث غيره من الشعراء عن الحيوانات الحقيقيـة كالأسود والذئاب والثيران الوحشية وغيرها ، ليست ممـا ابتدعتها أخيلتهم . انها أحاديث قريبة من الواقع ان لم تكن هى الواقع بعينـه .

= شبه خاصرتى فرسه بخاصرتى الظبى فى الضمر . وشبه ساقيه بساقى النعامة فى الانتصاب والطول . وشبه عدوه بارخاء الذئـب وتقريبه بتقريب ولد الثعلب .

ـ انظر الزوزنى معلقة امرئ القيس بيت ٥٤ .

(١) انظر العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ص : ٢١

(٢) تأبط شرا :" هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عـدى بن كعب من حزن ـ وقيل حرب ـ بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار " الأغانى ـ دار الثقافة ٢١/١٤٤ وهو أحد صعاليك العرب المشهورين وأحد شعرائهم المقليـن وقد لقب بذلك لقصص كثيرة (انظر أخباره فى الأغانى ـ دار الثقافة ٢١/١٤٤/١٩٧).

والباحث لايعجزه أن يكتشف أن خيال تأبط شرا هو الـذى ابتدع قصته مع الغول حين قال :(١)

فأصبحتُ والغولُ لى جـارةٌ	فياجارتا أنتِما أهْـوَلا(٢)
فطار بقِحْفِ ابنة الجِنِّ ذو	سَفاسِقَ قدْ أخلق المِحْمَـلا(٣)
فمنْ قالَ أينَ ثوتْ جارتـى	فان لها باللِّوَى مَنْـزِلا(٤)

ولكن الآخرين كانوا يتحدثون ـ كما ذكرنا ـ عن تجاربهـم الواقعية مع الغزلان وثيران الوحش وحمره وأتنه وبقره ..وغيرهـا من الحيوانات المشهورة التى تناثر ذكرها فى أشعارهم ..أوكانوا يتحدثون عن تجاربهم الواقعية أيضا مع الحيوانات المفترسـة وهذا وذاك يصوران جولات الشعراء العرب فى العصر الجاهلى مـع حيوانات الصحراء المتوحشة ، التى كانوا يحاولون صيدها أوكانت تحاول صيدهم .

(١) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبـة ـ دار صادر وبيروت ـ ص ٣١
وانظر كذلك الاغانى ـ دار الثقافة ـ ٢١/١٤٥

(٢) رواية الاغانى لهذا البيت: فأصبحت الغول لى جارة .. الخ .
دار الثقافة ١/١٤٥.

(٣) القحف بكسر القاف وسكون الحاء ـ العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة . والقحف بالفتح قَلْعُ القحف أو كسره (انظر اللسان قحف).
وسفاسق السيف طرائقه التى يقال لها الفرند (بكسر الفـاء والراء وسكون النون).
ـ وهو فارسى معرب ـ وواحدته سفسقة (بكسر السينين وسكون الفاء وفتح القاف). انظر اللسان سفسق.
والمِحْمل (كالمرجل) هو علاقة السيف وهى السير الذى يقلـده المتقلد. (انظر اللسان حمل)
يقول: لقد ضربتها بسيفى هذا فكسرت رأسها .

(٤) اللوى ـ بالكسر وفتح الواو والقصر ـ موضع ، قد أكثر الشعراء من ذكره (انظر معجم البلدان لوى)

أما طرفة بن العبد، فانه لايتعرض لهذه الحيوانات فى شعره ذلك التعرض الواضح . اللهم الا تلك اللمسات التى كان يحتاجها وهو يصف ناقته أو يتغزل بمعشوقته ، فهناك كان يظهر فى شعره ذكر للغزلان والظباء ، وبقر الوحش وغيرها . ولكنه ذكر لايرقى الى الاستدلال به على أنه كانت لطرفة مع تلك الحيوانات غير الأليفة ، جولات صيد أو مطاردة .

ولكنه مع ذلك ذِكْرٌ فيه من الدقة وصدق الوصف ما يستدل به على أن طرفة كان على علم بصفات تلك الحيوانات ، وكان على معرفة بطباعها ، شأنه فى ذلك شأن أقرانه من شعراء ذلك الزمان .

وقبل أن ننهى الحديث عن حيوانات شرق الجزيرة ، نود أن نذكر أن الشعراء العرب فى ذلك العصر قد تعرضوا فى أشعارهم لذكر كثير مما كان فى بلادهم من الطيور والزواحف . فمن الطيور الحِدَأَةُ (١) والصَّقْرُ ، والنَّسْرُ والغُراب ، والقَطَا والحَجَلُ والجرادُ والنَّحْلُ والكِرْوان وغيرها . ومن الزواحف الثعابين والحيات بأنواعها والعقرب والوَرَلُ والضَّبُّ والحِرْباء وغير ذلك .

ولو أننا ذهبنا نستعرض أشعارهم فى ذلك لطال بنا الحديث ولكننا نجتزئ مما قال طرفة أمثلة على بعض ذلك وحسب . قال يذكر الحجل : (٢)

تَرَبَّعَهُ، مِرْبَاعُها ومَصِيْفُها مياهٌ من الأَشْرافِ يُرْمَى بها الحَجَلْ

---

(١) الحداة الطائر المعروف والجمع حدأ كعنبة وعنب (اللسان حدا)

(٢) انظر الديوان ص ٩٠، وقوله تربعه : أى تقيم فيه (خولة) زمن الربيع . ومرباعها مبتدأ خبره مياه . والاشراف جمع شرف وهو ما ارتفع من الارض ويرمى بها الحجل أى يتصيد . وهو هنا يقصد شَرَفًا وشُرَيْفًا وهما جبلان .. (انظر شرح الاعلم للبيت ٢ من القصيدة ٤ بالديوان ص ٩٠)

وقال يذكر الكروان :(١)

لنا يومٌ وللكِرْوانِ يومٌ تطيرُ البائساتُ ولانَطِيرُ

وغير ذلك كثير..

مجتمع شرق الجزيرة العربية :

ذكر الهمداني في صفة الجزيرة ، عددا من القبائل والبطون التي استوطنت شرق الجزيرة العربية وكونت ذلك المجتمع الذي قام فيه ، منها من ربيعة بنو حنيفة ، وبنو عبد القيس ، وبنو تغلب وبنو بكر بن وائل وغيرهم . ومنها من غير ربيعة من بني تميم ومن بني كلاب ومن قضاعة ومن جرهم وغيرهم أيضا (٢)

وقد عرفنا أن شرق الجزيرة كانت فيه أراض كثيرة تصلح للرعي ، ويصلح بعضها للزراعة ، مما جعل تلك القبائل والبطون تستقر فيه ، وترتبط به وتقيم فيه القرى والمدن والحصون ويتغنى شعراؤها بأماكنها المختلفة . حتى أن ذكرها بفضل أشعارهم قد جرى على كل لسان ، ولولا ذلك لاندثرت وطواها النسيان .

---

(١) (البيت رقم ٦/ من القصيدة رقم ٩/ في الديوان ص : ١٠٢) والكروان بكسر الكاف وسكون الراء جمع كروان (بفتحهما) وهو الطائر المعروف ويقال له الكرا أيضا .

وطرفة هنا يهجو عمرو بن هند ويذكر يوم صيده ويوم جلوسه للناس .

(٢) انظر صفة الجزيرة ص ١٦٢ وما بعدها . وانظر كذلك الكامل لابن الأثير (دار صادر وبيروت) ١/ ٣٤٠ .

وما بُرْقَة ثَهْمِدٍ[(١)] ، وحِزَّانا الشُّرِيف[(٢)] ، وصحراء يُسُر[(٣)] وغيرها التى وردت فى أشعار طرفة بن العبد ، الا معالم من معالم تلك البلاد التى كانت معروفة فى ذلك الزمان ، والتى أوحت بشكل أو بآخر لشعرائنا بكثير مما قالوه من شعرهم الذى هو بين أيدينا الآن.

قال طرفة :[(٤)]

لخولةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تلوحُ كباقِى الوَشْمِ فى ظاهرِ اليَدِ

---

(١) البرقة أرض ذات حجارة وطين وثهمد(بفتح وسكون وفتح) موضع معين (انظر معجم البلدان م برقة ، م ثهمد).

(٢) الحزان (بكسر ثم تشديد) جمع حزيز وهو الغليظ من الأرض ، والشريف (بضم ثم فتح ثم سكون) واد بنجد). (انظر شرح الأعلم لديوان طرفة ص٨١ وانظر اللسان م حزن ، وانظر معجم البلدان م شرف).

(٣) يسر (بضم الاول والثانى) نقب تحت الأرض فيه ماء لبنى يربوع بالدهناء(انظرمعجم البلدان م يسر).

(٤) (مطلع المعلقة انظر ص٦ من الديوان) يقول : ان آثار ديار (خولة) فى برقة ثهمد تبدو لى على وجه الأرض ، كما يبدو الوشم فى الذراع.

وبرقة ثَهْمَدٍ هذه قيل هي موضع ، وقيل بل هي عين ماء.(١)

وقال طرفة :(٢)

لِهِنْدٍ بِحِزَّانِ الشُّرَيْفِ طُلُولُ تَلُوحُ وأَدْنَى عَهْدِهِنَّ مُحِيلُ

وقال :(٣)

أَرَّقَ العينَ خيالٌ لمْ يَقِرّْ طافَ والرَّكْبُ بصحراءِ يُسُرْ

هذا وقد قام المجتمع العربى على أساس قبلى. وهو تجمع ذوى القربى فى معسكر مستقل يكفل لأفراده الحماية التى يستطيعها ضد كل طارئ . والرابطة الأساسية التى كانت تربط ذلك المعسكر هى رابطة الدم ، وآصرة القربى.

وكانت الأمة العربية ـ كما ذكر القلقشندى فى نهاية الأرب تتكون من الشعوب والشعوب تنقسم الى قبائل ، والقبائل الى عمادات ، والعمادات الى بطون ، والبطون الى أفخاذ ، والأفخاذ الى فصائل . وربما عبر عن واحد من تلك الطبقات الست بالحى.(٤)

---

(١) انظر صفة الجزيرة للهمدانى ص ١٧٤ ، وانظر معجم البلدان م برقة وم تهمد.

(٢) (مطلع القصيدة رقم/٤ الديوان ص ٨١) يقول: ان هندا لها آثار ديار بتلك الأمكنة ، تبدو لى ولكنها قديمة ، وأقرب ما عهدت منها ما مضى عليه حول.

(٣) (البيت ٤ من القصيدة الثانية ـ انظر الديوان ص ٥٤) يقول : لقد أسهر عينى خيال طاف بى وأنا نائم ، وأصحابى معى بذلك المكان.

(٤) انظر فى ذلك نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب ص ١٣ ، ١٤ ، وانظر كذلك العقد الفريد ـ طبع مطبعة الاستقامة ـ ٣/٢٥٥

وكان يتزعم القبيلة رئيس منها يسمى الشيخ . يؤهله لذلك كبر سنه ورجحان عقله ، وشجاعته وسخاؤه وتجربته في الحياة وكان" يمثل قبيلته في جميع شئونها ويثبت زعامته بأصالة رأيه في المجلس القبلي ، ويكرمه وشجاعته ".(١)

قال بروكلمان " وانما ترتضي القبائل أو العشائر لزعامتها رجالا استطاعوا بسجاياهم وكفاءاتهم أن ينتزعوا اعتراف الناس بتقدمهم - عن رضا وطيب نفس " (٢) .

وقد استقلت كل قبيلة بنفسها ، وافتخر أفرادها بانتسابهم لها وحدها رغم أن أصل الجميع واحد . فقد قال تعالى - وهو أصدق القائلين : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (٣)

ووقفت القبائل في شتى أنحاء الجزيرة العربية أمام بعضها في الغزو والمفاخرات في تعصب قبلي، أكاد أقول ان مجتمعا آخر لم يشهد مثل ذلك التعصب ، ولم تقم بينه مثل تلك المفاخرات

وفي ذلك يقول الدكتور مصطفى الرافعي: " وهؤلاء البدو يقسمون الى قبائل ، والقبيلة هي الوحدة التي قام عليها كل نظامهم الاجتماعي . وكانت هذه القبائل في نزاع

---

(١) انظر تاريخ العرب الموجز لفيليب حتى ص ٢١
(٢) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية - لبروكلمان - ص ٢٨
(٣) سورة الحجرات آية ١٣

مستمر وغزو دائم ."(١)

ولم يكن رئيس القبيلة أو شيخها في المجتمع العربي، يستقل برأيه كما قد يبدو من تزعمه الذي ذكرنا ، ولكنه كان يستشير زعماء بطون القبيلة ، في الأمور التي تهمها . وعلى الأخص في الشئون الحربية والقضائية.(٢)

وقد كان لتلك القبائل في ذلك المجتمع - كما هو الحال في أي مجتمع - وسائل تنقل ومواصلات ، وركائب تستخدم في الأسفار والغزو والحروب .. وقد تعرض البحث لها . كما كان لها وسائل عيش ووسائل لهو وعادات وطباع .. وأيام بين بعضها وحروب طبق الآفاق ذكرها ، وملأت صفحات من كتب التاريخ أخبارها .

فأما وسائل اللهو والتسلية في الحياة الاجتماعية العربية فان طرفة بن العبد شاعرنا ، يصور بعضها فيما يقول :(٣)

فلولا ثلاثٌ هنَّ من حاجة الفتى ... وجَدِّكَ لم أحْفِلْ متى قامَ عُوَّدِي (٤)

فمنهن سَبْقِي العاذلاتِ بشَرْبةٍ ... كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تُزْبِدِ (٥)

وكَرِّي إذا نادى المُضافُ مُحنَّباً ... كسِيدِ الغضا نبهته المتوردِ (٦)

وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدجنُ مُعْجِبٌ ... ببَهْكَنةٍ تحت الطِّرافِ المُمَدَّدِ (٧)

---

(١) انظر حضارة العرب للرافعي ص ١٧

(٢) انظر تاريخ العرب الموجز ص ٢١ ، ٢٢ والمطول ٣٦/١

(٣) الأبيات ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ من معلقته . انظر ديوانه ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤

(٤) يقول: لولا ثلاث خلال لم أبال متى أموت . ومعنى أحفل أبالي والعود من يعوده في مرضه .

(٥) يقول : فأولى تلك الخلال شرب الخمر ، بالغدو قبل أن تلومه اللائمات . ومعنى كميت مائلة إلى الحمرة . ويعلوها عند صب الماء عليها الزبد.

(٦) سبق شرح هذا البيت في هامش رقم ١ ص (١٣) من هذا البحث

(٧) يوم الدجن يوم ندي ورش أو إلباس غيم . وتقصيره أن يلهو فيه فيقصر وخص يوم الدجن لأنه أحسن أيام اللهو عندهم - والبهكنة التامة الخلق الحسنة والطراف البيت من أدم . والممدد المشدود بالأطناب

تلك هى أهداف الحياة كما تعارف عليها بعض فتيان العرب فى الجاهلية . شراب منعش يتناوبه الندماء ، ويفاخر به بعضهم بعضا . ويتسابقون إليه قبل أن يلومهم اللائمون وتعذلهم العواذل . ونجدة لمن يطلبها من المحتاجين والضعفاء والمكروبين وهو أمر كانوا يتباهون به أيضا ويتفاخرون . وقينة طروب أو فتاة لعوب ، تزف إلى نفوسهم الطرب والسرور ، وتدخل عليها البهجة والحبور.

وقد صدق بعض الشعراء فى ذلك الزمان - وطرفة واحد منهم - فى نقل أخبار تلك الثلة من شباب الجاهلية الذين أسرهم اللهو وغلب عليهم الشراب،(١) ولكن ذلك كان مع بقاء اعتزازهم بفتوتهم وشجاعتهم وحبهم للنجدة . ومن أمثلة أولئك - غير طرفة قرينه المتخل اليشكرى الذى يقول :(٢)

ولقد دخلتُ على الفتــاةِ الخِدْرَ فى اليوم المطيـرِ
الكاعب الحسناء ترفُــل فى الدمقس وفى الحريـرِ
يا رب يوم للمُنَخَّــلِ قد لها فيه قصيـرِ

على أن أولئك لم يكونوا واجهة المجتمع الجاهلى كله ، فقد تسامى عن مثل أعمالهم كرام القوم وسادتهم ، وفرسانهم وشجعانهم وزعماؤهم وحكماؤهم وأكثر شعرائهم . روى صاحب الأغانى أن عمرو بن قميئة الشاعر ، قد راودته امرأة لعمه عن نفسه فقال :

" لقد جئتِ بأمر عظيم . وما كان مثلى ليدعى لمثل هذا . والله لولم امتنع عن ذلك وفاء لعمى، لأمتنعن منه خوف الدناءة والذكر القبيح الشائع عنى فى العرب".(٣)

(١) انظر العقد الفريد - ٦/٢٢٠ وعيون الاخبار ١/٢٥٩ وزهر الآداب
(٢) ص ٦١ الأبيات ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ من الأصمعية رقم ١٤ وسيأتى الحديث عن المنخل فى الفصل القادم ان شاء الله.
(٣) الأغانى - دار الثقافة - ١٨/٧٧ .

تلك هي اذن بعض وسائل اللهو التي كانت تسلية من فتيان العرب في الجاهلية تقضي فيها أوقاتها ·وكان يترفع عن مثلها الكثيرون ·

وكان الصيد ومطاردة الحيوانات الوحشية وسيلة أخرى ممن وسائل اللهو · فان ذلك وان كان من أسباب العيش عند البعض منهم ـ كما سنرى ـ الا أنه كان من وسائل اللهو عند الموسرين بالذات · فقد اتخذوه للتسلية وتمضية الأوقات

المرأة في مجتمع شرق الجزيرة العربية :

أما المرأة في ذلك المجتمع فقد كانت محترمة عزيزة يدافع عنها زوجها وأبناؤها وذووها دفاعا أشد من دفاعهم عن أرواحهم · فقد كان العربي يستمرئ الموت لنفسه على أن يرى زوجه أو أمه أو أخته أو ابنته أو قريبته ، وقد سلبها الآخرون · قال شاعرهم :

تَهُونُ علينا أن تُصابَ جُسومُنا وتسلمَ أعراضٌ لنا وعُقُولُ

وكم من معركة قامت ، وكم من حرب هاجت ، وكم من غزو سجله التاريخ··وكان سببه فتاة اعتدى عليها أو سلبت ، فيهب أهلها للدفاع عنها أو استنقاذها بكل ما يملكون من عدة وعتاد ، حتى وان كان في ذلك هلاكهم أو تشردهم في البلاد·

ذلك أن العربي كان يعتبر المرأة ذروة شرفه ، يجب الدفاع عنها وحمايتها ، والمحافظة عليها حتى يظل ذلك الشرف سليما

من الدنس ، بعيدا من أن يمس . وفي ذلك يقول الدكتور شوقي ضيف : " ولم يكن شيء يثيرهم كسبي نسائهم ، وهم بعيد عن الحمى ، فكانوا يركبون وراءهن كل وعر ، حتى يلحقوا بهن وينقذوهن ويغسلوا عار سبيهن عنهم . وهو عار عندهم ليس فوقه عار " .(١)

هذا وقد كانت لكثير من نساء العرب في ذلك المجتمع حريتها الشخصية ، مثل حقا لتملك واختيار الزوج ومفارقته ، والمشاركة في الحياة العامة كخوض الحروب والاشتراك في الأسواق الأدبية وغير ذلك .(٢)

والخنساء - تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد(٣) - في الجاهلية ، والخرنق بنت بدر بن هفان(٤) ، وهند بنت الخس بن حابس بن قريط الايادية(٥) ، وغيرهن كثير ، دليل على ما نقول بل ان الدليل الأسمى على ذلك هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها .

---

(١) انظر العصر الجاهلي ص ٧٢ ، ٧٣

(٢) انظر في ذلك تاريخ العرب الموجز ص ٢٢ والمطول ١/٣٧ وحضارة العرب للرافعي ص ٢٩ ، ٣٠

(٣) هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رباح بن يقظة بن عصية بن خفاف ابن امرئ القيس من قيس عيلان واسمها تماضر . أغاني دار الكتب ١٥/٧٦ . وهي الشاعرة المشهورة في الجاهلية ، وقد أدركت الاسلام وحسن اسلامها .

(٤) هي الخرنق بنت بدر بن هفان بن تيم بن قيس بن ثعلبة وزوجها بشر بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وهي أخت طرفة بن العبد لأمه . وسيأتي عنها الحديث في الفصل القادم .

(٥) سبق التعريف بها في هامش ٣ ص (١٦) من هذا البحث

وقد كانت المرأة في ذلك المجتمع عزيزة متمنعة ، وليست سهلة المنال على أي حال . ولذلك أضاع كثير من الشعراء العرب أعمارهم في التودد لها ومحاولة استرضائها والوصول اليها وطرفة نفسه يقول :(١)

أَبِنْتِي أَفِي يُمْنَى يَدَيْكِ جَعَلْتِنِي فأَفْرَحَ أَمْ صَيَّرْتِنِي فِي شِمَالِكِ

ولو كانت المرأة عندهم متاعا مهملا أو حقيرا ، لما خصها الشعراء بهذا القدر من أشعارهم . وفي ذلك يقول الدكتور شوقي ضيف : "ومن المؤكد أن المرأة الحرة ، لم تكن ممتهنة عندهم ، بل كانت في المكان المصون . وكان الشاعر يستلهمها شعره ، ولذلك كان يضعها في صدر قصيده . ونحس عند كثيرين منهم وخاصة فرسانهم مثل عنترة ، أنهم يقومون مغامراتهم في الكرم وفي الحرب لها لينالوا حبها . وكان أكثر ما يشجيهم ويبعث الموجدة في قلوبهم أن تؤسر وتسبى . فكان لا يقر لهم قرار الا أن يعودوا بها مكرمة الى ديارهم "(٢)

وليس يعني ذلك أن المرأة في المجتمع الجاهلي قد ملكت كل حرية . أو أنها قد ساوت الرجل أو علت عليه ، فان الفتاة عندهم كانت دون منزلة الفتى . وكان الفرح بانجاب البنين لا ينازعه فرح بل ان بعض قساة القلوب غلاظ النفوس منهم قد ذهب الى أبعد من ذلك بكثير حين كان يبتئس بميلاد الأنثى أشد ابتئاس ، ويغتم لانجابها بأشد ما تكون الغمة حتى وصم هؤلاء بالعادة المذمومة وهي عادة وأد البنات . وقد نعى القرآن الكريم على هؤلاء تلك العادة المشئومة في قول الله تعالى : " وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنْثَى

---

(١) الديوان ص ١٨٥
(٢) انظر العصر الجاهلي ص ٢١٤

ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ • يَتَوارَى مِنَ القَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُوْنٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ."(١) وقوله تعالى :" وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلاً ، ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ "(٢) ثم توعد رب العزة جل شأنه أمثال أولئك بقوله : " وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ • بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ "(٣)

ولعل الذى دفع تلك القلة الى تلك العادة ، هو كون المرأة مغمزا ينال به بعضهم من بعض عند المفاخرات ، وكونها سهلة الأسر والسبى عندا لحروب والغزوات . أوغير ذلك من الأسباب

أما أكثرية ذلك المجتمع فقدكانت نساؤهم ذوات عز بينهم وان كن دون منزلة الرجال. وكانت بناتهم ذوات مكانة عندهم وان تفوق عليهن الفتيان.

— * * —
*

---

(١) سورة النمل الآيات ٥٨، ٥٩.
(٢) سورة الزخرف آية ١٧.
(٣) سورة التكوير آية ٨، ٩

سبل العيش فى شرق الجزيرة العربية :

لقد سبق أن علمنا بوجود أماكن تصلح للزراعة فى شرق الجزيرة ، ولكنها ليست زراعة بالمعنى الذى نعرفه اليوم . فلم تكن تلك الزراعة تكفى الناس مئونة عيشهم ، ولا حتى كانت تكفيهم جزءا من مئونة عيشهم . ولذلك فانهم اعتمدوا كبير الاعتماد على رعى الابل والأغنام ، واتخاذ ألبانها ولحومها وأصوافها وأوبارها أساسا لمعيشتهم .. مشربا ومأكلا ومسكنا وملبسا .

واذا كانت بعض مناطق شرق الجزيرة قد صلحت للزراعة والرعى ، فان بقيتها كانت مناطق رملية مترامية الأطراف ، لا ترى فيها العيون الا الكثبان والسوافى ، تتخللها بعض الواحات وتنتشر فيها بعض النباتات والاعشاب والأشجار الصحراوية وما اليها

واذا كان النخيل وبعض الحبوب قد وجدت فى بعض الواحات فى أرض الجزيرة العربية عامة ، وفى شرقها على وجه الخصوص ، فان مناخها القاسى ، وهواءها الجاف ، وتربتها المالحة لم تساعد كما ذكر المؤرخون والجغرافيون على انبات شئ يغتنى الناس به عما سواه .(١)

وبدون القليل من المطر الذى حظى به شرق الجزيرة ، فنبتت بفضله المراعى التى عاشت عليها حيوانات القوم ، وبدون الاعتدال النسبى فى المناخ نتيجة امتداد المناطقة على سواحل الخليج ،

---

(١) انظر حضارة العرب لغوستاف لويون ص ٥٥ ، ٥٨ وانظر كذلك تاريخ العرب الموجز ص ١٥ ثم انظر مقدمة ابن خلدون ص ٨٢ ، ٨٣ .

وبدون بعض عيون الماء التى وجدت فى الواحات التى كانت تتناثر فى أنحاء تلك المنطقة ، والتى تهيأت بسببها زراعة النخيل وبعض الحبوب ، أقول انه بدون هذا وذاك ، كانت الحياة ستصبح مستحيلة على ظهر تلك المنطقة فى ذلك الزمان. حتى المناطق والواحات التى تيسرت فيها أسباب الزراعة ، من صلاح التربة وتوفر الماء - لم يكن العرب يستغلونها استغلالا كاملا. وذلك لما عهد عنهم من حب التنقل والتجوال . والزراعة محتاجة - كما نعرف الى الاقامة والاستقرار.

وهكذا لم يكن للانسان فى شرق الجزيرة العربية من وسائل التعيش(١) وسبل الحياة غير ما تدره أغنامه ونوقه من اللبن واللحم أو تنتجه نخلاته - ان كانت له نخلات - على رأس كل سنة من بعض التمور ، أضف الى ذلك ما كان يحصل عليه من كان يكرس حياته لصيد الحيوانات يعول بذلك الصيد أسرته ، فان هذا الصيد كان الشغل الشاغل لكثير منهم .(٢)

نعم .. لقد كان هذا الصيد هم فقرائهم ومعوزيهم ، كما كان هم شجعانهم وفرسانهم. بل انه كان أيضا هم كثير من الموسرين منهم. فأما الموسرون فقد كانوا يتخذون الصيد كما سبق أن ذكرنا وسيلة من وسائل لهوهم وتسليتهم. وأما الفرسان والشجعان فقد اتخذوه وسيلة لاظهار الشجاعة وضربا من ضروب الفروسية واتخذه الفقراء والمعوزون ، موردا من موارد رزقهم ، وبابا من أبواب تعيشهم .

هذا صيد البر ، أما صيد البحر فان العرب فى شرق الجزيرة قد عرفوا البحر من قديم . وذلك لوقوع منطقتهم على سواحل

---

(١) التعيش : تكلف أسباب المعيشة (اللسان - عيش)
(٢) انظر العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ص ٧٩

الخليج ، واتصالهم بأطراف العراق . وسنرى دليل ذلك عند تعرضنا لدراسة شعر طرفة . ولكن يبدو أن مهابة البحر وخوفهم منه ، كانا يمنعان الناس - الا قليلا منهم - من ركوبه وخوض غماره ولذلك قل ذكره في أشعارهم ولم تتطرق اليه الأحاديث كثيرا في أخبارهم .

ولكنك عندما تنظر الى أخلافهم (١) اليوم من سكان تلك المناطق تجد أن صيد البحر من وسائل معيشتهم . فليس اذن ما يمنع من أن يكون هذا الصيد في الماضي وسيلة من وسائل معيشة أسلافهم (٢) .

ولكن ذلك كله ، من رعي للحيوان ، وتربية له ، وزراعة لبعض النخيل والحبوب ، وصيد بأنواعه .. لم يكن يكفي لاعاشة أولئك الناس في ذلك الزمان ، ولم يكفي لدفع أذى الجوع عنهم وعن ذراريهم .

ذلك هو ما حدا بعرب تلك المنطقة لأن يفتشوا عن وسائل أخرى ، تساعدهم على الحياة ، وتدفع عن عوائلهم وذراريهم غائلة الجوع . فانتشروا في أنحاء المنطقة فرسانا غازين ، ينتجعون الى جانب مواطن العشب والماء لاعاشة ابلهم وخيلهم ومواشيهم مواطن الخير واليسار والغفلة عند أهلها ، لينقضوا عليها بغاراتهم ينهبون ويسلبون ما تيسر لهم النهب والسلب ، ثم ينطلقون بذلك الى مضاربهم فرحين بما غنموا ، فارين من ملاحقة أصحابه وحماته .

وطالت حياة العرب في تلك المنطقة على تلك الشاكلة ، حتى انها استنفدت العصر الجاهلي كله . هؤلاء يغزون وينتصرون

---

(١) الخلف الولد يبقى بعد الانسان - صالحا أو طالحا - والجمع أخلاف وخلوف (اللسان - خلف)

(٢) والسلف الآباء المتقدمون (جمع سالف) وجمعه أسلاف (اللسان - سلف)

وينهبون ويسلبون ، ثم تدور الدائرة عليهم بعد ذلك فينهزمون ويفرون ويرحلون عن مضاربهم الى أماكن أكثر أمناً أو أكثر وسائل عيش .. وهكذا دواليك .

وكذلك انتشر الشعراء بمدائحهم وأشعارهم يفتشون عن ذوى اليسار والكرم فيمدحونهم ويتعرضون لعطاياهم . ولعل هذه أيضا كانت وسيلة أخرى من وسائل تعيش العرب . وخاصة طبقة الشعراء منهم .

واذا استثنينا القبائل العربية التى سكنت حواضر الجزيرة العربية ، نستطيع القول بأن تلك الحياة التى وصفنا كانت هى أسلوب بقية الناس فى الجزيرة ، حتى جعلها العلماء والباحثون السمة البارزة لهم . قال الدكتور شوقى ضيف :

" وتلك كانت معيشتهم ، بين صيد للوحش وصيد للانسان ، ورعى للأغنام والأنعام .." (١) أضف الى ذلك السلب والنهب وغنائم الغزو ، وماكان يناله المتكسبون من مدح الكرم والكرماء .. وكل ذلك نتيجة للحياة القاسية فى صحراء يحف بها المحل والجدب من كل جانب (٢)

أما أهل الحواضر ، فى السهل الساحلى الخصيب فى الجنوب أو فى أراضى الحجاز الساحلية ، فقد وجدت لهم اضافة الى الوسائل التى ذكرنا ، وسائل معيشة أخرى بسبب وقوعهم على طرق التجارة بين الشرق والغرب فى ذلك الزمان . (٣)

---

(١) العصر الجاهلى ص ٨١
(٢) انظر المصدر السابق ص ٨١
(٣) انظر تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ج ١ ص ٤١ ، ٤٢

عادات العرب وطباعهم :

لقد مرت بنا عادات كثيرة وطباع كانت تسود المجتمع العربى فى الجاهلية ، سواء مع رئيس القبيلة شيخهم ، أو مع بعضهم أو مع نسائهم ، أو مع أعدائهم ، أو حتى مع حيوانهم . وهى عادات وطباع أفرزتها الحياة فى مجتمع قبلى كما صورنا . ونحن نواصل الحديث هنا عن بعض تلك العادات والطباع التى لم نذكر ، وذلك حتى تكتمل الصورة التى نريد أن نرسمها لذلك المجتمع .

هذا ولا نريد أن ينصرف الذهن الى أن المجتمع الجاهلى قد خلا من الأخلاق على الاطلاق . كلا .. فقد كان لأولئك الناس ـ الى جانب ولعهم باللهو والشراب والاغارة والحروب ـ أخلاق عالية وعادات سامية فى اكرام الضيفان ونجدة الملهوفين . وكان عندهم كذلك تدبير حسن لحياتهم ، وعلاج سليم لمشكلاتها بالقياس الى أقرانهم من الشعوب الذين عاشوا على أرض كأرضهم .

وهكذا لم يكن العربى " زطيا أو نوريا يهيم على وجهه لا غاية له ولا قصد ، بل البدوى أفضل من كيف الحياة البشرية ، طبقا لأحوال الصحراء الطبيعية . فحيث تيسر المرعى نزل ، وحيث ندر قوض خيامه وارتحل "(١)

ولقد اكتسب العرب من صحرائهم ـ الى جانب هذا التدبير وحسن التصرف فى الأمور الحياتية أبدانا قوية ، وأشكالا تامة حسنة ، وأذهانا ثاقبة فى الادراك ، وأخلاقا ـ وان كان عند بعضهم فيها انحراف ـ الا أنها كانت عند الكثيرين منهم بعيدة عن الانحراف (٢)

---

(١) انظر تاريخ العرب الموجز ص ١٣ والزطى واحد الزط وهم جيل أسود من السواد ينسبون للهنود (اللسان ـ زطط) والنورى واحد النور (كالبقر) وهم معروفون .

(٢) انظر فى ذلك مقدمة ابن خلدون ص ٨٧ .

غير أن العرب بالرغم من ذلك لم يخضعوا لقانون معين ، ولا لسلطة عليا تدير أمرهم بشيء مكتوب ولكنهم استندوا في معاملاتهم الى عرف عام ، قوامه التقاليد والعادات والطباع التي كانت تسود مجتمعهم . أما الولاء فكان من الأفراد لقبائلهم ليس الا ، ولشيخ القبيلة ومن يعاونه من زعماء البطون على وجه الخصوص .

وكانت تلك التقاليد التي تكون منها عرفهم العام ، تشمل جميع مناحي الحياة . بدءا بتربية الأطفال ، ومرورا بكل المعاملات التي يحتاج اليها المجتمع ، من زواج وطلاق وحكومة وضيافة وحروب ومعاملات وحل وترحال وغير ذلك

وكانت كل قبيلة تهتم بزيادة عدد أبنائها الذكور ، وذلك حتى يكونوا في المستقبل كثرة ذات غلبة . يقوى بعضهم بعضا في الحروب ، ويرفع بعضهم الضيم عن بعضهم عند الكوارث والخطوب . ولم يكن العرب يهتمون بزيادة عدد الاناث ، وذلك حتى يظل عددهن قليلا تسهل حمايته ، والدفاع عنه أمام الغزاة والمغيرين

تلك النظرة بشطريها ، هي التي ولدت عندهم الفرح الكبير بالمولود الصبي ، والاستياء البالغ بالمولودة الأنثى ، حتى ظهرت عند بعض قساة القلوب منهم - كما رأينا - عادة وأد البنات (١)

وقد اهتم العرب كذلك بتربية جسوم أبنائهم الذكور ، ليشبوا فرسانا أقوياء ، يؤدون المقصود من انجابهم وحسن تربيتهم ولعل اصطحاب أعمام شاعرنا طرفة بن العبد له - وهو صغير - في رحلاتهم عبر الصحراء - كما يسطر ذلك في بعض أشعاره - لعل ذلك من الدلائل على حرص العرب على تربية أبنائهم تربية قوية ، وتنشئتهم تنشئة فروسية .

(١) انظر ص ٢٧، ٢٨ من بحثنا هذا .

وكذلك اهتمت القبائل العربية بتقويم ألسنة أبنائها وتنشئتهم على الفصاحة والبلاغة ، وذلك حتى يذبوا عن قبائلهم بسيوفهم ورماحهم كفرسان ، وبألسنتهم وقوة حجتهم كشعراء أو خطباء .

وكذلك كانت لهم في تسمية أبنائهم وأبناء مواليهم ، عادات خاصة . فقد كانوا يسمون أبناءهم بمكروه الأسماء ومخيفها كأسد وكليب ، وصخر وجرب ، ونمرة وثعلبة وذئب وغير ذلك وكانوا يسمون عبيدهم - على عكس ذلك - بالأسماء الندية الحلوة . فهذا فلاح وهذا نجاح ، وهذا بلال وهذا رباح .. الى غير ذلك مما لطف من الأسماء .

وتفسير ذلك على زعم أحدهم ، كما ذكر القلقشندي في نهاية الأرب ، أنهم كانوا يسمون عبيدهم لهم ، وكانوا يسمون أبناءهم لأعدائهم .(١)

وقد رد الجاحظ في حيوانه بعض تلك التسميات الى سبب آخر قال : " والعرب انما كانت تسمى بكلب وحمار وحجر وجعل وحنظلة وقرد على التفاؤل بذلك ."(٢) ثم وضح تفاؤلهم بذلك . فالحجر لصلابته وبقائه وقوته وطحنه كلما يلاقيه ، والذئب للفطانة والخب والمكر والكسب ، والحمار لطول البقاء والقوة والجلد ، والكلب للحراسة واليقظة والكسب أيضا ، وهكذا .(٣)

---

(١) انظر نهاية الارب ص ٢٢
(٢) انظر الحيوان / ١/ ٣٢٤
(٣) المصدر السابق ١/ ٣٢٤ أيضا .

وكذلك كانت لهم عادة عندتوافق الأسماء . وهى أن يسموا السابق بالأكبر، ويسموا اللاحق بالأصغر . كما سمى بذلك المرقشان فالمرقش الاكبر منهما هو عم الأصغر . والأصغر هو عم شاعرنا طرفة نفسه .(١)

وكانت للعرب في الزواج والطلاق والمعاملات والحكومة عادات كثيرة ـ لايعنينا كثيرا الخوض فيها . وقد أفرزها كما ذكرنا وجودهم فى مجتمع قبلى ، وتكون منها عرفهم الذى عاشوا يحترمونه ويعملون به . ولعلمن أهم الطباع العربية التى يجدر بنا أن نتعرض لها ـ خصلة الكرم . وهى خلة(٢) لم تعرف عند غيرهم بمثل ما عرفت عندهم .

وخلة الكرم تبرز فىمجتمع يغلب على أفراده شظف العيش فان الذى يبذل من ماله فىذلك المجتمع ، يعلوا بالتأكيد شأنه وترفع بين القوم قيمته ، ويعرف بينهم فضله . وتلك كانت حالة المجتمع الجاهلى . فقد سادت فيه الفاقة والشظف ، سيادة جعلت بذل القليل من المال ، يعد من أكرم الخصال .

ولطالما تغنى الشعراء بمحاسن الضيافة والقرى ، مفتخرين أو مادحين . ولطالما أثنوا على أولئك الذين كانوا اذا نزلت بقومهم سنوات جدب أطعموهم ، واذا نزل بساحتهم ضيفان أكرموهم .

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٣٠
(٢) الخلة (بالفتح كالخصلة (لفظا ومعنا) والجمع خلال كرجال وخصال (اللسان ــ خلل)

وهذا شاعرنا طرفة بن العبد - كمثال على ذلك - يفتخر بأن قومه للجزر كالآفة لأنهم يكثرون من ذبحها واطعامها الناس، قال:(١)

ولقد تعلمُ بكرٌ أننا ... آفةُ الجُزْرِ مَسَاميحُ يُسُرْ

ثم انه يفتخر بأنهم لايخصون بدعوتهم الى الطعام واحدا دون واحد ولكنهم يعمون بها الجميع. وذلك في وقت الشتاء ونزول البرد ، وهو أشد الزمان في الصحراء قال :(٢)

نحنُ في المَشْتاة نَدْعُوا الجَفَلَى ... لاترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

وفي ديوانه قصيدة يمدح بها قتادة بن مسلمة(٣) ، وقد أصابت قوم طرفة سنة فأتوا قتادة هذا ، فأكرم وفادتهم ونحر لهم وفيها يقول :(٤)

أبْلِغْ قتادةَ غيرَ سائله ... منه الثوابَ وعاجلَ الشَّكَمْ(٥)
أنّي حَمِدْتُكَ للعشيرة إذْ ... جاءت اليك مُرِقَّةَ العَظْمِ(٦)
ففتحت بابك للمكارم حين تواصت الابواب بالأَزْمِ(٧)
فسقى بلادكَ غيرَ مفسدها ... صوبُ الرَّبيعِ وديمةٌ تَهْمِي(٨)

---

(١) انظر الديوان ص ٦٧ والجزر (بضم الاول والثاني) جمع جزور وهي الناقة المجزورة (اللسان جزر) يقول: انهم من كثرة نحرهم لها يكونون لها كالآفة. والمساميح الكرام الجياد قال ابن فارس" ورجل سمح أي جواد وقوم سُمَحَاء ومساميح (معجم المقاييس ٣/٩٩ - سمح)

(٢) الديوان ص ٤٦ والجفلى أن يعم بدعوته الى الطعام ولا يخص واحدا دون الآخر. والآدب الذي يدعو الى المأدبة. والنقرى ضد الجفلى والانتقار ان يخص بالدعوة ولايعم. مدح قومه بأنهم يعمون بالدعوة ، وخص الشتاء لنزول البرد وشدة الزمان وحاجة الناس الى الطعام.

(٣) هو قتادة بن مسلمة الحنفي ، الشاعر الذي سيأتي ذكره في شعراء ربيعة في الفصل الثاني من بحثنا هذا .

(٤) الديوان ص ٩٧

(٥) الشكم (بالفتح) الجزاء على الشيء والثواب.

(٦) يقول أبلغه حمدي له ، وعشيرة الرجل رهطه . ومرقة العظم أي مجهودة واذا هزلت الدابة رق عظمها .

(٧) أي تفضلت وأعطيت حين منع الناس وتواصوا باغلاق ابوابهم والازم الاطباق والاغلاق وأصله العض.

(٨) يدعو له بالمطر النافع الذي لايخرب البلاد ، والديمة المطر الدائم في لين. وصوب المطر وقعه . والربيع المطر الذي يكون في الربيع. وتهمي أي تسيل.

وهكذا " لم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم ، وقد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية ، وما فيها من اجداب واحمال . فكان الغني فيهم يفضل على الفقير ، وكثيرا ما كان يذبح ابله في سنين القحط ، يطعمها عشيرته ، كما يذبحها قرير العين لضيفانه الذين ينزلون به ، أو تدفعهم الصحراء اليه ".(١)

على أن تلك الخلة الكريمة لم تكن صفة الموسرين منهم وحسب فقد كان يطيب لكل عربي مهما كان فقيرا أن يذكر مقرونا بالكرم . ويتبارى في ذلك الذين يجدون والذين لا يجدون . فهذا يذبح ركوبته لضيفه ، لأنه لم يجد غيرها ، وهذا يتحمل ديات القتلى في الحروب من الجانبين المتحاربين اصلاحا لذات البين . وهذا يأمر غلمانه بايقاد النيران في الصحراء ليهتدي بها الضالون أو المسافرون أو الضيوف ويأتوا الى مضاربه ليكرمهم . وذاك - يفاخر بتعميم الدعوة الى الطعام خاصة في أيام الشتاء وحين ينزل البرد ويشتد الجوع ويحتاج الناس الى الطعام - كما رأينا عند طرفة بن العبد.

وآخرون يفتخرون بأن بيوتهم على طريق المسافرين وأبناء السبيل ، والضيفان . وان كلابهم جبانة تعودت مرآهم ، وأن صغار ابلهم ضعاف مهازيل فقد ذبحت أمهاتها أو حلبت للقرى وغير ذلك مما طبق الآفاق وملأ صحائف التاريخ.

واذا كانت هذه العادات والطباع التي رأينا عند العرب ، مرتبطة بالأسباب ، موائمة للمنطق ، فالاهتمام بالابناء الذكور كانت تفرضه حالة الغزو المستمر ، وحالة الحرب الدائمة والحدب على النساء ، والتشاؤم من مولد الفتيات ، كانت تفرضهما خليقة استباحة النساء في الغزو ، وسبيهن في القتال . كما كانت

---

(١) العصر الجاهلي ص ٦٨

تفرضها حساسية البدوى فى الصحراء من ناحية عرضه، وحرصه على حريمه ، وخوفه من أن يعير بهن اذا انتهكت أعراضهن أو استبيحت حرماتهن.

والاهتمام بالضيفان وسريان التفاخر بالكرم ، كانت تفرضهما حياة الصحراء القاسية ، وقلة زادها ومائها ، وبُعد المسافات بين مضارب القوم ، مما يجعل اكرام الضيف مفخرة المفاخر.

أما الشجاعة والنجدة وما أشبههما فقد كان يفرضهما واجب الدفاع عن القبيلة ، وحماية ثمارها والذود عن محارمها . وما الى ذلك.

أقول اذا كان لهذه العادات والطباع ما يبررها لارتباطها بالأسباب وقربها من المنطق ، فقد كانت للعرب فى ذلك الزمان عادات وطباع لا ارتباط بينها وبين ما يراد بها ، فضلا عن أن يقرها عقل سليم أو يرضاها منطق حكيم.

فمن ذلك العرافة والكهانة[1] ، وهما ادعاء علم الغيب ومعرفة ما وقع من الأمور وما سيقع ، وقد انتشرتا بينهم حتى اشتهر بهما كثير منهم ، وحتى ذكرهما أكثر المتحدثين عنهم.[2]

ومن ذلك العيافة أيضا[3] وهى " زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها وهو من عادة العرب[4] وذلك أنهم كانوا اذا ، أرادوا أن يمضوا أمرا من أمور حياتهم أو يتركوه جاءوا الى الطير

(١) العرافة كالكتابة : ادعاء علم الغيب (اللسان عرف) ومنها العراف . والكهانة معروفة وهى ادعاء علم الغيب ومنها الكاهن (اللسان ـ كهن).

(٢) انظر فى ذلك تاريخ الأدب الجاهلى للدكتور على الجندى الفصل الثامن ص ١٠٥ من الجزء الأول.

(٣) العيافة بالكسر (كالعرافة والكتابة) انظر اللسان ـ عيف ـ

(٤) انظر اللسان (عيف)

فزجروه . فان اتجه فى طيرانه يمينا تفاءلوا به، فأمضوا ما نووا من الأمور. وان اتجه شمالا تشاءموا فأجلوا المضى فيه . بل انهم اختلفوا فى ذلك فكان أهل نجد يتفاءلون بما يتشاءم به غيرهم ،وكانوا يتشاءمون بما كان يتفاءل بهـ العرب الآخرون.(١)

بل ان تفاؤلهم وتشاؤمهم لم يقتصرا على زجر الطير هذا ، ولكنهما تعدياه الى طرق الحصى وضرب الرمل ، وهما نوعان آخران من التكهن بالغيب كان يفعلهما الكهان والعرافون. ثم انهم كذلك قد تفاءلوا وتشاءموا بأنواع الطيور وأشكال الحيوانات. كأن يتشاءموا من رؤية الغراب مثلا ، ويتطيروا من رؤية الحيوانات المصابة . بل ان تطيرهم قد تجاوز الحيوان والطير الى بنى الانسان فتطيروا بالمصاب من الناس كالأعور وغيره. (٢) قال الجاحظ" وللطيرة سمّت العرب المنهوش بالسليم والبرية بالمفازة وكنوا الأعمى أبا بصير والأسود أبا البيضاء"(٣)

ولقد اعترض كثير من شعرائهم على ذلك ، وكأنهم قد عرفوا بأذهانهم الصافية أن أمور الغيب لايعلمها أحد من الناس ، حتى ولا الكهان والعرافون. وأن حوادث الزمان لاتستطيع أن تغيرها أنواع الطيور وأشكال الحيوانات

قال لبيد بن ربيعة :(٤)

(١) انظر جمهرة اللغة (ب.ج.هـ) واللسان سنح
(٢) انظر الحيوان للجاحظ ٣/٤٣٨
(٣) انظر المصدر السابق ٣/٤٣٩
(٤) البيتان ١٩، ٢٠ من القصيدة رقم ٢٤ فى ديوانه .

لعمرُكَ ما تدرى الضَّوا ربُ با لحصى ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللّه صَانعُ(١)
سَلُوهنَّ ان كذَّبتُمونى متى الفتى يذوق المنايا أو متى الغيثُ واقعُ(٢)

وقال الآخر: ⊗
وما أنا ممن يزجُرُ الطيرَ همُّهُ أصاحَ غُرابٌ أم تعرَّض ثعلبُ
ولا السَّانِحاتُ البارِحاتُ عَشِيَّةً أمرَّ سليمُ القَرْنِ أم مرَّ أعْضَبُ(٣)

وكان من طباع العرب أيضا الاستقسام بالأزلام(٤) والميسر وحمل التمائم والتعاويذ، وتعليق الحلى والجلاجل على اللديغ ليشفى وغير ذلك من العادات والطباع التى سرت فى مجتمعهم ولا أصل لها من معرفة أو علم، ولا ارتباط بينها وبين المنطق والعقل. ولكنها سنن فشت فيهم ونقلها الأخلاف عن الأسلاف، من غير اعمال فكر أو امعان نظر، وان كان قد اعترض عليها من عقلائهم وشعرائهم الكثيرون؛ فلقد سار عليها وعمل بها الباقون الأكثرون.

حتى اذا جاء الاسلام الحنيف، تناول عادات العرب وطباعهم قنا ولا متنوعا، فأما تلك الخلال الكريمة، والخصال الحميدة كالكرم والشجاعة والغيرة وغيرها. فقد أبقاها وحثهم عليها، بعد أن هذبها وشذبها وصاغها فى قالب جديد.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ضرب الحصى وزجر الطير.. الأول ادعاء الغيب والثانى للتطيُّر.
(٢) يهزأ بتلك الأفعال
(٣) السانح ما مر بين يديك من جهة يسارك الى يمينك، والعرب تتيمن به (لأنه أمكن للرمى والصيد). والبارح ضد السانح، وهو ما مر من الطير والوحش عن يمينك الى يسارك والعرب تتطير به لصعوبة صيده ورميه).(انظر فيهما اللسان برح) والأعضب المكسور القرن (اللسان عضب)
(٤) انظر اليعقوبى ـ دار صادر وبيروت ـ ١/ ٢٥٩

⊗ هو الكميت بن زيد الأسدى [انظر زهر الآداب ١/ ٤٧٩].

قال " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ "(١) وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ"(٢). وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " وَلَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ".(٣)

وأما العادات السيئة والطباع الهابطة كاستباحة الأموال والأعراض والدماء وغير ذلك ، أو تلك العادات الجاهلية التى ـ لا ارتباط بينها وبين العقل والمنطق كالكهانة والعرافة والعيافة وغيرها ، فقد أبطلها الاسلام كلها وحرمها جميعها . ونقل الناس الى الأخذ بالأسباب فيما يعنيهم ، وترك الأمور الغيبية التى لا تعنيهم . روى أبو ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن الله تعالى أنه قال : "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّمًا بَيْنَكُمْ ، فَلَا تَظَالَمُوا ."(٤) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ، حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ".(٥) وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".(٦)

وهكذا وجد الاسلام العرب ـ كما رأينا ـ ذوى طباع متنوعة ، فنقى المشوبة من شوائبها ، وألغى الذميمة وحرمها ، وأبقى الكريمة وزادها تكريما .

---

(١) متفق عليه (٢) رواه مسلم (٣) رواه مسلم
(٤) رواه مسلم
(٥) أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن
(٦) أخرجه الامام أحمد فى مسنده

أيام العرب في شرق الجزيرة :

لقد امتلأ ديوان شعراء العرب في الجاهلية ، بذكر أيامهم والحديث عن حروبهم . وتصوير ما كان يدور فيها من الكر والفر ، والمفاخرة والتباهي بالتغلب والنصر . ولقد كانت الحرب في مجتمعهم تتشكل بشكلين أو تقوم بسببين . فهي تارة تقوم لرد عدوان وقع من قبيلة على أخرى ، أو لرفع ظلم نازل بفرع من الفروع. وتارات أخرى تقوم للنهب والغزو والسلب وتتابع الحروب لرد المغيرين أو للثأر ممن كان قد أصاب من القوم غرة ، ونال منهم مأربه . ودام الصراع على تلك الحال ، سواء بهذا السبب أو ذاك ، حتى طغت أحاديث الحروب وذكر الغزوات والأيام ، على تاريخ الجاهليين كله .

ولم يكن للقبيلة من عمل أسمى من اعداد الفرسان المقاتلين ولم يكن لطلائعها من شغل أعظم من انتجاع الغفلة وأماكن الضعف عند الآخرين . وذلك لمهاجمتهم وسلب ما يستطاع سلبه من أمتعتهم . ولم تكن القبيلة الموتورة لتنام قبل أن تثأر لقتلاها ، وترد ما سلب منها ان استطاعت ذلك ، وإلا عاشت زمنا تستعد له . ولم يكن احد من الموتورين يقبل في قتلاه دية وللمسلوبات بدلا وثمنا .. اللهم إلا في حالات الضعف أو تدخل المصلحين .

ولقد استعصى قياد العرب بمجموعهم على أي قائد ، بل انه كاد يستعصى - لولا طبيعة المجتمع - على رؤساء القبائل أنفسهم وذلك بسبب ما فطر عليه البدو من حب الحرية المطلقة ، وما اعتادوه من الشظف وخشونة العيش ، فاستغنوا بذلك عن غيرهم . فصعب انقياد بعضهم لبعض .(١) ولعلنا نستطيع بذلك أن نفسر كون الجزيرة العربية لم تخضع لرجل واحد في تاريخها الطويل ، قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه من بعده .

---

(١) انظر في ذلك مقدمة ابن خلدون ص ١٥١

فلقد بُني المجتمع حينئذ من جديد ، على أسس من الدين الجديد ، ووجهت القبائل في نشاطها الحربي وفي معاركها وغزواتها وجهة جديدة ، كانت هذه الوجهة كما نعرف جميعا - غير تلك الوجهة التي كانت القبائل العربية تعيش عليها وكانت تتشوق اليها .

هذا وقد تشعبت أيام العرب في ذلك الزمان تشعبا ليس هنا مجال التفصيل فيه . فكانت لهم أيام مع الفرس ، وكانت - للقحطانيين أيام فيما بينهم . وكانت هناك أيام للقحطانيين والعدنانيين . وكثرت أيام العدنانيين فيما بينهم . فكانت للقبائل مع بعضها أيام كثيرة كأيام ربيعة وتميم (١) ، وأيام قيس (٢) وكنانة (٣) وأيام ضَبَّة (٤) مع غيرها . ثم كانت للقبيلة ذاتها فيما بينها أيام أخرى كأيام ربيعة وأيام قيس وغير ذلك

---

(١) تميم هي القبيلة المشهورة ، التي منها جرير والفرزدق وتميم بطن من مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعلى ذلك فهم يلتقون مع قبيلة ربيعة في نزار . وكانت تميم تنزل الساحل الشرقي لجزيرة العرب وبلاد نجد بأسرها تقريبا ، وتمتد منازلها شمالا الى ضفاف الفرات ولذلك كانت أقرب الناس منازل لربيعة بل لقد اختلطت منازل تميم بمنازل كثير من بطون ربيعة . وكان بينها وبين بكر بن وائل أهم بطون ربيعة تنافس وأيام . (انظر دائرة المعارف الاسلامية - تميم - وانظر نسب تميم في جمهرة ابن حزم ص ٢٠٦ ، والمعارف لابن قتيبه ص ٧٦ وما بعدها) .

(٢) قيس هو اسم لبطون شتى ينسبون الى قيس عيلان بن مضر بن نزار . فمنهم مثلا عدوان وثقيف وغطفان وغيرهم . ومنازلهم كثيرة منها - الطائف التي كانت تنزلها ثقيف ويقال انهم ينسبون الى قيس بن مضر وأن لقبه عيلان . وقيل بل ان عيلان عبد حضنه فنسب اليه انظر جمهرة الانساب ص ١٠ - ص ٢٤٣ ، والمعارف ص ٧٩ وما بعدها .

(٣) كنانة هو ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ، ومن أبنائه النضر بن كنانة . ومن أبناء النضر بن كنانة : قريش . وقريش في غنى عن التعريف . (انظر جمهرة الانساب ص ١١ ، ١٢ ، وانظر معارف ابن قتيبه ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧) .

(٤) ضَبَّة بطن مشهور من بطون مضر ، نسبة الى ضبة بن أُدّ بن طابخة ابن الياس بن مضر بن نزار وهم أبناء عمومة قبيلة تميم ، وكانت منازلهم في اليمامة ثم نزلوا أطراف العراق . وفي الاسلام استقروا في البصرة . (دائرة المعارف الاسلامية - ضبة - والمعارف لابن قتيبة ص ٧٤) .

ولصلة ربيعة ببحثنا ، بصفتها قبيلة شاعرنا طرفة بن العبد فاننا سنعرض لأيامها عند الحديث عنها ذاتها - ان شاء الله تعالى ولكننا نعرض هنا بايجاز لحرب البسوس كمثال على تلك الأيام وذلك حتى نلقي ضوءا على المسرح السياسي الذي ولد فيه شاعرنا طرفة .

كانت حرب البسوس من أهم أيام شرق الجزيرة العربية ، بل ان بعض المؤرخين يجعلها أعظم حروب العرب في العصر الجاهلي على الاطلاق . قال صاحب نهاية الأرب: (وهو أعظم حروب العرب ، كان بين بكر بن وائل وتغلب بن وائل وكان للبسوس خالة جساس ناقة فرآها كليب (وائل) قد كسرت بيض حمام في حمى كان قد أجاره فرمى ضرعها بسهم ، فوثب جساس على كليب فقتله ، فهاجت الحروب بسبب ذلك ، ودامت بين الفريقين أربعين سنة ".(١)

والمؤرخون يفيضون في ذكر تلك الحرب(٢) التي قامت كما رأينا بسبب ذلك الأمر التافه . لأن العربي كما عرفنا كان مغرما بحماية جاره . يعتبر الاعتداء عليه أو على ما يملك مغمزا يتحاشى قدر استطاعته أن يغمز به . فتراه يركب في حمايته المخاطر ، دون أن يعبأ بالنتائج . حتى قال شاعرهم مفتخرا بذلك :(٣)

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قليلٌ عَدِيْدُنا ... فقلتُ لها إنَّ الكرامَ قليلُ
وما قَلَّ من كانت بقاياه مثلَنا ... شبابٌ تسامَى للعُلا وكُهُولُ(٤)
وما ضَرَّنا انا قليلٌ وجارُنا ... عزيزٌ وجار الاكثرين ذليلُ
وأيامُنا مشهورةٌ في عدونا ... لها غُرَرٌ معلومةٌ وحُجُولُ(٥)

---

(١) نهاية الأرب للقلقشندي ص٤٥٧ . وانظر كذلك جمهرة اشعار العرب للقرشي ١/٦٤
(٢) انظر العبر ٢/١٠٤ ، ١٠٥
(٣) هو السموءل بن عاديا ء الابيات في قصيدته (من الديوان ص ٩٠) ومطلعها :
اذا المرء لم يَدْنَسْ من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميلُ
والثلاثة الأول منها في البيان والتبيين للجاحظ ٣/١٨٥ وانظر نسب السموءل وأخباره في الأغاني - ثقافة - ٢٢/١٠٨
(٤) البقايا : جمع بقية (كبرية وشهية) : وهي الفهم والخير والفضل الذي يمدح به الانسان (انظر اللسان - بقى)
(٥) الغرة (بالضم) : البياض يكون في جبهة الفرس (اللسان - غرر) . والحجول العلامات البارزة من التحجيل وهو البياض يكون في قوائم

ومن أجل حماية الجار ، وحماية ما يملك هذا الجار ، قتل جساس بن مرة من تغلب ، ابن عمه كليب — وائل من بكر ، في ناقة لخالته البسوس ، وكانت جارة له . وقيل بل البسوس عجوز كانت بجوار جساس . فقامت تلك الحرب التي عرفت بحرب البسوس ، ودامت تلك السنوات التي رأينا .

ولم يحضر طرفة بن العبد تلك الحروب ، غير أن أخبارها قد وصلت اليه بعد جيلين . فقد حضرها جده الأول سعد بن مالك . وهو الذي يقول في أحد أيامها — معرضا بالحارث بن عُبَاد (١) أحد زعماء بكر حين قعد عن القتال :(٢)

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي ... وَضَعَتْ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَاحُوا

وقد سمي ذلك اليوم بيوم قضة ، أو يوم تحلاق اللمم . وقد ذكر الأعلم الشنتمري في شرحه لديوان طرفة ، أسباب تسمية ذلك اليوم بيوم قضة ، أو يوم تحلاق اللمم .

فأما سبب تسميته بيوم قضة فلأنهم اقتتلوا قريبا من جبل بهذا الاسم (٣) . وأما سبب تسميته بيوم تحلاق اللمم ، فهو أن احد قادة بني بكر ، وهو الحارث بن عباد نفسه ، كان قد أمرهم بحلق رؤوسهم ليكون ذلك علما يعرف به بعضهم بعضا . وقد كان هذا اليوم لبكر على تغلب .(٤)

وفي ذلك ينشد طرفة بن العبد مفتخرا فيقول :(٥)

سَائِلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا ... بِقُوانَا يَوْمَ تَحْلَاقِ اللِّمَمْ

وهو مطلع القصيدة يفتخر فيها طرفة ببكر خاصة ، وبالقبيلة كلها على وجه العموم .

(١) هكذا اسمه (عباد) — كرقادوسيأتي ذكره في الفصل القادم بين شعراء ربيعة وانظر فيه جمهرة الانساب ص ٣٠٥

(٢) انظر بلوغ الارب ٢/١٤٨ (٣) مقدمة الاعلم للقصيدة ١٢ ص ٢٩ من الديوان

(٤) المصدر السابق — نفس المكان

(٥) الديوان ص ١٠٩ . وانظر العقد الفريد — الاستقامة ٦/٦٦ ، والكامل بيروت ١/٥٣٦ واللمم جمع لمة (بالكسر) وهي شعر الرأس — انظر اللسان — لمم .

وكانت أكثر أيام حرب البسوس ، كما سنرى في الفصل القادم — لتغلب على بكر ، حتى كان يوم قضة ، فكان أشهرها وآخرها وفيه تغلبت بكر على تغلب . وقد ذاعت أخبار تلك الأيام وأفاض في ذكرها الباحثون . وكاد الحيان يهلك بعضهما بعضا من طول تلك الحروب ومن كثرة ما قتل فيها من الناس .

وكان شرق الجزيرة العربية كذلك مسرحا لأيام كثيرة أخرى بعضها معروف مشهور وبعضها الآخر ليس عندنا للمؤرخين عنها إلا الإشارات التي وردت في أشعار الشعراء . كما سنرى عند طرفة وهو يفتخر بأبيه في حروب خاضها أيام الشباب ولكن أحدا من المؤرخين لم يكشف عنها النقاب .

هذه إذن لمامة سريعة بما كان عليه شرق الجزيرة العربية من النواحي الاجتماعية والجغرافية والحضارية ، أردنا بتبيانها أن نوضح الحالة الاجتماعية لأهل العصر الذي عاش فيه شاعرنا طرفة ..

وفي السطور القادمة سنتحدث عن ناحية أخرى ، وهي صلة ذلك المجتمع بمملكة الحيرة . وذلك لأن شاعرنا كانت له بها صلة وثيقة ، وارتبطت ببعض ملوك الحيرة قصة حياته وموته .

* *

المبحث الثانى : مملكة الحيرة ، وصلتها بالقبائل العربية فى شرق الجزيرة :

لقد نقل التاريخ لنا ، أن جفاف الجزيرة العربية وشظف العيش فيها ، كانا يدفعان بقبائلها الى الاغارة على أطراف كل من العراق والشام ، فتنهب من قراها ومزارعها ما تقع عليه أيدى فرسانها ، ثم تفر عائدة الى الصحراء ، غير عابئة بأهل تلك القرى ، ولا بجيوش الدول التى تتبع لها . ولذلك فقد فكرت تلك الدول المعنية بالأمر ، أن تجعل بينها وبين تلك القبائل سدا واقيا من العرب أنفسهم .(١)

فاتخذ الرومان من الغساسنة فى أطراف الشام امارة لهذا الغرض(٢) وكان الشام يومئذ من أعمال دولة الروم(٣) . كما اتخذ الفرس من المناذرة أو اللخميين فى الحيرة بالعراق ، امارة لنفس الغرض . وكان العراق يومئذ من أعمال الفرس.(٤)

---

(١) انظر تاريخ العرب المطول ١٠٣/١ وما بعدها ، وانظر كذلك حضارة العرب لغوستاف لوبون ص ١١٦ وما بعدها .

(٢) هاجر بنو غسان من اليمن عندما اجتاحها سيل العرم ونزلوا مشارف الشام ، وأنشأوا لهم هناك دولة تحت حماية الروم ، واتخذوا لهم عاصمة فى بصرى بحوران . وكان آخر ملوكهم جبلة بن الايهم الذى أسلم ثم ارتد وهرب الى قيصر على عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكانت بين الغساسنة وبين القبائل التى كانت تغير على أطراف الشام أو بينهم وبين المناذرة الموالين للفرس حروب وأيام (انظر دائرة . معارف القرن العشرين - عرب)

(٣) انظر المعارف لابن قتيبة ص ٦٤١ وتاريخ العرب المطول ١١٤/١

(٤) انظر تاريخ اليعقوبى ٢٣٨/١ .

" وكما كان الغساسنة عمالا للبيزنطيين (الروم) ، واللخميون (المناذرة) عمالا للفرس ، كذلك كان ملوك كندة في أواسط الجزيرة عمالا لتبابعة اليمن المتأخرين".(١)

وكانت كل أمارة من تلك الامارات ، تشكل درعا يحمي الدولة المعنية من غارات القبائل ، فيردها على أعقابها عبر الصحراء. كما كانت كل امارة يناط بها حماية قوافل التجارة التي تخص الدولة المعنية ، والتي تتنقل بين الشرق والغرب ، مرورا بالصحراء صيف شتاء.

ثم ان كل امارة أيضا كانت تقف في صف الدولة التي اصطنعتها فتحارب معها من قد يحاربها من الأعداء . وما كان أحوج دول ذلك الزمان الى أولئك الصنائع .. ، اذ المعروف أن الفرس والروم كانت بينهم مشاحنات وعداء وتطاحن سار المثل بها كل مسار ، وكانت بينهم حروب لا يسكت لها أوار.

هذا وقد ساعد الفرس في اتخاذ امارة الحيرة درعا لهم ، ان قبائل من عرب اليمن كانت قد استوطنت تلك البقاع . وأنشأت عام خمسة وتسعين ومائة للميلاد ، في جنوب العراق ، وعلى ضفتي الفرات ، وبالقرب من المكان الذي أقيمت عليه مدينة الكوفة فيما بعد - مدينة الحيرة الشهيرة . التي انقلب ملوكها العرب ينافسون أكاسرة

---

(١) انظر تاريخ العرب المطول ١/١١٤ وكندة "من القبائل اللخمية - سكنوا بلدة بهذا الاسم في حضرموت وكانوا موالين لملوك اليمن . ثم ملكوا قبائل معدّ زمنا بتأييد الحميريين ملوك اليمن . وكان بينهم وبين ملوك الحيرة المناذرة تنافس وحروب . وقد انتهى ملكهم بموت حجر أبي امرئ القيس أو بموت امرئ القيس نفسه سنة ٥٦٠م .

(انظر في ذلك دائرة معارف القرن العشرين - عرب).

الفرس وقياصرة الروم في الترف والعظمة.(١)

والذي يعنينا هنا، هو الحديث عن ملوك الحيرة الذين اتصل بهم شاعرنا طرفة بن العبد، وكانت قبيلته تقيم في الأرض التي كانت تعتبر من أعمالهم في جزيرة العرب، وهي طرفها الشمالي الشرقي.

وليس لدينا في الواقع تاريخ واضح نثبت به أصل المناذرة ملوك الحيرة في ذلك العصر.. الا الأقاويل التي جاءت على ألسنة الرواة، والتي قد يكون لها نصيب كبير من الصحة. وهي أن أولئك المناذرة هم من قبيلة لخم اليمنية. وقد نزلوا العراق، وأقاموا فيما بينه وبين الجزيرة العربية من منافذ وثغور، وذلك لمّا تفرق أهل اليمن تفرقهم التاريخي المشهور.(٢)

هذا ولقد كان لتلك المنطقة أثر كبير على حياة العرب الاجتماعية، اذ أن تلك القبائل كانت قد سكنت في الخيام أول عهدها. ومع مضي السنين تحول المخيم الى قاعدة راهنة(٣) مستديمة عرفت بالحيرة (٤)، أصبحت فيما بعد عاصمة لبلاد العرب الخاضعة لحكم الفرس.

---

(١) انظر حضارة العرب للمستشرق غوستاف لوبون ص ١١٦
(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ٢٣٦/١
(٣) الراهن الدائم، وكل شيء ثبت ودام فقد رهن (انظر اللسان - رهن)
(٤) انظر تاريخ العرب المطول ١٠٧/١

وقد حار الباحثون فى ذكر أسباب تسميتها بذلك ، وحسبنا بعض ما قال ياقوت فى معجم البلدان من أن السبب فى تسميتها بالحيرة ربما عاد الى أن أحد ملوك اليمن - وهو فى طريقه الى خراسان - خلف فى ذلك الموضع ضعفة جنده ، وقال لهم : حَيِّرُوا به أى أقيموا به . أو أن ذلك الملك كان عندما وصل الى ذلك الموضع ضل دليله وتحير فسمى الموضع بالحيرة .(١)

هذا ويذكر بعض الباحثين أنه كان لملوك الحيرة أثر على القبائل العربية من الناحية الدينية . فان أولئك الملوك كانوا فى العصر الذى نتحدث عنه يعتنقون النصرانية (٢). ولعل بعض القبائل التى استوطنت شرق الجزيرة واتصلت بملوك الحيرة قد تأثرت بمعتقداتهم فى النصرانية ، كما سنرى عند بعض بطون ربيعة حينما نتعرض لذلك .

ثم يذكر اليعقوبى فى تاريخه سلسلة لملوك الحيرة يختمها بقوله :" وكان هؤلاء الملوك من قبل الاكاسرة ، يؤدون اليهم الطاعة ويحملون الخراج ، وكانت قبائل معد مجتمعة عليهم ."(٣)

وكان ملوك الحيرة قد درجوا على ترضى زعماء القبائل ، حتى يضمنوا لأنفسهم الطاعة والولاء ، ويضمنوا لممالكهم الاستمرار والبقاء . فكان من وسائلهم - الى جانب اكرام وفادة زعماء القبائل والاحسان اليهم - اتخاذ ما عرف بالردافة . وكانت بمنزلة الوزارة . وهى اختيار رديف من زعماء القبائل يكون للملك بمنزلة الوزير وتكون له المشورة فى تصريف كثير من الأمور .

---

(١) انظر معجم البلدان (حيرة)
(٢) انظر كتاب الديارات للشابشتى ص ١٥٧ وانظر تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان ص ٢٨ .
(٣) انظر تاريخ اليعقوبى ٢٣٨/١ - ٢٤٠

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف " وكانت الردافة أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه ، فاذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس واذا غزا الملك جلس الردف موضعه ، وكان خليفته على الناس حتى ينصرف . واذا غارت كتيبة الملك أخذ الردف المرباع (١)

والى جانب ربع الغنائم من غزوات الملوك ، كانت تفرض للرديف (٢) اتاوة على كل من هم في طاعة الملك . (٣) وفي ذلك يقول عبدالله بن عنمة الضبي : (٤)

لَكَ المِرْبَاعُ فِيْنَا والصَّفَايَا وحُكْمُكَ والنَّشِيْطَةُ والفُضُولُ (٥)

والذي يهمنا من ملوك الحيرة أخيرا ، هو عمرو بن هند (٦) وذلك لأن الروايات اتفق معظمها على أن طرفة قد عاش في بلاطه زمنا ، ثم هجاه فأمر بقتله (٧) . وذلك في القصة التي عرفت بصحيفة المتلمس:

---

(١) انظر المعارف لابن قتيبه ص ٦٥١

(٢) الردف (كالجسم) والرديف (كالوزير) بمعنى واحد انظر معجم مقاييس اللغة - ردف (٢/ ٥٠٣) .

(٣) انظر في ذلك - بل في موضوع الردافة كله - النقائض بتحقيق الصاوي ج ١ ص ٦١ وانظر كذلك معجم البلدان - ج٢ ص ٧ -

(٤) انظر اللسان - نشط وعنمة (كسمكة)

(٥) المرباع : ما يأخذ الرئيس وهو ربع الغنيمة . والصفايا : ما يصطفيه الرئيس والنشيطة : ما أصاب من الغنيمة قبل أن يصير الى مجتمع الحي . والفضول: ما عجز أن يقسم لقلته وخص به الرئيس (انظر اللسان - ربع)

(٦) هند اسم امرأة يصرف ولايصرف والجمع هنود وهندات - (اللسان هند)

(٧) انظر كتاب المعارف لابن قتيبة ص ١٨٣ ، ٣١٩ ، وانظر كذلك معجم الشعراء للمرزباني ص ٦

وقد اعتلى عمرو بن هند هذا عرش الحيرة ما بين سنتى (٥٥٤ – ٥٦٩) للميلاد .[١] بعد أبيه المعروف بابن ماء السماء وهو المنذر الثالث .[٢] وكانت الحيرة قد ازدهرت قبلهما ازدهارا كبيرا ، ونالت فى شئون ذلك العصر منزلة عظيمة ، حتى نافس أمراؤها كما سبق أن ذكرنا ملوك الدول الكبرى المعروفة فى ذلك الزمان فى الترف والأبهة والعظمة .[٣]

أما عمرو بن هند هذا فقد كان شديد الاعجاب بنفسه ، يكاد لايرى بين ملوك الزمان له ندا ، كما كان فخورا عاتيا[٤] ، وطاغية مستبدا .[٥] قال الأعلم الشنتمرى فى شرحه لديوان طرفة :
" وكان يقال له مضرط الحجارة لخبثه ".[٦]

وكان قد جعل الدهر يومين ، يوما يصيد فيه ، ويوما يشرب . فاذا خرج للصيد لاتراقه الا الخاصة . واذا جلس للشرب وقف الناس على بابه ، حتى يرتفع مجلس شرابه [٧]. وفيه يقول طرفة :[٨]

قَسَمْتَ الدَّهْرَ فِى زَمَنٍ رَخِيٍّ ... كذاك الحُكْمُ يَقْصِدُ أو يَجُورُ
لنا يومٌ وللكِرْوانِ يومٌ ... تطيرُ البائساتُ ولانطيرُ[٩]
فأما يومُهنَّ فيومُ نَحْسٍ ... تُطارِدُهُنَّ بالحَدَبِ الصُّقُورُ[١٠]
وأما يومُنا فنظلُّ رَكْبًا ... وُقُوفًا ما نَحُلُّ وما نسيرُ

(١) ، (٢) انظر فى ذلك تاريخ العرب المطول ١/١١٠
(٣) انظر حضارة العرب للمستشرق غوستاف لوبون ص ١١٦
(٤) انظر تاريخ العرب المطول ١/١١١ (٥) انظر العصر الجاهلى – للدكتور شوقى ضيف ص ٤٥
(٦) انظر شرح الاعلم للقصيدة التى مطلعها :
ليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور
انظر الديوان ص ١٠١ وانظر كذلك الكامل لابن الأثير – دار صادر بيروت ١/٥٤٧
(٧) انظر تاريخ اليعقوبى ١/٣٣٩
(٨) الأبيات ٥–٦–٧–٨ من القصيدة رقم ٩ (الديوان ص ١٠٢ ، ١٠٣)
(٩) انظر شرحه فى هامش ص ٢٩ من بحثنا هذا
(١٠) الحدب : ما ارتفع من الارض وغلظ

وكان عمرو بن هند ، يجزل العطاء للشعراء[١] . ولذلك فقد أم مجلسه أعاظمهم[٢] ، مثل عمرو بن قميئة ، والمسيب بن علس وطرفة بن العبد ، والحارث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم ،[٣] وغيرهم يتعرضون لنواله وعطاياه ، وكان ذلك عنده غاية ما يهدف اليه ويتمناه . ولذلك لم يأل جهدا في اكرامهم ، حبا في الشهرة وكسب الحمد من ناحية ، وطمعا في اجتذاب العرب من ناحية أخرى وكسب تأييدهم . فهو يعلم أن الشعراء هم أبواق الدعاية في ذلك العصر ، وهم زعماء الرأي العام بين العرب يديرونه بألسنتهم كيف شاءوا .[٤] ولذلك فقد رصد لهم الهدايا القيمة ، والعطايا السخية ، فتوافدوا عليه ، حتى أصبحت الحيرة في عهده مركزا أدبيا مزدهرا .[٥]

وكانت نهاية عمرو بن هند على يد عمرو بن كلثوم الشاعر ، في قصة طريفة ، تواتر ذكرها على ألسنة الرواة . وذلك أن[٦] عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه : هل تعلمون أن أحدا من العرب تأنف أمه من خدمة أمي .. فقالوا : نعم ، عمرو بن كلثوم .. فأرسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويسأله أن يزير أمه أمه . ثم أمر برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات ، وأرسل الى وجوه مملكته فحضروا .

---

(١) انظر العصر الجاهلي ص ٤٦

(٢) انظر تاريخ العرب المطول ١/١١٧

(٣) انظر العصر الجاهلي ص ٤٦ وتاريخ العرب المطول ١/١١٧

(٤) انظر تاريخ العرب المطول ١/١١٧

(٥) انظر العصر الجاهلي ص ٤٦

(٦) انظر في ذلك الشعر والشعراء (عمرو بن كلثوم) ص ١٥٧ وما بعدها – دار صادر – وانظر فيه كذلك الاغاني – دار الثقافة ج ١١ ص ٤٧ – ٤٨ والكامل لابن الاثير (ط دار صادر وبيروت) ١/٥٤٨ .

ثم دخل عليه عمرو بن كلثوم في وجوه بني تغلب ، ودخلت أمه ليلى على هند أم عمرو بن هند ، في قبة نصبت لها في جانب الرواق . وكان عمرو بن هند قد أوصى أمه بأن تنحي الخدم ، وأن تستخدم ضيفتها . فلما فعلت ذلك صاحت أم عمرو بن كلثوم : وا ذلاه ، يا لتغلب !

فلما سمعها ابنها - وهو في مجلس الملك - ثار دمه ، ونظر الى عمرو بن هند فعرف الشر في وجهه ، فقام الى سيف معلق بالرواق فضرب به رأسه حتى قتله .

ونادى في بني تغلب فانتهبوا جميع ما في الرواق ، وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة . وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ... تطيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدَرِيْنَا
تَهَدَّدْنَا وأَوْعِدْنَا رُوَيْدًا ... مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مَقْتَوِيْنَا (١)

ثم ولي بعد عمرو بن هند أخوه قابوس بن المنذر ، ثم المنذر أبو النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس (٢). وقد دامت دولة الحيرة حوالي أربعمائة عام (٣). ثم زال عنها ملك المناذرة ، وذلك حين تسلم أمورها في أوائل القرن السابع الميلادي اياس بن قبيصة من بني طيء (٦٠٢-٦١١ م) (٤) . الا ان الفرس بعد ذلك ألغوا نظام الامارة العربية ، وأشرفوا بأنفسهم على الحيرة وأعمالها ولم يعد لزعماء العرب تلك الحرية المطلقة ، التي كانت لهم أيام المناذرة .. فلقد أصبحوا تحت امرة ولاة من الفرس حتى أشرق نور

---

(١) التهدد والتهديد والتهداد من الوعيد والتخوف (انظر اللسان - هدد) ، والوعيد والتوعد : التهدد . وقد أوعده وتوعده (اللسان - وعد) ، والمقتوون : الخدم ، وخدم الملوك خاصة .

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦١٤

(٣) حضارة العرب لغوستاف لوبون ص ١١٧

(٤) تاريخ العرب المطول ١/١١٤

الاسلام ببعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فدالت دولة الفرس ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

اذ ماجاءت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة للميلاد ، حتى كانت جيوش الفتح المباركة قد بدأت تنشر رايات الاسلام على تلك البلاد . واستسلمت الحيرة للجيش الاسلامى بقيادة خالد بن الوليد.(١)

هذا ولم يفت المؤرخين أن يذكروا شيئا عن حضارة الحيرة زمن المناذرة ، وذلك نتيجة للغنى والترف اللذين تيسرا لهما ، بسبب موقعها فى منطقة زراعية رعوية من ناحية ، وبسبب الاتاوات التى كانت تفرض على من هم فى طاعتها من ناحية أخرى .

هذا فضلا عن الأسباب التجارية الأخرى وهى كثيرة . حتى بلغت الحيرة فى الغنى والثراء مبلغا كبيرا . كان له فى حضارتها آثار بالغة . ومن ذلك على سبيل المثال قصر الخورنق(٢) ، الذى بناه النعمان بن المنذر(٣) ، ليكون منزلا لبهرام جور الذى أرسله أبوه يزدجرد الأول ملك الفرس(٤) ، حتى ينشأ بين العرب فى الحيرة فيتعلم الصيد ، وينعم بجودة الهواء . وقد ذكر المؤرخون بأن الخورنق كان يعد من معجزات الفن وبدائعه .(٥)

(١) انظر تاريخ الطبرى ٦١٤/١ والطبرى (ط دار المعارف) ٢١٣/٢ وانظر كذلك الكامل لابن الاثير - دار صادر ٤٩١/١

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٦١٤/١

(٣) حكم ما بين سنتى (٤٠٠-٤١٨م)

(٤) حكم ما بين سنتى (٣٩٩-٤٢٠م) - وانظر معجم البلدان (حيرة)

(٥) انظر تاريخ اليعقوبى ٣٣٨/١

وللخورنق والسدير ذكر شائع ، وصيت ذائع فى أشعار العرب الجاهليين . قال عمرو بن أمامة أخوه لعمرو بن هند ، يهجوه ويذكر الخورنق والسدير :(١)

أَلابْنِ أُمِّكَ مَا بَدَا ... وَلَكَ الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرْ (٢)

وكذلك هجاه المتلمس بقصيدة مطلعها :

أَلَكَ السَّدِيرُ وبَارِقٌ ... ومُبَايِضٌ ولَكَ الخَوَرْنَقْ (٣)

تلك هى مملكة الحيرة ، التى أردنا بحديثنا الموجز عنها أن نوضح الحالة السياسية ، التى كانت سائدة فى شمال شرق الجزيرة العربية ، وأطراف العراق ، حيث كانت تنزل قبائل ربيعة وعلى الخصوص بنو بكر بن وائل الذين ينتسب اليهم شاعرنا طرفة ابن العبد . فقد كانت ديارهم من أعمال الفرس فى ذلك الزمان كما يقول ابن خلدون .(٤) وغيره من المؤرخين ، وكان الفرس يحكمون تلك الديار بواسطة المناذرة أصحاب الحيرة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد جعلنا حديثنا عن الحيرة خاتمة لهذا الفصل الذى عقدناه تبيانا لبيئة الشاعر طرفة بن العبد - وعصره . أما ما بين طرفة نفسه وبين بلاط الحيرة من حديث فاننا ان شاء الله سنجلوه فى الفصل الثالث حين نتحدث عن حياة طرفة .

* *

(١) مخطوطة ديوان طرفه برواية ابن السكيت ورقة ٦ رقم (١٥٢ أدب ش) ، ٩٦ أدب ش بدار الكتب المصرية وانظر معجم الشعراء للمرزبانى ص ١٢
(٢) البيت للمتلمس فى ديوانه ص ١٣٦ ، وبارق ماء بالعراق ومبايض موضع بالعراق أيضا . وانظر كذلك مخطوطة ديوان طرفة برواية ابن السكيت ورقة ٨ برقم (١٥٢ أدب ش) ، (٩٦ أدب ش) بدار الكتب المصرية .
(٣) كتاب العبر ١٠٣/٢

الفصل الثانى

قبيلة طرفة

المبحث الأول : تمهيد عن العرب فى الجاهلية مساكنهم ونسبهم

المبحث الثانى : قبيلة ربيعة ، نسبها ومساكنها ودياناتها وشعراؤها وأيامها

الفصل الثانى
قبيلة طرفة

المبحث الأول : العرب فى الجاهلية :

تمهيد :

أجمعت المصادر التاريخية والأدبية على أن شاعرنا طرفة ابن العبد ، من مالك بن ضبيعة . ومالك بن ضبيعة من بكر ابن وائل . وبكر بن وائل بطن من بطون ربيعة . وربيعة فرع كبير من فروع العرب العدنانية . والعرب العدنانية هم القسم الثانى من العرب الباقية - كما سماهم الباحثون . ولذلك فان البحث عن طرفة وقبيلته ربيعة ، يقتضى الحديث ولو بايجاز عن العرب فى الجاهلية ، مسكنا ونسبا .

مساكن العرب فى الجاهلية :

العرب هم أولئك الناس الذين سكنوا منذ أقدم العصور فى هذه الجزيرة التى عرفت باسمهم ، منذ كان التاريخ ، وحتى هذه الأيام . وجزيرة العرب هذه معروفة الموقع معروفة الحدود اذ لايجهل باحث أنها تقع فى أقصى الجنوب الغربى من قارة آسيا[1] . بين خطى عرض ١٢ ، ٣٢ . وخطى طول ٣٥ ، ٦٠ شرقا[2] وتبلغ مساحتها حوالى المليون من الأميال المربعة[3] . وأغلبها صحار رملية ، تتخللها الواحات الكثيرة . وتضاريسها بوجه عام هضبة تنحدر نحو الشرق والشمال[4].

---

(١) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية - لبروكلمان - ص ١٣

(٢) انظر معجم وبستر الجغرافى مادة (ARABIA)

(٣) انظر المصدرين السابقين ، وحضارة العرب - غوستاف لوبون ص ٣٩

(٤) انظر حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون ص ٣٩ ، ٤٠ .

كما أن حدودها لم تعد خافية على أحد من طلاب العلم، الا أنه يحلو للباحثين أن يذكروا تلك الحدود ، كلما تعرضوا للحديث عن الجزيرة العربية ، أو تعرضوا للحديث عن سكانها العرب .

وجزيرة العرب فى الحقيقة ليست جزيرة بالمعنى الجغرافى ولكنها شبه جزيرة وحسب، وذلك لاحاطة المياه بها من ثلاث جهات فقط . فمن الجنوب المحيط الهندى ، ومن الشرق الخليج العربى وبحر عمان ، ومن الغرب البحر الأحمر . أما من الشمال فتحدها بلاد الشام .

وقد قسم الجغرافيون بلاد العرب الى خمسة أقسام كبيرة . هى الحجاز ونجد وتهامة ، والعَروض واليمن .(١)

فأما ما انحدر من تلك الجزيرة الى الغرب الى شواطئ البحر الأحمر ، فهو الذى سمى بتهامة . وهذه هى المنطقة الساحلية الغربية الممتدة من أقصى الجنوب الى خليج العقبة فى الشمال . وأما ما ارتفع من تلك الجزيرة الى الشرق فهو الذى يسمى نجدا ، وأما ما حجز بين تهامة ونجد فقد سمى بالحجاز . والقسم الذى يلى نجدا الى الشرق ، حتى ينتهى الى الخليج العربى كان يسمى بالعروض . وفيه البحرين واليمامة وعمان . وقد سمى القسم الجنوبى باليمن ،(٢) وهو كذلك الى اليوم .

وليس هنا مجال تفصيل الحديث عن أقسام بلاد العرب السابقة ولكنها عجالة اقتضاها البحث ، كمدخل للحديث عن سكانها العرب القدامى الذين انتسبت اليهم ربيعة ، قبيلة طرفة بن العبد .

(١) انظر دائرة معارف القرن العشرين (عرب)

(٢) راجع تاريخ الأدب الجاهلى ـ للدكتور على الجندى ـ الفصل الثانى ، وانظر فى تسمية أقسام بلاد العرب شرح المفضليات لابن الانبارى ص ٤١٦ وما بعدها .

نسب العرب :

هذا والمعروف عندالمؤرخين أن العرب هم من الجنس السامى ، والساميون هم تلك الشعوب التى تنتسب الى سام بن نوح[١] ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وتتكلم الشعوب السامية العربية والعبرانية والسريانية والحبشية . ومنها الشعوب التى كانت تتكلم الفينيقية والآشورية والأرامية .[٢]

ولقد اصطلح الباحثون والمؤرخون على تقسيم العرب الى قسمين بائدة وباقية . فأما البائدة فهم أولئك العرب القدامى الذين انقرضوا قبل الاسلام بمدة . ومنهم عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وارم وغيرهم .[٣] وقد يسمون أيضا بالعرب العاربة أى العرب الخلص.

وأما العرب الباقية فهم تلك القبائل التى عاشت ، وبقى نسلها حيا بعد العرب البائدة . والمؤرخون يقسمون العرب الباقية ـ كذلك ـ الى قسمين ، العرب القحطانية والعرب العدنانية . فأما القحطانيون فهم المنتسبون الى قحطان ، من ولد سام بن نوح[٤] . والله أعلم . قال بعض الباحثين بأن قحطان هو أول جد معروف للعرب وهو أول من تكلم العربية . اذ أخذها

---

(١) انظر العقد الفريد ـ مطبعة الاستقامة ـ ٣٤/٣

(٢) انظر فى ذلك دائرة معارف القرن العشرين (عرب) ، وتاريخ الأدب الجاهلى ـ الفصل الثانى.

(٣) انظر جمهرة الانساب ـ تحقيق عبد السلام هارون ص ٩

(٤) انظر اللسان (عرب)

عن العرب البائدة . فقد أدرك أواخرهم . وقال بعضهم - بل ان أول من تكلم العربية هو يعرب بن قحطان ، كما نقل البلاذرى فى أنساب الاشراف[1]. أما ابن سلام فانه ينقل عن يونس بن حبيب قوله (أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما)[2]. وقد قال بذلك أيضا غير يونس بن حبيب ، وغير ابن سلام[3].

ويقال إن القحطانيين قد نزحوا من أرض بابل ، بعد انقراض دولة حمورابى فسكنوا اليمن ، ومنها جاءوا الى بقية أنحاء الجزيرة اذ كانوا كثيرا ما ينزحون عن بلادهم عند الشدائد فينزلون الحجاز أو اليمامة ، أو البحرين أو عمان. وقد قامت لبعض قبائلهم دول فى تلك البلاد . ودولة الغساسنة فى الشام ، ودولة المناذرة فى العراق ، ودولة كندة فى نجد ، دليل تاريخى على ذلك[4] .

أما العرب العدنانية ، فهم العرب الشماليون ، الذين كانوا يسكنون فى تهامة والحجاز ونجد والعروض وما الى ذلك . وقد نسبوا الى سيدنا اسماعيل عليه السلام لكونهم من ذريته ، فان عدنان الذى ينسبون اليه هو من نسل اسماعيل. وكان اسماعيل قد أسكنه أبوه ابراهيم عليهما السلام عند البيت الحرام ، بل انهما هما اللذان بنيا ذلك البيت العتيق (٥). قال الله سبحانه وتعالى : "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (٦)

---

(١) أنساب الأشراف ١/٥
(٢) طبقات الفحول - مطبعة المدنى - ١/٩
(٣) انظر أنساب الأشراف ١/٦
(٤) انظر فى ذلك تاريخ الأدب العربى - لبروكلمان - ص ٤١ وما بعدها وانظر كذلك دائرة معارف القرن العشرين (عرب)
(٥) انظر تاريخ اليعقوبى - دار صادر - ١/٢٧ وتاريخ الطبرى - دائرة المعارف - ١/٢٦٠
(٦) سورة البقرة آية ١٢٧

وقد تزوج اسماعيل فى جرهم ، وهم أهل مكة فى ذلك الزمان وعاش بينهم ، وكان له أولاد كثيرون ، منهم قيدار أو قيدر الذى ملكه أخواله على الحجاز حينذاك (١) . ثم تسلسل العرب من أولاد اسماعيل عليه السلام حتى كان عدنان . قال الباحثون وكان بين عدنان وبين جده اسماعيل آباء كثيرون . قيل كانوا أربعين وقيل كانوا أقل من ذلك (٢)

أما ابن حزم فانه يقول : " فعدنان من ولد اسماعيل بلا شك فى ذلك . الا أن تسمية الآباء بينه وبين اسماعيل ، قد جهلت جملة ". (٣)

ثم ولد لعدنان عك ومعد. (٤) فأما معد فهو أبو القبائل العدنانية . ومن أبنائه نزار. (٥) ومن نزار عدة فروع : هم قضاعة ومضر وربيعة واياد وأنمار. (٦) والى هؤلاء تنسب القبائل العربية العدنانية . ومنهم تفرعت فروعها الكثيرة ، وانحدرت بطونها المختلفة .

(١) انظر البلاذرى فى أنساب الأشراف ١/٨

(٢) انظر أنساب الاشراف ١/١٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/١٩٣ - مطبعة السعادة - .

(٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم - تحقيق عبدالسلام هارون ص ٧

(٤) انظر البداية والنهاية ٢/١٦٨ - مطبعة السعادة -

(٥) انظر أنساب الأشراف ١/١٥ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم بتحقيق عبدالسلام هارون - ص ٩

(٦) انظر فى ذلك أنساب الاشراف ج ١ ص ٢٤ ، والعقد الفريد - مطبعة الاستقامة - ٣/٢٥٧ ، وجمهرة الانساب ص ١٠ ، ودائرة المعارف الاسلامية (ربيعة ومضر) .

المبحث الثانى : قبيلة ربيعة :

نسبها ومساكنها :

ها نحن أولاء قد عرفنا أن ربيعة من نزار. ونزار من معد. ومعد من عدنان.(١) وعدنان من نسل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام.

ولاتكاد تجد عند بعض الباحثين فى أنساب العرب اصرارا على أمر مثل اصرارهم على أن قبائل ربيعة بن نزار، هم من صرحاء ولد اسماعيل عليه السلام.(٢) فاذا أضافوا اليهم قبائل مضر ومن تناسل من اياد بن نزار ومن عك بن عدنان قالوا : "ولا يَصِحُّ ذلك لغيرهم البتة "(٣).

وقد تفرعت من ربيعة بطون كثيرة كان لها فى تاريخ الجزيرة فى ذلك الزمان شأن وأى شىء.

وقد سكنت ربيعة فى أماكن متفرقة من الجزيرة، اقتضاها كثرة النسل، أو كثرة الأيام والحروب، أو انتجاع مواطن الماء والكلأ أو كل ذلك.

والمعروف أن أكثر العرب العدنانيين كانوا أهل بداوة. لم تستقر بهم الحياة فى موقع دائم، ولم يبنوا بيوتا ثابتة. ذلك لأن حياتهم قامت على الرعى، وتربية الأنعام.. أما من استقر منهم فى الحواضر مثل مكة حينذاك فقد كانت لهم الى جانب هذا - مصادر رزق أخرى كالتجارة. ولعل هذا هو الذى حدا بهم الى التحضر والاستقرار.

(١) انظر انساب الأشراف ١٣/١، والاكليل للهمدانى ٢٣١/١، وجمهرة الانساب - ص ٢٩٢.

(٢) انظر جمهرة الأنساب ص ١٠ (٣) المصدر السابق ص ١٠

ولم تكن ربيعة كذلك ، بل كان اعتماد حياتها على الرعي والغزو وما اليهما ، مما جعل التنقل والبداوة من السمات البارزة في حياتها . فمن أماكن سكناها : مهبط الجبل من غَمْر ذي كِنْدَة – على مسيرة يومين من مكة – ، وبطن ذات عِرْق وما والاها من نجد[١] . ثم وقعت الحرب بين بني ربيعة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فكان الفناء والهلاك ، فتفرقت ربيعة في تلك الحرب ، وتمايزت ، فارتحلت بطونها الى بقاع مختلفة[٢].

فقد سكنت بنو تغلب منهم في العراق ، وفي بادية الشام وسكن بنو حنيفة في اليمامة ، وكانوا أهل نخل وزروع .[٣] وكان بنو بكر بن وائل – وهم رهط طرفة – في تهامة . ثم تركوها الى اليمامة ثم الى البحرين والعراق . وكذلك نزح بنو عبد القيس من ربيعة الى البحرين وهجر ، وكانوا في تهامة .[٤]

ولو مضينا نستعرض الأماكن التي سكنتها بطون ربيعة ، وذكرها شعراؤها في شعرهم لطال بنا المقام . ذلك أن هذه القبائل كانت تنتجع مواطن العشب والماء فتنتقل اليها في فصول من السنة ، ثم ترحل عنها حين ينضب ماؤها ، ويجف كلؤها . وقد ترحل عن تلك الأماكن ، لمزاحمة البطون أو القبائل الأخرى لها ، ونحرها عنها فتنتشر في أنحاء الجزيرة ، وتتفرق في أطرافها حتى تصل الى سواد العراق .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين (ربيعة) وانظر كذلك دائرة المعارف الاسلامية (ربيعة) ومعجم قبائل العرب – باب الراء .

(٢) معجم قبائل العرب – باب الراء .

(٣) انظر جمهرة الانساب – ص ٣٠٩

(٤) انظر دائرة معارف القرن العشرين (ربيعة)

ومن هذه الأماكن ماهو معروف الى الآن ، ومنها ما قد عفا عليه الدهر ، وطمس معالمه طول العهد والأوان . وطرفة نفسه يذكر كثيرا من تلك الأماكن التى نزلت بها فروع من ربيعة ، ومن غيرها من القبائل.

ومن تلك الأماكن التى لم تعد معروفة فى زماننا ، برقة ثهمد فى قوله :

لخولةَ أطلالٌ بِبُرْقةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كباقى الوَشْمِ فى ظاهرِ اليدِ (١)

وحزان الشريف فى قوله :

لهندٍ بحِزَّانِ الشُّرَيْفِ طُلُولُ تَلُوحُ وأَدْنى عَهْدِهِنَّ مُحِيلُ (٢)

والسفح وريدة وسحول فى قوله :

وبالسَّفْحِ آياتٌ كأنَّ رُسُومَها يمانٍ وَشَتْه رَيْدَةٌ وسَحُولُ (٣)

وصحراء يسر فى قوله :

أَرَّقَ العَيْنَ خَيالٌ لم يَقِرْ طافَ والرَّكْبُ بِصَحْراءِ يُسُرْ (٤)

---

(١) البيت الأول من المعلقة ـ الديوان ص ٦ .. وانظر شرحه فى هامش ص (٣٠) من هذا البحث

(٢) مطلع قصيدة رقم ٤ من الديوان ص ٨١ ، وانظر شرحه فى هامش ص ٣١ من هذا البحث .

(٣) الديوان ص ٨١، والسفح أسفل الجبل ، ويقال موضع. والآيات العلامات التى تعلم بها الديار ، والرسوم الآثار بلاشخوص . ويمان ثوب وشى يمان . وريدة وسحول قريتان من قرى اليمن شبه آيات الديار ورسومها بثوب وشى يمان . وثياب الوشى تنسب الى اليمن. ووشته أى زينته وحسنته.. وريدة وسحول يقصد أهل ريدة وأهل سحول (انظر شرح الأعلم لهذا البيت ص ٨١ من الديوان) .

(٤) الديوان ص ٥١ وانظر شرح البيت فى هامش ص (٣١) من هذا البحث

وغير ذلك كثير .(١)

أما الأماكن التى لازال الناس يعرفونها بأسمائها القديمة فمنها نجد فى قوله :

حَيْثُمَا قَاظُوا بِنَجْدٍ وشَتَوْا   حَوْلَ ذاتِ الحاذِ مِنْ ثِنْيَيْ وُقُرْ (٢)

والعراق فى قوله

تَرَحَّلَ مِنْ أَرْضِ العِرَاقِ مُرَقِّشٌ   عَلَى طَرَبٍ تَهْوِي سِرَاعاً رَوَاحِلُهْ (٣)

وغير ذلك (٤)

بطون ربيعة :

كان ربيعة على ما يبدو ، أكبر أولاد نزار بن معد بن عدنان ، فقد ذكر البكرى فى معجم ما استعجم أن نزار بن معد ، كان يكنى بابنه ربيعة .(٥)

---

(١) لقد انتشرت هذه الأماكن فى شعر طرفه .. انظر الديوان ص ٧ ، ١٣ ، ٢٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٣ .

(٢) الديوان ص ٥٥ وانظر شرح البيت فى هامش ص : ١٢ من هذا البحث

(٣) المرقش هو المرقش الاكبر شقيق جد طرفة ، وترحل من أرض العراق حيث يسكن الى أرض اليمن حيث تسكن أسماء معشوقته ، وقوله على طرب تهوى سراعا رواحله .. أى تسير بخفة شوقا الى أسماء . والبيت فى الديوان ص ١٣٣ ، والشرح من شرح الأعلم .

(٤) فقد ذكر تجلة ، ص ٢١ من الديوان .

(٥) انظر معجم ما استعجم للبكرى ص ٥

ثم تفرعت من ربيعة بطون كثيرة اشتهروا بأسماء خاصة بهم وان ظل افتخارهم بانتسابهم لربيعة قائما . قال ابن خلدون: " ثم تفرعت ربيعة الى بطنين هما ضُبَيْعَة وأَسَد ."(١)

فمن ضبيعة بنو أَحْمَس ، ومنهم الشاعر المُسَيَّب بن علس المشهور . وهو خال الأعشى ، الشاعر المعروف(٢) كما سيأتي . ومنهم الحارث الأَضجم سيد ربيعة فى زمانه . وفيه اذ قتل كانت أول حرب بين بنى ربيعة .(٣) ومن بنى ضبيعة أيضا الشاعر المتلمس جرير بن عبد المسيح .(٤) وهو خال طرفة كما سنرى أيضا .

أما بنو أسد فمنهم جَدِيْلَة وعَنَزَة وعَمِيْرَة ومن تفرع منهم . فمن جديلة عبدُ القَيْس وهِنْب ابنا أَفْصى بن دُعْمِىّ بن جديلة . فأما عبد القيس فمنهم بنو شَنّ وبنو لُكَيْز ، وهما قبيلا عبد القيس.(٥)

وأما هنب فمنه قاسط . ومن قاسط وائل بن قاسط والنمر بن قاسط وعامر بن قاسط ومعاوية بن قاسط .(٦) ثم كان من وائل أشهر بطون بنى ربيعة ، وهما بكر وتغلب قال ابن خلدون : " وأما وائل فبطن عظيم متسع . أشهرهم بنو تغلب ، وبنو بكر بن وائل"(٧)

ثم كان من بنى تغلب بن وائل ، بنو غَنْم وبنو جُشَم بن تغلب ، ومن تفرع منهم .(٨)

---

(١) انظر العبر ١٠٣/٢

(٢) انظر جمهرة الأنساب ص ٢٩٢

(٣) انظر المصدر السابق ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ والضجم اعوجاج فى الفك أو الحنك (الاشتقاق ص ٣١٧)

(٤) انظر العقد الفريد ـ مطبعة الاستقامة ـ ٢٧٣/٣ ، والمصدر السابق ص ٢٩٣ .

(٥) انظر جمهرة الأنساب ص ٢٩٥

(٦) انظر العقد الفريد ـ مطبعة الاستقامة ـ ٢٧٥/٣ وجمهرة الأنساب ص ٣٠٠ .

(٧) انظر العبر ١٠٣/٢

(٨) انظر العقد الفريد ـ مطبعة الاستقامة ـ ٢٧٦/٣ وجمهرة الأنساب ص ٣٠٤ .

وأما بنو بكر بن وائل ، فمنهم بنو على وبنو يشكر. الذين منهم الحارث بن حلزة اليشكرى وسويد بن أبى كاهل اليشكرى الشاعران الجاهليان المشهوران.(١) ثم كان من بنى على بن بكر ابن وائل : مالك ولُجَيْم وعُكَابَة أبناء صَعْب بن على بن بكر بن وائل ، فمن لجيم بن صعب ، بنو حَنِيْفَة أهل اليمامة. وكانوا أهل نخل وزرع كما عرفنا.(٢) ومن عكابة بن صعب ، بنو ثَعْلَبَة بن عكابة بن صعب ومنهم بنو قيس والیهم ينسب الأعشى ، ميمون بن قيس ، الشاعر الكبير(٣)

ومن بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل : بنو ضبيعة ، ومنهم بنو مالك ومن بنى مالك بن ضبيعة الشاعران المشهوران ، المرقش الأكبر ، والمرقش الاصغر .(٤) ومنهم كذلك شاعرنا طرفة بن العبد.

ولو أننا ذهبنا نستقصى الفروع والبطون والأفخاذ والفصائل التى انحدرت من ربيعة ، أو أننا ذهبنا نستقصى الشعراء والفرسان والحكماء والزعماء الذين انتسبوا اليها ، لطال بنا المقام

فان فروع بطون ربيعة ، قاصيها ودانيها ، وأخبار فرسانها وزعمائها وشعرائها وحكمائها ، قد ملأ بطون الكتب. ولكنه لايعنينا هنا . ولذلك فقد أوجزنا الحديث فيه بقدر الاستطاعة فلم نتعرض الا لذكر القبائل والبطون الرئيسية التى انتسبت الى ربيعة . ثم ضربنا أمثلة بذكر بعض من نبه فيها من الزعماء والشعراء والفرسان. ثم سرنا مع البطون التى انحدر منها فرع شاعرنا طرفة بن العبد. وذلك لنبين مكان رهطه فى القبيلة ، ومكانه فى رهطه – كمقدمة لما سيأتى عنه من تفصيل.

(١) انظر تاريخ اليعقوبى – دار صادر بيروت – ١/٢٦٣ ، وجمهرة الانساب ص ٣٠٩ .
(٢) انظر بحثنا هذا ص (٧٥).
(٣) انظر جمهرة الأنساب ص ٣١٩
(٤) انظر المصدر السابق ص ٣١٩ أيضا .

ديانة ربيعة :

لم يكن للعرب في العصر الجاهلي ديانة واحدة ، وانما هو أخلاط من العقائد والأديان ، اعتنقها أهل ذلك الزمان ، وان كانت غالبيتهم قد اجتمعت على عبادة الأوثان . (١)

ويظهر أن القبائل العربية في الزمن الذي وجدت فيه ربيعة ، كانت قد نسيت أو تناست ما كان قد جاء به جداها الكبيران ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . وان كانت هذه القبائل قد ورثت عنهما حب البيت الحرام فكانوا - كما ذكر الكلبي في كتاب الأصنام - " يحجون ويعتمرون على ارث ابراهيم واسماعيل " عليهما الصلاة والسلام . (٢)

كما كانوا قد ورثوا عنهما أيضا معرفة الله سبحانه وتعالى . وان كان قد شاب هذه المعرفة شرك بغيره من الأنام ، أو ولع بعبادة الأصنام . وصدق الله سبحانه وتعالى اذ يصور ذلك فيقول : " وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ " . (٣)

وكانت العرب تفعل ذلك وهي تظن أنها تسلك الدرب القويم ، وتمشي على السراط المستقيم . ذلك أنهم كانوا يعرفون لله - سبحانه - في الخلق قدره : " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ، لَيَقُولُنَّ اللَّهُ . قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . " (٤)

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي - دار صادر وبيروت - ١ / ٢٥٤

(٢) انظر الأصنام للكلبي ص ٦

(٣) سورة يوسف آية ١٠٦

(٤) سورة لقمان آية ٢٥

وذكر ابن كثير فى تفسيره عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : "كَانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وسلم كثيرا ما يُحَدِّثُ عن امرأةٍ كانت فى الجاهلية على رأس جَبَلٍ معها ابن لها يرعى غنما ، فقال لها ابنها : يا أُمَّه . . من خلقك ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق أبى ؟ قالت : الله . قال فمن خلقنى ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق السموات ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الجبل ؟ قالت : الله قال : فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت : الله . قال : فانى أسمع لله شأنا ". (١)

وكما كان العرب يعرفون قدر الله فى الخلق فقد كانوا كذلك يعرفون حقه فى الملك ، وليس أدل على ذلك من قوله سبحانه وتعالى : "قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُم تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّه ، قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَن رَّبُّ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيم . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ " (٢)

والحقيقة أن المشركين بل الناس جميعا لم يزعم أحد منهم كما يقول ابن تيمية رضى الله عنه " أن العالم له صانعسان متكافئان فى الصفات والأفعال . بل ولا أثبت أحد من بنى آدم الها مساويا لله فى جميع صفاته . وعامة المشركين بالله ، مقرون بأنه ليس شريكه مثله ، بل عامتهم يقرون أن الشريك مملوك له سواء كان ملكا أو نبيا أو كوكبا أو صنما . كما كان يقول مشركو العرب فى تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك". (٣)

---

(١) انظر تفسير ابن كثير للآية : "قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم " من سورة المؤمنون (آية ٨٦)

(٢) سورة المؤمنون - الآيات ٨٤ ، ٨٩

(٣) الرسالة التدمرية ص ٦١

أما هذه التماثيل التي اتخذوها ، والأصنام التي عبدوها ، فلم يكونوا يقرون لها بشيء من الخلق أو شيء من الملك . وانما اتخذوها أولياء أغاشتها وعبدوها توهما في وساطتها ، وعكفوا عليها طمعا في شفاعتها . وصدق الله سبحانه وتعالى اذ يصور ذلك أيضا فيقول : " أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى " (١) " وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ " (٢) .

ألا ترى أنهم لم يكونوا يعترفون لتلك الأصنام بشيء من الفضل سواء في الخلق أو في الرزق . . وانما كانوا يرجعون الفضل في ذلك كله لله سبحانه وتعالى . وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما ، دليل على ذلك . فقد روى عمران بن حصين عن أبيه " أن قريشا جاءته وكانت تعظمه فقالوا له : كلم لنا هذا الرجل ، فانه يذكر آلهتنا ويسبهم " . وجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم . فكان مما دار بين حصين هذا رضي الله عنه وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن قال حصين : "ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " يا حصين ، كم تعبد من اله ؟ قال : سبعا في الأرض وواحدا في السماء . قال : فاذا أصابك الضر من تدعو ؟ قال : الذي في السماء قال : فاذا هلك المال من تدعو ؟ قال : الذي في السماء . قال صلى الله عليه وسلم - فيستجيب لك وحده ، وتشركهم معه . . (٣)

---

(١) سورة الزمر آية (٣)

(٢) سورة يونس آية (١٨)

(٣) رواه ابن حجر العسقلاني في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة وعزاه الى ابن خزيمة .

تلك كانت فى الجاهلية ، حال القبائل العربية . أوقل حال أكثر القبائل العربية . اجتماع على عبادة الأوثان . وان كان قد بقى لهم مما ورثوه عن أبويهم الكريمين ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، أثارةٌ من معرفة لله تعالى ، وحب للبيت الحرام وحب لاعتماره والحج اليه كلما تيسر لهم ذلك . ولكنهم كانوا قد خلطوا تلك المناسك بأقوال من أهوائهم ، وأفعال ماأنزل الله بها من سلطان .

فكانت نزار مثلا تقول فى تلبيتها : (١)

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكْ   لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكْ
إِلَّا شريكاً هو لَكْ   تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكْ

ولما جاء الاسلام الحنيف أعاد للتلبية صفاءها ونقاءها ، وذلك منذ اللحظة الأولى لبعثة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك لك ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويلكم قَدٍ قَدْ ، فيقولون : الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك " (٢)

على أن خلط المشركين لتلك الشعائر بما فى نفوسهم من أهواء لم يقتصر على التلبية وحدها ، بل تعداها الى ماليس هنا مجال حصره . قال ابن الكلبى : " وكانت ربيعة اذا حجت فقضت المناسك ، ووقفت فى المواقف نفرت فى النَّفْرِ الأول ، ولم تُقِمْ فى التشريق " (٣)

---

(١) انظر الأصنام لابن الكلبى ص ٧
(٢) رواه مسلم فى كتاب الحج - باب التلبية
(٣) انظر المصدر السابق ص ٧

أما اليهودية والنصريانية ،وان كانتا معروفتين في ذلك الزمان ، الا أن الباحثين لم يذكروا أنهما استطاعتا أن تنتشرا بين القبائل العربية أوأن تتمكنا منهم. (١) وان كانت النصرانية قد غلبت على بعض بطون ربيعة ، كماكان الحال مع بنى تغلب. (٢) وكذلك كان الحال مع بعض فروع ربيعة الذين جاوروهم . اذ يذكر ابن خلدون أن القبائل العربية عند ماأخذت رسلها تفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة لتعلن بين يديه اسلامها ،كان رئيس وفد عبد القيس من ربيعة - نصرانيا.(٣)

ولدى استقراء التاريخ ،يظهر أننا لا نستطيع الحاق ربيعة كلها أوالحاق بطن من بطونها كله- بدين معين . فمنهم وثنيون كسائر العرب ، في ذلك الزمان ،وعند هم من حنيفية ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بقية. ولكن التحريف والخلط قد غلبا عليها . ثم سكنت تغلب من ربيعة في العراق وفي بادية الشام ،واتصلت بالمناذرة والغساسنة والروم والفرس ،وفشت النصرانية فيهم.

وكذلك الحال بالنسبة لبني بكر بن وائل ،فقد سكنوا شمال شرق الجزيرة العربية ،كمامر بنا ،وجاوروا أبناء عمومتهم بنى تغلب هناك . واتصلوا هم الآخرون بالمناذرة ملوك الحيرة ، الذين كانوا كمايذكر الباحثون قد أنضووا تحت لواء النصرانية. (٤)

فليس هناك اذن مايمنع من أن يكون بعض بني بكر بن وائل قد اعتنق النصرانية أوأن يكونوا قد تأثروا بها على أقل تقدير.

---

(١) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية - لبروكلمان - ص ٢٨
(٢) انظر تاريخ ابن خلدون ٢ / ١٠٤
(٣) انظر المصدر السابق ٢ / ١٠٤ أيضا
(٤) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية - لبروكلمان - ص ٢٨.

وخلاصة الأمر أن شأن ربيعة في التدين كان شأن بقية العرب لا يجمع شتاتها دين معين، وان اجتمع أكثرها على عبادة الأصنام، حتى كان لها كما يذكر اليعقوبي صنم خاص اسمه ذو الكعبات. (١) ثم تنصر بعضها كما رأينا عند تغلب التي دخلت تحت حكم الاسلام بنصرانيتها - كما نعلم - وبقيت عليها.

وأما بنو عبد القيس، فلم تتمكن النصرانية منهم، تمكنها من تغلب بل ان الاسلام نفسه بقي مدة قبل أن يتمكن منهم. فقد كانوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، أول المرتدين، تحت زعامة بني حنيفة وهم فرع منهم. وكانوا كما يقول ابن خلدون أشد المتحمسين لمسيلمة الكذاب. (٢)

ولعل شاعرنا طرفة بن العبد، كان على شاكلة قومه، غير مستقر على دين. بل لعله كما سنرى عند دراسة شعره - كان أشد منهم بعدا عن الأديان. فان له في الحياة آراء خاصة لا ارتباط لها بأي دين.

شعراء ربيعة :

لقد حظيت ربيعة في الجاهلية من الشعر بنصيب كبير. وكان لها عدد من الشعراء غير قليل. وكان كثير منهم - كما يذكر الباحثون -

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي - دار صادر وبيروت - ١ / ٢٥٥

(٢) انظر تاريخ العبر ٢ / ١٠٤، وقد اشتهر قولهم : " ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر " (انظر دائرة المعارف الاسلامية (ربيعة))

من الفحول المجيدين ، وهكذا فان ربيعة ـ كما امتازت بصريح نسبها الى اسماعيل عليه السلام (١) فقد امتازت بكثرة الشعراء فيها . وقد كانت للشعراء فى الجاهلية المكانة الاسمى والمنزلة الاعلى . قال اليعقوبى : "ولم يكن لهم شىء يرجعون اليه من أحكامهم وأفعالهم الا الشعر فيه كانوا يختصمون ، وبه يتمثلون ، وبه يتفاضلون ، وبه يتقاسمون ، وبه يتناضلون وبه يُمدحون ويُعابون " (٢) فما كان أعظم حظ ربيعة اذن بكثرة الشعراء فيها . .

ولقد كانت القبيلة تفرح بنبوغ شاعر من أبنائها ، فكيف لا تفرح بتعدد شعرائها . ؟ ؟ وهم الذين يرفعون لواءها ، ويهجون أعداءها ، ويذيعون فى الناس مكارمها ، ويحمون بينهم بألسنتهم محارمها . فهم بين هذا وذاك أبواق دعايتها ، وأسوات اذاعتها ، ووسائل اعلامها . قال ابن سلام : " وكان الشعر فى الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، واليه يصيرون " . (٣) وروى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : " كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه " . (٤) فكيف لا تعتبر كثرتهم فى ربيعة اذن مزية من المزايا التى اختصت بها .

بل لقد حظيت ربيعة بمزية أخرى ، وهى أن الشعر أول ماكان فيها قال ابن سلام : " وكان شعراء الجاهلية فى ربيعة أولهم

---

(١) جمهرة الانساب ص١٠
(٢) انظر تاريخ اليعقوبى ـ دار صادر وبيروت ـ ١ / ٢٦٢
(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٢٤
(٤) نفس المصدر ص ٢٤

المهلهل . (١) وفى المهلهل هذا يقول ابن سلام أيضا : " وكان أول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة ". (٢) بل ان الرواة قد بالغوا فى نسب أولية الشعر الى ربيعة حين ذكروا أن ربيعة بن نزار نفسه - كان يقول الشعر . وهو جد القبيلة الأول . روى الأصمعى قال : " أخبرنى شيخ من تغلب قال : أردفنى أبى فلما أصحر رفع عقيرته فقال :

رَأَتْ سِدْرَةً مِنْ سِدْرِ حَوْمَل فابْتَنَتْ ... به بيْتَها أَنْ لا تُحاذِرَ رَامِيَا (٣)

إِذا هى قامَتْ فيه قامتْ ظَلِيْلَةً ... وأَدْرَكَ رَوْقاها الغُصُونَ الدَّوانيا (٤)

تَطَلَّعُ منه بالعَشِيِّ وبالضُّحى ... تَطَلُّعَ ذاتِ الخِدْرِ تَدْعُوالجَوارِيا (٥)

ثم قال :

أتدرى من قائل هذه الأبيات يابنى ؟ قلت : لا أدرى . قال : قالها ربيعة بن نزار . فقلت : ومايصف ؟ قال : البقرة الوحشية ". (٦)

ولقد ذهبت استقصى شعراء ربيعة فى الجاهلية ، فوجدت عنتا ومشقة فبعض المصادر لم يكن يعنى أصحابه بفرز الشعراء الجاهليين من الاسلاميين وبعضها الآخر وهم أصحابه فى نسب بعض شعراء الجاهلية ، فجعلوهم اسلاميين . (٧)

أما العقبة الكئود فهى ندرة الأخبار التى وردت عن أولئك الشعراء ، فقد أطنب الباحثون فى الحديث عن الفحول والعظماء ، وقلت فى مصادرهم أخبار من كانوا دونهم من الشعراء .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٢٤

(٢) نفس المصدر ص ٣٩

(٣) حتى لا تخاف من الرماة

(٤) روقاها : قرناها (انظر معجم مقاييس اللغة م روق) (ج ٢ / ٤٦٠)

(٥) أى بحؤذر

(٦) انظر العقد الفريد - مطبعة الاستقامة - ٣ / ٢٥٨

(٧) كما فعل ابن قتيبة فى الشعر والشعراء - دار صادر - ص ٥٤٣ حين جعل عميرة بن جعل من شعراء ربيعة الاسلاميين - وهو غير صحيح - انظر ذلك =

ولذلك فانى قد قصرت الحديث على أربعين شاعرا من شعراء ربيعة ثبت لدى أنهم جاهليون من ناحية ، وتحدث عنهم أو اختار لهم - من ناحية أخرى - كبار العلماء القدماء كالمفضل والاصمعى وابن سلام وابن قتيبة ＊ وغيرهم .

قال ابن سلام فى طبقات الفحول : " وكان شعراء الجاهلية فى ربيعة أولهم المهلهل ، والمرقشان ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والاعشى ، والمسيب بن علس (١) ولعلنا ندرك بسهولة أن تعداد ابن سلام هذا للجاهليين من شعراء ربيعة كان على سبيل المثال لا الحصر . فانه لم يذكر فيه غير عشرة منهم . وقد حفظت كتب الادب وتاريخه فى الجاهلية لربيعة من الشعراء أكثر من هذا العدد بكثير . ولا عجب فى ذلك فان عمل ابن سلام - كما يقرر ذلك بنفسه هو اختيار لشعراء العرب المعروفين ، مقتصرا على أربعين فقط من الفحول المشهورين . (٢)

ولذلك فانه يعود فيذكر بعضا من شعراء ربيعة الآخرين كعمرو بن كلثوم (٣) وسويد بن أبى كاهل (٤) والمثقب العبدى (٥) ، والممزق العبدى (٦) ، والمفضل النكرى (٧) . وبذلك يكون من ذكرهم ابن سلام من شعراء ربيعة الذين كانوا فى الجاهلية ، خمسة عشر شاعرا لا غير .

وكان المفضل الضبى قد اختار فى مفضلياته لسبعة عشر شاعرا من شعراء ربيعة الجاهليين ، وهم : المسيب بن علس ، والحارث بن حلزة ، والمثقب العبدى ، والاخنس بن شهاب ، وجابر بن حُنَىّ ، والمرقشان الاكبر والاصغر

＊ عند ترجمتنا له بعد قليل .

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٤٠
(٢) المصدر السابق ص ٣ ، ٢٤
(٣) المصدر نفسه ص ١٢٧
(٤) نفس المصدر ص ١٥٢
(٥) الطبقات أيضا ص ٢٧١
(٦) نفس المصدر ص ٢٧٤
(٧) نفس المصدر أيضا ص ٢٧٦

وثعلبة بن عمرو العبدى ، وعميرة بن جعل ، وأفنون التغلبى ، وبشر بن عمرو بن مرثد ، وعبد المسيح بن عسلة ، ويزيد بن خذاق الشنى ، والممزق العبدى ، ومرة بن همام ، وراشد بن شهاب اليشكرى .

والمفضليات - كما يقول محققاها الأستاذان أحمد شاكر وعبد السلام هارون - هى " أقدم مجموعة صنعت فى اختيار الشعر العربى " (١) . . ولا نعلم أحدا قبل المفضل الضبى أقدم على أن يصنع للناس اختيارا من الشعر (٢)

ثم جاء الأصمعى فاختار فى أصمعياته لأحد عشر شاعرا من شعراء ربيعة الجاهليين ، وهم : الحارث بن عُباد ، وطرفة بن العبد ، والمتلمس والمرقش الأصغر ، والمفضل النكرى ، والممزق العبدى ، ومهلهل بن ربيعة وعقبة بن سابق الهزانى ، والمنخل بن عامر اليشكرى ، وشُمِر بن عمرو الحنفى وعِلْباء بن أرقم بن عوف . وبعرض الأصمعيات على المفضليات يتضح لنا أن الأصمعى قد اختار لاثنين فقط من شعراء ربيعة الجاهليين كان المفضل قد اختار لهما ، وهما المرقش الأصغر والممزق العبدى . وأما التسعة الآخرون الذين اختار لهم الأصمعى ، فلم يكن المفضل قد ذكرهم .

ثم جاء ابن سلام فذكر فى طبقات فحول الشعراء خمسة عشر شاعرا من شعراء ربيعة الجاهليين كما رأينا . وهم خمسة من الذين اختار لهم المفضل فى مفضلياته ، وأربعة من الذين اختار لهم الأصمعى فى أصمعياته واثنان اختار لهما المفضل والأصمعى كلاهما ، ثم انفرد ابن سلام بذكر أربعة لم يذكرهم المفضل ولا الأصمعى وهم سعد بن مالك وعمرو بن قميئة والأعشى وعمرو بن كلثوم .

---

(١) ، (٢) انظر مقدمة المفضليات بتحقيق وشرح الأستاذين أحمد شاكر وعبد السلام هارون .

ثم جاء أبوتمام فاختار في حماسته الكبرى والصغرى لأكثرمن عشرين شاعرا من شعراء ربيعة الجاهليين (١). كان الكثيرون منهم قد ذكرهم سابقوه ولكن بعضهم لم يكونوا قد ذكروه. كسهل بن شيبان المشهور بالفند الزماني وحجر بن خالد، وباعث بن صُرَيم، وقتادة بن مسلمة. وغيرهم.

ثم جاء ابن قتيبة فتحدث في الشعروالشعراء عن سبعة عشر شاعرا من شعراء ربيعة الجاهليين، ولكنه لم ينفرد الا بذكر سويد بن خذاق الشني، أخي يزيد بن خذاق، أحد الذين اختار لهم المفضل.

وقد ذكر غيرأولئك العلماء من شعراء ربيعة الجاهليين عمرو بن قيس المشهور بالأصم، وعمرو بن مالك المشهور بالأعلم العبدي، وبسطام بن قيس وعمرو بن حلزه، والخرنق بنت بدر بن هفان، وبهؤلاء يبلغ عددهم أربعين شاعرا.

وهناك غيرهؤلاء - كثيرمن شعراء ربيعة، الذين تناثرت أسماؤهم وبعض أشعارهم في كتب التراجم والاختيارات، كحماسة البحتري ومؤتلف الآمدي ومعجم المرزباني. (٢)

ولكن الهدف هنا ليس احصاء جمع شعراء ربيعة، ولا سرد أخبارهم أونقل أشعارهم، بل ان الهدف هوتسليط الاضواء على الأجواء الأدبية التي ولد وعاش فيها شاعرنا طرفة بن العبد. وفي الحديث عن هؤلاء الأربعين غناء وأي غناء.

---

(١) الحماسة الصغرى لأبي تمام هي كتاب الوحشيات، وسيأتي الحديث عنه.

(٢) انظرفي حماسة البحتري ص ١٠، ص ١٤، ص ١٨، ص ٣٧، ص ٤٥، ص ٤٦، ص ٩٧، ص ٩٨، ص ١٤٤، ص ١٥٣، ص ١٦٧، ٢٠٦، ص ٢٦٦.

وانظرفي المؤتلف والمختلف للآمدي - بتحقيق عبد الستار فراج - ص ٥٣، ص ١٧١، ص ١٨٣، ص ٢٠٤، ص ٢١٥، ص ٢١٨، ص ٢٢٩، ص ٢٣٦، ص ٢٦٣، ص ٢٦٥، ص ٢٧٩، ص ٢٨٤.

وانظر في معجم الشعراء للمرزباني ص ٧، ص ١٣، ٢٠، ٢٤، ١٢٥، ٢٠٠، ٢٤٨، ٢٩٤، ٤٧٠.

ولما كانت المصادر التاريخية والأدبية ، وكتب الأنساب والمعاجم لا تسعفنا بذكر تواريخ أولئك الشعراء حتى نتحدث عنهم حسب أقدميتهم - كما هو الأصل - فاننا سنلجأ الى ترتيبهم ترتيبا هجائيا وذلك بما اشتهروا به من الأسماء والألقاب . متعرضين لأهم أخبارهم ومتمثلين بأجود أشعارهم ، وأولئك هم :

١) الأخنس بن شهاب ، وهو : الاخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدى بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .(١) قال الآمدى : "وهو أحد الشعراء والفرسان ، وصاحب القصيدة المختارة التى أولها :

لابْنَةِ حِطَّانَ بْنِ عَوفٍ مَنَازِلُ   كما نَقَّشَ العُنْوانَ فى الرَّقِّ كَاتِبُ (٢)

- ومن جيد شعره قوله فيها فيما اختار له المفضل :

وإِنْ قَصُرَتْ أَسْيافُنَا كَانَ وَصْلُهَا   خُطَانَا إِلَى القَوْمِ الذينَ نُضَارِبُ (٣)

قال ابن الانبارى : (" وهو أول العرب ، وصل قصر السيوف بالخطى (٤)

---

(١) انظر شرح المفضليات لابن الانبارى ص ٤١٠ ، والموتلف للآمدى ص: ٣٠ ، وضبط نسب الشاعر هو : الأخنس (كالأعلم) ، وشهاب (ككلاب) وشريق (كزهير) ، وثمامة (كأسامة) ، وأرقم (كأحمد) ، وعدى (كعلى) وغنم (بالغين المعجمة كصخر) ، وهنب (كهند) وأفصى (بالفاء كأفعى) ، ودعمى (كدرى وسنى) ، وجديلة (كقبيلة) .

(٢) انظر الموتلف ص ٣٠ . والرق (بالفتح) : الصحيفة البيضاء ، أو الجلد الرقيق الذى يكتب فيه ، (انظر اللسان رقق)

(٣) انظر المفضلية ٤١ ، ونضارب أى نجالد ونقاتل (انظر اللسان ضرب)

(٤) انظر شرح المفضليات ص ٤١٠

٢) والأَصَمُّ ، وهو " عمرو بن قيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ".(١) أحد فرسان بنى شيبان وسادتها وذوى النباهة فيها . وهو الذى برك بين الصفين يوم الزورين ، وقال لقومه : " قاتلوا عنى ولا تفروا حتى أفر ".(٢) ومن جيد شعره قوله :(٣)

لَمَّا تَدَاعيْتُمو والنَّقْعُ مُعْتَكِرٌ ... يَاللَّأراقِم ، نَادَيْنا بِعَلْوانِ (٤)

فاسْتَلْحَمَ الموتُ مَنْ حانَتْ مَنِيَّتُهُ ... مَنْ كانَ فارسَ قَوْمٍ غَيْرَ ثُنْيانِ (٥)

كَمْ مِنْ فَتَاةٍ أَصَابَ الموتُ قَيِّمَهَا ... فالدَّمْعُ منها بِتَهْتَانٍ وتَسْنَانِ (٦)

- قال الآمدى : " وابنه مَفْرُوق شاعر ، وكان أشعر من أبيه "(٧) وهو القائل :(٨)

ولربَّ أبطالٍ لقِيتُ بمثلهم ... فسَقَيْتُهُم كأْسَ الرَّدى وسُقِيتُ

وأخٍ يُجيبُ المُسْتَضَافَ إذا دَعَا ... والخيلُ تَعْثُرُ فى الغُبارِ رُزِيتُ (٩)

فلأَطْلُبَنَّ المَجْدَ غَيْرَ مقصِّرٍ ... إنْ مُتُّ مِتُّ وإنْ حَيِيتُ حَيِيتُ

---

(١) المؤتلف ص ٥١ ، وضبط ذُهْل (كجُحْر)
(٢) انظر العقد الغريد - ط الاستقامة - ٦ / ٥٤ ، والكامل - بيروت - ١ / ٦٠٥
(٣) المؤتلف ص ٥٢
(٤) النقع الغبار والجمع نقاع (كسلاح) (اللسان نقع) ، والاعتكار الكثرة والاختلاط (اللسان عكر) ، وعُلْوان شعار بنى ربيعة (من المؤتلف ص ٥٢) .
(٥) استلحم أى أصاب ولحق (اللسان لحم) ، والثنيان (كالثعبان) الذى يكون دون السيد فى المرتبة والجمع ثنية (كفتية) (اللسان ثنى) .
(٦) القيم الزوج ، وهتنت السماء (من باب ضرب) ، وهتونا وهتَنَانا (كغليان) وتهتانا (بوزن غضبان) ، وتهاتنت : أى صبت مطرها . (اللسان هتن) وسنت العين دمعها تسنه (بالضم) ، سنا : صبته ، واستنت هى : انصب دمعها (اللسان سنن)
(٧) انظر المؤتلف ص ٥٢ ، وانظر كذلك معجم المرزبانى ص ٤٠٤
(٨) المؤتلف ص ٥٢
(٩) الرزء (كالعمر) : المصيبة - وأصله الانتقاص من المال أو من الأحبة (انظر اللسان رزأ) .

٣) **والأعشى** ، وهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر ابن وائل . . (١) الشاعر المشهور المقدم . كان أعمى ويكنى أبا بصير ويسمى صناجة العرب . وكان يفد على ملوك فارس ، ويمدح ملوك الحيرة . وفي أحد هم يقول في قصيدته التي مطلعها : (٢)

ما بُكاءُ الكبيرِ بالأطْلالِ   وسُؤالِي وما تَرُدُّ سُؤالِي
أنْتَ خيرٌ من ألْفِ ألْفٍ من الناسِ   اذا ما كَبَتْ وجوهُ الرِّجالِ (٣)

والأعشى من أصحاب المعلقات ، شاعر طبق ذكره الآفاق ، وقد جعله ابن سلام في الطبقة الأولى من طبقات الفحول في الجاهلية مع امرئ القيس والنابغة وزهير . (٤) وقد كان الأعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة (٥) وقد أدرك الاسلام ولكنه لم يسلم . (٦)

ومن طريف أخباره أنه أنشد بين يدي كسرى قصيدته التي مطلعها :

أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المُؤَرِّقُ   وَمابِيَ مِنْ سُقْمٍ وَمابِيَ مَعْشَقُ

فلما فسرت لكسرى قال : ان كان هذا سهر لغير سقم ولا عشق ، فما هو الا لص (٧)

---

(١) اقتصرت في نسبه على بكر بن وائل ، وبقية النسب الى ربيعة بن نزار معروف فقد ذكرته في الأخنس . وضبط آباء الأعشى هو : جندل (كثعلب) وشراحيل (كسراحيق) ، وعوف (كلون) ، وضبيعة (كجهينة وعنيزة) وثعلبة (كجمهرة) ، وعكابة (كسراقة وقحافة) ، وصعب (كصخر) .

(٢) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبه ص ١٧٨ ومابعدها (ط دار صادر - وبيروت) .

(٣) كبا أي تأخر وعثر ، وكبا لوجهه أي سقط فهو كاب (اللسان كبا) .

(٤) طبقات ابن سلام ص ٥٢

(٥) الاغاني - ثقافة - ٩ / ١١٠

(٦) السمط ص ٨٣

(٧) الاغاني - ثقافة ٩ / ١١٢ .

٤) والاعلم العبدى ، وهو عمرو بن مالك بن ضبيعه بن قيس بن ثعلبة ، ابن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . من شعراء ربيعة القدماء ، ومن قوم طرفة الاذنين ، كمايتضح من نسبه . ومن جيد حكمه فيما روى ابن الاعرابى له :

وَيُزْرِى بِعَقْلِ المَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ وإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رِجَالٍ وأَحْيَلاَ (١)

ومن طريف ماروى المرزبانى فى الموشح أن أحد بنى قيس بن ثعلبة ، سمع الفرزدق وهو ينشد قصيدته التى مطلعها :

عَزَفْتَ بأَعْشَاشٍ وماكِدْتَ تَعْزِفُ وأَنْكَرْتَ من حَدْراءَ ماكُنْتَ تَعْرِفُ (٢)

فأنكرعليه سرقته لابيات فيها (٣) ،وقال : " ياعدوالله سرقتنا قول صاحبنا الاعلم العبدى . فقال له الفرزدق : " اذهب فخذها من الرواة " (٤)

---

(١) المؤتلف ص ٢٠

(٢) عزف يعزف عزفا (كضرب يضرب ضربا) فهو عزوف (كصبور) : انصرف عن اللهو فلم يشتهه ،وعن النساء فلم يصب اليهن (اللسان عزف) . وأعشاش (كأقلام) : موضع بالبادية ، وقيل فى ديار بنى تميم (انظراللسان عشش) . والحدراء من النساء الحسناء الممتلئة تشبيهالها بالحدراء من الابل (انظر اللسان حدر) أولعله اسم امرأة . والقصيدة فى ديوان الفرزدق ٢ /٣٢ .
وبيتالفرزدق هذا فى اللسان مادة عزف ،ومادة عشش ،ومادة حدر

(٣) هى الابيات ذات الارقام من ٤٤ - ٥٠ ، ٦٩ ، ٧١ (انظر جمهرة القرشى - بتحقيق البجاوى - ص ٨٦٦-٨٨٨) .

(٤) انظرالموشح ص ١٧٤ - ١٧٥ .

٣) أفنون التغلبي : وهوصريم بن معشر بن ذهل بن تيم بن عمرو ابن مالك بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل . (١) وقيل ان اسمه ظالم بن معشر . (٢) وقد لقب بأفنون لقوله :

مَنَّيْتَنا الوُدَّ يا مَضْمونُ مَضْمُونَا ... أَيَّامَنا إِنَّ لِلشُّبَّانِ أُفْنُونَا (٣)

ومن جيد شعره قوله ،فيما اختار له المفضل : (٤)

فلا خيرَ فيما يكْذِبُ المرءُ نفسَهُ ... وَتَقْوَالِهِ للشَّيْءِ: يالَيْتَ ذَا لِيَا

لعمركَ ما يَدْرِي امْرُؤٌ كيف يَتَّقِي ... إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيَا

---

(١) انظر شرح المفضليات ص ٥٢٢ - ٥٢٣ ، والشعر والشعراء ص ٣١٢ وضبط نسبه هو صريم (كزهير) ، ومعشر (كمقعد) ، وذهل (كجرح) وتيم (كعين) ، وحبيب (كزهير) .

(٢) انظر المؤتلف ص ٢٢٥

(٣) انظر الاشتقاق لابن دريد ص ٣٣٦ والسمط ص ٦٨٥ والمؤتلف ص ٢٢ والضَّمانة (كالصداقة) : الحب والعشق ، ورجل ضمن (كفطن) ، أى عاشق . والضمان : الكفالة ، فمضمون الاولى بمعنى معشوق والثانية بمعنى مكفول أبدا . (انظر اللسان ضمن) والفن والافنون الضرب من الشيء ، ورجل مفن (بكسر الميم وفتح الفاء وتشديد النون) أى يأتي بالاعاجيب وأفنون الشباب أوله وأفنون السحاب (أوله أيضا) وضبطه بضم فسكون (انظر اللسان م فنن) .

٦) وباعث بن صريم ، وهو باعث بن صريم بن أسد بن تيم بن ثعلبه بن غبر بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل . (١) كان بنو تميم قد غدروا بأخ له اسمه وائل فقتلوه فهيج باعث قومه عليهم ، وقادهم اليهم وقتل منهم وأسر . وفي ذلك يقول : (٢)

سائِلْ أُسَيِّدَ هلْ ثأَرْتُ بوائـلٍ ... أم هلْ شَفَيْتُ النفسَ من بَلْبالِها (٣)

وفيها يقول : (٤)

وخِمارِ غانيةٍ عقدتُ برأسِهـا ... أُصُلاً وكان مُنَشَّراً بشِمالِها (٥)

وعَقِيلَةٍ يسعى عليها قَيِّمٌ ... مُتَغَطْرِسٌ أَبْدَيْتُ عن خَلْخالِها (٦)

وكتيبةٍ سُفْعِ الوُجُوهِ بَواسِلٍ ... كالأُسْدِ حين تَذُبُّ عن أَشْبالِها (٧)

قَدْ قُدْتُ أَوَّلَ عُنْفُوانِ رَعِيلِها ... فلففتُها بكتيبةٍ أَمْثالِها (٨)

---

(١) انظر شرح حماسة أبي تمام للتبريزي - طبعة بولاق - ٢ / ٤٩ ، وضبط نسبه هو غبر (كذ هل هوجرح) والباقي مر ذكره .

(٢) نفس المصدر وانظر السمط ص ٤٧٦

(٣) أسيد اسم قبيلة ، والبلبال الاهتمام بطلب الثأر

(٤) شرح الحماسة (ط بولاق ٢ / ٥٠ - ٥١) ، والسمط ص ٤٧٦

(٥) سُبِيَتْ أول النهار فرفعت خمارها بشمالها للهرب ، فلما اطمأنت آخر النهار عقدته برأسها . قال البكرى " وخص الشمال دون اليمين لأن اليمين هي التى يستعان بها في العدو . وأما شِمْرَةُ الساعي الناجي ، وحَمْلُه لشيء انما يكون بشماله " انظر السمط ٤٧٦ .

(٦) العقيلة الكريمة ، والقيم الزوج ، والمتغطرس صاحب النخوة ، يقول أغرت على حيها فشمرت عن ساقها للهرب فظهر خلخالها .

(٧) الكتيبة الجيش ، وسفع الوجوه يبدو عليها السواد من حر الشمس .

(٨) العنفوان أول الشيء ، والرعيل جماعة الخيل ، يقول : لقد قدت سوابق أوائل الخيل وخضت بهم كتيبة مثلهم . (انظر شرح الحماسة - ط بولاق ٢ / ٥١)

٧) وبسطام بن قيس ، وهو بسطام بن قيس بن خالد بن عبد الله ابن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ٠٠ بن عكابه بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . (١) أحد شجعان العرب المعدودين ، وأحد فرسانهم المشهورين . (٢) كانت له في أيام ربيعة مع تميم صولات مشهورات ، وبطولات معروفات . وقد قتل في احداها فدمعت عليه عيون رجال بني ربيعة ، وشقت عليه جيوب نسائهم . حتى انهم ظلوا يعرفون موضع دفنه بالصحراء . (٣) ومن فخره قوله : (٤)

أَرُونِي بمسعودٍ وقيسٍ وخالدٍ ... وعمرٍو وعبد الله نِ ي الباعِ والنَّدَى

وسرتُ على آثارهم غيرَ تاركٍ ... وَصِيَّتَهُمْ حتى انتهيتُ إلى المَدَى

٨) بشر بن عمرو - وهو بشر بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . (٥) وهو ابن ابن عم طرفة بن العبد وزوج اخته لامه الخرنق بنت بدر بن هِفَّان . (٦) ومن جيد شعره قوله يمدح قومه فيما اختار له المفضل (٧) :

وترى جِيَادَ ثيابهم مَخْلُولَةً ... والمَشْرَفِيَّةَ قد كَسَوْهَا المُذْهَبَا (٨)

غَلَبَتْ سَماحتُهُمْ وكثرةُ مالِهِم ... لَزَبَاتِ دَهْرِ السَّوْءِ حتَّى يَذْهَبَا (٩)

---

(١) انظر المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٨٣ - ٨٤ ، وبسطام (كمقلاع وميزان) وهمام (كشداد) .

(٢) انظر الاشتقاق ص ٣٥٨ .

(٣) انظر جمهرة اللغة (ح س ن) .

(٤) المؤتلف ص ٨٤

(٥) انظر شرح المفضليات ص ٥٥١ والمؤتلف ص ٧٧ وقد أكملت النسب عن غيره .

(٦) انظر السمط ص ٧٨٠

(٧) انظر المفضلية ٧١

(٨) الجياد جمع جيد ، ومخلولة مثقبة والمشرفية السيوف .

(٩) اللزبة (كالضربة واللهجة) : الشدة ، والجمع لزب كعنب ، ولَزْبات بالتسكين . يقول إن اهتمامهم للحرب وأدواتها لا للملبس أو مطعم

٩)و ثعلبة بن عمرو العبدى ، وهو ثعلبة بن حزن بن زيد مناة بن الحارث ؛
ابن ثعلبة بن سليمة بن مالك بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز
ابن أقصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة
ابن نزار بن معد بن عدنان". (١)

ومن جيد شعره قوله : (٢)

أَمِنْ حَذَرٍ آتِى المَهَالِكَ سَادِرًا ... وَأَيَّةُ أَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا مَتَالِفُ !

* *

---

(١) انظر شرح المفضليات ص ٥٥٩ . وثعلبة (كحنظلة) ،وحزن (كصخر) وسليمة (كجهينة) الخ .

(٢) انظر شرح المفضليات ص ٥٦٣ .

١٠) وجابر بن حُنَىّ ، وهو جابر بن حنى بن حارثة بن عمرو ابن معاوية بن عمرو بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ابن بكر بن وائل.(١) أحد شعراء بنى تغلب الذين أكثر العلماء من ذكرهم والاستشهاد بشعرهم . ومن جيد شعره قوله فيما اختار له المفضل :(٢)

نُعاطِى المُلوكَ السِّلْمَ ما قَصَدوا بِنَا ... وليس علينا قتلُهم بمُحَرَّمِ
وَكَائِنْ أَزَرْنَا الموتَ من ذى تَحِيَّـةٍ ... إِذَا مَا ازْدرانا أَوْ أَسَفَّ لِمأْثَمِ

١١) والحارث بن حلزة ، وهو الحارث بن حلزة بن مكروه بن بُدَيْد ابن عبدالله بن مالك بن عبد سعد بن حشم بن ذبيان بن كنانة ابن يشكر بن بكر بن وائل.(٣) أحد شعراء الجاهلية المشاهير جعله ابن سلام في الطبقة السادسة من طبقات الفحول مع عمرو ابن كلثوم وعنترة بن عمرو بن شداد وسويد بن أبى كاهل.(٤) وهو صاحب المعلقة المشهورة التى مطلعها :

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ ... رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

ويقال إنه ارتجلها بين يدى عمرو بن هند. وإنه - لبرص كان فيه - أنشده اياها من خلف قبته ، فلما سمعها عمرو بن هند أمر برفع السِّجْفِ(٥) بينهما استحسانا لها ، ودعا الحارث فأكرمه وأدناه .(٦)

(١) انظر شرح المفضليات ص ٤٢٢ ، وضبط نسبه هو :(حنى (كدبى وقصى ولؤى). (٢) انظر المفضلية ٤٢.
(٣) انظر طبقات ابن سلام ص ١٥١ ، وشرح المفضليات ص ٥١٥ ، وضبط نسبه هو : حلزة (بكسر الحاء وتشديد اللام وكسرها أيضا والحلز من الناس القصير - معجم مقاييس اللغة حلز)، ومكروه كمفعول ، وبديد (كزهير) وجشم "كزحل" ، وذبيان (كشعبان)، وكنانة (كزراعة وكتابة) انظر الاغانى ثقافة ١١/٣٧ والموتلف ص ١٢٤
(٤) طبقات ابن سلام ص ١٥١ - ١٥٢
(٥) السجف (بفتح السين وكسرها ، وسكون الجيم) : الستر (انظر معجم مقاييس اللغة سجف) (٦) انظر الشعر والشعراء ص ١٢٧ ، والموشح للمرزبانى ص ١١١

١٢) والحارث بن عُباده وهو الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل[١] . أحد زعماء بكر بن وائل المشهورين ، وأحد عقلائها المعدودين. كان قد اعتزل القتال بين بكر وتغلب طمعا في الصلح بينهما ، كما سنرى في أيام ربيعة ، ولكن طغيان تغلب بزعامة المهلهل بن ربيعة ، جعله يعود الى القتال.

وفي ذلك يقول ، فيما اختاره الأصمعي[٢]:

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي   لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عَنْ حِيَالِ[٣]

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ   وإِنِّي بِحَرِّهَا اليَوْمَ صَالِ

---

(١) هو الحارث بن غباد (كغراب) في جميع المصادر ، كجمهرة الانساب ص ٣٠٥ ، ٣٢٠ وحيوان الجاحظ ١/٢٢ ، ٣/٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٦/١٠٣ وفي السمط ٧٥٧. وقد ضبطه محقق السمط الأستاذ عبد العزيز الميمني وروى للفرزدق مستشهدا :

أَرَاهَا نجومَ الليل والشمسُ حية   زِحامُ بناتِ الحارث بن عُبادِ

والبيت للفرزدق في ديوانه ١/١٣٤ من قصيدة قالها في زوجه النوار .. وذلك أنه تزوج عليها من بنات الحارث بن عباد فغارت وقالت " تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين".

وللمهلهل في قصيدته الرائعة عندما قتل بجير بن الحارث بن عباد قوله :

هَتَكْتُ به بيوتَ بني عُبَادٍ   وبعضُ القَتْلِ أَشْفَى للصُّدُورِ

ولم يشذ عن ذلك من مصادري غير ذيل الأمالي حيث ذكره في موضعين ٣/٢٦ ، ١٨٥ باسم الحارث بن عباد (كشداد) ، ولست أدري من أين كان الوَهَمُ أمن القالي نفسه أم من محقق الأمالي .

(٢) انظر الأصمعية رقم ١٧ والحيوان ١/٢٢ وحماسة البحتري ص ٣٨ ، ٣٩ والعقد الفريد ـ ط الاستقامة ـ ٦/٦٦ والاغاني ـ ثقافة ٥/٤٠ والسمط ص ٧٥٧

(٣) حيال أن لا تحمل وهي حائل ، والجمع حُولٌ وحُوَّلٌ.

١٣) وحُجْر بن خالد ، وهو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد
ابن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .. بن عكابة بن صعب بن علي
ابن بكر بن وائل.(١) وهو من رهط طرفة بن العبد كما نرى من نسبه
وقد اختار له أبو تمام في حماسته أكثر من مقطوعة، ومنها :(٢)

كُلَيْبِيَّةٌ عَلِقَ الفُؤَادُ بذكرها ... ما إنْ تَزَالُ تَرَى لها أَهْوالا (٣)
وإذا هَلَكْتُ فلا تُريدي عاجِزًا ... غُسًّا ولا بَرَمًا ولا مِعْزَالا (٤)
واسْتَبْدِلي خَتَنًا لأهلِكِ مِثْلُهُ ... يُعْطِي الجزيلَ ويَقْتُلُ الأبطالا (٥)
غيرَ الجديرِ بأن تكون لَقُوحُهُ ... رُبًّا عليه ولا الفَصِيلُ عِيَالا (٦)

١٤) والخِرْنِقُ ، وهي بنت بدر بن هفان بن مالك بن ضبيعة بن
قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.. (٧)
إحدى الشاعرات المشهورات في الجاهلية ، وهي أخت طرفة بن العبد
لأمه ، وكانت تحت بشر بن عمرو بن مرثد ، الشاعر الذي مر بنا ذكره
ومن جيد شعرها قولها ترثي أخاها طرفة :(٨)

عَدَدْنَا له خَمْسًا وعشرين حِجَّةً ... فلما تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمَا
فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا انْتَظَرْنَا إِيَابَهُ ... عَلَى خَيْرِ حِينٍ لَا وَلِيدًا ولا قَحْمَا (٩)

(١) انظر شرح الحماسة - ط بولاق - ١٨٣/١ وحجر (كجرح ونهل)
(٢) انظر شرح حماسة أبي تمام - للتبريزي - طبعة بولاق ١٨٣/١ ، ٣٧٢/٢ ، ٣٩/٢ ، ٤/٢
(٣) كلبية امرأة من كليب جعل صدر البيت للإخبار عنها ، ثم نقل الكلام إلى مخاطبة نفسه.
(٤) الغس الضعيف ، والبرم الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، والمعزال الذي لا ينزل مع القوم في السفر ولكن ينزل ناحيته. يقول لا تطلبي مثلي.
(٥) الختن الصهر ، ومِثْلُهُ مبتدأ وخبره يُعطي.
(٦) غير الجدير صفة للختن ، واللقوح صفة للناقة إذا كان بها لبن. يقول اطلبي لأهلك صهرا غير مستعبد لماله. (يمدح بذلك نفسه).
(٧) انظر ديوانها - بتحقيق الدكتور حسين نصار - ص ١٩ ، وضبط نسبها خرنق (كدعيل والخرنق ولد الأرنب - معجم مقاييس اللغة خرنق) وهفان (بكسر الهاء وفتحها وتشديد الفاء - كعفان).
(٨) نفس المصدر ص ١٩ ، ٢٠
(٩) أي انتظرنا رجوعه من البحرين. والوليد الصغير والقحم المسن الكبير.

١٥) وراشد بن شهاب ، وهو راشد بن شهاب بن عَبَدَة بن عُصَم ابن ربيعة بن عامر بن جُهيل بن ثعلبة بن غبر بن حبيب بن كعب ابن يشكر بن بكر بن وائل، أحد فرسان ربيعة وشعرائها . ومن جيد شعره قوله فيما اختار له المفضل:(١)

وَلَا تُوعِدَنِّي إِنَّنِي إِنْ تُلَاقِنِي ... مَعِي مَشْرَفِيٌّ فِي مَضَارِبِهِ قَضَمْ (٢)

وَنَبْلٌ قِرَانٌ كَالسُّيُورِ سَلَاجِمٌ ... وَفَرْعٌ هَتُوفٌ لَا سَقِيٌّ وَلَا نَشَمْ (٣)

وَمُطَّرِدُ الكَعْبَيْنِ أَسْمَرُ عَاتِرٌ ... وَذَاتُ قَتِيرٍ فِي مَوَاصِلِهَا دَرَمْ (٤)

* * *

١٦) وسعدبن مالك ، وهو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل،(٥) أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية "(٦) وهو جد طرفة بن العبد، وممن ذكرهم ابن سلام كواحد من شعراء ربيعة وهو القائل في يوم قِضَة ، وكان لبكر على تغلب :(٧)

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي ... وَضَعَتْ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَاحُوا

---

(١) انظر المفضلية ٨٦ ، وضبط نسبه هو : عبدة (كشجرة) وعصم (كزُحَل) وجهيل (كسُهيل)، وغبر (كنهلو جُرْح) .

(٢) المشرفي السيف والقضم من السيوف الذي طال عليه الدهر فتكسر حده

(٣) القران المتشابهة ، والسلاجم الطوال واحدها سلجم، والفرع القوس أخذت من أعلى الغصن ، والهتوف ذات الصوت ، والسقي من الأشجار ما شرب من ماء الأنهار ، والذي يشرب من المطر أصلب والنشم شجر خوار (انظر في شرح هذه الأبيات شرح المفضليات ص ٦١٢)

(٤) والمطرد الرمح اذا هز اضطرب كله ، والعاتر الصلب ، والقتير رؤوس المسامير ، وذات قتير يعني درعه ، والدرم الاستواء والمواصل ما يصل بين الحلقتين من الدرع .

(٥) انظر اليعقوبي - بيروت - ٢٦٣/١ (٦) المؤتلف ص ١٩٨

(٧) شرح حماسة أبي تمام - ٢٩/٢ والأغاني - ثقافة - ٣٩/٥ ، والآمدي في المؤتلف ص ١٩٨

والحَرْبُ لايَبْقَى لجاحِمِهَا التَّخَيُّلُ والمِـــرَاحُ (١)
إلاّ الفَتَى الصَّبَّارُ فــى النَّجَدات والفَرَسُ الوَقَـــاحُ (٢)
والنَّثْرَةُ الحَصْدَاءُ والبَيْـضُ المُكَلَّلُ والرِّمَـــاحُ (٣)

* *

١٧) وسويد بن أبى كاهل ، وهو سُوَيد بن أبى كاهل بن حارثة بن حِسْل بن مالك بن عبدسعد بن جُشَم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل.(٤) أحد فحول الجاهلية المعروفين. وضعه ابن سلام فى الطبقة السادسة ، مع عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة بن عمرو بن شداد (٥)

وهو صاحب القصيدة المشهورة :

بَسَطَتْ رابِعَةُ الحَبْلَ لَنَــا فوصَلْنا الحَبْلَ مِنْها ما اتَّسَعْ

---

(١) الجاحم الملتهب أى من كان ذا خيلاء ومرح ثم بلى بالحرب شغلته عن خيلائه ومرحه. وقيل بل لايصبر ذوالخيلاء والمرح على حر الحرب وعلى ذلك يدل البيت الثانى.

(٢) الصبار مبالغة من الصبر ، والنجدات الشدائد ، والفرس الوقاح الشديد الحافر.

(٣) النثرة الدرع الواسعة المحكمة السرد ، والحصداء الجدلاء المحكمة الفتل.

(٤) انظر شرح المفضليات ص ٣٨٢ ، والاغانى - ثقافة -٣/١٠٠ وضبط حسل (كذئب).

(٥) انظر طبقات ابن سلام ص ١٥٢

قال ابن سلام : " وله شعر كثير ، ولكن بَرَّزَت هذه على شعره "(١) وهي التي اختارها له المفضل الضبي فيما اختار ، وقد بلغت عنده مائة وثمانية أبيات وفيها يقول:(٢)

تَمْنَحُ المِرآةَ وَجْهًا وَاضِحًا ... مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي الصَّحْوِ ارْتَفَعْ
لا أُلاَقِيهَا وقَلْبِي عِنْدَهَا ... غيرَ إِلْمَامٍ إِذَا الطَّرْفُ هَجَعْ

١٨) وسُوَيدُ بن خَذَّاق الشَّنِّيُّ ، وهو كما يذكر ابن قتيبة(٣) ، أخو يزيد ابن حذاق الشني أحد الذين اختار لهم المفضل الضبي ، وهو شاعر قديم أيضا ، من بني شَنّ بن أَفْصَى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيّ ابن جديلة ، بن أسد بن ربيعة . كان في زمن عمرو بن هند ، وقد هجاه بقوله :(٤)

أَبَى القَلْبُ أَنْ يَأْتِي السَّدِيرَ وَأَهْلَهُ ... وإِنْ قِيلَ عَيْشٌ بالسَّدِيرِ غَزِيرُ
بهِ البَقُّ والحُمَّى وأُسْدُ خَفِيَّةٍ ... وعَمْرُو بنُ هندٍ يَعْتَدِي ويَجُورُ(٥)

---

(١) طبقات ابن سلام ص ١٥٣
(٢) انظر المفضلية ٤٠
(٣) انظر الشعر والشعراء ص ٣٠٢ وسويد (كسهيل) ، وخذاق (كشداد) والشني نسبة إلى قبيلة شن (بفتح الشين وتشديد النون.)
(٤) نفس المصدر ص ٣٠٣
(٥) الخفية (كالمطية) : غيضة ملتفة يتخذها الأسد عرينه (انظر اللسان خفا) .

١٩) وشَمِرُ بن عمرو الحنفي ، وهو أحد شعراء بني حنيفة بن لجيم ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وهم أهل اليمامة كما عرفنا ومن جيد ما اختار له الأصمعي قوله :(١)

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فمضيت ثمت قلت لايعنيني

وهو البيت الذي جرى على كل لسان

٢٠) وطرفة بن العبد ، وهو موضوع دراستنا ، وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل ، فيما بعد إن شاء الله تعالى.

٢١) وعبد المسيح بن عَسَلَة ، وهو عبد المسيح بن حكيم بن عُفَيْر ابن طارق بن قيس بن مرة ، بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.(٢) وأما عسلة فهي أمه ، وقد نسب إليها . ومن جيد شعره في الفخر قوله :

---

(١) انظر الأصمعية ٣٨ ، وثمت هي ثم تزيد العرب تاء في آخرها فتختص بعطف الجمل، واسم الشاعر شمر (بفتح الشين وكسر الميم) وحنيفة (كقذيفة) ولجيم (كزهير).

(٢) انظر شرح المفضليات ص ٥٥٦ ، والمؤتلف للآمدي ص ٣٣٥ ، وضبط نسب الشاعر هو : عسلة (كبصلة) ، وحكيم (كرحيم) ، وعُفَيْر (بعين مهملة وفاء كزهير) ، ومُرَّة (كدرة وقرة) وهَمَّام (كشداد وجساس).

فيما اختار له المفضل :(١)

وأَنا امرؤٌ من آلِ مُـــرَّةَ إِنْ   أكْلِمْكُمُو لا تَرْقِئُوا كَلْمِـــي

٢٢) وعُقْبَةُ بن سابق الهِزَّاني ، وهو من شعراء بني هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة(٢) ، ومن جيد ما اختار له الأصمعي قوله يصف حصانه :(٣)

حَدِيدُ الطَّرْفِ والمَنْكِـــبِ   والعُرْقُوبِ والكَعْـــبِ(٤)
جوادُ الشَّدِّ والتَّقْرِيـــبِ   والإِحْضَارِ والعَقْـــبِ(٥)
يَزِيْنُ البَيْتَ مَرْبُوطـــاً   وَيَشْفِي قَرَمَ الرَّكْـــبِ(٦)

٢٣) وعلباء بن أرقم ، وهو عِلْبَاءُ بن أَرْقَم بن عوف بن سعد بن عجل بن عتيك بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل.(٧) كان في زمن النعمان بن المنذر . ومن طريف ما يروون عنه أن النعمان كان قد حمى كبشا ، وعلق في عنقه سكينا وزندا ، لينظر من يجترئ عليه ، فذبحه علباء وأكله.(٨) ثم اعتذر للنعمان بقصيدة اختارها له الأصمعي فيما اختار . ومنها يصف تقلب زوجه معه يقول:(٩)

---

(١) انظر المفضلية ٧٢ وشرح المفضليات ص ٥٥٧
(٢) وعقبة (كشعبة وروبة) ، وهزان (بكسر الهاء وتشديد الزاي) ، وصباح (كرباح)، وعتيك (كعتيق)، وأسلم (كأحمد) ، ويذكر (كالمضارع من ذكر) ، وعنزة (كشجرة) .
(٣) انظر الأصمعية رقم ٩
(٤) الطرف العين ، والعرقوب في رجل الدابة بمنزلة الركبة في يدها .
(٥) جواد أي يجود بجريه عند ضروب الجري من شد وتقريب وإحضار وعقب.
(٦) القرم شدة شهوة اللحم ، وإنما يشفي قرمهم بما ينيلهم من الصيد . (٧) علباء (كحرباء) (٨) انظر الاشتقاق لابن دريد ص ٣٤١ (٩) انظر الأصمعية ٥٥

فيومًا تُوافِينا بوجهٍ مُقَسَّمٍ كأنْ ظَبْيَةٌ تعطُو إلى ناضِرِ السَّلَمْ (١)
ويومًا تُرِيدُ مالَنا مع مالِها فإنْ لم نُنِلْها لم تُنِمْنا ولم تَنَمْ

٢٤) وعمرو بن حلزة ، وهو أخو الحارث بن حلزة الشاعر الفحل المشهور (٢) والذي قد تحدثنا عنه سابقا . ومن جيد شعر عمرو هذا قوله يرثي أخاه الحارث المذكور (٣) :

يا أمَنَ الأيامَ مُغترّ بها ما رأينا قطُّ دهرًا لا يخُونْ
والمُلِمّاتُ فما أعجَبَها لِلْمُلِمّاتِ ظُهورٌ وبُطُونْ
رُبَّما قَرّتْ عيونٌ بشجى مُرْمِضٍ قد سَخِنَتْ منه عيُونْ

---

(١) مقسم أي جميل كله من القسام وهو الجمال والحسن (اللسان قسم) ظبية بالحركات الثلاث بالرفع على تقدير ضمير الشأن والنصب على إعمال كأن مخففة والجر على زيادة أن بين الكاف ومجرورها . وتعطو تتناول يتعدى بنفسه وبالحرف والسلم شجر والبيت في اللسان : وارق السَّلَم (اللسان سلم)

(٢) انظر المؤتلف ص ١٢٤ ، ومعجم الشعراء ص ٨

(٣) انظر المصدرين السابقين أيضا .

٢٥) وعمرو بن قميئة ، وهو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد
ابن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .. بن عكابة بن صعب بن علي
ابن بكر بن وائل.(١) أحد فحول الجاهلية المشهورين ، القدماء
قال الجاحظ بأنه " من أقدم الشعراء الجاهليين من عصر مهلهل
ابن ربيعة التغلبي".(٢)

وقد وضعه ابن سلام في الطبقة الثامنة من طبقات الفحول
في الجاهلية.(٣) وكان عمر بن قميئة قد دخل بلد الروم مع امرئ
القيس بن حجر فهلك فقيل له عمرو الضائع" (٤) واياه عنى امرؤ
القيس بقوله :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ — وأَدْرَكَ أَنَّا لاحقان بِقَيْصَرَا

ومن جيد شعره قوله فيما ذكر ابن قتيبة واختار البحتري:(٦)

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدهرِ من حيثُ لا أَرَى — فكيف بمن يُرْمَى وليس برامِ
وأهلكني تَأْمِيلُ ما لستُ مُدْرِكًا — وتأميلُ عامٍ بَعْدَذاك وعامِ

---

(١) انظر الأغاني - ثقافة - ٧٦/٨ ،وقميئة كقبيلة ،وذريح (كزهير)
(٢) البخلاء ص ٣٧٠
(٣) انظر طبقات ابن سلام ص ١٥٩
(٤) الموتلف ص ٢٥٤ وانظر الموشح ص ٣٧
(٥) طبقات ابن سلام ص ١٦٠ والشعر والشعراء ص ٢٩٢
(٦) الشعر والشعراء ص ٢٩٣ ، وحماسة البحتري ص ٣٢١

٢٦) عمرو بن كلثوم ، وهو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب بن سعد بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل.(١) الشاعر الفارس المشهور. وأول فحول الطبقة السادسة من طبقات فحول الجاهلية عند ابن سلام (٢). وهو قاتل عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة - كما مر بنا - وصاحب المعلقة المشهورة.

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَأَصْبَحِينَا ... ولَاتُبقِي خُمُورًا لأَندَرِينَا (٣)

قال ابن قتيبة :" وكان قام بها خطيبا فيما كان بينه وبين عمرو بن هند . وهي من جيد شعر العرب واحدى السبع الطوال" (٤) وهي السادسة عند القرشي والخامسة عند الزوزني والسادسة عند التبريزي (٥)

وفيها يقول

أَلَا لايَجْهَلَنْ أحدٌ علينا ... فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

فان قناتنا ياعمرو أَعْيَتْ ... على الأعداء قبلك أن تَلينا

وأَنَّا المانعون لما أردنا ... وأنا النازلون بحيثُ شِيْنَا

ونشربُ إن وردنا الماءَ صفوًا ... ويشرب غيرنا كَدِرًا وطينا

---

(١) انظر الأغاني - ثقافة ١١/٤٦ والمؤتلف ٢٣٢ وكلثوم (بضم الكاف) ، وعتاب (كشداد)

(٢) طبقات ابن سلام ص ١٥١

(٣) الصحن القدح ، والصبوح شرب الغداة ، والاندرين موضع بالشام

(٤) الشعر والشعراء ص ١٥٩ وانظر القصة في الأغاني - ثقافة - ١١/٤٧-٤٨ والكامل ١/٥٤٨

(٥) وهي السابعة عند أبي جعفر النحاس .

٢٧) وعَمِيرةُ بن جُعَل ، وهو عميرة بن جعل بن عمرو بن مالك بن الحارث بن حُبَيْب بن حُرَقَة بن ثعلبة بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل.(١) أحد شعراء ربيعة الجاهليين أيضا . وان كان ابن قتيبة قد وهم في نسبه فجعله من شعراء ربيعة الاسلاميين.(٢) ومن جيد ما اختار له المفضل الضبي قوله في الوقوف بالاطلال(٣):

ألا يا ديارَ الحي بالبَرَدان(٤) خلت حِجَجٌ بعدي لهن ثَمَانِ
فلم يبق منها غيرُ نُؤْيٍ مُهَدَّمٍ وغيرُ أوارٍ كالرَّكِيِّ دِفَانِ(٥)
وغيرُ حُطُوبات الولائدِ ذَعْذَعَتْ بها الريحُ والأمطارُ كلَّ مكانِ(٦)

٢٨) والفِنْدُ الزِّمَّانى ، وهو شهل بن شيبان بن ربيعة بن زِمَّان بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل.(٧) أحد فرسان ربيعة المشهورين وأبطالها المعدودين. شهد حروب بكر وتغلب ابنى وائل وقد قارب المائة ، فأبلى بلاء حسنا ، والفند لقب غلب عليه لعظم خلقه ، فالفند القطعة من الجبل. أو لأنه قال لاصحابه فى احدى الحروب : استندوا إلىَّ فانى لكم فِنْدٌ . ومما اختاره له

---

(١) انظر شرح المفضليات ص ٥١٨ ، والمؤتلف ص ١١٤ ، وعميرة كجميلة ، وجعل (كزحل) ، وحرقة (بضم الحاء المهملة وفتح الراء - كهمزة لمزة)

(٢) انظر الشعر والشعراء ص ٥٤٣

(٣) انظر المفضلية رقم ٦٤

(٤) البردان موضع.

(٥) النؤى الحاجز حول الخباء. الأوار (بالفتح) جمع آرى ، وهو ماحبس الدابة من وتد ونحوه .والركي (بالفتح) جمع ركية (كبقية) وهي البئر.(انظر اللسان ركا).ودفان مدفونة .

(٦) الحطوبات جمع حطوبة وهى ما احتطب الاماء وجمعن. والولائد الاماء ، وذعذعت فرقت

(٧) انظر شرح الحماسة للتبريزى - طبعة بولاق - ١١/١ ، وانظر السمط ص ٥٧٩ واسمه فيه شهل. قال : وليس فى العرب شهل بشين معجمة غيره " وانظر الاغانى - ثقافة - ٢٥٣/٢٣ كذلك .

أبوتمام من قصيدته المشهورة :(١)

صَفَحْنَا عن بنى ذُهْلٍ وقلنا : القومُ إخوانُ
عسى الأيامُ أن يَرْجِعْنَ قومًا كالذى كانوا
فلما صَرَّحَ الشرُّ وأضحى وهو عُرْيَانُ
ولم يَبْقَ سوى العُدْوان دنَّاهم كما دانوا

هذا وقداختار له أبو تمام شعرا غيرهذا أيضا .(٢)

٢٩) وقتادة بن مسلمة الحنفى ، وهو أحد زعماء بنى حنيفة ، وأحد كرمائهم وشجعانهم . مدحه طرفة بن العبد بقوله :

أبلغ قتادةَ غيرَ سائِلِه منه الثَّوابَ وعاجل الشَّكَمْ

وكان قوم طرفة قد أجدبوا ذات سنة ، فأتوا قتادة فبذل لهم .(٣)
وكانت لقتادة أيضا مواقف فى أيام ربيعة مع تميم ، هاهو ذا يقول فى أحدها :(٤)

---

(١) انظر شرح حماسة أبى تمام للتبريزى -
(طبعة بولاق ١٢/١ - ١٣)

(٢) انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٥١

(٣) انظر الديوان - ديوان طرفة - بشرح الأعلم ص ٩٥ وقدجعله قتادة بن سلمة . ولكن ابن السكيت فى روايته لديوان طرفة (مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٥٢ أدب ش و ٩٦ أدب ش)
والخطيب التبريزى فى شرح حماسة أبى تمام (طبعة بولاق ١٣٦/٢)
قد ذكراه باسمه الصحيح وهو قتادة بن مسلمة .

(٤) شرح الحماسة - طبعة بولاق - ١٣٨/٢

قاتلتهم حتى تكافأ جمعهم والخيل في سبل الدماء تعوم (١)

اذ تتقي بسراة آل مقاعس حد الأسنة والسيوف تميم

ألقى قبلهمو فوارس مثلهم أحمى وهن هوازم وهزيم (٢)

لما التقى الصفان واختلف القنا والخيل في نقع العجاج أزوم (٣)

في النقع ساهمة الوجوه عوابس وبهن من دعس الرماح كلوم (٤)

يمسحن كبشهم بطعنة فيصل فهوى لحر الوجه وهو دميم (٥)

٣٠) والمتلمس ، وهو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد ابن دوفن بن حرب بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة (٦) وهو خال طرفة بن العبد . والمتلمس لقبه ، وقد سمى به لقوله :

فهذا أوان العرض حي ذبابه زنابيره والأزرق المتلمس (٧)

قال ابن قتيبة " وهو من أشهر المقلين في الجاهلية .(٨) وله هو وابن اخته طرفة قصة مع عمرو بن هند ، عرفت بصحيفة المتلمس سيأتي ذكرها فيما بعد ان شاء الله تعالى .

ومن جيد شعره قوله :(٩)

لحفظ المال أيسر من بغاه وضرب في البلاد بغير زاد

وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير على الفساد

---

(١) تكافأ أي انكفأ مهزوما . والسيل ما سال من المطر .

(٢) هوازم وهزيم هازمات ومهزومات

(٣) أزوم جمع آزم والأزم الامساك والعض

(٤) السهوم تغير اللون والدعس الطعن

(٥) الكبش الرئيس ، والحر الكريم .. وقد تغير بعد طعنه .

(٦) انظر جمهرة الانساب لابن حزم ص ٢٩٣ وطبقات ابن سلام ص ١٥٥ والاغاني - ثقافة - ٥٢٤/٣ والموتلف ص ٩٥ ودوفن (كرونق) ، ووهب (كصخر) ، وجلي (كقصي) ، وأحمس (كأحمد)

(٧) طبقات ابن سلام ص ١٥٦ والشعر والشعراء ص ١١٤ والبيان والتبيين ٣٧٥/١ والاشتقاق ص ٣١٧ والديوان ص ١٣٣ والعرض الوادي وواد باليمامة (انظر معجم المقاييس عرض) واللسان (عرض) ومعجم البلدان (عرض) وحي ذبابه أي كثر وجاش لما كثر نبته ، والزنابير مرفوع على أنه بدل من الذبابه والازرق ذباب ضخم اخضر اللون يكون في الرياض .

(٨) انظر الشعر والشعراء ص ١١٥

(٩) انظر ديوانه ص ١٧٢ - ١٧٣ ، وحماسة البحتري ص ٢٤٣

٣١) والمثقب العبدى وهو عائذ بن مِحْصَن بن ثعلبة بن وائلة ابن عَدِىّ بن عوف بن دُهْن بن عُذْرة بن مُنَبِّه بن نُكْرَةَ بن لُكَيْز ابن أفصى بن عبدالقيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.(١) والمثقب لقبه .وقد سمى به لقوله :

أَرَيْنَ مَحَاسِنًا وكَنَنَّ أُخْرَى وَثَقَّبْنَ الوَصَاوِصَ للعُيُونِ (٢)

وهذا البيت من قصيدة جميلة اختارها له المفضل الضبى فيما اختار ومطلعها :(٣)

أفاطمُ قبل بَيْنِكِ مَتِّعِيْنِى ومَنْعُكِ ما سألتُ كأنْ تَبِيْنِى

وفيها يقول:(٤)

فلا تَعِدِى مواعِدَ كاذباتٍ تَمُرُّ بها رياحُ الصَّيْفِ دُونِى

فإنِّى لو تُخالِفُنِى شِمَالِى خِلافَكِ ما وصلتُ بها يَمِينِى

ومن جيد قوله فيها :(٥)

فإما أن تكون أخى بحقٍّ فأعرفَ منك غَثِّى من سَمِينِى

وإلاَّ فاطَّرِحْنِى واتَّخِذْنِى عَدُوًّا أتَّقِيكَ وتتقينى

---

(١) انظر جمهرة الانساب ص٢٩٨ وفيه سبب تسميته بالمثقب وانظر معجم الشعراء ص١٦٧ وعائذ (كفاعل) ،ومحصن(كملعب)،وعدى (كعلى)، ودهن(كنهل) ، وعذرة (كعُمرة وصحبة)، ومنبه(كمعلم) ونكرة (كندرة) ، ولكيز(كزهير).

(٢) انظر فى ذلك طبقات ابن سلام ص٢٧١ والشعر والشعراء ص٣١١ ، وابن الانبارى فى شرح المفضليات ص ٣٠٣ ، ص ٥٧٤ وابن دريد فى الاشتقاق ص ٣٢٩ والبيت فى ديوانه ص ١٥٦ برواية أخرى والوصاوص الثقوب فى البراقع.

(٣) المفضلية ٧٦ وابن قتيبة ص٣١٢ وحماسة البحترى ص٧٩ ومعجم الشعراء للمرزبانى ص١٦٧ والبيت فى ديوانه ص ١٣٦ بخلاف فى رواية عجزه.

(٤) البيتان فى ديوانه ص ١٣٨ ، ١٣٩

(٥) انظر الديوان ص٢١١ ، ٢١٢

قال ابن قتيبة :" وكان أبو عمرو بن العلاء يستجيد هذه القصيدة له ويقول : لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه "[١]

* *

٣٢) والمرقش الأصغر ، وهو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. والمرقش لقبه ، وهو عم طرفة بن العبد ، وابن أخي المرقش الأكبر.[٢] وكان الأصغر أشعرهما ، وأطولهما عمرا . وهو الذي عشق فاطمة بنت المنذر"[٣] اخت النعمان بن المنذر أحد ملوك الحيرة . وبها كان يشبب ، وله معها في شرح المفضليات قصص لا تخلو من الطرافة .[٤] ولها يقول :

أفاطمُ لو أن النساءَ ببلدةٍ   وأنتِ بأخرى لاتَّبعتُكِ هائما

ومن جيد شعره قوله فيها ، وهو مما سبق اليه :

فَمَنْ يَلْقَ خيرًا يَحْمَدِ الناسُ أَمْرَهُ   ومن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائما[٥]

٣٣) والمرقش الأكبر ، وهو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . وهو عم الأصغر كما ذكرنا .[٦] قيل وقد لقب بالمرقش لقوله :

الدارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كما   رَقَّشَ في ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ[٧]

---

(١) الشعر والشعراء ص ٣١١ (٢) انظر الاغاني - دار الثقافة ١٢٩/٦ والمؤتلف ص ٢٨١ ومعجم الشعراء ص ٤ (٣) انظر شرح المفضليات ص ٤٩٣ وانظر في ذلك ايضا الشعر والشعراء ص ١٤٢

(٤) انظر شرح المفضليات ص ٤٩٨ والشعر والشعراء ص ١٤٢

(٥) انظر شرح المفضليات ص ٥٠٣ والشعر والشعراء ص ١٤٣ ومعجم الشعراء ص ٥ والغَيُّ (بالفتح) : الضلال والخيبة ، من غوى (بالفتح) غيا وغوى (بالياء) غواية (كشماتة) : ضل . ورجل غاوٍ وغوٍ وغويٌّ وغَيَّان (اللسان غوى)

(٦) الاغاني - ثقافة - ١٢٧/٦ والمؤتلف ص ٢٨١ ومعجم المرزباني ص ٤ (٧) الاديم : الجلد ، وقيل الجلد المدبوغ . انظر اللسان - أدم .

والمرقش الأكبر أحد عشاق العرب المشهورين، وقد قتله عشقه وصاحبته هى أسماء ابنة عمه عوف بن مالك وبها كان ينسب (١)

ومن جيد شعره قوله فى الفخر بقومه : (٢)

هَلَّا سألتِ بنا فوارسَ وائلٍ ... فلنحنُ أَسْرَعُهَا الى أَعدائِهَا
ولَنَحْنُ أكثرُها إذا عُدَّ الحَصَى ... ولنا فَواضِلُها ومَجْدُلوائِها (٣)

٣٤) ومُرَّة بن هَمَّام ، وهو مرة بن همام بن مرة بن نهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل. (٤) احد شعراء ربيعة القدماء وأحد فرسانها وزعمائها . وعمه جساس بن مرة قاتل كليب المشهور ، والذى هاجت بسبب مقتله حرب البسوسيين أحياء ربيعة كما عرفنا - وقد اختار المفضل لمرة بن همام هذا قصيدة مطالعها :

يا صاحِبَيَّ تَرَحَّلَا وتقرَّبَا ... فلقد أَنَى لمسافر أن يَطْرَبَا

وفيها يصف ناقته بقوله :

وكأنها بِلِوَى مُلَيْحَةَ خَاضِبٌ ... شَقَّاءُ نِقْنِقَةٌ تُبارِى غَيْهَبَا (٥)

٣٥) والمسيب بن علس ، وهو زهير بن علس بن مالك بن عمرو بن قمامة بن عمرو بن زيد بن ثعلبة بن عدى بن ربيعة بن مالك ابن جشم بن بلال بن جماعة بن جلى بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة ابن نزار. (٦) " وانما لقب بالمسيب حين أوعد بنى عامر ابن نهل فقالت له بنو ضبيعة " قد سيبناك والقوم " (٧)

(١) الشعر والشعراء ص ١٣٨ وشرح المفضليات ص ٤٥٧ والاغانى ثقافة ١٣٣/٦

(٢) انظر شرح المفضليات ص ٤٨١

(٣) الفواضل : الايادى الجميلة (انظر اللسان فضل)

(٤) همام (لفظها كشدا دوجساس) انظر جمهرة الانساب ص ٣٠٩ ، ص ٣٢٤ ، ص ٣٢٥ فى خمسة مواضع ، وص ٤٧٠.

(٥) انظر المفضلية ٨٢ وشرح المفضليات ص ٦٠٤ . ولوى مليحة : موضع وخاضب احْمَرَّ بعض جسمها . ويقال للنعامة الانثى والذكر والشقاء الطويلة . والنقنقة النعامة والغيهب الأسود يعنى ذكر النعام . (٦) انظر جمهرة الانساب ص ٢٩٢ وشرح المفضليات ص ٩٤ وجمهرة القرشى (بتحقيق البجاوى) ص ٥٣٩ (٧) طبقات ابن =

ولكن ابن دريد يذكر في اشتقاقه أن المسيب قد لقب بذلك لقوله :

فإنْ سَرَّكُمْ ألا تَؤُوبَ لِقاحُكُمْ غِزارًا فقولوا للمُسَيَّبِ يَلْحَقُ (١)

والمسيب بن علس " من شعراء بكر بن وائل المعدودين ، وخال الأعشى ميمون بن قيس ، وكان الأعشى راويته ". (٢) وقد عده ابن سلام في الطبقة السابعة من الفحول . ومن جيد شعره قوله يمدح بني شيبان : (٣)

وكالشَّهدِ بالرَّاحِ أحلامُهُمْ وأحلامُهُمْ منهما أعْذَبُ
وكالمِسْكِ تُرْبُ مَقَاماتِهِمْ وتُرْبُ قُبُورِهِمُو أطْيَبُ

٣٦) والمفضل النكري ، وهو المفضل بن معشر بن أسحم بن عدى بن شيبان بن سُوْد بن عذرة بن منبه بن نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار (٤)

قال ابن سلام : " فَضَّلَتْهُ قصيدته التي يقال لها المُنْصِفَة . وأولها :

ألَمْ تَرَ أنَّ جيرتنا اسْتَقَلُّوا فَنِيَّتُنَا ونِيَّتُهُمْ فَرِيقُ (٥)

= سلام ص ١٥٦ وشرح المفضليات ص ٩٢

(١) الاشتقاق ص ٣١٦

(٢) الشعر والشعراء ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ، والسمط ص ٣٩

(٣) انظر الشعر والشعراء ص ١٠٧ ـ ١٠٨ وعيون الأخبار ١/ ٣٠٤

(٤) انظر جمهرة الانساب ص ٢٩٩ وضبط نسبه هو : معشر (كملعب) وأسحم (كأحمد) ، وعدى (كعلى) وسود (كذود ولوم وقوم) الخ

(٥) انظر طبقات ابن سلام ص ٢٧٥ ، وفريق : أي متفرقة .

وقد اختارها له الأصمعي فيما اختار ، وفيها يقول :(١)

كأن النَّبْلَ بينهُمْ جَرَادٌ ... تُكَفِّيْهِ شآمِيَةٌ خَرِيقُ (٢)

وَبَسْلٌ أن تَرى فيهم كَمِيًّا ... كَبَا لِيَدَيْهِ إلاَّفِيْهِ فُوقُ (٣)

٣٧) والمُمَزَّق العبدي ، وهو شأْسُ بن نَهَار بن أسود بن جزيل بن حُيَيّ بن عَسَّاس بن حُيَيّ بن عوف بن سَوْد بن عذرة بن منبه بن نُكْرَة ابن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.(٤) وهو صاحب القصيدة التي على القاف التي يقول فيها لعمرو بن المنذر بن عمرو بن النعمان ، وكان هَمَّ بغزو عبد القيس:

فان كنتُ مأكولاً فكنْ خيرَ آكلٍ ... والا فادركْني ولَمَّا أُمَزَّقِ

فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه (٥)

وبهذا البيت سمي الممزق.(٦) قال أبو العباس ثعلب : الممزق أول من ذم الدنيا . قال :

هل للفتى من بناتِ الدهرِ من واقِ ... أم هل له من حِمامِ الموت من راقِ

هَوِّنْ عليك ولاتَوْلَعْ باشفاقِ ... فإنما مالُنا للوارثِ الباقِي (٧)

---

(١) انظر الاصمعية رقم ٦٩

(٢) تُكَفِّيه أى تقلبه . وريح خريق شديدة (اللسان خرق) وشآمية لأن الريح التي تلك صفتها تكون شديدة البرد .

(٣) البسل (كالبحر) : من الاضداد ، وهو الحلال والحرام ، وهنا المقصود به (حرام طبعا) والواحد والجمع والمذكر والمونث فى ذلك سواء انظر اللسان بسل)

(٤) انظر جمهرة الانساب ص ٢٩٩ وشأس (كفأس) ، ونهار (كرماد) وأسود (كأحمد) وجزيل (كعقيل) ، وحيى (كقصي ولؤي) وعساس (كجساس) وعذرة ونكرة (كندرة)

(٥) انظر المؤتلف للامدى ص ٢٨٣

(٦) انظر طبقات ابن سلام ص ٢٧٤ والبيان والتبيين ٣٧٥/١ وجمهرة ابن دريد رقم والاستقاق ص ٣٣٠ والعقد الفريد مطبعة الاستقامة ٢٧٤/٣ وجمهرة الانساب ص ٢٩٩

(٧) انظر شرح المفضليات ص ٦٠٠-٦٠١

٣٨) والمُنَخَّل اليشكري ، وهو المنخل بن مسعود بن عامر بن ربيعة ابن عمرو اليشكري ، نسبة الى بني يشكر بن بكر بن وائل. كان ينادم النعمان بن المنذر ملك الحيرة .(١) وكان ينسب بهند اخت عمرو بن هند(٢) احد ملوك الحيرة أيضا - ولها يقول في قصيدته التي مطلعها :

ان كنتِ عاذلتي فسيري — نحو العراق ولا تَحُوري :
يا هندُ هل من نائلٍ — يا هندُ للعاني الأسيرِ(٣) ؟

قال ابن قتيبة :" وقتله عمرو بن هند"(٤) أما أبو الفرج فقد ذكر أن المنخل كان يتهم بامرأة النعمان بن المنذر ، وهو الذي قتله لذلك.(٥).

وعلى أي حال فقد كان المنخل من تلك الفئة اللاهية من فتيان العرب في الجاهلية ، التي كانت لا تعيش الا للهو والشراب ، وقد مر بنا الحديث في ذلك .

٣٩) المهلهل ، وهو عَدِيٌّ بن ربيعة بن مرة بن هُبَيْرَة بن الحارث ابن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل.(٦) اخو كليب ، وائل بن ربيعة المشهور . والمهلهل خال امرئ القيس بن حجر الشاعر المشهور، وجد عمرو بن كلثوم لأمه (٧) وقد سمي عَدِيًّا لقوله :

---

(١) انظر الاغاني - ثقافة ٢١/٣ والمؤتلف ص ٢٧١
(٢) انظر الشعر والشعراء ص ٣١٧
(٣) انظر الشعر والشعراء ص ٣١٧
(٤) نفس المصدر ص ٣١٨
(٥) الاغاني - ثقافة ٢١/٤
(٦) انظر جمهرة القرشي بتحقيق البجاوي ص ٥٧١ ، وعدي (كعلي) وهبيرة (كشجيرة)
(٧) الشعر والشعراء ص ٢١٥

ضربتْ صدْرَها الى وقالــتْ   يا عديا لقدوقتْكَ الأوَا قِــى (١)

وسمى مهلهلا لأنه أولمن هلهل الشعر أى أرقَّه" (٢) . قال ابن سلام " وانما سمى مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثوب ، وهو اضطرابه واختلافه " (٣)

والمهلهل من أقدم شعراء الجاهلية ، وكان زعيم تغلب فى حربها مع بكر بن وائل لسنوات طوال . وله أشعار فى أيامها المتعددة ، سيأتى عليها الحديث مستقبلا ان شاء الله تعالى .

٤٠) يزيد بن خذاق الشنّى (٤) ، وهو أخو سويد الذى مر ذكره .
ومن قوله مفتخرا وهاجيا فيما اختاره المفضل : (٥)

لن تجْمعُوا وُدّى ومَعْتِبَتِى   أو يُجمَعَ السيفان فى غِمْــدِ (٦)
يأبى لنا أنَّا ذوو أنَــفٍ   وأصولُنا من محتِدِ المَجْــدِ (٧)
أحَسِبْتَنَا لَحْمًا على وَضَــمٍ   أمْ خِلْتَنَا فى البأسِ لانجْدِى (٨)

---

(١) السمط ص ١١١   (٢) الشعر والشعراء ص ٢١٥ والموشح للمرزبانى ص ١٠٦   (٣) انظر طبقات ابن سلام ص ٣٩ وانظر كذلك الموشح للمرزبانى ص ١٠٥   (٤) انظر فى نسبه شرح المفضليات ص ٥٩٣

(٥) انظر المفضلية ٧٨ وشرح المفضليات ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥

(٦) المعتبة (كالمنزلة) ، والمعتبة (كالملحمة) : وهى الموجدة والسخط . وعتب عليه (كضرب) ، يعتب (كيضرب) ويعتب (كينصر) عتبا (كضربا) وعتابا ومعتبة (بالكسر والفتح ومعتبا (كمهربا) ، وتعتّب عليه أيضا : وجد وسخط (انظر اللسان عتب) . والغمد (كالجِل والعجل) : جفن السيف . والجفن (كالدرب) للعين معروف وجمع الغمد أغماد وغمود انظر اللسان غمد ، جفن)

(٧) الانف (كالذهب) : الحمية واباء الضيم . تقول : أنف من الشئ يأنف أنفا (كعجب يعجب عجبا) ، وأنفة أيضا : اذا حمى واستنكف وأبى أن يضام . (انظر اللسان أنف) . والمحتد (كالمجلس) : الأصل (اللسان حتد) .

(٨) الوضم (كالذهب) : كل شئ يوضع عليه اللحم من خشب وغيره ليوقى =

وعودا على بدء نقول : إن شعراء ربيعة في الجاهلية كانوا كثيرين ، وكان كثير منهم من الفحول المجيدين . وقد تناولوا بأشعارهم موضوعات شتى. كان الغزل ، والفخر بالكرم والفروسية والشجاعة على رأس تلك الموضوعات . فقد كان أكثرهم من الفرسان والشجعان.

ولذلك فقد علا بين قبائلهم قدرهم ، وذاع بين بقية العرب ذكرهم ، وسارت مسار الشمس أشعارهم. وفي ذلك الزمان ووسط هذا المهرجان - اذا جاز لنا التعبير - ولد شاعرنا طرفة بن العبد.

* *

= من الأرض . وفي المثل (تركهم لحما على وضم) أي أوجع بهم وذللهم (اللسان وضم).

أيام ربيعة :

سبق أن ذكرنا أن ديوان شعرا العرب ، قد امتلأ بذكر حروبهم ، والحديث عن أيامهم حتى لايكاد يخلو شعر شاعرمنهم من الفخر بما كان منه من شجاعة واقدام ، أوالفخر بما كان من فرسان قبيلته من تضحية وبسالة . بل انه لايكاد يخلو من تحريض على الأخذ بالثأر ، أورثاء للشجعان الذين سقطوا فى تلك الحروب ، أو هجاء لأعداء القبيلة أو للذين خذلوها عندما نزلت بها الخطوب ، أو أرغمت على خوض الحروب .

هذا وقد ذكرنا أيضا أن تلك الأيام قد تشعبت وكثرت حتى امتلأت بها كتب التاريخ ، ذلك أنها قد غطت عصر الجاهليين كله . وأنها قد تفرعت حتى شملت عرب الجزيرة كلهم من الشمال الى الجنوب ، وخرجت الى من جاورهم من الشعوب . فكانت للعرب مع الفرس أيام ، وكانت للقحطانيين مع العدنانيين أيام . كما كانت لكل قبيلة أيام مع القبائل الأخرى ، وأيام كانت بين بطونها أنفسهم .

والذى يعنينا أن نشير اليه هنا ، هو الأيام التى تهم ربيعة ، سواء أكانت بينها وبين الفرس ، كيوم ذى قار المشهور أم كانت بينها وبين القبائل الأخرى ، كتلك الأيام التى كانت بينها وبين تميم ، أم كانت بينها ذاتها ، بين بطونها أنفسهم .. كتلك الأيام التى كانت بين بكر وتغلب ، وهما أكبر حيين فيها ، والتى عرفت بحرب البسوس .

فأما يوم ذى قار ، فقدكان بين جيوش من الفرس ومن عاونهم من العرب ، وبين بنى بكر بن وائل . وقدكان فى موضع يعرف بحنو ذى قار ، وهو على مسيرة ليلة من ماء لبنى بكر بن وائل فى مساكنهم

بأطراف العراق ، قريب من الكوفة [١] . وقد أفاضت المراجع التاريخية والأدبية في الحديث عن ذلك اليوم . وذلك لما تجلى فيه من فنون الحرب وحيلها ، وضروب البطولة وأشكالها . ولما قيل فيه من الحكم والامثال والاشعار التي ذاعت بين الناس وانتشرت فيهم أيما انتشار . [٢]

وملخص ذلك اليوم أن النعمان بن المنذر ، آخر ملوك الحيرة من المناذرة ، أيام الفرس كان قد غضب عليه كسرى [٣] ، فقرر أن يتخلص منه . فلم يجد النعمان من يترك عنده حريمه وودائعه غير هانئ بن مسعود الشيباني ، سيد بني شيبان من بكر بن وائل ، فقبل الوديعة . ثم سار النعمان الى كسرى ليعتذر له ، ولكنه أمر بقتله . ثم ولى مكانه على الحيرة إِيَاسَ بن قَبِيْصَةَ الطائي وطلب منه أن يجمع ماخلفه النعمان فيرسله اليه .

وأبى هانئ بن مسعود أن يفرط في الوديعة ، فغضب كسرى وقرر استئصال بكر بن وائل . قال ابن الأثير : " وعنده النعمان بن زُرْعَةَ التغلبي ، وهو يحب هلاك بكر . فقال لكسرى : أمهلهم حتى يقيظوا ويتساقطوا على ذي قار تساقط الفراش في النار . فتأخذهم كيف شئت ". [٤]

ثم سير كسرى من جيوشه وجيوش القبائل العربية عنده ، كتغلب واياد وقضاعة وغيرهم ـ الى بني بكر بن وائل في ذي قار مالاقبل لهم به من الفرسان . وعلى رؤوسهم عدد من الأبطال المشهورين كالنعمان بن زرعة التغلبي ، واياس بن قبيصة الطائي ، وخالد بن يزيد البهراني . وذلك عدا مرازبة الفرس وأبطالهم .

---

(١) انظر معجم البلدان (قار) (٢) انظر في يوم ذي قار : النقائض ط أوربا ـ من ص ٦٣٨ ـ ٦٤٨ وتاريخ الطبري ـ ط دار المعارف ٢/١٩٣ـ ٢١٢ والعقد الفريد ـ ط الاستقامة ـ ٦/٩٦ـ١٠٢ والاغاني ـ دار الثقافة ٢٣/٢٢٠ـ٢٤٢ ومعجم البلدان (قار) والكامل ـ بيروت ـ ١/٤٨٢ـ٤٩٠ .

(٣) هو كسرى أبرويز كما ذكر الجاحظ في الحيوان ٤/٣٧٧

(٤) الكامل ١/٤٨٨ (ط بيروت) ، وانظر كذلك الاغاني ـ دار الثقافة ٢٣/٢٢٦ .

أما بنو بكر بن وائل فقد ولوا عليهم حنظلة بن ثعلبة ابن سيار العجلى . وكان من مساعير الحرب ودهاتها .

قيل فلما التقى الجمعان ، وتقارب الزحفان ، قام خطباء بنى بكر بن وائل وزعماؤهم ، يحرضونهم على القتال ،ويحضونهم على الصبر فى مقارعة الأبطال ، بكلمات وأحاديث صارت مضرب الأمثال .

فأما هانئ بن مسعود فقال: " يا قوم ، مُهْلَكٌ مقدور ، خير من مَنْجًى مَغْرور . ان الجزع لايرد القدر ، وان الصبر من أسباب الظفر . المنية خير من الدنية ، واستقبال الموت خير من استدباره فالجد الجد ، فما من الموت بد "(١) . وأما حنظلة بن ثعلبة فقد قطع وُضُن النساء أى حزم هوادجهن ،فسقطن على الأرض ، ثم قال : "ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته "(٢) فسُمى مقطع الوضن . ثم ضرب على نفسه قبة ، وأقسم ألا يفر حتى تفر القبة .(٣) وحتى نساء القوم كن فى ذلك اليوم شديدات الحماس للانتصار ، يحمسن الفرسان بالأناشيد والأشعار . وقد سُمعت احداهن تنشد :(٤)

إِنْ تَهْزِمُوا نُعَانِقْ ... وَنَفْرِشْ النَّمَارِقْ
أَوْتُهْزَمُوا نُفَارِقْ ... فِرَاقِ غَيْرِ وَامِقْ

---

(١) العقد الفريد ـ الاستقامة ـ ٩٨/٦ وانظر الاغانى ٣٣١/٢٣ (ط دار الثقافة).

(٢) العقد الفريد ـ الاستقامة ٩٨/٦ . وانظر الأغانى ـ ثقافة ٣٣٢/٢٣ والكامل ـ بيروت ـ ٤٨٩/١

(٣) انظر المصادر السابقة فى نفس الأمكنة

(٤) انظر النقائض ـ ط أوربا ص ٦٤١ . وفى الأغانى ـ دار الثقافة ٢٥٤/٣ أن التى قالت هذين البيتين ـ فى يوم قضة ـ هى بنت الفند الزمانى .

ثم التقى الجمعان فاقتتلوا قتالا شديدا ، ضربت فيه فرسان بكر ابن وائل أمثلة رائعة في صبر أهل الحق وان كانوا قليلين أمام الكثرة المعتدين. قال ابن عبدربه : " ثم ضرب الله وجوه الفرس فانهزموا "(١)

قيل فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ظفر ربيعة بجيش كسرى قال : هَذا أولُ يومٍ انتصف فيه العربُ من العجمِ ، وبى نُصِروا "(٢) وقد أفضنا الحديث في يوم ذى قار هذا ، وذلك لنضرب مثلا للحروب التي كانت تقع بين العرب وبين غيرهم من الشعوب قال ابن الأثير " وقد قال الشعراء في وقعة يوم ذى قار فأكثروا "(٣)

وكانت هناك أيام بين القحطانيين والعدنانيين كما ذكرنا ومنها يوم أوارة الأول وأوارة اسم جبل أو ماء لبني تميم بناحية البحرين.(٤) وقد انتصر فيه المنذر بن امرئ القيس ، المشهور بابن ماء السماء ، على بني بكر بن وائل.(٥) وكان المنذر قد بعث اليهم "يدعوهم الى طاعته فأبوا ذلك" ... فسار اليهم في جموعه فالتقوا بأوارة فاقتتلوا قتالا شديدا ، وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر".(٦)

ومنها يوم خزاز ، وقد كان بين القحطانيين والعدنانيين أيضا. وخزاز جبل على طريق البصرة الى مكة. وقعت عنده وقعة ذلك اليوم وكانت لمَعَدّ على مَذْحِج.(٧)

---

(١) العقد الفريد ـ الاستقامة ٩٨/٦

(٢) انظر الحيوان ٢٧٧/٦ والاغانى ـ ثقافة ـ ٣٣٦/٢٣ والكامل ـ بيروت ـ ٤٨٢/١ (٣) انظر الكامل ـ بيروت ـ ج١ ص٥٥٢ ـ ٥٥٣.

(٤) معجم البلدان (أوارة). (٥) انظر في يوم أوارة الكامل لابن الاثير ـ بيروت ٥٥٢/١ ـ ٥٥٣ (٦) الكامل ٥٥٣/١

(٧) انظر في يوم خزاز العقد الفريد الاستقامة ـ ٨٤/٦ ـ ٨٥ ، ومعجم البلدان (خزاز) ، والكامل لابن الاثير ـ بيروت ـ ٥٢٠/١ ـ ٥٢٢.

وملخص ذلك اليوم أن ملكا من ملوك اليمن كان في يده أسارى من معد ، فسار اليه وفد من وجوههم ليفتدوا أسراهم ، فاحتبس بعضهم كرهائن ، وقال للباقين: " ايتوني برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي ، والا قتلت أصحابكم ".(١) فاجتمعت معد على كليب (وائل) بن ربيعة ، وسار بهم لقتال مذحج أهل اليمن فلما بلغهم اجتماع معد ، ساروا اليهم بمن يليهم من أهل اليمن .

وكان كليب قد قدم على مقدمته رجلا من بني تغلب اسمه سلمة ابن خالد ، وشهرته السفاح التغلبي ، وأمره أن يوقد فوق خزاز نارا لتهتدي بها جموع معد ، فان داهمه الأعداء فليوقد نارين. ووصلت مذحج الى خزاز ليلا ، فأوقد السفاح نارين، ورأى كليب ذلك فصبحهم بمن معه . فاقتتلوا اقتتالا شديدا ثم انهزمت مذحج وانفضت جموعها . وفي ذلك يقول السفاح التغلبي:(٢)

وليلةَ بتُّ أُوقِدُ في خَزازٍ ... هَدَيْتُ كتائبًا مُتَحَيِّراتِ
ضَلَلْنَ من السُّهادِ وكُنَّ لولا ... سهادُ القومِ أَحْسَبُ هادياتِ

وفي ذلك أيضا يقول عمرو بن كلثوم :(٣)

ونحن غداة أُوقِدَ في خزازى ... رَفَدْنا فوق رِفْدِ الرّافدينا
بنا اهتدت القبائلُ من معد ... بِنَارَيْنَا وكنا المُوقِدينا

---

(١) الكامل - بيروت - ١/٥٢١

(٢) انظر معجم البلدان (خزاز) وابن الاثير - بيروت - ١/٥٢١

(٣) انظر في ذلك معلقة عمرو بن كلثوم (في جمهرة القرشي (بتحقيق البجاوي) ص ٣٥٧ . وانظر معجم البلدان (خزاز) . وانظر شرح الزوزني ص ٢٥٦ ، ولم يرو الثاني منهما والرفد (كالضرب) الاعانة (مصدر رفد) والرفد (كالجسم) : الاسم .

ثم كانت بين ربيعة وبين تميم أيام كثيرة ، فكانت تدور سجالا بينهم ، فهى مرة لتميم ومرة لربيعة . وقد كان فيها من الغزو والقتل والأسر ، والسلب والنهب ما أسهب فى ذكره الرواة كما كان فيها من الأشعار والمراثى والمفاخرات ما تضيق عن حصره هذه الصفحات ولا بأس من ذكر تلك الأيام هنا ولكن بايجاز شديد ، ففى مصادرها الغَناء لمن يريد أن يستزيد .

فمن تلك الأيام يوم الوَقيط ، وكان لبكر على تميم .(١) ويوم النِّباج وثَيْتَل ، وكان لتميم على بكر .(٢) ويوم فَلْج ، وكان لبكر على تميم .(٣) وفيه يقول ابن الأثير : "فانهزمت تميم ، وبلغت بكر بن وائل منها ما أرادت"(٤).

---

(١) الوقيط (كالخليل) ، المكان الصلب الذى يتجمع فيه الماء وانظر فى يوم الوقيط النقائض بتحقيق الصاوى ٢/ ١٣ ، والعقد الفريد ـ الاستقامة ـ ٦/ ٣٨ ، ومعجم البلدان (وقيط) والكامل بيروت ـ ١/ ٦٢٨ .

(٢) النباج (كالنعاج) موضع قريب من البصرة . وثيتل (كخيبر) ماء قرب النباج ، وانظر فى يومهما النقائض أوربا ص١٠٢٣ والعقد الفريد ـ الاستقامة ـ ٦/ ٤٠ ومعجم البلدان (تيثل ونباج) والكامل ـ بيروت ـ ١/ ٦٥٠ .

(٣) فلج (كشمس) موضع ، وانظر فى يوم فلج ابن الأثير ١/ ٦٥٢

(٤) نفس المصدر .

ويوم جَدُود ، وكان لتميم على بكر. (١) ، ويوم زَرُود ، وكان لتميم على بكر كذلك (٢) ويوم ذى طُلُوح ،وكان لتميم على بكر أيضا (٣) ويوم الإِيَاد ، وكان أيضا لتميم على بكر. (٤)

أما يوم الغَبِيْط ، فكان لبنى شيبان من ربيعة على تميم (٥)، وكذلك كان يوم قُشَاوة لشيبان على تميم. (٦) وكان يوم زُبَالة أيضا لشيبان على تميم. (٧) وكان يوم مُبَايِض أيضا لشيبان على تميم (٨). وأما يوم عَاقِل فكان لتميم على ربيعة. (٩) ثم كان يوم الشَّيِّطَيْن لبكر على

(١) جدود كثمود . اسم موضع فى أرض بنى تميم . وانظر فى يوم جدود النقائض بتحقيق الصاوى ـ ١٣١/١ ، ٣٢/٢ وشرح المفضليات ص ٧٤٠ والعقد (استقامة) ٤٩/٦ والكامل بيروت ٦١٠/١.

(٢) زرود اسم جبل وانظر فيه العقد ـ استقامة ٤٢/٦ ومعجم البلدان (زرود) وضبطه كجرور.

(٣) طلوح ـ كدروع ـ موضع لبنى يربوع كأنه جمع طلح (ياقوت طلوح) وانظر فى يوم ذى طلوح النقائض ط أوربا ص ٤٧ ، والعقد (استقامة) ٤٢/٦ والكامل ٦٣٧/١.

(٤) الاياد (بالكسر كالعباد) موضع لبنى يربوع (ياقوت اياد) وانظر فى يوم الاياد: النقائض ـ بتحقيق الصاوى ـ ٢٧١/٢ والعقد استقامة ـ ٤٥/٦ والكامل ٦١٢/١. وانظر فيه كذلك معجم مقاييس اللغة لابن فارس (أفق).

(٥) انظر فى يوم الغبيط (وهو اسم واد): النقائض ط اوربا ص ١٠١٩، ٧٥ والعقد استقامة ٤٧/٦ ومعجم البلدان (غبيط) وابن الأثير فى الكامل بيروت ـ ٥٩٨/١.

(٦) انظر فى يوم قشاوة (وهى أرض وضبطها كسراقة وثمالة وخرافة) : النقائض بتحقيق الصاوى ـ ٢٠ ومعجم البلدان (قشاوة) والكامل بيروت ٥٩٦/١.

(٧) زبالة كقشاوة وسراقة وقحافة ـ منزل معروف بطريق مكة الى الكوفة ـ وانظر فى يوم زبالة : النقائض ـ ط أوربا ص ٦٨٠ ، ومعجم البلدان (زبالة) والكامل ـ بيروت ـ ٦٠٠/١.

(٨) انظر فى يوم مبايض (كمراسل ومغامر ـ موضع): العقد الفريد ط الاستقامة ـ ٥٦/٦ ومعجم البلدان (مبايض) والكامل بيروت ٦٠٢:١

(٩) عاقل اسم واد وانظر فيه معجم البلدان (عاقل).

تميم. (١) وكذلك كان يوم الزورين لبكر على تميم. (٢)

ومن طريف ما روى فى ذلك اليوم ان تميما جاءوا بجملين مجللين مقرونين مقيدين ، وجعلوهما بين الصفين ، وقالوا هذان زورانا - أى إلهاهم ، لانفر حتى يفر هذان البعيران. (٣) فلما رأى عمرو بن مسعود بن قيس الشيبانى ، ذلك ، وهو الاصم الشاعر الذى مر بنا ذكره . وكان رئيس بكر بن وائل فى ذلك اليوم قال "أنا زويركم" . ثم برك بين الصفين وقال: قاتلوا عنى ولاتفروا حتى أفر. (٤)

ثم اشتد بين الفريقين القتال ، ونال كل منهم من صاحبه كل منال ، حتى انهزمت تميم وقتل منهم ناس كثير . وأخذت بكر ابن وائل البعيرين ، فذبحوا واحدا واستحيوا الآخر. (٥)

---

(١) الشيطان (مثنى شيط كُثَيِّب وطَيِّب) ، وهما واديان لبنى تميم وانظر فى يوم الشيطين: النقائض - ط أوربا - ص ١٠٢ والعقد الفريد - الاستقامة - ٥٥/٦ والكامل بيروت - ٦٥٤/١.

(٢) الزور (كالبوص والبوم والسوق) كل شىء يتخذ ربا ويعبد من دون الله تعالى (اللسان زور) وانظر فى يوم الزورين: العقد الفريد - استقامة - ٥٣/٦ والكامل - بيروت ٦٠٤/١ واللسان (زور).

(٣) انظر الكامل بيروت - ٦٠٥/١ والعقد الفريد الاستقامة ٥٤/٦ ، وروايته "لانولى حتى يولى هذان الجملان".

(٤) انظر المصدرين السابقين وانظر كذلك اللسان زور.

(٥) عبارة اللسان (وتُرِكَ الاخر يَضْرِبُ فى شَوْلِهم)

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم.(١) فمن فرح بالنصر ، مكثر من الفخر ، ومن راث لقتلاه ، محض على افتداء أسراه . وفي ذلك يقول الأغلب العجلي راجز ربيعة المشهور:(٢)

جاءُوا بزُوَرَيْهِمْ وجئنا بالأَصَمْ شيخ لَنا قدكان من عهد إِرَمْ
يَكُرُّ بالسيف إذا الرمح انْحَطَمْ كهمَّةِ اللَّيْثِ إذا ما الليث هَمْ(٣)

تلك أمثلة للأيام التي كانت بين ربيعة وغيرها من القبائل وخاصة قبيلة تميم ، ولعل تجاور القبيلتين في المساكن ، واشتراك بطونهما في المراعي ، وعيون الماء ، وتنافسهما على كسب ود ملوك الحيرة ، والفوز بالحظوة عندهم .. وغيرَ ذلك .. كان من أسباب كثرة تلك الأيام.(٤)

أما الأيام التي كانت بين بطون ربيعة بعضهم البعض ، فان أشهرها حرب البسوس التي مر بنا طرف من أخبارها . وقد كانت بين بكر وتغلب ابني وائل بن ربيعة . وقد هاجت بسبب مقتل وائل بن ربيعة التغلبي ، المشهور بكليب . على يد جساس بن مرة البكري . ثم دامت أربعين سنة لاتنطفئ لها نار ، ولايسكت لها أوار .

وكان الذي اشتهر من تلك الحرب ستة أيام ، هي يوم النَّهْي

---

(١) الكامل - بيروت - ٦٠٥/١

(٢) هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة بن دُلَف بن جُشَم بن قيس ابن سعد بن عجل بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. قال الآمدي: وهو أرجز الرجاز وأرصنهم كلاما ، وأصحهم معاني. (انظر المؤتلف ص ٢٣).

(٣) كر يكر (من باب رد يرد) اذا رجع وعطف

(٤) هناك أيام بين ربيعة وغير تميم من القبائل ولكنها قليلة ليس لها في المصادر ذكر يستقي أو خبر ينتقى .. منها مثلا يوم الشَّقِيْقة وكان لضبة على شيبان. (انظر الكامل - بيروت - ٦١٣/١)

وكان لتغلب على بكر.(١) ويوم الذَّنائِب ، وكان لتغلب على بكـــر أيضا .(٢) • وفيه يقول مهلهل بن ربيعة التغلبى الشاعر الذى مر بنا ذكره :

فلو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيْـــبٍ فيُخبَرَ بالذنائب أىَّ زِيْرِ (٣)

أى أى زير أنا •• وذلك أن كليبا ـ وهو أخوه ـ كان يعيره فيقول انما أنت زير نساء.(٤) فهاهو ذا يفتخر له بالنصر الذى أحرزه على بنى بكر بن وائل الذين قتلوه • وذلك فى قصيدة طويلة مطلعها :

أَلَيْلَتَنَا بذى حُسُمٍ أَنِيـرِى إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَاتَحُورِى (٥)

ثم كان يوم واردات أيضا لتغلب على بكر (٦) • وفيه يقول مهلهل أيضا :

وانِّى قد تركتُ بواردات بُجَيْرًا فى دمٍ مثلِ العَبِيـــرِ
هَتَكْتُ به بيوتَ بنى عُبَادٍ وبعضُ القَتْلِ أشفَى للصــدورِ (٧)

وذلك أن الحارث بن عباد ، الشاعر الذى مر بنا ذكره ، وأحد زعمـــاء بكر بن وائل • كان قد اعتزل القتال وأرسل ابنه الى المهلهـــــــل فى الصلح ، فقتله المهلهل وقال فيه ما قال• قيل فلما بلغ أباه مقتله قال : " نعم القتيل قتيلا أصلح بين بكر وتغلـــب " (٨) ولكـن

---

(١) النهى الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء ، والجمع أَنْهٍ وأَنْهَاء ونُهِىٌّ ونِهَاء (اللسان نهى) وانظر فى يوم النهى: العقد الفريد الاستقامة ـ ٦٣/٦ ، والكامل ـ بيروت ـ ٥٣٢/١ •

(٢) الذنائب قرية فيها قبر كليب (معجم البلدان ذنائب) ، وانظر فى يوم الذنائب :العقد الفريد ـ الاستقامة ـ ٦٣/٦ والكامل ـ بيروت ـ ٥٣٢/١ •

(٣) انظر أمالى القالى ٢٤/١ ، ١٣٧/٢ والاغانى ـ ثقافة ـ ٣٢/٥ ومعجم البلدان (ذنائب) (٤) انظر أمالى القالى ٢٤/١

(٥) ذو حسم (بالضم) موضع بالبادية (اللسان حسم) والحَوْرُ (كالقول) الرجوع • (٦) واردات (فى معجم البلدان ـ واردات) موضع على يسار طريق مكة وأنت قاصدها • وانظر فى يوم واردات : العقد الفريـــد استقامة ٦٤/٦ والاغانى ـ ثقافة ـ ٣٥/٥ ومعجم البلدان ـ واردات ـ والكامل ـ بيروت ـ ٥٣٢/١ •

(٧) انظر امالى القالى ١٣١/٢ ، ١٣٢ والأغانى ـ دار الثقافة ٤٥/٥

(٨) امالى القالى ١٣١/٢ وانظر كذلك الاغانى ـ ثقافة ـ ٣٥/٥

المهلهل تجاوز الحد ، وتابع الحرب ، فكان يوم عُنَيْزَة بين الحيين حيث تكافئا فيه.(١) ثم كان يوم القُصَيْبَات ، وكان لتغلب على بكر.(٢)

حتى كان يوم قِضَّة ، وهو يوم تحلاق اللحم الذي مر بنا خبره. فكان أشهر تلك الايام كما كان آخرها . وفيه انتصرت بكر على تغلب(٣)

ومن طريف ما كان فيه ، أن جَحْدَر بن ضبيعة من بكر بن وائل وكان قومه قد أمروا رجالهم بحلق لممهم ليعرف بعضهم بعضا - كما مر بنا - فقال جحدر : "أنا قصير فلا تشينوني . وأنا أشتري لمتي منكم بأول فارس يطلع عليكم" فطلع ابن عَنَّاق أحد فرسان بني تغلب ، فشد عليه جحدر فقتله ، ثم ارتجز فقال :

رُدُّوا عَلَيَّ الخيلَ إنْ أَلَمَّتِ إنْ لَمْ أُقَاتِلْهُمْ فَجُزُّوا لِمَّتِي(٤)

تلك هي أمثلة من أيام ربيعة ، بل انها أمثلة من أيام العرب التي شغلت أولئك القوم في ذلك العصر . فكنت لا تكاد تراهم الا لها يعدون ويستعدون . ولا تكاد تسمعهم الا بأخبارها يتسامرون ويتفاخرون

---

(١) عنيزة (كجهينة) من أودية اليمامة ، وقرى عنيزة بالبحرين (معجم البلدان عنيزة/ . وانظر في يوم عنيزة : العقد الفريد الاستقامة - ٦٤/٦ والاغاني - ثقافة - ٣٥/٥ والكامل بيروت ١/٢٣٥

(٢) القصيبات تصغير القصبات من قرى اليمامة - ياقوت - قصيبة - وانظر في يوم القصيبات الاغاني - ثقافة ٣٦/٥ ، والكامل - بيروت ١/٢٣٥

(٣) انظر في سبب تسميته بذلك ص ٥٦ من بحثنا هذا . وانظر في يوم قضة (كقطة) العقد الفريد - الاستقامة ٦٦/٦ ، والاغاني - ثقافة ٣٦/٥ ، ومعجم البلدان (قضة) ، والكامل - بيروت - ١/٥٣٥.

(٤) ألمت أي اجتمعت ، واللمة بالكسر شعر الرأس ، (انظر اللسان لمم) ، والجز للصوف والشعر وغيره .. (وهي من باب رد يرد) =

نعم ، ولقد أغنت هذه الأيام ديوان شعرهم في الجاهلية بما كانت تجود بهم قرائح الشعراء وتلهج ألسنتهم من المدائح والمراثي ، والمهاجاة والمفاخرات ، وليس ما ذكرناه هنا للمهلهل وغيره ، إلا أمثلة يسيرة ، على ما قيل في تلك الأيام من أشعار كثيرة .

* * *

تلك هي ربيعة قبيلة طرفة بن العبد ، وتلك هي أنسابها ومساكنها ودياناتها وأيامها ، وأولئك هم نفر من شعرائها .

فمن هو طرفة بن العبد نفسه .. وما موقعه منها .. وما هي قصة حياته وموته ..

هذا ما ستجيب عنه بمشيئة الله تعالى صفحات الفصل القادم .

* *

= (اللسان جزز) . وانظر البيت في شرح حماسة أبي تمام ـ ٢/٣٣، والأغاني دار الثقافة ـ ٥/٣٧ ، والكامل ـ بيروت ـ ١/٥٣٦

الفصل الثالث

حياة طرفة

المبحث الأول : اسمه وكنيته ونسبه

المبحث الثاني : مولده ونشأته ومذهبه في الحياة

المبحث الثالث : علاقته ببلاط الحيرة ونهايته

الفصل الثالث
حياة طرفة

المبحث الأول : اسمه وكنيته ونسبه وأسرته :

هو عُبيد بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ،كما أورد محمد بن حبيب[(١)] في كتابه ألقاب الشعراء.[(٢)] وأما لقب طرفة فقد جاءه من بيت شعر قاله . قال محمد بن حبيبَ : " وطرَّفه قوله :

لا تَعْجَلا بالبكاء اليوم مُطَّرِفَـا ... ولا أميريكما بالدار إذ وَقَفا[(٣)]

والشعراء الذين لقبوا بأبيات شعر قالوها - في الجاهلية - كثيرون .ليس هنا مجال حصرهم. ولكن منهم على سبيل المثال من ربيعة غير طرفة أفنون التغلبي ،والمتلمس خال طرفة ،والمثقب العبدى ،والمرقش الاكبر والمسيب بن علس ،والممزق العبدى ،وغيرهم. وقد روينا لهم عند الحديث عنهم في الفصل السابق - أبياتهم التى لقبوا بسببها - بهذه الالقاب .

وقد اختلف الباحثون في كنية طرفة بن العبد ،فهي عند محمد

---

(١) محمد بن حبيبَ منسوب الى امه (حبيبه) ولذلك لا يصرف - انظر معجم الأدباء ١٨ / ١١٢ ،وستأتي ترجمته في الفصل الاول من الباب الثانى من هذا المبحث عند الحديث عن رواة ديوان طرفة.

(٢) ألقاب الشعراء ص ٣٢٠ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٢١ . وانظر كذلك معجم الشعراء ص ٥ ومعاهد التنصيص ١ / ٣٦٤ ،وشرح شواهد المغنى للسيوطي ص ٣٢٢ . والبيت في ديوان طرفة ص ١٧٦ .

بن حبيب فى (كنى الشعراء) : "أبواسحق" (١) . وهى عند أبى عثمان الاشناندانى فى (معانى الشعر) : "أبوعمرو" (٢) . وهى عند المرزبانى فى (معجم الشعراء) : "أبو اسحق" ، و "أبوسعد" ، و "أبو عمرو" والاخيرة نقلا عن ابن دريد .(٣)

وكذلك اختلف الباحثون فى اسم طرفة الاول ، فقد ذكره معظمهم باسم طرفة . وذكره بعضهم بأسماء أخر . فهوعند محمد بن حبيب "عُبيد" . (٤) وهوعند ابن قتيبة "عمرو" (٥) وهوعند المرزبانى "عمرو" أيضا قال : "ويقال مَعْبَد" . وعنده عن أبى سعيد السكرى "عُبيد" .(٦)

ولما كان بعض الباحثين قد ذكر بأن كنية طرفة "أبوعمرو" كما رأينا فان المخرج من هذا الاختلاف هوالقول بأن بعضهم قد خلط بين اسمه وكنيته ، والله أعلم . أما مَعْبَد ، فليس من أسماء طرفة على أى حال ، اذ أن الكثيرين قد ذكروا بأن طرفة كان له أخ يقال له معبد بن العبد .(٧)

ثم ان الباحثين يتفقون فى بقية نسب طرفة ، ولكنهم يتفاوتون فى عدد الاجداد الذين يذكرونهم . ولعل يعقوب بن السكيت فى روايته لديوان

---

(١) كنى الشعراء ص ٢٢٨ .
(٢) معانى الشعر ص ١٦٠
(٣) انظر معجم الشعراء ص ٥
(٤) القاب الشعراء ص ٣٢٠
(٥) الشعر والشعراء - دار المعارف - ١/ ١٨٥ (٦) معجم الشعراء ص ٧
(٧) انظر جمهرة الانساب ص ٣٠٠ ، ومعاهد التنصيص ١/ ٣٦٦ ، وانظر شرح الاعلم للبيت ٧١ من المعلقة بالديوان ص ٣٨ .

طرفة ، والهمداني في تاريخه الاكليل ، والزوزني في شرح المعلقات السبع ، والتبريزي في شرح القصائد العشر ، هم من بين الباحثين الذين ذكروا سلسلة كاملة لنسب طرفة بن العبد . فهو عندهم : "طرفة ابن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان" (١) .

أما ابن سلام (٢) ، وابن حبيب (٣) ، وابن قتيبة (٤) ، وأبو عثمان الاشنانداني (٥) ، وأبو زيد القرشي (٦) ، وأبو بكر بن دريد (٧) ، والآمدي (٨) والمرزباني (٩) ، وابن حزم (١٠) ، والاعلم الشنتمري (١١) ، وغيرهم من العلماء والمؤرخين والباحثين ، فقد تفاوتوا في ذكر أجداد طرفة فبعضهم يذكرهم الى سعد بن مالك ، وبعضهم الى قيس بن ثعلبة ، وأكثرهم الى بكر بن وائل .

أما العبد بن سفيان والد طرفة بن العبد ، فاني لم أجد في مصادر بحثي أي ذكر له ، اللهم الا نتفا من الاخبار عند بعضهم ، كقول أبي يوسف يعقوب بن السكيت في روايته لديوان طرفة : "كان أبو طرفة قد مات

---

(١) انظر ابن السكيت ظهر ورقة ١ في كلتا النسختين ، واكليل الهمداني ٨ / ٢٣١ وشرح الزوزني ص ٤٣ وشرح التبريزي ص ٥٦

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء - ص ١٢٧ .

(٣) انظر ألقاب الشعراء ص ٣٢٠ (٤) انظر الشعر والشعراء - ١ / ١٨٥

(٥) انظر معاني الشعر ص ١٦٠ (٦) انظر جمهرة الاشعار بتحقيق البجاوي - ص ٣٧٥

(٧) انظر الاشتقاق ص ٣٥٧

(٨) انظر المؤتلف والمختلف ص ٢١٦ (٩) انظر معجم الشعراء ص ٥

(١٠) انظر جمهرة الانساب ص ٣٢٠ (١١) انظر ديوان طرفة ص ٥

وهو غلام [١] ، وقول ابن قتيبة فى الشعر والشعراء : "وكان أبو طرفة مات وطرفة صغير" [٢] ، ولم يزيدوا على ذلك .

ولست أدرى السبب الذى جعل الرواة يغفلون ذكر العبد بن سفيان ويهملون الحديث عنه ويتجاوزونه الى غيره من أجداد طرفة . أكان هو نفسه غفلا من القوم ؟ أم أن أخباره ضاعت فيما ضاع من أخبار . . ؟ أم أن هناك أسبابا غير هذه ؟ . . وحتى طرفة نفسه لم يتحدث فى شعره بحديث تستقى منه أخبار عن أبيه ، وقد تحدث عن كثيرين من أجداده ومن غير أجداده . وكل الذى ذكر أباه فيه هو بيت واحد . وهو قوله [٣] :

أبِى أنْزَلَ الجبارَ عاملُ رمحه   عن السَّرْجِ حتى خرَّ بين السنابكِ

فهو يفتخر بأن أباه كان يطعن أعاظم الناس ، ويصرع جبابرتهم . فكيف بمن هم دونهم . لقد كان اذا شك برمحه أشد الرجال ، فانه يصرعه فى الحال . كيف لا ، وها هو ذا قد صرع برمحه أحد الجبابرة ، وألقاه فى الأرض بين سنابك الخيل ، ولسان حال طرفة يقول : وما يكون ذلك الا لرجل بطل شجاع . قال الأعلم الشنتمرى فى شرح ذلك البيت :

" وقوله : أبى أنزل الجبار عامل رمحه ، يعنى الملك الجبار ، وأراد بعض ملوك غسان " [٤] . ولما لم يكن بين أيدينا غير هذا القول ، فان له عندنا أهمية خاصة .

ذلك أننا قد عرفنا أن قوم طرفة كانت مساكنهم فى شرق الجزيرة ، وما يليها من أطراف العراق . وكانت تلك المناطق من أعمال المناذرة ملوك الحيرة . وكانت الحيرة وملوكها ومن يليهم من العرب ، يدينون للفرس بالولاء

---

(١) انظر ورقة ٢٨ من النسخة ١٥٢ أدب ش ، وظهر ورقة ٢٤ من النسخة ٩٦ أدب ش.

(٢) الشعر والشعراء ١/١٨٧ (٣) الديوان ص ٨٨

(٤) انظر الديوان ص ٨٩

ويساعدونهم كما عرفنا في حروبهم مع الروم، ومن يدين لهم بالولاء من العرب كالغساسنة في الشام.

فليس اذن ما يمنع من أن يكون والد طرفة ذا تاريخ في بعض تلك الحروب. ولما مات وطرفة صغير - ذهبت أخباره فيما ذهب من أخبار. ولم يبق في ذاكرة ابنه الا تلك الجولة، التي كانت بينه وبين بعض ملوك الغساسنة، والتي سجلها طرفة في بيت شعره الذي رأينا. فذلك اذن هو العبد بن سفيان والد طرفة.

وأما أم طرفة فهي وردة باجماع الباحثين. وهي أخت المتلمس، جرير ابن عبد المسيح، الشاعر المشهور، باجماعهم كذلك. فهي اذن وردة بنت عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة ابن نزار، كما هو معروف في نسب المتلمس. (١)

وهي ليست من رهط أبي طرفة الاقربين، كما وهم - سهوا - بعض الباحثين. فقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء قال: "وأمه وردة من رهط أبيه" (٢) وكذلك فعل المرزباني في معجم الشعراء (٣). وقال الاعلم الشنتمري في شرح ديوان طرفة: "وردة أم طرفة، وهي من بني مالك بن ضبيعة" (٤). ويظهر أنهم قد خلطوا بين ضبيعة في نسبها، وهو ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وبين ضبيعة في نسب طرفة، وهو ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة (٥).

---

(١) انظر في ذلك ص ١١٢ من بحثنا هذا.
(٢) الشعر والشعراء / ١ / ١٨٨
(٣) معجم الشعراء ص ٥، وانظر كذلك معاهد التنصيص ١ / ٣٦٥
(٤) الديوان ص ١٠٧
(٥) لقد تنبه لهذا الخلط الاستاذ / محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله تعالى - في تحقيقه لشرح التبريزي للقصائد العشر انظر ص ٩.

ولقد كان لموت والد طرفة - وطرفة صغير - أثر سوء على الأسرة بكاملها ،فها هو ذا طرفة يشب يتيما ،فلا يعرف عن أبيه شيئا ، ولو عرف شيئا لفصّل القول فيه ، وهو الشاعر الملهم . وها هى ذى وردة أم - طرفة يهضم حقها من أعمامه ،فلا تستطيع أن تنتصر . وبمن تنتصر وزوجها قد غيبه التراب. وبنوها لما يشبوا عن الطوق . .

وملخص القول فى ذلك أن أعمام طرفة ،أبوا أن يقسموا تركة أبيه بعد أن مات . وظلموا وردة حقها من تلك التركة . فأكلوه . .فتصدى لهم طرفة وهو صغير ، وشهر فى وجههم سلاحه . وسلاح الشاعر حاد كما نعرف . وخاصة اذا كان الشاعر مثل طرفة . يقول :(١)

ما تنظُرون بحق وردةَ فيكم   صَغُرَ البنون ورهطُ وردة غُيَّبُ (٢)
قد يبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُه   حتى تظلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ
والظلم فرق بين حَيَّىْ وائلٍ   بكرٌ تساقيها المنايا تغلبُ
أَدُّوا الحقوقَ تَفِرْ لكم أعراضُكُمْ   ان الكريمَ اذا يُحَرَّبُ يغضبُ (٣)

وهذه الأبيات من قصيدة قال الأصمعى فى مقدمته لها - كما يذكر الأعلم : " ويقال إنها من أول ما قال "(٤)

---

(١) الديوان ص ١٠٧ - ١٠٨

(٢) النظر (كالشجر) ، والنظرة (كالسرقة) : الانتظار والتأخير (اللسان نظر) .

(٣) وفر عرضه (بضم الفاء وفتحها) : كرم ولم يتبذل (انظر اللسان وفر) وحرب الرجل الرجل (كسرق وضرب) : أى سلبه ماله ،وحربه - (بالتشديد) أى أغضبه وتسبب فى عدائه . (اللسان حرب) .

(٤) الديوان ص ١٠٧

وهى كما نرى ـ انتفاضة شاب يافع ظلمت أمه حقها . فاضطر الى معاتبة أعمامه بهذا العتاب الشديد ، وتهديهم بهذا التهديد الذى يجنح للوعيد . يعاتبهم على تأخير حق أمه ، ويلومهم على ذلك ويصغر من شأنهم حين يذكر أنهم لم يتجرءوا عليها الا وهى وحيدة ضعيفة ،ليس لها من مدافع ولا حام. فبنوها صغار وأهلها غائبون . قال الأعلم :" فجرأهم ذلك على ظلمها". (١)

فاذا انتهى طرفة من العتاب قفز الى التهديد والوعيد ،ضاربا لأعمامه مثلا من الواقع الملموس ، الذى عاشه آباؤهم الأقربون فى حرب البسوس. وطرفة يرجع أسباب تلك الحرب الى الظلم ، فقد تفرقت بسببه بطون القبيلة ، وتقطعت أرحامها ،وتناثرت جثث أبطالها فى الثنايا والشعاب ، وأصبح رجالها يتساقون المنايا ، كما يتساقى الندماء كئوس الشراب.

ثم انه يذكر أعمامه بأن مافعلوه بحق أمه اليوم ،وان بدا صغيرا فان عواقبه كبيرة. وكأن لسان حاله يقول : " ومعظم النار من مستصغر الشرر" . فليؤدوا حقها حتى يحفظوا أنفسهم من غضبه وهيجانه .ويصونوا أعراضهم من سلاطة لسانه .

وهكذا كان طرفة فى مظلمة أمه شديدا قوى الجنان ، سليط اللسان . لم يخف من حدته كون الظلمة أعمامه . وكيف يكون ذلك وهو

---

(١) انظر شرح البيت الأول من القصيدة ١١ بالديوان ص ١٠٧

القائل :

وظُلْمُ ذوى القربى أشدُّ مَضَاضَةً على النفس من وَقْعِ الحسام المُهنَّدِ (١)

وتلك هى وردة بنت قتادة أم طرفة بن العبد .

وأما بقية أسرته ، فقد ذكر الباحثون أن طرفة كان له أخ اسمه معبد ابن العبد . (٢) وقد ذكره هو نفسه فى قوله (٣) :

على غير شىء قلته غير أننى نَشَدْتُ فلم أُغْفِلْ حَمُولَةَ مَعْبَدِ

قال الأعلم فى شرح هذا البيت : " وكان معبد أخو طرفة يرعى - هو وطرفة - ابلا لهما ، فغبهما طرفة ، فقال له معبد : لم لا تسرح فى ابلك كما أفعل ؟ ، أترى أن شعرك يردها ان أُخِذَتْ ؟ (٥)

وذكر أبو زيد القرشى فى جمهرة الأشعار ، أن طرفة كان له أخ آخر اسمه خالد بن العبد . وهو المقصود بقوله : (٦)

ألا أيها الغادى تحمَّلْ رسالة الى خالد مِنِّى وان كان نائيا

وهو بيت من جملة أبيات بعث بها طرفة الى أخويه خالد ومعبد - ابنى العبد من سجنه بالبحرين قبل قتله (٧)

وكانت لطرفة أيضا أخت ، كانت تحت ابن عمه عبد عمرو بن بشر بن مرثد (٨) ، كما كانت له أخت لأمه ، هى الخرنق بنت بدر بن هفان - الشاعرة المشهورة (٩) وكان لطرفة كذلك أعمام كالمرقش الأصغر الشاعر

---

(١) انظر الديوان ص ٤ ، والمضاضة الحرقة .
(٢) انظر جمهرة ابن حزم تحقيق بروفنسال - ص ٣٠ ، ومعاهد التنصيص ١/ ٣٦٦
(٣) الديوان ص ٣٨ ، والحمولة الابل . ونشدتها أى طلبتها .
(٤) غبّ الابل وأغبها بمعنى ، أى رعاها يوما وتركها يوما . وأغب القوم وغب عنهم اذا جاءهم يوما وتركهم يوما . من الغب (كالجسم) وهو الاتيان فى اليومين (اللسان غبب) .
(٥) انظر الديوان ص ٣٨ (٦) الديوان ص ٢٠٠
(٧) انظر جمهرة القرشى - بتحقيق البجاوى - ص ٩٨
(٨) انظر المختالين من الشعراء ص ٢١٢ ، والشعر والشعراء ١/ ١٨٥ وشرح الزوزنى للمعلقات ص ٤٣ .
(٩) انظر حديثنا عنها فى الفصل الثانى من الباب الأول من بحثنا هذا .

المشهور ، وأخوال كالمتلمس ، وأبناء أعمام ،لهم بحياته صلات ، ولهم في أشعاره أخبار.

تلك اذن هى أسرة طرفة بن العبد ، التى نشأ فيها وربا بينها فكان لأحوالها على طباعه أثر وأى أثر ، وكان لها فى شعره أكثر من خبر . بل اننا نظن أن تكوينها على هذا النحو الذى رأينا - أب متوفى ، وأم وحيدة ، وبنون صغار ، وأعمام فيهم ظلم ، أقول اننا نظن أن تكوينها على هذا النحو كان له أثر على نفس طرفة ، جعلته يثور على الأغنياء والأقرباء والزعماء كما سنرى . وجعل له آراء خاصة فى الحياة كما سنرى كذلك.

* *

المبحث الثاني : مولده ونشأته ومذهبه في الحياة :

مولده ونشأته :

ان تاريخ طرفة يتلفع بالغموض ، شأنه في ذلك شأن كثير من أخبار ذلك العصر . وأكثر الأمور غموضا في تاريخ طرفة هو مكان ولادته ، وتاريخها وتاريخ وفاته ، فان أحدا من المؤرخين لم يتعرض لذلك بذكر . ولعلنا نستطيع في هذه السطور أن نخمن ذلك ، وان كانت الأحداث التاريخية لا يجدي معها التخمين الا للاستئناس وحسب . .

أما مكان ولادته فهو مضارب قومه في شرق الجزيرة العربية وأطراف العراق . فقد عرفنا أن بكر بن وائل رهط طرفة كانت مضاربهم هناك وليس هناك حائل تاريخي يحول دون القول بأن طرفة قد ولد في احدى تلك النواحي . ولكن بنير تحديد .

وأما متى كان ذلك ، فان الرواة قد اتفقوا على أمرين لعلنا نستطيع أن نستنتج منهما تاريخ مولده وتاريخ وفاته ولو بالتقريب . فأما أولهما فهو أن طرفة قد قتل في عهد عمرو بن هند . بل انه قد قتل بايحاء منه على يد أحد عماله . وهو عامله على البحرين بالذات.[١] وقد عرفنا أن عمرو ابن هند قد تربع على عرش الحيرة بين سنتي (٥٥٤-٥٦٩ م) . وعليه فان طرفة لابد وأن يكون قد قتل قبل سنة ٥٦٩ م وهي السنة التي قتل فيها عمرو بن هند .

---

(١) أمثال الضبي ص ١٠٤-١٠٦ ، وابن قتيبة في الشعر والشعراء ١٨٦/١ والمعارف ص ٢١٨-٣١٩ ، ومعاني الشعر ص ١٦٠ واليعقوبي ٢٤٠/١ وشرح الأعلم بالديوان ص ١٠٤ ، ١٠٥ وغيرهم كثير .

وأما الأمر الثاني فهو أن طرفة لم يعمر طويلا ، فقد عاش بين عشرين الى ست وعشرين سنة ، كما سنفصل فيه القول بعد قليل . فلو افترضنا أنه قد هلك في أول عهد عمرو بن هند مستوفيا من العمر ستا وعشرين سنة لوجب أن يكون مولده في سنة ٥٢٨م . ولكن سنة وفاته غير معروفة بالضبط والمعروف فقط أنه قد هلك بين سنتي (٥٥٤- ٥٦٩م) .وبديهي أن الذي يهلك بين تينك السنتين مستوفيا من العمر ستا وعشرين سنة فلابد وان يكون قد ولد بين سنتي (٥٢٨ ، ٥٤٣م) .

وبناء على ذلك فانه اذا صح مقتل طرفة في عهد عمرو بن هند وصح كون عمره عشرين أو ستا وعشرين سنة ،وصح تاريخ اعتلاء عمرو بن هند عرش الحيرة ، وصح تاريخ نهاية حكمه ،فان طرفة يكون قد ولد بعد سنة ٥٢٨م ، ومات قبل سنة ٥٦٩م ، وبين هاتين السنتين ، عاش طرفة بن العبد ما بين عشرين الى ست وعشرين سنة .

والرواة مختلفون في عدد سنوات عمر طرفة ،اذ يقول بعضهم بأنه عاش عشرين سنة ، ولذلك يلقبونه ابن العشرين . ويقول الآخرون بأنه قد عاش ستا وعشرين سنة . وبين هؤلاء وهؤلاء تذبذبت أخبار عمره عند الباحثين . ولم يشذ عن ذلك غير أبي الفرج الأصفهاني في الأغاني حين روى عن لبيد بن ربيعة أن طرفة بن العبد قد قتل ،وهو ابن ثماني عشرة سنة.(١)

واحتج أصحاب كل رأي بما يؤيد رأيهم اما بنتف من الأخبار ، أو بما قيل في ذلك من أشعار . فأما الذين قالوا بأن طرفة قد عاش عشرين سنة ، فقد احتجوا لذلك بمثل ما روى القرشي في جمهرة الأشعار عن المفضل

---

(١) انظر الأغاني ـ مطبعة التقدم ـ ١٤/ ٩٥ .

قال بأن لبيد بن ربيعة قد مر بمجلس بني نهد بالكوفة ،فبعثوا خلفه غلاما يسأله من أشعر الناس ،فقال : ذو القروح .يعني امرأ القيس. قال : ثم من ؟ قال ثم ابن العشرين يعني طرفة.(١)

أولعلهم احتجوا لرأيهم بمثل ما روى القالي في أماليه عن جرير. قال : " دخلت على بعض خلفاء بني أمية ،فقال : ألا تحدثني عن الشعراء . فقلت : بلى . قال : فمن أشعر الناس ؟ قلت : ابن العشرين ". قال أبو علي القالي : " يعني طرفة"(٢)

وأما الذين قالوا بأنه قد عاش ستا وعشرين سنة ،فانهم يحتجون لذلك بقول أخته الخرنق ترثيه :(٣)

عددنا له ستا وعشرين حِجَّـةً	فلما توفاها استوى سيدا ضخما
فُجِعْنا بـه لما رجونا إيابَـهُ	على خيرحالٍ لا وليدا ولا قَحْمَا

ورواية الديوان لهذين البيتين مختلفة كما رأينا عند حديثنا عن الخرنق في الفصل السابق . فان صدر أولهما فيه : " عددناله خمسا وعشرين حجة"(٤)

وعلى أي حال فان غاية ما بلغه طرفة من العمر ،هو ست وعشرون سنة فقط . ولعل هذا هو أرجح الاقوال في عمره .

ومن عجب أن يذكر الرواة بعض أوصافٍ لطرفة ، وهم يختلفون في سنوات عمره .قال المرزباني في معجم الشعراء : "وكان آدمَ أزرقَ أوْقص أفْرع أكْشَف أزْوَر الصَّدْرِ مُتَأَثِّلَ الخَلْق"(٥) . فاذا كانت سنوات عمره

---

(١) انظر جمهرة القرشي بتحقيق البجاوي ـ ص ٤٢ (٢) امالي القالي ٢ / ١٧٩

(٣) انظر شرح الاعلم لديوان طرفه ص ١٠٥ والعمدة ١ / ٦٥ ـ وشرح الشريشي للمقامات الحريرية ١ / ٤٨ ،والمزهر للسيوطي ٢ / ٤٨٥

(٤) انظر ديوانها بتحقيق الدكتور حسين نصار ص ١٩ ،وجمهرة القرشي بتحقيق البجاوي ـ ص ١٠٠ (٥) معجم الشعراء ص ٥ .والاد م من

قد غُمت عليهم ،فيما غم من أخباره ،فمن أين جاءتهم هذه الأوصاف .

هذا ـ وقد نشأ شاعرنا طرفة فقيرا ،كما يتضح ذلك من نتف الأخبار التي وجدت عنه ، وكما يتبين من قوله (١) :

فلو شاء ربي كنتُ قيسَ بنَ خالدٍ ولو شاء ربي كنتُ عمرو بن مَرْثَدِ

فأصبحتُ ذا مال كثير وعادني بنون كرام سادة لِمُسَوَّدِ

فها هو ذا طرفة على حقيقته ،رجل فقير أبتر . فليس له مال ولا أولاد .وغاية ما يتمناه أن يكون مثل قيس بن خالد ،أحد سراة بني شيبان أبناء عمومته أو أن يكون مثل عمرو بن مرثد أحد أبناء عمه . فيكون ذا مال ويكون ذا ولد ولعل طرفة لم يكن قد تزوج . فانه وان كان من عادة العرب أن يزوجوا أبناءهم مبكرين ،الا أن أخبارا عن زواج طرفة لم تصل الينا قط. أو لعله كان متزوجا ولكن لم يكن له عقب .

الناس الأسمر ،والأدمة في الابل والظباء لون مشرب بياضا . أما في الانسان فهي السمرة ،(انظر اللسان أدم) .والزرق : شدة صفاء اللون ، مع ميل الى البياض (انظر اللسان زرق) .والوقص بالتحريك) قصر العنق . وقص (كلعب) يوقص (كيلعب) ،وقصا .وهو أوقص وهي وقصاء (انظر اللسان وقص) .والافرع : الوافي الشعر وهو ضد الأصلع (اللسان فرع) والاكشف الذى تنبت له شعرات في قصاص ناصيته لا تكاد تسترسل . والعرب تتشاءم به . فهذا هو الكشف ، والموضع كَشَفة.والرجل اكشف (انظر اللسان كشف) . وقصاص الناصية نهاية منبتها من مقدم الرأس (انظر اللسان قصص) والزور ميل في وسط الصدر ، وقيل بل هو اشراف أحد جانبيه على الآخر (اللسان زور) . وتأثل أى عظم .ومتأثل الخلق أى عظيم الجرم . والجرم الجسم (انظر اللسان أثل ، خلق ، جرم) .

(١) الديوان ص ٤١ - ٤١

وأثار شعر طرفة هذا شفقة ابن عمه عمروبن مرثد ، وحرك مروءته .. روى الأعلم فى شرحه لديوان طرفة عن أبى عبيدة قال : " فقال عمرو بن مرثد ـ لما سمع قول طرفة ـ ابعثوا الى طرفة فليأتنى فأتاه فقال له : أما الولد فالله يعطيكه وأما المال فلا تبرح حتى تكون أوسطنا مالا ". ثم أمر بنيه وبنى بنيه فأعطوه مائة من الابل.(١)

ولما كان طرفة فقيرا ـ كما رأينا ـ فقد كانت مهنته عند نشأته رعى الابل . فقد روى التبريزى عن ابن الأعرابى ، قال : " كان لطرفة وأخيه ابل يرعيانها يوما ويوما . فلما أغبها طرفة قال له أخوه معبد : لم لا تسرح فى ابلك ـ كما أفعل ـ كأنك ترى أنها ان أخذت يردها(٢) شعرك هذا(٣) . قال : فانى لا أخرج فيها أبدا حتى تعلم أن شعرى سيردها(٤) ". فان دلت هذه الرواية على شىء ، فانما تدل على أن شاعرنا كان فقيرا يرعى ابل اهله ، ولولا فقره لانتدب لها راعيا ، كما كان يفعل أبناء السراة وذوو اليسار من العرب.

نبوغه وثقافته :

ظل نبوغ طرفة المبكر فى الشعر لغزا من الألغاز ، حير الباحثين وشغل أذهان القدماء منهم والمحدثين . حتى ذهب بعضهم الى أن طرفة ربما قال الشعر فى السابعة من عمره ، أو قبل ذلك التاريخ . والا فكيف تبوأ هذه المكانة المرموقة فى سنوات عمره القصار بين المعمرين من الشعراء أرباب الدواوين الكبار..

(١) الديوان ص ٤١ وشرح التبريزى للقصائد العشر ص ٩٤
(٢) زيادة من الاعلم ـ الديوان ص ٣٨ (٣) شرح القصائد العشر ص ٩٠
(٤) زيادة من الأعلم ـ بالديوان ص ٣٨

وقد وصلت الينا أخبار نبوغه المبكر من نتف الأخبار والقصص العابرة التى ترددت على ألسنة الرواة فى الأزمنة الغابرة . كقصته مع القنابر وهو صغير ،أوقصته مع أحد معاصريه من كبار الشعراء آنذاك ،أوقصته مع أعمامه الذين هضموا حق أمه كما رأينا .

فأما قصته مع القنابر فان ملخصها أن طرفة وهو فى السابعة من عمره كان قد رافق أحد اعمامه فى سفر .فلما حطوا رحالهم يستريحون فى الصحراء وفى مكان اسمه معمر بالذات ـ كما ورد فى شعر طرفة ،ذهب طرفة بفخ له فنصبة للقنابر فى الصحراء ، ونثر عليه الحب ،شأنه فى ذلك شأن الصبية من أترابه وظل يومه يرقب العصافير أن تقع على فخه فلم تفعل ،فقد حذرت أمره .

فلما أراد الركب المسير ،وأخذ طرفة فخه ومضى ،التفت الى القنابر فوجدها تسقط على مكان الفخ وتلتقط الحب المنثور هناك . فهيج ذلك قريحته المبكرة فقال : (١)

يالك من قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ	خلالك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ماشئت ان تنقرى	قد رحل الصياد عنك فابشرى
ورفع الفخ فماذا تحذرى	لا بد من صيدك يوما فاصبرى

وروى المفضل بن سلمة رجزا آخر لطرفة يهجو فيه تلك القنابر وهو قوله : (٢)

قاتلكن الله من قنابرِ
مهتدياتٍ بالفلا نواقِرِ
فلاسُقِيتُنَّ مَعين الماطرِ

وفى هاتين الأرجوزتين ـ كما نرى ـ أخلاق الصبية الصغار واهتماماتهم كما أن فيهما بساطةَ الشعراء المبتدئين وأخطاءَهم. ولكنك تلمح فيهما

---

(١) انظر الديوان ص ١٥٧ - ١٥٨ وانظر القصة فى الفاخر ص ١٤٧ وشرح أدب الكاتب للجواليقى ص ٢٨٥ ، ٢٨٦

(٢) انظر الفاخر ص ١٤٨ والأبيات فى ديوان طرفة ص ١٥٨

النبوغ المبكر ، والاستعداد الفطرى للشعر .

وأما القصة الثانية ، وهى هجاء طرفة لأعمامه حين هضموا حق أمه ، فقد مر بنا خبرها . والذى يقرأ قصيدة طرفة فيها ، يجد شعرا قد قوى عوده وصح عموده . اذا قورن بشعره فى القنابر . وان روى الأعلم عن الأصمعى فى تقدمته لها قوله : " ويقال انها من أول ما قال ".(١)

وأما القصة الثالثة التى دلل الباحثون بها على النبوغ المبكر الذى حظى به طرفة بن العبد ، فهى قصته مع خاله المتلمس ، أو المسيب بن علس ، أو عمرو بن كلثوم ، كما اختلف الرواة فى ايرادها . فقد نسبها للمتلمس المفضل الضبى فى أمثال العرب،(٢) وابن قتيبة فى الشعر والشعراء(٣) ، وابن دريد فى جمهرة اللغة ،(٤) وأبو الفرج فى الأغانى(٥) ، وأبو هلال العسكرى فى الصناعتين ، وفى جمهرة الأمثال(٦) ، والقزاز فى ضرائر الشعر(٧) . وغيرهم .

ونسبها للمسيب بن علس : ابن السكيت فى روايته لديوان طرفة(٨) والآمدى فى الموازنة بين أبى تمام والبحترى(٩) ، والجرجانى فى المنتخب

---

(١) انظر الديوان ص ١٠٧ (٢) أمثال الضبى ص ١٠٣-١٠٤

(٣) الشعر والشعراء ١/١٨٣ (٤) م قنو (نوق)

(٥) أغانى - مطبعة التقدم - ٢١/١٣٢-١٣٣

(٦) الصناعتان ص ٦٤ وجمهرة الأمثال ١/٣٥-٣٦

(٧) ضرائر الشعر ص ١٧

(٨) ورقة ٣٧ من مخطوطة ١٥٢ أدب ش وورقة ٣٣ من المخطوطة ٩٦ أدب ش .

(٩) الموازنة ص ٣٦

من كنايات الأدباء (١) ، وغيرهم . ونسبت القصة لعمرو بن كلثوم في جمهرة الأشعار ، وفي الموشح للمرزباني ، (٢) كذلك .

وملخص تلك القصة أن أحد أولئك الشعراء - وكلهم عاصر طرفة كان ينشد القوم ذات يوم شعرا ، فكان مما قال :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناجٍ عليه الصيعرية مُكْدَمِ (٣)

فقال طرفة ، وكان لا زال صغيرا يلعب مع الصبيان : " استنوق الجمل (٤) فضحك القوم ، وذهبت مثلا . وذلك أن الشاعر قد وصف جمله بصفة لا توصف بها إلا النوق ، وهو قوله : " عليه الصيعرية " . فالصيعرية سمة في عنق الناقة خاصة . من الصعر وهو الميل . (٥) قيل فغضب الشاعر المنشد ، ونظر إلى لسان طرفة وأشار إلى رأسه وقال : ويل لهذا من هذا . فذهبت مثلا .

وخلاصة ما نستنتجه من هذه الأقاصيص ، أن طرفة بن العبد كان قد وهبه الله نبوغا مبكرا ، لم يكن لكثير من غيره من أترابه الصبيان ، وحباه بفطنة عرف بها بين أهل ذلك الزمان . بل لقد صار ذلك النبوغ وتلك الفطنة المبكران ، علما عليه ، وسمة من سماته ، لا يتجاهلهما باحث في أشعاره ، ولا ينساهما متحدث عن أخباره . قال عنه أبو عثمان الأشناندني في كتابه معاني الشعر : " نبغ في الشعر من حداثته ، حتى صار يعد

---

(١) منتخب الكنايات للجرجاني ص ١٤٤
(٢) انظر جمهرة الأشعار ص ١٣-٣٢ ، وانظر الموشح تحقيق البجاوي ص ١١١
(٣) الناجية الناقة السريعة تنجو بمن ركبها والبعير ناج (اللسان نجا) .
والمكدم (اسم مفعول من كدم كفعل) وهو الشديد القوي (اللسان كدم)
(٤) بالرفع والنصب ، فالرفع على الفاعل ، والنصب على المفعول به . .
(٥) انظر اللسان صعر ، ونوق

من الطبقة الاولى" (١) ، وقال عنه القيروانى فى كتابه أعلام الكلام :

" ولقد خص بأوفر نصيب من الشعر على أنزر نصيب من العمر" (٢)

هذا نبوغ طرفة ،وأما ثقافته فلم يكن أمرها أقل عجبا من أمر نبوغه المبكر . بل لعل لها به ارتباطا . كيف لا . . وقد ضمن شعره فى ذلك العدد القليل من السنين من الامور الثقافية ما كان كثير منه مجهولا عند الكثيرين . فقد عرف الكثير من أماكن الجزيرة ومنازل أهلها ومضارب سكانها .كما عرف أوصاف الصحراء ، وطباع أهلها ، وأنواع رياحها وأمطارها ، وأعشابها وأشجارها ، وطيرها وحيوانها وغير ذلك .

وقد عرف كثيرا كذلك من صفات الحيوان وطباعه ، الوحشى منه أوالانيس . كما عرف أشياء من أيام العرب وثقافات الماضى وضروب الفروسية وأعمال الشعوب المجاورة ان فى البر أوفى البحر. كما قدم نماذج من الحكم والامثال ، عز كثير منها على ذوى الخبرة والتجربة من الرجال .

ولو ذهبنا نحصى ضروب الثقافة التى عمر بها ديوانه ،أو نضرب أمثلة لها من شعره ، لطال بنا المقام ، ولكان فى ذلك استباق للاحداث فما الهدف الا التدليل هنا على ثقافته ليس الا ،أما تفصيل ذلك ، فانه سيأتى باذن الله عند دراسة شعره .

سلوكه ومذهبه فى الحياة :

ان الذى يتصفح ديوان طرفة ،ويراجع نتف الاخبار التى وردت عنه يكاد يخلص بانطباع خاص عن ذلك الشاعر ، يفسر بموجبه سلوكه ومذهبه فى الحياة . هنا الانطباع يتكون من الاباحية المطلقة التى اتصف بها

---

(١) معانى الشعر ص ١٦٠ (٢) أعلام الكلام ص ١٦

طرفة ، ومن اعتداده بنفسه ، ذلك الاعتداد الشديد . ومن جرأته على الهجاء بصورة كان لها في لون حياته وقصة موته أثر بعيد .

فأما اباحيته فانه يقررها بنفسه حين يقول : (١)

فلولا ثلاثٌ هنَّ من حاجةِ الفتى	وجدك لم أحفِل متى قام عودى
فمنهن سبقى العاذلاتِ بشَرْبةٍ	كُمَيتٍ متى ماتُعْلَ بالماءِ تُزْبِدِ
وكرى اذا نادى المضافُ مُحَنَّبًا	كسيد الغضا نبهتَه المتوردِ
وتقصير يوم الدَّجن والدجن معجب	ببهكنة تحت الطراف المُمَدَّدِ

فانه قد وقف حياته على ثلاث ، ولولا هن ما أسف على موت ولا رغب في ازدياد حياة . وأولئك الثلاث هن الخمر والفروسية والنساء . وهو هنا قد خلط الغث بالسمين كما يقال . فان اباحيته في معاقرة الخمر واللهو بالنساء ، لم تمنعه من المروءة والنجدة ، لمن يطلب النجدة من المكروبين والملهوفين .

ثم استمع اليه يقول : (٢)

وان تبغِنى فى حلقة القوم تلقنى	وان تقتنِصْنى فى الحوانيت تصطدِ
متى تأتنى أصبحك كأسا رويةً	وان كنت عنها ذا غِنًى فاغْنَ وازْدَدِ

فهو امام القوم في منتداهم ، يشهد أمورهم ويشاركهم أحاديثهم . واما في حوانيت الخمارين يعُبُّ مافيها من الخمور ، ويسامر من يرودها من الفتيان . وهو يحض رفيقه على زيارته هناك ليسقيه من شراب الغداة شربة هنيئة وكأسا روية .

---

(١) الديوان ص ٣٢ - ٣٤ وانظر شرحنا لها في هامش ص ٢٣ من بحثنا هذا

(٢) الديوان ص ٢٩

ثم استمع اليه يقول (١) :

وما زال تشرابي الخمورَ ولذتي ... وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي (٢)

الى ان تحامتني العشيرة كلها ... وأُفردتُ افراد البعير المعبد (٣)

أرأيت اباحية مطلقة كهذه الاباحية ؟ لقد تجاوز طرفة كل الحدود حتى باع وأنفق من ماله الطارف والتليد . ولقد أسف في الشراب واللذة الى الحضيض ، حتى حجرت عليه قبيلته كما تحجر على المريض . كيف لا .. ؟ وهي تخشى أن تنتشر اباحيته بين الشباب من أبنائها ، فتحرف مسارهم وتفسد أخلاقهم . وهي شهادة من قبيلته على اباحيته التي رأينا والتي تتناثر الادلة عليها في ثنايا شعره .

أما الظاهرة الثانية فهي اعتداد طرفة بنفسه . والذي يتجلى في قوله (٤) :

وآليت لا ينفك كَشحي بِطانةً ... لِعَضْبٍ رقيقِ الشفرتين مهند (٥)

أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة ... اذا قيل مهلا قال حاجزه قدي (٦)

حسام اذا ما قمت منتصرا به ... كفى العودَ منه البدءُ ليس بِمِعْضَدِ (٧)

اذا ابتدر القومُ السلاحَ وجدتني ... منيعا اذا بلَّتْ بقائمه يدي (٨)

---

(١) الديوان ص ٣١ (٢) الطريف ما استحدثته من المال . والمتلد والتليد والتالد ما كان قديما عندك (٣) تحامتني العشيرة باعدتني وأفردتني كما يتحامى البعير الاجرب حتى لا يعدي صحاح الابل . والمعبد المذلل بالقطران . (٤) الديوان ص ٤٢-٤٣

(٥) آليت أقسمت والكشح الخاصرة ، والعضب القاطع وشفرتاه حداه .

(٦) أخو ثقة موثوق ، ولا ينثني عن ضريبة أي يرسب في المضروبة ، وحاجزه القاطع منه وقدي : انتهي . (٧) الحسام القاطع من السيوف ، وقوله (منتصرا به) أي من ظلم . وكفى العود منه البدء أي كفتني الضربة الاولى أن أعيد ضربة ثانية . والمعضد كالمعول الممتهن من السيوف في قطع الشجر . (٨) ابتدروا السلاح أي عجلوا عليه وتبادروا نحوه لأمر دهمهم . وبلت بقائمه يدي أي ظفرت بمقبضه .

فهو دائم التمنطق بسيف موثوق به ، حاد الشفرتين ، لا يفلت ضربته بل ان الضربة الواحدة منه ، كفيلة بأن تحسم الأمر وتحرز النصر وفى هذا من الاعتداد بالنفس ، والمباهاة بالشجاعة الشخصية مافيه.

ومثله قوله : (١)

وأُصيبُ شاكلةَ الرميّةِ إذْ صُدّتْ بصفحتها عن السهمِ (٢)
وأُجِرُّ ذا الكُفُلِ القناةَ على أنسائِهِ فيظل يستدمى (٣)

فضربته لا تخطئ رميته ، وهو مغرم بقتل الأبطال من الرجال ، وأبناء الذوات منهم خاصة. وهو خبير بمقاتلهم لا يخيب طعنه فيهم. ولا يكون ذلك الا لرجل شديد جرئ صبور مقدام فى نفسه ، عزيز كريم فى أهله وأصله ، ويتجلى ذلك فى قوله : (٤)

فلو كنتُ وغْلا فى الرجال لضرنى عداوةُ ذى الأصحاب والمتوحّدِ (٥)
ولكن نفى عنى الرجالَ جراءتى وصبرى واقدامى عليهم ومحتدى (٦)

ليس هذا وحسب ، بل انه يجعل من نفسه فتى القوم الذى لا يلجئون الا اليه ولا يعتمدون الا عليه ، يقول : (٧)

إذا القومُ قالوا من فتًى خلتُ أنّنى عُنيتُ فلم أكسلْ ولم أتبلّدِ (٨)

فهل رأيت اعتدادا بالنفس كهذا الاعتداد . . وهل سمعت اعتزازا بالذات كهذا الاعتزاز ؟.

---

(١) الديوان ص ٩٦ (٢) الشاكلة ما بين الورك والخاصرة من الجسم. وخصها لانها من أنفذ المقاتل. والرمية المرمية. وصدت أى اعدلت ومالت. وصفحتها جنبها. (٣) وأجره طعنه بالرمح وأتركه فيه يجره وهو أشد وأبلغ. وأراد بذى الكفل المترف الناعم. والكفل العجيزة. والانساء جمع نسا كسبأ وهو عرق يستبطن الفخذ وينحدر الى الساق ويقصد بذلك خبرته فى الطعن.

(٤) الديوان ص ٤٦-٤٧.

(٥) الوغل (كالفحل) : الضعيف. وذو الاصحاب الرجل فى جماعة والمتوحد الفرد. (٦) الجراءة الجرأة. والجرئ الشجاع المقدام على أقرانه والمحتد الأصل الكريم. (٧) الديوان ص ٢٧.

(٨) أى كنت عند حسن ظنهم فلم أتثاقل عن نجدتهم.

فأما الظاهرة الثالثة التى تكمل بها صورة سلوك طرفة ومذهبه فى الحياة فهى جرأته على الهجاء ، من غير ما تفريق بين الأباعد والأقرباء. بل لعل اعتداده بنفسه مرتبط بهذه الظاهرة ، وسبب من أسبابها . وقد يرجع ذلك الى تكوينه النفسى الذى أفرزته ظروفه الاجتماعية التى رأينا . أو يرجع كما يقول بعض الباحثين الى كونه ذا حسب فى قومه وذا مكانة بينهم فكان جريئا على هجائهم وهجاء غيرهم.(١)

فقد هجا أعمامه حين اجترءوا على حق لأمه -كما رأينا- وهجا عمرو ابن هند ملك الحيرة حتى قتله كما سنرى . وها هو ذا يهجو عبد عمرو بن بشر بن مرثد ، ابن عمه وزوج أخته ، وكان قد وقع منه فى حق طرفة ما أوغر عليه صدره ، وأطلق فى عرضه لسانه . ومن ذلك قوله فيه :(٢)

يا عجبا من عبد عمرو وبغيه   لقد رام ظُلْمِى عبد عمرو فأَنعما

ولا خيرَ فيه غير أن له غِنًى   وأن له كشحا اذا قام أَهضما

فهو يجرده من خصال الرجولة المحمودة ، ثم يلقى عليه من الصفات ما لا يحمد الا فى النساء. فهو ذو جسم ناعم لين ، يتثنى من نعيمه وغناه ، وهو ذو خصر ضامر يتضح لكل من يراه .

وقد كان الرجل من العرب فى الجاهلية يعتبر المساس برجولته من أقذع الهجاء ، فكيف اذا وصف بما توصف به النساء. . ولكنها جرأة طرفة وسلاطة لسانه . فكأنه يقول بأن سيفه من ناحية ، ولسانه من أخرى ، هما اللذان يدافعان عنه ويحميانه .

---

(١) انظر الشعر والشعراء ١/١٨٥ ومعانى الشعر ص ٦٠ وشرح الزوزنى للمعلقات السبع ص ٤٣

(٢) الديوان ص ٩٩ وأنعم أى بالغ فى الظلم . وكشح أهضم أى خصر ضامر

وخلاصة الأمر . . هى أن طرفة بن العبد ، كان شابا منطلقا لا يلوى على شىء ، معتدا بنفسه ، مفتخرا بشجاعته وفروسيته مُدِلاًّ بمكانته فى قومه ، مرخيا لنفسه العنان فى هجاء من يشاء من الناس . وهو بين هذا وذاك يستبيح كل لذة ، ويقتنص كل فرصة للهو ، لا يردعه عن ذلك وازع من دين ، ولا يحسب - كما يقول حسابا للعواذل واللائمين .

* *

المبحث الثالث : علاقته ببلاط الحيرة ، ونهايته :

علاقته ببلاط الحيرة :

كان بلاط الحيرة محط أنظار الشعراء العرب ، بسبب ماكان يخلعه ملوكها من الجوائز والمنح والعطايا ، على من كان يتعرض لفضلهم من أولئك الشعراء بالمدح والثناء ، أو كان يطلق لسانه في أعدائهم بالقدح والهجاء . فقد فطن ملوك الحيرة الى دور الشعراء بين القبائل . فهم كما ذكرنا أبواق الدعاية وأساليب النشر وأصوات الاذاعة . كانوا اذا رضوا عن ملك أو رئيس أذاعوا في الناس فضائله وعظموه ، واذا سخطوا على أحد منهم ، تولوه بلاذع قولهم وسليط ألسنتهم فحطوا من قدره وأنزلوه .

ولذلك فقد فتح ملوك الحيرة أبواب قصورهم للشعراء ، يدخلونها متى يشاءون . كما فتحوا لهم أبواب خزائنهم ، وبسطوا لهم أيديهم وأكثروا لهم من الخلع والجوائز والمنح . واتخذوا منهم الجلساء والندماء زيادة في التشجيع والاغراء .

وتهافت على بلاط الحيرة فحول الشعراء وعظماؤهم ، يتعرضون لنوال ملوكها وعطاياهم ، ويحظون باكرامهم وخلعهم وهداياهم . وكان طرفة بن العبد وخاله المتلمس ، قد وفدا على بلاط الحيرة فيمن وفد ، وذلك في أيام عمرو بن هند ، رغبا في معروفه وطمعا في فضله .

ومن هنا بدأت علاقة طرفة ببلاط الحيرة.(١) وكذلك كان الحال بالنسبة لخاله المتلمس..

وفتح عمرو بن هند للشاعرين بابه ، وألحقهما بمجلسه ، وجعلهما من ندمائه.(٢) فهنئا بذلك زمنا . ثم ألحقهما عمرو بن هند بحاشية أخيه قابوس بن المنذر . وجعلهما من ندمائه.(٣) وكان يرشحه لملك الحيرة من بعده.(٤) فهنئا بذلك زمنا آخر. ولكن هذا الهناء لم يدم طويلا ، اذ ما فتئت العلاقة أن ساءت بين طرفة وبين بلاط الحيرة فغضب عليه عمرو بن هند غضبا شديدا ، جعله يفكر في التخلص منه . بل ويتخلص منه فعلا كما سنرى..

ويذكر الرواة لسوء العلاقة بين طرفة وبين بلاط الحيرة أسبابا ثلاثة . هي تغزل طرفة بأخت عمرو بن هند ، وخروجه مع عمرو بن أمامة في ثورته عليه . وأخيرا هجاؤه له ولأخيه قابوس. وقد كان كل واحد من هذه الأسباب الثلاثة ، كفيلا بأن يوغر صدر عمرو بن هند على طرفة ، فكيف بها اذا اجتمعت ثلاثتها..؟

فأما تغزل طرفة بأخت عمرو بن هند ، فهو كما يزعم الرواة(٥) ، أن طرفة كان ينادم عمرو بن هند يوما ، وبينا هما يشربان ، اذ أشرفت أخت الملك ، فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده ، فقال يشبب بها أمام أخيها الملك :

---

(١) انظر المختالين من الشعراء - لمحمد بن حبيب - ص ٢١٢ ، والفاخر للمفضل بن سلمة ص٦٠ ، وجمهرة أشعار العرب للقرشي ص٣٢ ، وأمالي المرتضى ١٨٣/١ ، ومجمع الأمثال للميداني (المثل رقم ٢١١٣) .

(٢) انظر الشعر والشعراء ١٨١/١ وأمالي المرتضى ١٨٣/١ ومعجم الشعراء ص٦

(٣) انظر المختالين ص ٢١٢ والفاخر ص٦٠ ومجمع الأمثال المثل ٢١١٣ وخزانة الأدب للبغدادي ٤١٣/١

(٤) الفاخر ص ٦٠ ومجمع الأمثال ٤١٢/١ ، وخزانة البغدادي ٤١٣/١

(٥) ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١٨٩/١ ، وفي الأشربة ص٣٩ ، والزوزني =

أَلَا يا أَيها الظَّبْـــو الذى يَبرق شَنفَـــاه (١)
فقلبى منه مَتْبُـــولٌ وعينى ثَمَّ ترعـــاه (٢)
ولولا الملكُ القاعدُ قد أَلثَمَنِـــى فَـــاه (٣)

بهذه الصراحة ،وهذه الجرأة ، وهذا الاتهام . دون أن ينتابه من الملك أى وجل ،ودون أن يعتريه فى مجلسه خجل . فحقد عليه عمرو بن هند ،وأسرها فى نفسه ،حتى تحين الفرصة . ويذهبُ بعضهم الى أن التى أشرفت على مجلس الشراب هى زوجة عمرو بن هند ،وأن طرفة قال هذا الشعر فيها . (٤) والامر حينئذ يكون أشد وأدهى . والنتيجة واحدة ،وهى أن عمرو بن هند قد أَضِم على طرفة. (٥)

وأما الامر الثانى الذى ساءت بسببه العلاقة بين طرفة وبين بلاط الحيرة ، فهو خروجه مع عمرو بن أُمامة فى ثورته على أخيه عمرو بن هند فان عمرو بن هند - كما رأينا - كان يعد أخاه لابيه وأمه قابوس بن هند لملك الحيرة من بعده . ولذلك فقد أقطعه بعض النواحى واستعمله عليها . وقطع أخاه لابيه عمرو بن أُمامة ،فغضب هذا منهما ، وتحين الفرصة للثورة عليهما . وفى ذلك يقول : (٦)

أَلَابْنِ أُمك مابَـــدَا ولك الخَوَرنقُ والسَّدِيْـــرُ (٧)

= فى شرح المعلقات السبع ص ٥٤ وغيرها

(١) برق (من باب نصر) وأبرق : لمع (اللسان برق) .والشنف (كالبحر) الذى يلبس فى أعلى الاذن من الاقراط ،والذى يلبس فى أسفلها هو القرط (كالبرج) . وقيل الشنف والقرط سواء . والجمع أشناف وشنوف (اللسان شنف) . (٢) التبل (كالدرب) هو أن يسقم الهوى - الانسان ،فهو متبول (اللسان تبل) .

(٣) لثم (من باب فهم) : قبَّل ،ولثم (من باب ضرب) غطى أنفه ،المرأة بقناعها والرجل بعمامته . وهو اللثام (اذا كان للفم) ، ،واللفام (اذا كان للانف) وكلاهما بوزن (العتاب) انظر اللسان لثم)

(٤) انظر ابن دريد فى جمهرة اللغة . بحح (٥) يقال أَضِم عليه (كغضب) اذا حقد واغتاظ . انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (اضم) .

(٦) انظر رواية ابن السكيت لديوان طرفة ،ورقة ٢ فى النسختين .

(٧) مابدا : أى ما كان فى البادية (اللسان بدا)

فلا تَنعنَّ منابت الضُّمْران إذ مُنِعَ القصُـــور (١)
بكتائبٍ تَرْدِي كمـــا تَرْدِي الى الجِيَفِ النُّسُور (٢)
أنَّى بَنِى العَلّاتِ تُقْضَى دُونَ شَاهِدِنا الأُمُـــور (٣)

ثم لحق عمرو بن أمامة باليمن . وتبعه من العرب ناس كثير . وسار طرفة ابن العبد معه . قال ابن السكيت: "فلما قدم عمرو بن أمامة على الملك اليمانى سأله أن يبعث معه جندا يقاتل به أخاه عن نصيبه من ملك أبيه . فقال له : اختر من أحببت . فاختار مرادا . فسرحهم معه (٤) ولكن قبيلة مراد فطنت بعد قليل الى أن مسيرها مع عمرو بن أمامة ، ليس فى مصلحتها . فثارت عليه وقتلته وتفرقت عنه . وفى ذلك يقول طرفة يحرض عمرو بن هند على مراد ، ويحضضه على الأخذ بثأر أخيه عمرو بن أمامة ، وكان يكنى أبا حسان : (٥)

أعمرو بن هندٍ ما ترى رأى مَعْشَرٍ أماتوا أبا حسانَ جارًا مُجاوِرا
فان مُرادًا قد أصابوا جريمـــةً جهارا وأضحى جمعُهم لك وَاتِرا (٦)
فلو أنه نادى من الحِصْن عُصْبةً لألقوا عليه بالصَّعِيد الشَّراشِرَا (٧)
ولو شَهِدَتْهُ تغلبُ ابنةُ وائـلٍ لكانوا له عِزًّا عزيزًا وناصِـــرَا
فلا تشربنَّ الخمرانلم تُزِرْهُـــمُ جماهيرَ خيلٍ يَتَّبِعْنَ جَماهِـرَا

---

(١) الضمران (بفتح الضاد وضمها) ، شجر صحراوى صغير قليل الحطب ، وقيل من الحمض (اللسان ضمر) .
(٢) ردى يردى رديا (كمشى يمشى مشيا) وردیانا (كغليان) : عدا وأسرع (اللسان ردى) .
(٣) بنو العلات: هم بنو الضرائر ، أى الاخوة من أب واحد وأمهات شتى (انظر اللسان علل) .
(٤) مخطوطة ديوان طرفة برواية ابن السكيت ورقة ٢ فى النسختين كلتيهما
(٥) الديوان ص ١٥٥ (٦) الوتر (بكسر الواو وفتحها) والترة (كالعظة) والوتيرة : كلها بمعنى الظلم ، والجناية يجنيها الرجل على غيره بقتل حميمه أو سلب أهله وماله . والموتور الذى قتل له قتيل ولم يدرك بدمه (انظر اللسان وتر)
(٧) الصعيد الأرض ، أو المكان العريض الواسع من الأرض (اللسان صعد) والشراشر (النفس - والمحبة) يقال ألقى عليه شراشره أى نفسه حرصا =

وكان أن احتمل عمرو بن هند على طرفة ، لما كان من مسيره مع أخيه فى ثورته عليه . فبعث الى ابله التى كانت فى جوار قابوس بن هند ، فساقها وصادرها . . كأول اعلان لغضبه عليه . وبات يتحين الفرصة للتخلص منه .

وهكذا تعكر الجو بين طرفة وبين عمرو بن هند ، وكان صافيا وساءت بينهما العلاقة ، وكانت حسنة . فقد قربه من نفسه ، فخاض فى عرضه وشبب بأخته . وقد جعله من ندمائه فثار مع أخيه عليه . أتراه يتغاضى عن كل هذا . ؟ ؟ على أن الذى بت العلاقة بين طرفة وبين عمرو بن هند هو هجاؤه له ولأخيه قابوس كما سنرى . .

هجاء طرفة لعمرو بن هند :

لعل السبب الرئيسى الذى أحنق عمرو بن هند على طرفة وقطع ما كان بينهما من اتصال هو ذلك الهجاء المقذع الشديد ، الذى أشرعن طرفة فى عمرو بن هند ، فتناقلته الألسن ، وتندر به المتحدثون ولم يقف فيه طرفة عند حد ، بل لقد تجاوز فيه كل حد . ولم يقتصر فيه على عمرو بن هند وحسب ، بل تجاوزه الى أخيه قابوس بن المنذر ، وتوسع فيه حتى جعله يشمل كل آل المنذر .

= ومحبة (اللسان شرر) . وأما الحصن فهو ثعلبة بن عكابة . الجد السادس لطرفة (انظر ابن سلام ص ٢٨ ، ٢٩) ، وقد اشتهر بين العرب بكونه أبا لقبائل عدة . قال ابن الكلبى "ليس من العرب من له ولد كل واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها ، غير ثعلبة بن عكابة . فانه ولد أربعة كل واحد منهم قبيلة . شيبان ابن ثعلبة وهو أبو قبيلة ، وقيس بن ثعلبة ، وهو أبو قبيلة . وذهل بن ثعلبة وهو أبو قبيلة ، وتيم بن ثعلبة وهو أبو قبيلة (انظر الاغانى - دار الثقافة - ١٨ / ٧٦) .

والرواة يذكرون لبدء هذا الجاء سببا وجيها . وذلك أن عمرو بن هند كمازعموا : (١) كان قد قسم الدهر يومين ، يوم بؤس ويوم نعمة . فكان يركب فى يوم البؤس للصيد ، فيقتل أول من يلقى فى طريقه من الناس. وكان يجلس فى يوم النعيم للهوه وشرابه ، وتقف الناس طول النهار ببابه ، فان اشتهى حديث أحد أدخله الى مجلسه . والا قضى الناس يومهم كذلك ، دون أن يسمح لأحد منهم بالمسير. وكان هذا دهره كله . ويظهر أن طرفة - وهو الفتى الحر الجرىء لم يعجبه مثل هذا الحال ،أو أنه كان قد ناله من سوئه بعض منال . .

وزعم رواة آخرون بأن هذا كان دأب قابوس بن هند أيضا . (٢) فقد كان شابا لاهيا ،مغرما بالصيد والشراب،يقضى فيهما أيامه . فاذا ركب للصيد رافقه طرفة والمتلمس ، وقضيا بصحبته اليوم كله ،حتى يعود فى المساء وقد نالهما من الجهد ما نالهما . واذا جلس للشراب وقفا بباب سرادقه حتى يؤذن لهما بالدخول . وقد وقفا يوما ببابه ،وانقضى اليوم دون أن يسمح لهما بمشاركته مجلس شرابه . فضجر طرفة ضجرا شديدا وقال يهجو عمرو بن هند ،وأخاه قابوس بن هند : (٣)

لَيْتَ لنا مكان المَلْك عمرو رَغُوثًا حول قُبَّتِنَا تَخُورُ

---

(١) انظر شرح الاعلم لديوان طرفه ص ١٠١ ،وانظر كذلك جمهرة الاشعار للقرشى ص ٣٢ .

(٢) انظر كتاب المقتالين من الشعراء ص ٢١٢ والفاخر ص ٦٠ ومجمع الامثال (المثل ٢١١٣)

(٣) انظر الديوان ص ١٠١ والرغوث النعجة المرضع ،والخوار صوت البقر واستعاره للنعجة .

من الزَّمِرَاتِ أَسْبَلَ قادِماها   وضرتها مُركَنَّةٌ دَرُورُ (١)

قَسَمْتَ الدهر فى زمن رخىٍّ   كذاك الحُكْمُ يقصِدُ أويجورُ

لنا يوم وللكِرْوان يومٌ   تطير البائساتُ ولا نطيرُ

الى آخر هذه الأبيات ، التى كنا قد عرضنا لها فى فصل سابق من هذا البحث (٢) .

وتندر القوم بهذا الشعر ، وذاع فيهم خبره ، حتى بلغ أسماع عمرو بن هند نفسه . فحفظها لطرفة ، وحق له ذلك . فان فى القصيدة غير ما ذكرنا من سلاطة اللسان والخوض فى الأعراض ـ ما فيها . .

أما كيف وصل هذا الشعر الى عمرو بن هند ، فان الرواة يتناقلون فى ذلك قصة لا تخلو من الطرافة (٣) وهى أن عبد عمرو بن بشر بن مرثد ابن عم طرفة ، وزوج أخته ، الذى مر بنا ذكره ، كان من ندماء عمرو ابن هند أيضا ، ومن أحب جلسائه اليه . وقد خرج معه للصيد يوما ، فى نفر من الندماء . فأمعنوا فى الطلب ، حتى أصابوا طريدتهم . فقال لهم عمرو بن هند اجمعوا حطبا وأوقدوا نارا ففعلوا . ثم شووا صيدهم وجلسوا يأكلون .

وبينا هم كذلك ، وعبد عمرو بن بشر يقدم للملك اذ نظر هذا الى خصر قميصه منخرقا ، فأبصر كشحه . وكان من أحسن أهل زمانه جسما فقال : يا عبد عمرو . . لقد أبصر طرفة حسن كشحك حين قال :

---

(١) النعجة الزمرة : القليلة الصوف (من الزمر ـ بالفتح ـ وهو قلة الشعر) وخصها لكثرة لبنها وأسبل قادماها أى طالا وكملا . وضرة مركنة أى ذات أركان . . لكثرة ما فيها من اللبن .

(٢) انظر الفصل الأول من الباب الأول من هذا البحث

(٣) انظر شرح الزوزنى للمعلقات السبع ص ٤٣

ولا خيرفيه غيرأن له غنـــى وأن له كشحا - اذا قام - أهضما (١)

وقيل بل ان عمرو بن هند أصاب في يومه ذاك ، واحدا من حمار الوحـــش فعقره ، وطلب من عبد عمرو ان ينزل فيعالجه ،فأعياه. فضحك عمــرو ابن هند وقال له : لقد أبصرك طرفة حين قال : ثم تمثل ببيت طرفـة المذكور. (٢)

وزعم آخرون بأن عمرو بن هند دخل الحمام يوما ،ودخل معه عبد عمرو هذا . فلما تجرد نظر اليه عمرو بن هند وقال : كأن ابن عمك طرفـــة كان يراك حين قال :

" ولا خيرفيه غيرأن له غنى ". . حتى أتى على الشعر كله. (٣)

وأثار عمرو بن هند حفيظة عبد عمرو بن بشر بهذا الهجاء ، ومس كرامتـه أمام الندماء. وكان مختنقا على طرفة ، لأمر كان بينهما - كما سبـــق أن ذكرنا - ولكنه لم يكن قد وجد الفرصة المناسبة ليقتص منه . فلما لاحت لـه اليوم افترصها . اذ كان يعرف ما قال طرفة في عمرو بن هند وأخيه قابـوس فقال " أبيت اللعن " ما قال فيك أشد مما قال فيّ (٤) ، أو قـــال : " لقد قال للملك أقبح من هذا " (٥)

قال عمرو بن هند : وما الذى قال ؟ فندم عبد عمرو على ما سبق منه وأبى أن يسمعه . لقد أدرك أن قول طرفة سيجلب له غضب عمرو بن هنـــد وقد يعرضه لأذاه ،وهو المعروف عند القوم بدهائه وبغيه وخبثه .

---

(١) الديوان ص٩٩ (٢) انظر الشعر والشعراء ١/١٨٦ وشرح المعلقات السبع للزوزني ص ٤٣

(٣) انظر المغتالين من الشعراء ص ٢١٣ ،والفاخر ص ٦١ ، ومجمع أمثال الميداني (المثل ٢١١٣)

(٤) انظر المغتالين من الشعراء ص ٢١٣ والفاخر ص ٦١ وشرح الزوزني ص٤٤

(٥) انظر شرح الأعلم لديوان طرفة ص١٠٣

قال عمرو بن هند : "أسمعنيه وطرفة آمن"(١) . فقرأ عليه تلك القصيدة . قال عمرو بن هند : "أوقد بلغ من أمره أن يقول فيّ مثل هذا الشعر؟"(٢) ثم أوهم عبد عمرو أنه لم يصدقه ، مخافة أن تدركه الرحم فينذر طرفة .(٣) وسكت على ما وقر في نفسه زمنا ، وهو لا يريد أن يعجل على طرفة ، لمكان قومه الذي عرفنا ، ولكنه يحتال للأمر .

وحاول طرفة أن يعتذر - وليس من طبعه الاعتذار - حين علم أن هجاءه قد بلغ عمرو بن هند ، فارسل اليه أبياتا قليلة ، ينفي فيها عن نفسه تلك الوشاية ، ولكنها لم تبلغه ما أمل من غاية . قال :(٤)

إنّي وَجَدِّكَ ما هجوتُك والأنصابِ يُسْفَحُ بينهن دمُ(٥)
ولقد هممتُ بذاك اذ حُبِسَتْ وأُمِرَّ دون عُبَيْدَةَ الوذَمُ(٦)
أخشى عقابك ان قَدَرْتَ ولم أَغْدِرْ فيؤثر بيننا الكَلِمُ(٧)

* *

فهو ينفي عن نفسه تهمة هجائه ، رهبا من غضبه وخشية من عقابه وحتى لا يؤثر عنه ذلك ، ويشيع ، فتسوء بينهما العلاقة . وهو يقسم له على صدق ما يقول ، بما تعارفوا على تقديسه . وهو لا ينسى أن ينوه له في هذه الأبيات القليلة أنه قد هم بهجائه ، وذلك عند ما أخذت ابله ، ولكنه لم يفعل .

---

(١) انظر شرح الأعلم للديوان ص ١٠٤ (٢) شرح الزوزني للمعلقات السبع ص ٤٤
(٣) مجمع الأمثال للميداني (المثل ٢١١٣) (٤) الديوان ص ١٠٦
(٥) الأنصاب حجارة كانوا ينسكون لها فأقسم بها .
(٦) حبست أي أغير عليها وهي الابل . والامرار شدة الفتل والوذم السيور وهو مثل يضرب لمن يفتي الامر دونه . وعبيدة أخو طرفة (انظر شرح الأعلم ص ١٠٦)
(٧) يؤثر بيننا الكلم أي يتناقل الحديث فتفسد العلاقة .

وتظاهر عمرو بن هند بقبول الاعتذار ،وان كان قد بيت النية للتخلص من طرفة. وبعث اليه من يطمئنه ، وهو يعد العدة لقتله والبراءة من دمه فى آن واحد . فانه كان يعلم أن بنى قيس بن ثعلبة بل بنى بكر بن وائل أجمعين لن يسلموا طرفة ، ولن يسكتوا عن الأخذ بثأره ولو بعد حين .

والحقيقة أن الذى يتصفح ديوان طرفة ،يجد بين ثناياه فى هجاء عمرو بن هند من الأشعار ،مالا يجدى معها أى اعتذار . وأى اعتذار هذا الذى يبدو فى الأبيات التى ذكرنا . إنها -الى قلتها أقرب ماتكون الى شرح حقيقة وتوضيح موقف ،وكيف يعتذر طرفة ؟ وهو الفتى الذى نعرف ؟ وماذا يجدى الاعتذار فى قوله لعمرو بن هند : (١)

أنت ابنُ هند فأُخبر من أبوك اذًا	لا يُصلح الملكَ الا كلُّ بذّاخِ (٢)
ان قلتَ نَصْرٌ فنصر كان شر فتى	قِدْمًا وأبيضَهم سِرْبالَ طبّاخِ (٣)
مافى المعالى لكم ظِلٌّ ولا وَرَقٌ	وفى المخازى لكم أسْناخ أسناخِ (٤)
ان قُسِّمَ المجدُ أكْدَى فى سَرَاتِكمُ	أو قُسِّمَ اللؤْمُ فضّلْتم بأشياخِ (٥)

---

(١) الديوان ص ١٤٧ .

(٢) الباذخ والبذاخ (بالتشديد) : العالى ،ذو الشرف . والجمع بذخ وبواذخ (اللسان بذخ)

(٣) نصر من أجداد عمرو بن هند .وأبيضهم سربال طباخ كناية عن بخله .

(٤) الظل الغزو والمنعة (اللسان ظلل) .
والورق النسل والاحداث والورقة (كالشجرة) الكريم من الرجال اللسان ورق) والسنخ (كالبرق) .الاصل من كل شئ ،والجمع أسناخ وسنوخ (اللسان سنخ) .

(٥) أكدى (كأبكى) . قل وانقطع (اللسان كدا)

فمن يسمع مثل هذا القول فى أهله ثم يسكت ، الا أن يكون غير عمرو بن هند . ومن يستطيع أن يقول مثل هذا القول فى ملوك الحيرة ، الا أن يكون طرفة ابن العبد . أو شاعرا يتمتع بجرأة كجرأة طرفة ، ويحمل لسانا كلسانه . .

على أن طرفة قد قال فى عمرو بن هند - غير ما ذكرنا - هجاء مقذعا . (١) يعف اللسان عن ذكره ، ويتسامى عن ترديده ونشره . . فقد تدنى فيه الى أخس القول وأفحشه ، ورمى الرجل بأقبح الصفات وأحطها . لقد شبهه بالمرأة الفاجرة ، التى تبيت الليل تقارف الاثام ، وترتكب الفواحش . . حين قال :

مَلِكُ النَّهَارِ وَأَنْتَ اللَّيْلَ مُومِسَةٌ (٢)

الى آخر ما قال . فان فيه من سب الرجل ، وقذف عرضه ، واساءة القول فيه ملا يغسله الا دم طرفة - كما سنرى . .

* *

---

(١) القذع (كالقلم) : الفحش من الكلام الذى يقبح ذكره . والهجاء المقذع : الذى فيه فحش وقذف وسب يقبح نشره (انظر اللسان قذع) .

(٢) انظر تفسير البحر المحيط لابى حيان الاندلسى ٣ / ١٩٥ والبيت منسوب للمتلمس فى الاغانى - ثقافة - ٢٣ / ٥٣٩ وهو فى ديوانه ص ٢٩٨ .

حيلة عمرو بن هند لقتل طرفة :

كان المتلمس ممن شارك طرفة هجاء عمرو بن هند . بل انه كان أيضا ممن أقذع له الهجاء (١) ، كما فعل طرفة . ومن قوله فيه :

قُولاَ لعمرو بن هند غيرَ مُتَّئِبٍ ... يا أخنَسَ الأنفِ والأضراسُ كالعَدَسِ (٢)

لو كنتَ كلبَ قَنيصٍ كنتَ ذا جُدَدٍ ... تكون أُرْبتُه في آخر المَرَسِ (٣)

وأسف المتلمس في هجاء عمرو بن هند أكثر من هذا ، كما أسف طرفة . حتى إن الرواة قد خلطوا في نِسْبَة بعض أبياتهما في هذا الجانب ، فهي عندهم مرة للمتلمس ومرة لطرفة (٤) .

ولذلك فإن عمرو بن هند عندما صمم على قتل طرفة قال له بعض جلسائه " انك ان قتلت طرفة هجاك المتلمس " (٥) . فوجدت هذه القولة عنده أذنا صاغية . فصمم على التخلص من المتلمس كذلك .

---

(١) الأغاني - ثقافة - ٢٣ / ٥٣٩ والبيتان في ديوانه ص ٢٩٨ - ٢٩٩

(٢) الأبة (كالهبة) ، والتوبة (كالتودة) ، والموئبة (كالموقعة) والوأب كالبرق : كلها الخزي والحياء والانقباض . والموئبات من الأمور المخزيات (انظر اللسان وأب)
وأخنس الأنف : قصيره . "والبقر كلها خنس" فلعله بذلك شبهه . (انظر اللسان خنس) . وقد شبه أضراسه بالعدس في صغرها وسوادها .

(٣) القنيص الصائد والمصيد وجماعة الصائد (اللسان قنص) . والجدة (كالقبة) الخطة في متن الحيوان تخالف لونه . والجمع جدد (كزحل) اللسان جدد والأربة (كالعصبة) : العقدة اللسان ارب . والمرسة (كالبقرة) والمرس (كالفرس) الحبل . . والجمع مرس (كبقر) وجمع الجمع أمراس (اللسان مرس) . يقول بأنه من أخس الكلاب ، وقلادته من أخس القلائد .

(٤) انظر أبيات المتلمس في الأغاني - ثقافة - ٢٣ / ٥٣٩ في موضعين و ٥٦٦ وانظر نسبتها لطرفة في الديوان ص ١٦٦ ، ١٦٧ وفي ديوان المتلمس ص ١٤٧ ، ص ٢٩٨ و ص : ٢٩٩ وفي اللسان (تيس) ، (مرس) . وفي تفسير البحر المحيط ٣ / ١٩٥

(٥) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٤٤ .

ولكن عمرو بن هند ، كان يريد أن يتخلص منهما دون أن يتحمل
د مهما . فأعرض عنهما زمنا حتى أمناه ، ثم بعث اليهما فأتياه ، فأكرم
مقد مهما ، وأحسن اليهما ، وأغدق عليهما من خلعه وعطاياه .[١] حتى
اذا تأكد من اطمئنانهما الى جانبه ، ووثوقهما به ، دعاهما اليه وقال :
" أظنكما قد اشتقتما الى أهلكما ، فهل لكما فى أن أكتب لكما الى عامل
البحرين بصلة ، وجائزة ؟ قالا : نعم . فكتب اليه بقتلهما[٢]
ثم قال لهما : " انطلقا اليه فاقبضا جوائزكما[٣]

أما طرفة فكان كما عرفنا - شابا معجبا بنفسه ، مغرورا بمكانه
فى قومه ، مدلا بمكان قومه فى الناس . ولذلك فقد استقل من شأن -
عمرو بن هند ، ونسى ما قال فيه أو تناساه . وجعل كما يروى خاله
المتلمس ، يتخلج عُجْباً وتيها فى مشيه بين يديه ، والرجل يكاد يقتلعه
من الأرض بنظرته اليه[٤]

وأما المتلمس ، فقد كان رجلا مسنا ، ذا تجربة فى الحياة ، علمته
السنوات الطوال من العمر والتجارب الكثيرة ، أن يظل حذرا مهما
كان ، وألا ينخدع بظواهر الأمور فيطمئن لكل انسان . ولذلك فانه لم

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ٤٤
(٢) كتاب المغتالين من الشعراء - لمحمد بن حبيب ص ٢١٣
(٣) جمهرة القرشى ص ٣٢ والاغانى - التقدم - ٢١ / ١٢٥ والأعلم فى شرح الديوان ص ١٠٤
(٤) انظر الاغانى - مطبعة التقدم - ٢١ / ١٢٦ ، ومجمع الأمثال للميدانى ١ / ٤١٣-٤١٤ .

يأمن عمرو بن هند ، وخامره الشك فيما كتب له ولطرفة ،قال الأعلم الشنتمرى فى شرح الديوان : " فلما هبطا النجف، (١) قال المتلمس : يا طرفة - انك غلام حديث السن ،والملك من قد عرفت حقده وغدره . وكلانا قد هجاه . فلست آمنا أن يكون قد أمر فينا بشر ،فهلم فلننظر فى كتبنا هذه ،فان يكن أمر بخير مضينا فيه وان تكن الأخرى لم نهلك أنفسنا . فأبى طرفة أن يفك خاتم الملك . وعدل المتلمس الى غلام من غلمان الحيرة عبادى (٢) ،فأعطاه الصحيفة فقرأها ،فقال : ثكلت المتلمس أمه . فانتزع الصحيفة من الغلام واكتفى بذلك من قوله واتبع طرفة فلم يلحقه ،وألقى الصحيفة فى نهر الحيرة ،ثم خرج هاربا الى الشام (٣)".

أرأيت يقظة المتلمس ومراسه وحذره (٤)؟ ثم أرأيت كيف صح ظنه وصدق حدسه ؟ وكان أن ألقى بكتاب الملك فى النهر ،ونجا من الهلاك . وفى ذلك يقول (٥) :

وألقيتُها بالثِّنْى من جَنْبِ كافرٍ كذلك أُقْنُو كل قِطٍّ مُضَلَّلِ (٦)

رضيتُ لها بالماء لما رأيتُها يجول بها التيار فى كل جَدْوَلِ

وقيل بل انه قال لطرفة : " تَعْلَمَنَّ أن الذى فى صحيفتك مثل الذى فى صحيفتى . قال طرفة : ان كان اجترأ عليك ،فلم يكن ليجترئ علىّ

(١) منطقة النجف بالعراق مشهورة ،وهى قرب الكوفة (انظر اللسان نجف ومعجم البلدان نجف)

(٢) العباد (كالبلاد) : قوم من قبائل شتى من بطون العرب، اجتمعوا على النصرانية وأنفوا أن يتسموا بالعبيد ،وقالوا : نحن العباد والنسب اليهم عبادى كأنصارى. وقد نزلوا الحيرة (اللسان عبد)

(٣) انظر الديوان ص ١٠٤ (٤) المرس (كالقلم) والمراس (كالقصاص) التجربة وكثرة علاج الامور . ورجل مرس (كفطن) : شديد مجرب للامور - انظر اللسان مرس (٥) انظر ديوانه ص ٦-٨ والاغانى ثقافة ٢٣ / ٥٤٠ و ٥٤١ (٦) الثنى كالجسم -: مكان الانحناء والانعطاف من الجبل والنهر والوادى وغيرها (اللسان ثنى) . وكافر نهر بالجزيرة بالعراق =

ولا ليقدم على". (١) ففارقه المتلمس وهو يقول (٢) :

من مبلغُ الشعراءِ عن أخويهمُ نبأً فتَصْدُقَهُمْ بذاك الأنفُسُ

أودَى الذى علِقَ الصحيفةَ منهما ونجا حِذارَ حِبائِهِ المتلمسُ (٣)

ألقِ الصحيفةَ لا أبالكَ إنه يُخْشَى عليك من الحِباءِ النِّقْرِسُ (٤)

* *

نهاية طرفة :

لم يستمع طرفة الى نصح خاله المتلمس - كما رأينا - ومضى فى طريقه ، رغم أنه قد رآى بعينه و سمع بأذنه ، ما كتب عمرو بن هند فى صحيفة المتلمس ، وكان يعلم أن أَضَمَ عمرو بن هند عليه أقوى وحقده عليه أشد . ولسنا ندرى سببا لعدم سماعه نصح خاله الا أن يكون طيشه واعتداده بنفسه قد حجبا عينه عن الرؤية ، وأصما أذنه عن السماع . والا فماذا كان ينتظر من عمرو بن هند غير ما رآه فى صحيفة خاله . . وهو الذى أقذع فى هجائه أكثر مما فعل خاله ؟

قال الأعلم الشنتمرى فى شرحه لديوانه : " ثم سار طرفة

= (اللسان كفر) ، وأقنى أى أجزى وأكافى ء (اللسان قنا) ، والقط كالمهر) : الكتاب (اللسان قطط) . والبيت للمتلمس فى موضعين (كفر وقنا) .

(١) انظر الاغانى - مطبعة التقدم - ٢١ / ١٢٦

(٢) انظر الاغانى - دار الثقافة - ٢٣ / ٥٤٤ والبيتان الأول والثانى فى ديوانه ص ١٧٧ ، والبيت الثالث فيه ص ١٨٦

(٣) أودى : هلك ، وأودى به أهلكه (اللسان ودى) . والحباء العطاء والاكرام . (اللسان حبا) .

(٤) البيت للمتلمس فى اللسان فى موضعين (أبا ونقرس) ولا أبالك ولا أبا لك مدح (اللسان أبا) والنقرس (كالشمسم) : الهلاك والداهية العظيمة أو الرجل الداهية (اللسان نقرس) .

حتى قدم على عامل البحرين وهو بهجر ، فدفع له كتاب عمرو بن هند فقرأه فقال له : هل تعلم ما أمرت فيك ؟ ، قال نعم .. أمرت أن تجيزنى وتحسن الى . فقال له العامل : ان بينى وبينك خئولة أنا راع لها ، فاهرب من ليلتك قبل أن يصبح ويعلم الناس بمكانك فانى قد أمرت بقتلك . فقال له طرفة : قد اشتدت عليك جائزتى فأحببت أن أهرب ، وأن أجعل لعمرو على سبيلا ، كأنى قد أذنبت ذنبا . والله لا أفعل ذلك أبدا .. (١)

فياعجبا لطرفة أى عجب .. حتى فى هذا الموقف يسدر بصره (٢) ويصدق فى نفسه وصفه ، فهو الذى يقول :

سادرًا أحسبُ غَيِّى رشدًا فتناهيتُ وقد صابتْ بِقُرْ (٣)

ولكنه هنا ماتناهى حتى صابت بقر فعلا ، ووقع هو فيما يحذر حقا . فأين فطنته ؟ وأين ذكاؤه ؟ ؟ وأين حنكته وأين دهاؤه .. ؟ لقد كان عليه أن يقبل انذار الوالى ، وقد أخذته فيه مروءة أو ادركته رحم ، ولكنه لم يفعل ..

قال الأعلم : " فلما أصبح أمر بحبسه ، وتكرم عن قتله . وكتب الى عمرو بن هند أن ابعث الى عملك غيرى ، فانى غير قاتل الرجل . فبعث اليه عمرو بن هند رجلا من بنى تغلب . واستعمله على البحرين ، وكان

---

(١) انظر الديوان ص ١٠٤

(٢) سدر بصره (من باب لعب) اذا تحير واضطرب ، والسادر الذى لا يبالى ماصنع ولا يهتم لشىء (انظر معجم مقاييس اللغة سدر) .

(٣) انظر الديوان ص ٧٣ ، والسادر الذى لا يهتم لشىء ولا يبالى ماصنع (اللسان (سدر) ، والغى الضلال ، وتناهى أى كف ورجع - اللسان نهى) ، وصابه السهم لم يخطىء ، وصابت المنية أى أصابت (وصابت بقر) مثل تضربه العرب للمصيبة أو الشدة تصل الى مداها وقرارها وتقع فى موضعها (انظر اللسان قرر) وقد تمثل على ذلك ببيت طرفة .

رجلا شديدا شجاعا ، وأمره بقتل طرفة . فقدم البحرين وقرأ عهده على أهلها . فلبث أياما فاجتمعت بكر بن وائل فهمت به . وكان طرفة يحرضهم . وانتدب له رجل من عبد القيس ثم من الحواثر ، يقال له أبو ريشة ، فقتله فقبره بهجر ، بأرض منها لبنى قيس بن ثعلبة (١) .

وهكذا مضى طرفة الى حيث أراد الله أن يمضى ، دون أن يحرك أهله ساكنا للدفاع عنه ، غير أنهم هموا بالعامل - كما يقول الاعلم - ثم سكتوا . فما الذى هون عليهم أمر طرفة فأهملوه ؟ وكان بمقدورهم أن يستنقذوه . ؟ ؟ وقد كان طرفة يحرض قومه من سجنه دون أن يسمعوه . ومن ذلك قوله فى قصيدة طويلة مطلعها (٢) :

أَلا اعْتَزِلِينِى اليَوْمَ خولةُ أو غُضِّى فقد نزلتْ حدْبا ءُ مُحكمةُ العَضِّ (٣)

وكان العامل حين سجنه قد بعث اليه بجارية تسمى خولة ، فلفظها طرفة وقال تلك القصيدة (٤) . وفيها يقول :

ألا أبلغا بكر العراق بْنَ وائلٍ بكأسٍ سَقَى النصرىُّ شاربَها رَمْضِ (٥)
وكنا على ذى مِرَّةٍ وسط قومنا ضُبَيْعَةَ قِدْماً نضربُ الناس عن عُرْضِ (٦)

---

(١) انظر الديوان ص ١٠٥ (٢) انظر الديوان ص ١٦٨

(٣) غض البصر : كفه وخفضه وكسره . والحالة الحدباء : الصعبة الشديدة التى لا يطمئن صاحبها لها (اللسان حدب)

(٤) ابن السكيت فى نسخ الديوان المخطوطة الاولى ظهر ورقة ٣٠ والثانية ورقة ٢٧

(٥) النصرى هو عمرو بن هند ، فالمناذرة من آل نصر . والرمض (بالسكون) مصدر رمض النصل يرمضه (بضم الميم وكسرها) رمضا : حدده ، فهو رميض . والرمض كذلك شدة الغيظ (اللسان رمض)

(٦) المرة (كالهرة) : القوة والشدة والعزيمة ، ورجل ذو مرة : أى قوى شديد (انظر اللسان مرر) ، والعرض (بالضم) هو الجانب أو الناحية من كل شىء ، ويضربون الناس عن عرض أى لا يبالون من ضربوا (انظر اللسان عرض)

وذ هبت صيحته أدراج الرياح ، وكأن الصمم قد أصاب قومه ، فأطلق فيهم صيحة أقوى ، وضمنها انفعاله ويأسه . قال : (١)

أبلغ سراة بنى بكر مُغَلْغَلَةً ... فجدَّعَ الله من آذانها اليمنا (٢)

مَا دافعوا فيرى فيهم مكانُهُمُ ... ولا سمعنا لها من ذكرها حَسَنا

ولكن حظ صيحته هذه لم يكن أوفر من حظ سابقتها . وهو أمر يدعو للعجب ، فلم يكن ذلك من شأن العرب . وكيف يكون من شأنهم وشاعرهم يقول : (٣)

لا يسألون أخاهم حين يندُبهم ... فى النائبات على ما قال بُرهانا (٤)

واكتفى قوم طرفة بطلب ديته بدل المطالبة بدمه . فأخذها أخوه معبد بن العبد من الحواثر ، لما كان من قتل صاحبهم اياه . (٥) وفى ذلك يقول المتلمس :

أَبنى قِلَابَةَ لم تكن عاداتكم ... أخذَ الدنيَّةِ قبل خُطَّةِ مِعْضَدِ (٦)

---

(١) انظر الديوان ص ١٩٨

(٢) المغلغلة (بفتح الغينين) : الرسالة المحمولة من بلد الى بلد انظر اللسان غلل ، والجدع : القطع ، وقيل الذى يكون فى الانف والاذن والشفة واليد ونحوها . (انظر اللسان جدع)

(٣) هو قُريط بن أُنيف أحد بنى العنبر فى نونيته المشهورة :
لو كنت من مازن لم تستبح ابلى ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
انظر حماسة أبى تمام * طبعة بولاق ١ / ٥ وشاهد نافيها ١ / ٩ وقبله قوله :
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا اليه زرافات ووحدانا

(٤) ندب القوم الى الامر يندبهم (كنصر ينصر) : دعاهم وحثهم (اللسان ندب)

(٥) ابن السكيت فى نسخ الديوان المخطوطة ص ٩ فى ٥٢ أ د ب ش ص ٨ فى ٩٦ أ د ب ش . وانظر كذلك جمهرة القرشى - بتحقيق البجاوى ص ٩٩ . وان كانوا قد ذكروا أنهم ودوه الى أبيه - وهو خطأ .

(٦) البيت فى ديوانه ص ١٤٩ ، وقلابة احدى جدات طرفة ، كانت =

وانطلقت الخرنق أخت طرفة ، تبكيه بشعرها الذى رأينا - حار البكاء ، كما انطلق لسانها فى عبد عمرو بن بشر بن مرثد وفى عمرو بن هند نفسه ، بأقذع الهجاء.(١)

وبموت طرفة بن العبد ، طويت صفحة حية من صفحات الأدب العربى ، كانت ستكون مجلدا ضخما ، لو كتب لصاحبها امتداد فى الحياة . اذ أنه على قصر عمره ، قد حير بنبوغه الباحثين ، وشغل بشعره الدارسين .

وسنرى مصداق ذلك فى الباب القادم من بحثنا هذا ان شاء الله تعالى . .

* *

= تحت جده سعد بن مالك . والدنية الخسيس من الأمور ويقال للرجل اذا طلب أمرا خسيسا لقد دنّى (بالتشديد) (انظر اللسان دنا) . ومعضد (كمبرد) هو معضد بن عمرو الذى تولى قتل طرفة (انظر الديوان ص ١٤٩) .

(١) انظر شعر الخرنق فى عمرو بن هند ، وفى عبد عمرو بن بشر ابن مرثد فى ديوانها - بتحقيق الدكتور حسين نصار ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

الباب الثانى

شعر طرفة

الفصل الأول : دراسة تاريخية
الفصل الثانى : موضوعات شعره
الفصل الثالث : خصائص شعره

الفصل الأول

دراسة تاريخية

المبحث الأول : مصادر شعر طرفة ورواة ديوانه

المبحث الثانى : الانتحال فى شعر طرفة

المبحث الثالث : طرفة فى رأى القدماء

الفصل الأول
دراسة تاريخية

المبحث الأول: مصادر شعر طرفة ، ورواة ديوانة :

مصادر شعره :

كان حظ الشعر العربى فى الجاهلية - على قلته - أوفر من حظ نظائره من أشعار الامم القديمة الاخرى . وذلك بفضل ما خص الله به العرب من ذاكرة حافظة ، ظلت تتناقل روايته جيلا بعد جيل بالمشافهة أساسا ، وببعض قليل من الكتابة أحيانا . ثم بفضل ما بذله علماء العربية من جهود لجمع تلك الاشعار . فقد كانت تلك الجهود هى السبب المباشر فى وصول هذه الاشعار الينا .

اذ أنه ما ان بدأ عصر التدوين فى أواخر القرن الثانى الهجرى حتى انبرى أولئك العلماء فى المدرستين المشهورتين البصرة والكوفة لجمع ذلك الشعر وتسجيله ، من رواته وحفظته من أبناء البادية وفصحاء العرب . سواء أكانوا يغزونهم فى مضارب أقوامهم ، فيكتبون عنهم مايكتبون ، أو كانوا يتلقونهم وهم يوافون أسواق البصرة والكوفة ، ويرودون حلقات العلماء ، يمتارون ويتكسبون بما يحفظون . وقد كان أولئك الاجلاء ، يعتبرون ذلك مفخرة من مفاخرهم ، ومأثرة من مآثرهم .

بل لقد كان الناس فى ذلك الزمان - والعلماء منهم خاصة - يعتبرون العالم الذى لم يسمع من الاعراب أدنى مرتبة وأقل علما ، قال ابن الانبارى

وهو يتحدث عن يونس بن حبيب (١) :

"وكانت حلقته بالبصرة ، وكان يقصده طلبة العربية ، وفصحاء الاعراب والبادية ." (٢)

وقال الجاحظ فى البيان والتبيين : " وقد جمعت لك فى هذا الكتاب جملا التقطناها من أفواه أصحاب الاخبار ." (٣)

واذا كان هذان الخبران من جملة الاخبار التى تدل على أن العلماء قد فتحوا أبوابهم على مصراعيها لفصحاء الاعراب يدخلونها متى يشاءون ، فيسمعون منهم ويكتبون عنهم ، فان الاخبار على ارتياد العلماء لمضارب القوم فى الصحراء كثيرة كذلك . .

قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : " دخل أبو عمرو ، اسحق بن مرار - الشيبانى - البادية ، ومعه دستيجتان من حبر ، فما خرج حتى افناهما بكتب سماعه عن العرب ." (٤) وأين ما كتبه أبو عمرو الشيبانى بهاتين الزجاجتين ، مما كتبه الكسائى (٥) رحمة الله عليه عندما حمل معه الى الصحراء أضعاف أضعافهما من زجاجات الحبر .

---

(١) هو عبد الرحمن - يونس بن حبيب - مولى بنى ضبة ، امام نحاة البصرة فى عصره . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، وسمع من العرب كما سمع من قبله . وأخذ عنه سيبويه وحكى عنه فى كتابه ، وأخذ عنه كذلك الكسائى والفراء وغيرهما . وقد عمر ثمان وثمانين سنة ، وتوفى سنة اثنتين وثمانين ومائة ." انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٤١ ، ونزهة الالباء ص ٤٩ ومعجم الادباء ٢٠ / ٦٤ وغيرها .

(٢) نزهة الالباء ص ٤٩ ، وانظر كذلك معجم الادباء ٢٠ / ٦٤

(٣) البيان والتبين ٢ / ١٨ .

(٤) نزهة الالباء ص ٩٣ والدستيجتان مثنى دستيجة وهو قنينة الحبر بالفارسية

(٥) هو أبو الحسن ، على بن حمزة الكسائى - أحد مشاهير النحاة =

ذكر ابن الانبارى فى نزهة الالباء ،أن الكسائى سأل الخليل [١] : من أين علمك ؟ فقال : من بوادى الحجاز وتهامة . فخرج الكسائى وأنفد خمس عشرة قنينة حبرا فى الكتابة عن العرب، سوى ماحفظه" [٢].

فلما اجتمع لأولئك العلماء هذا القدر من الاشعار ،أخذوا يضعونها " طورا فى مجموعات شعرية لقبائل أو طبقات اجتماعية معينة وأخيرا فى مختارات ومنتخبات" [٣]. ناهيك عماعجت به صفحات كتبهم اللغوية والادبية والنحوية والدينية والتاريخية وغيرها ،من تلك الاشعار . اذ كانوا يتمثلون بها على معانى مفردات اللغة أومختلف أساليب الادب ، أو متشعب مسائل النحو ،أو متعدد حوادث التاريخ .

وقد كان شاعرنا طرفة بن العبد - على قلة شعره - ذا حظوة وحظ وافرين عند أولئك العلماء ، فمامن صاحب اختيار الا اختار له وما من واضع مصنف الا استشهد بشعره . بل لقد كان حظه أوفر من حظ كثيرمن شعراء الجاهلية المعمرين ، حين وصلنا ديوانه

= الكوفيين وأحد أئمة القراء السبعة . أخذ عنه الفراء وأبوعبيد القاسم بن سلام وآخرون . وله كتب فى النحو والقراءات وغير ذلك من العلوم . وقد توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة (انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٥ ،ونزهة الالباء ص ٦٧ وانباه الرواة ٢/٢٥٦

(١) هوالخليل بن أحمد الفراهيدى - نسبة الى فخذ من الازد يقال لهم الفراهيد ،كان سيد أهل الادب قاطبة فى علمه وزهده .وكان من تلاميذ أبى عمرو بن العلاء . وهو أول من استخرج علم العروض وضبط اللغة . وهو أستاذ سيبويه فى النحو . وقد غلب النحو عليه حتى اشتهر به . وان كان له باع فى غيره من العلوم .وقد توفى رحمة الله عليه سنة ستين ومائة (انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٤١) ونزهة الالباء ص ٤٥ ، ومعجم الادباء ١١/٧٢ .

(٢) انظر نزهة الالباء ص ٦٩ .

ولم تصلنا لكثيرمن أولئك دواوين .

ولعل أقدم مابقي من تلك المجاميع الشعرية هو الاختيارات التى جمعها حماد الراوية وسماها السموط أوالمعلقات.(١) وهى تلك القصائد الطوال المشهورة التى كثرالحديث عنها ، حتى زعموا أنها كانت معلقة على جدران الكعبة ، مكتوبة بماء الذهب. وقد ذكر أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس أن حمادا(٢) ، هو الذى جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ماذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة.(٣)

وكانت المعلقات عند حماد سبعا ، هى معلقات امرىء القيس ابن حجر ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن أبى سلمى ، ولبيد بن ربيعة ، وعنترة بن عمرو بن شداد ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة. ولكن المفضل الضبى حين روى المعلقات السبع استبدل بمعلقتى عنترة بن عمرو بن شداد ، والحارث بن حلزة ، قصيدتين للنابغة والأعشى(٤) .

وللمعلقات شروح كثيرة من أهمها شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى.(٥) وشرح المعلقات السبع للزوزنى(٦) ، وشرح

---

(١) انظرتاريخ الأدب العربى ـ للمستشرق بروكلمان ـ١ / ٦٧

(٢) أحد رواة الكوفة المشهورين للأشعار والأخبار. وقد روى ابن قتيبة قال حدثنى أبوحاتم عن الاصمعى ـ أنه لم يكن يرضى رواية حماد انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٤١ ونزهة الألباء ص ٣٥.

(٣) انظرنزهة الألباء ص ٣٥ ، ومعجم الأدباء ١٠ / ٢٦٦.

(٤) انظرتاريخ الادب العربى ـ لبروكلمان ١ / ٦٧

(٥) هو أبوبكر محمد بن القاسم بن بشار ـ المعروف بابن الانبارى . كان أحد أعلام عصره فى اللغة وعلوم القرآن ، وكان صائنا لنفسه معروفا بالصدق حافظا حسن البيان ـ توفى سنة ٣٢٨ هـ.

(٦) توفى الامام الأديب القاضى المحقق أبوعبد الله الحسين بن احمد ابن الحسين الزوزنى سنة ٤٦٨ هـ .

القصائد العشر للتبريزى . (١) وكان أبوجعفر النحاس (٢) ، قد وضع شرحا للمعلقات التسع جامعا بين ما رواه حماد والمفضل . أما التبريزى ـ فقد أضاف لذلك قصيدة عبيد بن الأبرص البائية ليتمها عشرا . (٣) .

ثم وضع المفضل الضبى اختيارات عرفت بالمفضليات ، وهى أوسع من المعلقات وأغزر ، فقد حوت مائة وثلاثين قصيدة ومقطوعة ، وكان للشعراء الجاهليين النصيب الأوفر منها . وآخر تحقيق لها هو ماصنعه الأستاذان أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، وطبعته دار المعارف بمصر عدة طبعات ، والمفضليات وان لم يكن لطرفة فيها شىء ، الا أن شرحها لابن الأنبارى قد تناثرت أبيات لطرفة بين ثناياه .

ثم وضع الأصمعى اختيارات أخرى عرفت بالأصمعيات ، جمع فيها حوالى اثنتين وتسعين مقطوعة ، كان لطرفة من بينها قطعة صغيرة من أربعة أبيات. وكان آخر عمل فى الأصمعيات هو تحقيقها الذى قام به الأستاذان أحمد شاكر وعبد السلام هارون أيضا ، وتولت دار المعارف بمصر طبعه عدة مرات ، كما فعلت بالمفضليات. ثم جاء أبو زيد القرشى فى القرن الثالث الهجرى فجمع فى كتابه الذى أسماه (جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والاسلام) تسعا وأربعين قصيدة . جعلها سبعة أبواب بكل باب سبع قصائد ...

---

(١) توفى أبوزكريا يحيى بن على بن محسن بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام التبريزى المعروف بالخطيب سنة ٥٠٢ هـ (انظر ترجمته فى انباه الرواة ٤ / ٢٢ ، ونزهة الألباء ص ٣٧٢)

(٢) هو أحمد بن محمد بن اسماعيل الصفار المعروف بأبى جعفر النحاس كان نحويا فاضلا ، من أهل مصر ـ رحل الى بغداد فأخذ عن المبرد وغيره وعاد الى مصر فأقام بها الى أن مات سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وقد صنف فى النحو واعراب القرآن . وشرح القصائد الطوال . وهى عنده تسع وترتيبها عنده : امرؤ القيس ، النابغة ، زهير ، طرفة عنترة ، عمرو بن كلثوم ، الأعشى ، الحارث بن حلزة ، لبيد (انظر نزهة الألباء ص ٢٩١ ومعجم الأدباء ٤ / ٢٢٤ وفهرست ابن خير الاشبيلى ص ٤١٥

(٣) انظر مقدمة الخطيب التبريزى لشرح القصائد العشر [illegible]

فالمعلقات ،والمجمهرات ،والمنتقيات ،والمذهبات ،والمراثى ، والمشوبات ،وأخيرا الملحمات.

وقد روى عن المفضل الذى هو سند روايته قال : " قال المفضل "فهذه التسع والاربعون قصيدة عيون أشعار العرب ،فى الجاهلية والاسلام ، وأنفس شعر كل رجل منهم" (١)

ثم ذهب الأدباء والعلماء الى نوع جديد من الاختيارات تخففوا فيه من القصائد الطوال ،واقتصروا على المقطوعات الصغيرة يقسمونها على موضوعات الشعر وأبوابه المختلفة . فهذه مختارات فى الحماسة وهذه فى المراثى ،وأخرى فى الأدب أوالنسيب أوالهجاء أوالمديح أوغيرذلك. وأول من بدأ هذا النوع من الاختيارات هو أبو تمام الشاعر المشهور. (٢)

وقد جمع أبوتمام فى كتابه المسمى بديوان الحماسة ـ نسبة لأول باب من أبوابه ـ ثمانمائة وفيِّفًا وسبعين مقطوعة ،قسمها على عشرة أبواب وبدأها بما قيل فى الحماسة ،وختمها بما قيل فى مذمة النساء. وقد اختار أبوتمام فى حماسته هذه لطرفة قطعة من خمسة أبيات. ولأبى تمام اختيارات أخرى تسمى الوحشيات ،أوكتاب الحماسة الصغرى ،وضعها على نفس أبواب الحماسة الكبرى تقريبا . وجمع فيها أكثرمن خمسمائة مقطوعة مما شردت معانيه وكثر غريبه ." وأغلبها للمقلين من الشعراء

---

(١) انظرجمهرة الاشعار ـ بتحقيق البجاوى ص ١٠٧ .والمفضل هذا غير المفضل الضبى المشهور ،فان بين الرجلين أكثرمن قرن من الزمان وأبو زيد القرشى والمفضل هذا . مجهولان للعلماء (انظر تاريخ الأدب العربى لبروكلمان (١/ ٧٥) .

(٢) هو حبيب بن اوس الطائى المعروف بأبى تمام الشاعر العباسى الذائع الصيت .كان فطنا فهما ـ ساد شعره وشاع ذكره . .وبلغ المعتصم خبره فاستدعاه وأجازه وقدمه على شعراء عصره .وقد كان =

أوالمغمورين منهم (١) ، ولذلك فليس فى كتاب الوحشيات لطرفة شىء .

ثم جاء أبو عبادة البحترى (٢) ، فوضع حماسته على نسق حماسة أستاذه أبى تمام . ولكنه وسعها عنه ، فقد جعلها مائة وأربعة وسبعين بابا ، جمع فيها حوالى خمسمائة وألف مقطوعة . وقد اختار لطرفة فيها ثمانية مواضع .

ثم جاء الخالديان (٣) ، فجمعا فى كتاب الأشباه والنظائر مئات من المقطوعات لمئات من الشعراء فى مئات من الأبواب . وقد خالف الخالديان أقرانهما ممن صنعوا دواوين فى الحماسة ، حين أعملا رأيهما فيما رويا ، فقد ضما ماتشابه وتناظر من الأبيات فى كل أمر ثم بينا الجيد منه وغير الجيد فى أغلب الحالات . وكذلك لم يفتهما فى كثير من المواضع أن يذكرا من سبق الى هذا المعنى من الشعراء وقد اختار الخالديان لطرفة فى ستة مواضع .

وعلى غرار ما صنع أبو تمام والبحترى - صنع ابن

= وبذلك حسن الأخلاق كريم النفس . ولد سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات سنة احدى وثلاثين ومائتين . (انظر نزهة الالباء ص ١٠٥) .

(١) انظر مقدمة محقق كتاب الوحشيات ص ٦ .

(٢) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى ، أبو عبادة البحترى ، الشاعر المشهور . وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر الناس فى زمانهم والآخران هما أبو الطيب المتنبى ، وأبو تمام ، وقد ولد البحترى بمنبج (كمنزل) بين حلب والفرات سنة ٢٠٦ هـ ورحل الى العراق واتصل بالمتوكل الخليفة العباسى ، ثم عاد الى الشام وتوفى بمنبج مسقط رأسه سنة ٢٨٤ هـ (انظر الاعلام للزركلى ٩ / ١٤١) . قال أبو الفرج الاصفهانى "كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء المحدثين" وله تصرف حسن فاضل نقى فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة" . انظر الاغانى - دار الثقافة - ٢١ / ٣٩ .

(٣) هما الأديبان الشاعران الموصليان ، أبو بكر =

الشجرى (١) فى الحماسة الشجرية ، حيث جمع فيها نيفا وأربعين وتسعمائة مقطوعة ، ولكن ليس لطرفة فيها شئ . ثم جاء البصرى (٢) فجمع فى الحماسة البصرية أكثر من ستمائة وألف مقطوعة ، وذلك فى مختلف الموضوعات. وبعض تلك المقطوعات قصائد ، وبعضها أبيات مفردة ، وأكثرها مقطوعات صغيرة . وقد اختار لطرفة فيها فى خمسة مواضع.

وقد جمع علماء العربية - غير هذه الاختيارات التى مر ذكرها وغير دواوين الشعراء التى سيأتى ذكرها - دواوين القبائل . وقد وصلت الينا من تلك الدواوين أخبارها ولم تصل الينا أشعارها . اذ لم يكتب لها البقاء عبر هذه السنين ، وضاعت فيما ضاع من تراثنا الثمين ولم يبق لنا منها الا ديوان هذيل (٣) ، الذى شرحه أبو سعيد السكرى . (٤) وقد تناثرت فى ثنايا شرحه أبيات لطرفة بن العبد .

= محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم بن وعلة بن عرام - من بنى عبد القيس - كان أصلهما من الخالدية ، قرية من أعمال الموصل فنسبا اليها . قيل انهما رحلا الى بغداد لطلب العلم وأخذا عن أبى بكر بن دريد ، والصولى (ت ٣٣٥) وغيرهما . وكان ينظمهما - كما قال ثعلب - " من أخوة الادب مثل ما ينظمهما من اخوة النسب" . وقد توفى الاول أبو بكر محمد سنة ٣٨٠ هـ وتوفى الثانى أبو عثمان سعيد سنة ٣٩٠ - ٣٩١ هـ . (انظر مقدمة محقق كتاب الاشباه والنظائر - الدكتور السيد محمد يوسف) .

(١) هو هبة الله بن على بن محمد بن حمزة - المعروف بابن الشجرى أحد علماء النحو واللغة وله فيهما تصانيف وقد توفى سنة ٥٤٢ هـ (انظر نزهة الالباء ص ٤٠٤ وانظر وفيات الاعيان - دار الثقافة ٦/ ٤٥) .

(٢) توفى الاديب المشهور على بن أبى الفرج المعروف بالبصرى سنة ٦٥٦ هـ .

(٣) انظر مصادر الشعر الجاهلى ص ٥٦١

(٤) هو أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبى صفرة السكرى النحوى أخذ عن أبى حاتم السجستانى . وكان ثقة =

أما كتب اللغة والأدب والنحو والتاريخ والتفسير وغيرها ،فقد احتفظت هي الأخرى بأشعار كثيرة لا يكاد يحصيها العد ،وكان لطرفة فيها نصيب وأي نصيب. وأصدق دليل على ذلك ما حواه من شعر طبقات الفحول لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وكذلك الحيوان ، وتاريخ اليعقوبي والطبري وغيرهما ، وجمهرة ابن دريد وغيرها من كتب اللغة وكتاب سيبويه وغيره من كتب النحو ،والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والامالي لأبي علي القالي ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وسمط اللئالي للبكري ومعجم البلدان لياقوت الحموي . . وغير ذلك كثير.

ديوان طرفة :

على أن أهم مصدر لشعر طرفة هو ديوانه الذي وصل الينا فيما وصل من دواوين . فقد كان طرفة - كما ذكرنا - من ذوي الحظ الوافر الذين وصلت دواوينهم الينا ،وهم ثلة قليلة من بين المئات من الشعراء الذين ضاعت دواوينهم ،ولم تصلنا الا أشعار متفرقة لهم.

وقد وصل الينا ديوان طرفة من أصول ثلاثة ،ليس هناك غيرها

= دينا حاذقا . ولد سنة ٢١٢ هـ وتوفي سنة ٢٧٥ هـ . (انظر نزهة الالباء ص (٢١) .

فيما أعلم والله أعلم كما يستحق من المصادر التى عنيت بذلك وهذه الأصول الثلاثة هى ماعمله أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت (١)، وما صنعه أبوالحجاج يوسف بن عيسى بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتمرى (٢)، وماصنعه الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسى (٣).

فأما عمل ابن السكيت، فلا أعلم أن أحدا طبعه بمفرده. وان كانت مطبعة أرنك بمدينة قازان بالروسيا قد قامت سنة (١٩٠٩م) تسع وتسعمائة بعد الألف ميلادية، بطبع ديوان طرفة بشرح العلامة المرحوم الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطى المتوفى سنة (١٣٣١هـ) - احدى وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف للهجرة النبوية الشريفة، والذى كان قد انتهى من جمعه وشرحه "فى أوائل شهر ربيع الثانى سنة ١٣٢٧ (٤)

وقد اعتمد الشنقيطى فى شرحه هذا على شرح ابن السكيت والأعلم ورتبه كما يقول - على رواية ابن السكيت. ففى أول صفحة من مقدمته يقول بعد حمد الله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده: "وبعد، فقد عملت شرحا لديوان طرفة بن العبد، أحد فحول شعراء الجاهلية الأقدمين، مرتبا له على رواية يعقوب بن السكيت، وأشرت الى ما أخذت من تعليقه بقاف بين قوسين، ونبهت على مالم يروه الشنتمرى فى شرح الستة".

---

(١)، (٢) ستأتى ترجمتاهما - عند الحديث على رواة الديوان فى هذا الفصل - ان شاء الله تعالى.

(٣) هو عاصم بن أيوب الأديب البطليوسى، الاندلسى أبوبكر، كان من أهل الآداب والمعرفة باللغات، ضابطا لذلك. مع خير وفضل وفقه. وله شروح على الأشعار والمعلقات. وقد توفى رحمه الله سنة ٤٩٤هـ (انظر انباه الرواة ٢/٣٨٤، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ص ١٠١، وبغية الوعاة ٢/٢٤). (٤) انظر ص ٧٥ من تلك المطبوعة.

وفى صفحة ٦٥ من تلك النسخة يقول الشيخ الشنقيطى : " وهذا آخر ماعثرت عليه من رواية ابن السكيت ، وسأسرد بقية القصيدة على ما حفظت من رواية الشنتمرى . والانسان محل النسيان " . وفى آخر عمله يقول : " انتهى ديوان طرفة . بحمد الله تعالى وحسن عونه ، قال شارحه الفقير اليه تعالى : بينت فى أوله أنى جمعت بين روايتى ابن السكيت والشنتمرى ، ورتبته على رواية الاول ".(١)

وهذه النسخة - فضلا عن كونها غير يسيرة التداول بين أيدينا - فانها لم تتخصص فى رواية ابن السكيت ، بل لقد خلطتها كما يقول شارحها برواية الاعلم . ولذلك فقد رجعت الى مخطوطتى عمل ابن السكيت لديوان طرفة ، المحفوظتين بدار الكتب المصرية .

أما الاولى فهى مخطوطة - مكتوبة بقلم قديم - أى بخط النسخ الواضح . ومضبوطة بالشكل ضبطا تاما ، ويستوى فى ذلك الشعر والشرح . ومكتوب على الصفحة الاولى منها : " قريض طرفة بن العبد - كاتبه محمد بن أبى سعيد - غفر الله له . كانت ملك الاخوين جبرائيل ونصر الله عبد الله دلول بحلب سنة ١٨٥٩م" . وهى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٥٢ أدب ش) .

وأما الثانية فهى مخطوطة - مكتوبة بقلم معتاد - قريب من خط الرقعة ، ومكتوب على الورقة الاولى منها : " بخط الفقير اليه تعالى يونس الخطيب الحسنى الحيفاوى" . وهى ليست مضبوطة بالشكل ، وليس عليها أى تاريخ . وهى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٩٦ أدب ش)

---

(١) انظر تلك المطبوعة ص ٧٥ .

وقد روى ابن السكيت كما نتبين من هاتين المخطوطتين لطرفة ثمانيا وعشرين قصيدة ومقطوعة، بشروح غير وافية. ولكنه أثبت في ثناياها كثيرا من أخبار طرفة. كقصة اشتراكه مع عمرو بن أمامة في خروجه على أخيه لأبيه عمرو بن هند.(١) وقصة كتاب عمرو بن هند له ولخاله المتلمس التي عرفت بصحيفة المتلمس.(٢) وقد مر بنا ذلك في الباب السابق.

وابن السكيت وان كان كوفيا، فقد أخذ - كما سنرى - عن علماء المدرستين البصرة والكوفة. ولذلك فان صنعه لديوان طرفة هذا مأخوذ عن الأصمعي وأبي عبيدة من علماء البصرة، وعن المفضل وأبي عمرو الشيباني وابن الاعرابي وابن حبيب من رواة الكوفة.

وأما ما صنعه أبو الحجاج الأعلم الشنتمري، فهو شرح ديوان طرفة بن العبد، ضمن مؤلفه الكبير "شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين". وهو كتاب قال في مقدمته: "فجعلت الديوان متضمنا لشعر امرئ القيس بن حجر الكندي، وشعر النابغة زياد بن عمرو الذبياني، وشعر علقمة بن عبدة التميمي، وشعر زهير بن ابي سلمى المزني، وشعر طرفة بن العبد البكري، وشعر عنترة (بن عمرو) بن شداد العبسي"(٣).

---

(١) انظر ورقة ٢ من كلتا المخطوطتين. (٢) انظر ظهر ورقة ٧ في المخطوطة الاولى وظهر ورقة رقم ٦ في الثانية

(٣) انظر ديوان طرفة بشرح الأعلم ص ٢

وقد اعتمد الاعلم فيما جلبه من هذه الاشعار - كما يقول " على أصح رواياتها ، وأوضح طرقاتها . وهى رواية عبد الملك بن قُرَيب الاصمعى ، لتواطؤ الناس عليها ، واعتياد هم لها ، واتفاق الجمهور على تفضيلها . وأتبعت ما صح من رواياته ، قصائد متخيرة من رواية غيره " (١) وهكذا لم يقتصر الاعلم على ما رواه الاصمعى ، فقد أتبعه بما صح له عند غيره من الرواة البصريين كأبى عبيدة ، أو الكوفيين كالمفضل الضبى ، وأبى عمرو الشيبانى ، وغيرهما .

هذا وقد قام الاعلم بشرح ما جمع من الاشعار شرحا تاما قال : " وشرحت جميع ذلك شرحا يقتضى تفسير جميع غريبه ، وتبيين معانيه ، وما غمض من اعرابه . ولم أطل فى ذلك اطالة تخل بالفائدة وتمل الطالب الملتمس للحقيقة " (٢) وقال : " وقد فسرت جميع ما ضمنته هذا الكتاب تفسيرا لا يسع الطالب جهله ، ويتبين الناظر المنصف فضله . والله الموفق للصواب ، وهو حسبى ونعم الوكيل " . (٣)

ويمتاز مؤلف الاعلم الشنتمرى هذا عن غيره بميزة فريدة ، فروايته واضحة المعالم معروفة النسب الى الاصمعى ، فصلها ابن خير

---

(١) انظر ديوان طرفة بشرح الاعلم ص ٢
(٢) نفس المصدر ص ٢ أيضا .
(٣) انظر ديوان طرفة ص ٣

الاشبيلى [١] فى فهرست ماروا‌ه عن شيوخه ، قال : " كتاب الاشعار الستة الجاهلية ، شرح الأستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان النحوى الأعلم رحمه الله . حدثنى بها أيضا قراءة منى عليه لها ولشرحها : الوزير أبو بكر محمد بن عبد الغنى بن عمر بن فندلة [٢] رحمه الله ، عن الأستاذ أبى الحجاج الأعلم مؤلفه رحمه الله ويرويها الأستاذ أبو الحجاج الاعلم المذكور عن الوزير أبى سهل يونس بن أحمد الحرانى ، [٣] عن شيوخه أبى مروان عبيد الله بن فَنَسْرح الطوطالقى [٤] وأبى الحجاج يوسف بن فضالة [٥] ، وأبى عمر بن أبى الحُباب [٦] ، كلهم يرويها عن أبى على البغدادى [٧] عن أبى بكر ابن دريد [٨] ، عن أبى حاتم [٩] ، عن الأصمعى رحمه الله " [١٠]

---

(١) توفى الشيخ الفقيه المقرىء المحدث المتقن أبو بكر: محمد بن خير بن عمر ابن خليفة الاموى الاشبيلى سنة ٥٧٥ هـ عن ثلاثة وسبعين عاما .

(٢) هو محمد بن عبد الغنى بن عمر بن عبد الله بن فندلة (كخردلة) ، من أهل اشبيلية . يكنى أبا بكر . صحب أبا الحجاج الاعلم الشنتمرى كثيرا واختص به كان أديبا لغويا شاعرا فصيحا . وكان مولده سنة ٤٤٤ هـ وكانت وفاته سنة ٥٣٣ هـ (انظر الصلة لابن بشكوال ص ٥٨٣) .

(٣) هو يونس بن احمد بن يونس بن عيسون (كزيدون) ، الجذامى المعروف بابن الحرانى من أهل قرطبة ويكنى أبا سهل . وكان بصيرا بلسان العرب حافظا بالاشعار الجاهلية يقرأ الناس عليه ويقتبسون منه . وقد توفى سنة ٤٤٢ هـ عن تسع وسبعين سنة . (انظر الصلة ص ٦٨٦) .

(٤) توفى الطوطالقى هذا سنة ٣٨٦ هـ عن إثنتين وستين سنة ، وهو من أهل قرطبة ومن علماء الادب واللغة . وقد روى عن ابى على القالى . (انظر الصلة ص ٣٠٠) واختلف العلماء فى فرح (والد الطوطالقى) ، فذكرها ابن النديم فى الفهرست فرج (بالجيم) ، وكذلك فعل القفطى فى انباه الرواة (٢ / ١٥٣) أما ابن بشكوال فى الصلة فقد ذكرها (فرح) (كلقب) بحاء مهملة (الصلة ص ٦٧٦)

(٥) هو من اصحاب ابى على القالى وقد أخذ عنه ابو سهل الحرانى وذكره .

(٦) هو احمد بن عبد العزيز بن فرج بن ابى الحباب النحوى من أهل قرطبة . يكنى ابا عمر . كان عالما باللغة والاخبار وحافظا ضابطا لها ثقة فيما يرويه منها وقد توفى سنة ٤٠٠ هـ (انظر الصلة ص ١٩) . وقد روى عنه ابنه عبد العزيز المتوفى سنة ٤١١ هـ كتبا من كتبه ولكنه لم يكن بالضابط لها . (انظر انباه الرواة ١ / ١٠٨) (٧) هو اسماعيل بن محمد المعروف بابى على القالى . كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين . أخذ الادب عن ابى بكر ابن دريد وغيره . فقد ولد سنة ٢٨٨ بديار بكر ورحل الى بغداد مع أهل مدينة (قالى قلا) فنسب اليها . وقد بقى يتلقى العلم فى بغداد من سنة ٣٠٥ هـ حتى سنة ٣٢٨ هـ ثم خرج الى الاندلس ودخل قرطبة سنة ٣٣٠ هـ وأملى فيها كتابه الامالى . وأكثر كتبه . وتوفى بقرطبة سنة ٣٥٦ هـ (انظر وفيات الاعيان . دار الثقافة ١ / ٢٢٦) .

(٨) هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى . ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ وتوفى سنة ٣٢١ هـ وهو من اكابر علماء العربية مقدما فى اللغة والانساب والاشعار . ومن كتبه جمهرة اللغة والاشتقاق وغيرهما (انظر نزهة الالباء ص ٢٥٦) .

(٩) هو أبو حاتم السجستانى وستاتى ترجمته مع رواة الديوان .

(١٠) انظر فهرسة ما رواه عن شيوخه ابن خير الاشبيلى (ص ٣٨٨-٣٨٩) الطبعة المنقحة .

وأما ماصنعه الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسى فهو شرح ديوان طرفة ضمن شرحه لدواوين الشعراء الستة الجاهليين أيضا ، وهم الذين اختار لهم الأعلم . ولكن بفارق فى الترتيب وهو أن البطليوسى قدختم مؤلفه هذا بديوان طرفة ابن العبد فى حين كان الأعلم قدختم مؤلفه بديوان عنترة بن عمرو ابن شداد.

ولما لم تتيسر لى نسخة مطبوعة لما صنعه الوزير البطليوسى فى ديوان طرفة ، فقد رجعت الى مخطوطتين فى ذلك احداهما مصورة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٢٢٩٨٤) ، وأصلها محفوظ بمكتبة فيض الله باستانبول تحت رقم (١٦٤٠) ، وهى مكتوبة بخط تعليق جميل ، فرغ من كتابتها عبدالكريم بن محمد فى مدينة القسطنطينية فى يوم السبت التاسع من شهر شوال المعظم سنة ١٠٤٦ هـ وقد ذيلها بقوله على ورقة ١٤٩: " تم شعر طرفة ، وبه كمل جميع الديوان". وأما الثانية فهى مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٨٣٧ أدب) ، وهى مكتوبة بقلم مغربى بخط العلامة المرحوم الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزى الشنقيطى. وتحوى فقط شعر عنترة بن عمرو بن شداد وشعر طرفة بن العبد.

وكل الذى اختاره الوزير البطليوسى فى النسخة الأولى لطرفة هو ست عشرة قصيدة ومقطوعة بينها ثلاثة أبيات هى ذات الأرقام: (٩، ١٠، ١١) من القصيدة الرابعة من الديوان.(١) وقد جعلها البطليوسى مقطوعة قائمة بذاتها. ثم أعاد روايتها فى القصيدة الأم . وقد جاء فى تقدمته لتلك القطعة :" قال أبو بكر انما ذكر الاصمعى هذه الثلاثة الأبيات فى قصيدته أولها :

---

(١) انظر الديوان ص ٨٣

لهندٍ بحِزَّا نا لشُّريف طُلُولُ   تَلُوحُ وأَدْنى عهدهن مُحِيْلُ"(١)

ولم يذكرا لبطليوسى سنده فيا لرواية ، ولكن بعرض صنيعه على ما صنعه الاعلم الشنتمرى يتضح لنا أنها رواية الأصمعى ، كما أن - تعليقه الذى ذكرنا قبل قليل يؤيد ذلك .

وقد قال البطليوسى فى مقدمته لشرح هذه الدواوين:" وكل ما ذكرته فى هذا الشرح ، فمن كتب العلماء أخذته ، ومن مكنون اقوالهم استخرجته ".(٢)

والبطليوسى يجارى ابن السكيت فى ذكر كثير من أخبار طرفة.
وأما النسخة الثانية ، فهى وان قيل فى أول شعر طرفة منها :" هذا ديوان طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل - رواية الوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البطليوسى" الا أنه بينها وبين النسخة الأولى اختلاف واضح. فان شعر طرفة فيها يقع فى خمس وعشرين قصيدة ومقطوعة . فهى تنسب لطرفة أبيات عمرو بن أمامة التى قالها فى ثورته على أخيه عمرو بن هند ، ثم تضيف ثمانى مقطوعات على النسخة السابقة تذكر مصادر بعضها ولاتذكر مصادر البعض الاخر .
فأما الذى تذكر مصدره فهو قول راويها :" ومما رواه ابن السكيت عن الاصمعى من شعر طرفة ، قوله فى رواية أبى عمرو الشيبانى" .وهى نفس العبارة التى ساقها الأعلم الشنتمرى بعد أن روى ما صح

(١) انظر ظهر ورقة ١٤٦ من تلك النسخة
(٢) انظر ظهر ورقة ١ " "

لديه من شعر طرفة الذى رواه الأصمعى.(١)

وأما الذى لم تذكر مصادره فى نسخة البطليوسى الثانية فمنه الأرجوزة المشهورة لطرفة فى القنابر وهى قوله :(٢)

يا لك من قبرة بمعمر

خلالك الجو فبيضى واصفرى

والجدير بالذكر أن هذه الأرجوزة ، بالرغم من أن أكثر المصادر التى ذكرتها نسبتها لطرفة ، الا أن نسخ الديوان - باستثناء هذه النسخة - قد أهمل ذكرها .

* *

تلك هى الأصول الثلاثة التى وصل الينا عن طريقها ديوان طرفة وقد آثرنا الحديث عنها ، ولو بايجاز ، لكونها المصادر الأصلية لأشعاره ، ولكونها أيضا تحوى بين طياتها كثيرا من أخباره .

ولقد قام العلماء والمحققون ، العرب منهم والمستشرقون بطبع ديوان طرفة ونشره عدة مرات ، مشروحا وغير مشروح. ومن ذلك على سبيل المثال : طبعه فى مدينة غريفز والد سنة ١٨٦٩م بلا شرح ثم نَشْرُه بعناية المستشرق وليم بن آلوارد فى لندن سنة ١٨٧٠م مع بقية الشعراء الستة الجاهليين. ثم طبعه فى برلين سنة ١٨٩٥م - بشرح الأعلم . وطبعه فى مدينة شاتون بفرنسا بعناية المستشرق سلكسون بشرح الأعلم أيضا ، مع ترجمة فرنسية له سنة ١٩٠٠م وطبعه

---

(١) انظر الديوان ص ١١٩

(٢) انظر ديوانه ص ١٥٧

بشرح الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي معتمدا على رواية ابن السكيت كما ذكرنا - في مدينة قازان بالروسيا سنة ١٩٠٩م. ثم حققه الدكتور علي الجندي ونشره في القاهرة سنة ١٩٥٨م ، ونشرته دار صادر وبيروت بلا شرح - ببيروت سنة ١٩٦١م. كما نشر ضمن مجاميع مرات ومرات (١)

على أن آخر تحقيق وأدقه وأتقنه لشعر طرفة هو ما قام به - الأستاذان درية الخطيب ، ولطفي الصقال بعنوان :" ديوان طرفة ابن العبد - شرح الأعلم الشنتمري" . وقد قام بطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م . وهذه هي النسخة التي اعتمدت عليها في دراستي لشعر طرفة ، عائدا الى رواية ابن السكيت ،كلما اقتضى البحث ذلك.

وقد بذل الأستاذان المحققان في ديوان طرفة هذا ، جهدا يستحقان عليه منا الشكر ، ومن الله الثواب ان شاء الله ، ولولا أنه قد فاتهما بعض الأمور لاقترب عملهما من الكمال ، وسبحان الذى تنزه صنعه عن أى نقص . وانى متعرض لبعضها لا بأى قصد سوى أن تتم الفائدة.

فمن تلك الأمور استقاؤهما لبعض أشعار طرفة من المصادر الحديثة أو المتأخرة دون أن يشيرا الى مصادرها الأصلية . ومنها نقلهما لبعض أشعاره من المصادر الحديثة ، ثم اشارتهما لمصادرها الاصلية في تخريج الديوان ، وكان الأولى أن تستقى من مصادرها الأصلية.

---

(١) انظر مقدمة محققي الديوان ص ج

على أن أهم ما يؤخذ على المحققين الكريمين هو تجاوزهما لبعض الأشعار التي نسبت لطرفة في بعض المصادر ، والتي لم يرد لها ذكر في أي من دواوينه المخطوطة أو المطبوعة .

واليك الأمثلة على ذلك ، معززة بالأدلة اللازمة ..

(أ) فأما تلك الأشعار التي استقياها من المصادر الحديثة أو المتأخرة دون أن يشيرا الى مصادرها الأصلية فمن أمثلتها :

أولا: القطعة رقم ٢٢ من صلة الديوان (ص ١٤٠) فقد نقلت من — البلاغة الفنية للدكتور علي الجندي ، وهي في المثل السائر لضياء الدين الموصلي[(١)] ، (ص ١٦٦) .

ثانيا: القطعة رقم ٣٩ من صلة الديوان ص(١٥٤) ، فقد نقلت من ديوان طرفة المطبوع بفرنسا سنة ١٩٠٠م . وهي في صفة جزيرة العرب للهمداني[(٢)] ، (ص ٢٢٥) .

ثالثا: البيت رقم ٤٤ من صلة الديوان (ص ١٥٧) فقد نقل أيضا من الديوان المطبوع بفرنسا سنة ١٩٠٠م وهو في خزانة الأدب ، للبغدادي[(٣)] ، (١/٤٩٢) .

رابعا: الأبيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ من القطعة رقم ٥٣ من صلة الديوان (ص ١٦٤) ، فقد نقلت كذلك من الديوان المطبوع بفرنسا سنة ١٩٠٠م ، وهي في تاريخ اليعقوبي[(٤)] (١/٢٤٠) .

---

(١) توفي ضياء الدين الموصلي سنة ٦٢٢هـ .
(٢) توفي الهمداني (في سجن صنعاء) سنة ٣٣٤هـ .
(٣) توفي البغدادي صاحب الخزانة سنة ١٠٩٣هـ .
(٤) توفي اليعقوبي سنة ٢٩٢هـ .

خامسا : القطعة رقم ٨٠ من صلة الديوان (ص ١٩١) ، فقد نقلت أيضا من الديوان المطبوع بفرنسا سنة ١٩٠٠م ، وأبياتها الثمانية الأولى في معجم البلدان (أعذرة السيدان) - لياقوت[1] . والبيت التاسع والأخير منها في نفس المصدر (زخم) .

سادسا : البيتان الأول والرابع من القطعة رقم ٨٩ من صلة الديوان ص ١٩٩ ، فقد نقلا من جمهرة الأشعار للقرشي[2] ، وهما في كتاب الأشربة لابن قتيبة[3] ، (ص ٣٩) .

(ب) وأما الأشعار التي نقلاها من المصادر الحديثة ، ثم رداها إلى مصادرها الأصلية في تخريجهما للديوان ، فمن أمثلتها :

أولا : البيت رقم ٣٣ من صلة الديوان (ص ١٤١) ، منقول من الديوان المطبوع بفرنسا ، وهو في حياة الحيوان الكبرى للدميري[4] ، (٣٢/٢) .

ثانيا : الأرجوزة رقم ٢٦ من صلة الديوان (ص ١٤٢) ، منقولة أيضا من الديوان المطبوع بفرنسا ، وهي في لسان العرب لابن منظور (حوت)[5] .

ثالثا : القطعة رقم ٢٩ من صلة الديوان (ص ١٤٣) ، فقد نقل بيتاها من الديوان المطبوع بفرنسا أيضا .. وهما في لسان العرب . الأول في (كمج) ، والثاني في (وجج) .

رابعا : الأبيات الثلاثة الأولى من القطعة ٦١ من صلة الديوان (ص ١٧٦) منقولة من ديوان طرفة بتحقيق الدكتور علي الجندي ، المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٥٨م ، والأول منها في ألقاب الشعراء

---

(١) توفي ياقوت الحموي سنة ٦٢٦هـ . (٢) توفي أبو زيد القرشي في أوائل القرن الرابع الهجري

(٣) توفي ابن قتيبة سنة ٢٧٦هـ (٤) توفي الدميري سنة ٨٠٨ هـ

(٥) توفي ابن منظور صاحب اللسان سنة ٧١١هـ .

لمحمد بن حبيب (ص ٣٢١)(١) ، والثانى فى جمهرة اللغة لابن دريد (م رفق ٣٩٩/٢)(٢) ، والثالث فى معجم مقاييس اللغة لابن فارس (م حكم ٩١/٢)(٣) .

خامسا : الأبيات ٤ ، ٥ ، ٦ من القطعة رقم ٩١ من صلة الديوان (ص ٢٠) ، منقولة من الديوان المطبوع بفرنسا سنة ١٩٠٠م والأول منها فى لسان العرب (م بكا) ، والآخران فى حماسة البحترى (ص ٢٥٨)(٤) . وغير ذلك .

(جـ) وأما الأشعار التى نسبت لطرفة ، فى بعض المصادر ، ولم يذكرها المحققان فى صلة الديوان ، وهى لم تذكر له فى أى من دواوينه المخطوطة أو المطبوعة ، فاليك ما تيسر لى - فى مصادر بحثى منها - مرتبة ترتيبا هجائيا لا بحسب أقدمية مصادرها ، وذلك لتكون أيسر فى تناولها .

١) مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ العِتْقَ فيهما ... كَسامِعَتَيْ مذعورةٍ وَسْطَ رَبْرَبِ(٥)

(تفسير القرطبى ١٢/٥٣ - تحت عنوان : قال طرفة يصف أذن الفرس)

٢) لَوْ خِفْتُ هذا مِنْكَ ما نِلْتَنِي ... حَتَّى تَرَى خَيْلاً أَمامِي تَسِيحْ(٦)

(تفسير القرطبي ٨/٦٤)(٧)

---

(١) توفى محمد بن حبيب ٢٤٥ هـ وستأتى ترجمته .

(٢) توفى ابن دريد سنة ٣٢١هـ

(٣) توفى أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا سنة ٣٩٥هـ

(٤) توفى أبو عبادة البحترى سنة ٢٨٥ هـ .

(٥) أللت الشئ تأليلا أى حددت طرفه (اللسان ألل) والمؤللتان المحددتان ، ويقصد بهما أذنى ناقته ، والعتق غاية الجودة (اللسان عتق) ، والمذعورة البقرة الوحشية الخائفة . واذا كانت كذلك كان أشد لسمعها . والربرب القطيع من بقر الوحش (اللسان ربرب)

(٦) تسيح : تجرى ، ومنه السيح (كالسيف) وهو الماء الجارى - انظر معجم مقاييس اللغة ١٢٠/٣ سيح) .

(٧) توفى أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبي - رحمه الله - سنة ٦٧١ هـ .

٣) مِنّا الفَتى الحارثُ المُبتاعُ لِمَّتَهُ يومَ التَّحالُقِ والفُرسانُ تطَّرِدُ (١)
الحارثُ الكَلِحُ المِقْدامُ أنزلــه عِزًّا تسامى فما يَسْطيعُهُ أَحَدُ (٢)

(كتاب بكر وتغلب ـ أو حرب البسوس لمحمد بن اسحاق، وهشام ابن محمد الكلبي (٣) ـ ص ٨٤)

٤) تَرَى بَيْنَ لَحْيَيْهَا إذا ما تَزَغَّمَتْ لُغامًا كَبَيْتِ العنكبوتِ المُمَدَّدِ (٤)
(التشبيهات لابن ابي عون ص ٢٦٧) (٥)

٥) تَمَنَّى رِجالٌ أَنْ أَموتَ وإنْ أَمُتْ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأَوحــدِ
(تفسير الطبري ١٤٥/٣٠) (٦)

---

(١) اللمة (كالقمة) شعر الرأس (اللسان لمم)، ويوم التحالق لبكر على تغلب وقد مر ذكره. وتطرد الفرسان أي يحمل بعضهم على بعض في القتال (اللسان طرد).
(٢) الكلح من الكالح وهو العابس (اللسان كلح) ، وتسامى تعالى وارتفع. يشير بهذا الى قصة جحدر أحد فرسان بكر بن وائل الذى اشترى لمته بقتل الفارس يخرج عليهم من تغلب وذلك يوم تحلاق اللمم الذى مر ذكره.

(٣) توفى محمد بن اسحق سنة ١٥١هـ ، وتوفى هشام بن محمد بن السائب الكلبي سنة ٢٠٤هـ.
(٤) اللحيان (بالفتح) حائطا الفم وهما العظمان اللذان فيهما الاسنان من داخل الفم ، ويكونان للانسان والدابة (اللسان لحا) وتزغم الجمل ردد رُغاءه في لهازمه ، والتزغم للانسان التغضب في كلام غير مفهوم ـ واللغام (بالضم) للانسان اللعاب ، وللبعير لعابه وزبده الذى يخرج من فيه مع اللعاب ، ولغم البعير لغامه (من باب فتح) اذا رمى به
(٥) توفي ابن أبي عون سنة ٣٢٢ هـ.
(٦) توفي ابو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله سنة ٣١٠هـ.

٦) والسِّتْرُ دونَ الفاحشاتِ وما ... يلقاكَ دونَ الخيرِ من سِتْرِ
لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ ... كنتَ المُنَوِّرَ ليلةَ البَدْرِ (١)

(مسالك الأبصار - لابن فضل الله العمري - مصورة دار الكتب المصرية ج ٩ ورقة ١٢) (٢)

٧) شاقتكَ هَواكَ على نَواكَ كما الأهواءُ مختلِفٌ ومؤتلِفُ (٣)

(قواعد الشعر لأبي العباس ثعلب ص ٥٤) (٤)

٨) كأنَّ القدورَ الراسياتِ أمامَهمْ ... قِبابٌ بَنَوْها لاتَنِي أبدًا تغلِي (٥)

(تفسير القرطبي ١١/١٩٩) (٦)

---

(١) البيتان اما في الفخر او المدح ، فالمتحدث عنه فيهما ستر دون الفاحشات يمنعها ولا يأتيها ، ثم لا يلقاك بشر أبدا ، وهو بشر من الناس ولو كان غير ذلك لكان القمر .. مما يفيض على الناس من خيره .

(٢) توفي ابن فضل الله العمري سنة ٧٤٩هـ .

(٣) الشوق نزاع النفس الى النفس والجمع أشواق ، وشاقه ذكرها أي هيج شوقه .(اللسان شوق) . والهوى الحب (اللسان حبب) ، والنوى البعد (اللسان نوى) .

(٤) توفي أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب سنة ٢٩١هـ .

(٥) يشبه قدور قومه التي يطهون طعامهم فيها بالقباب لضخامتها واتساعها وذلك حتى تتسع لهم وللضيفان . كما قد شبه جفانهم بالجوابي يقول:

يجفان تعترى نادينا ... من سديف حين هاج الصِّنَّبِرْ
كالجوابي لاتني مُترعةً ... لِقِرى الأضياف أو للمحتضرْ

(انظر ديوانه ص ٦٦ . وانظر شرح هذين البيتين فيها مش ص ٣٢٤ من هذا البحث) .

(٦) يستشهد به في أثناء تفسيره لقول الله تعالى " وَلَاتَنِيَا فِي ذِكْرِي " سورة طه آية ٤٢ .

رواة ديوان طرفة :

ان الذى يتصفح أخبار تدوين أشعار العرب وآثارهم فى أواخر القرن الثانى الهجرى، ومطلع القرن الثالث، يكاد لايجد عالما الاوكان له فى رواية أشعار طرفة نصيب، سواء أكان ذلك من بعيد أو من قريب فأشعار طرفة كما سنرى - فى الفصول القادمة أمثلة حية للبيئة العربية فى العصر الجاهلى من ناحية ، ومحاضن أصيلة للغة القوم فى ذلك الزمان من ناحية أخرى، وفيها من ناحية ثالثة - من أخبار القوم وأيامهم ما فيها .

ولذلك لم يكن يسوغ لأى عالم من علماء العربية الأن يلم بشئ منها ، سواء أكان من النحويين واللغويين والنسابين أو كان من الاخباريين والمؤرخين أو حتى من المفسرين والمتخصصين فى علوم الدين.

ولكن الذين يعنوننا هنا ، هم رواة الديوان الحقيقيون أى الذين تناقلوا أشعاره ورووا أخباره عن حفظتها من فصحاء الأعراب وأبناء البادية أو عمن سمعها وحفظها ورواها عن أولئك حتى استقرت فى المدونات التى وصلت الينا . ولا يعنينا التعرض لأولئك الذين كانوا يستشهدون بأشعار طرفة وهم يدونون علومهم ويصنفون مؤلفاتهم ، وان كنا نكن لهم على ما فعلوه الإجلال والإكبار ..

ونحن حين نتصفح ديوان طرفة بشرح الأعلم الشنتمرى ، نجده قد اختار أكثره وهو ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة من رواية أبى حاتم السجستانى عن الأصمعى . وفى ختام شرحه لها يقول : " كمل ما رواه الأصمعى من شعر طرفة ، بحمد الله تعالى وحسن عونه وتأييده ونصره"(١)

(١) انظر الديوان ص ١١٨ .

ولكنه وضع بين تلك القصائد واحدة هي ذات الرقم ١٢/ في الديوان ومطلعها :

سَائِلُوا عَنَّا الذي يَعْرِفُنَا بِقُوَانَا يوم تَحْلاقِ اللِّمَمْ

وقدقال الأعلم فيتقدمته لها : " وزعم الأصمعي أنها مصنوعة، وأنه أدرك قائلها ، وأثبتها أبوعبيدة والمفضل وغيرهما "[١].

ثم شفع الأعلم الشنتمري تلك القصائد الأربع عشرة بأربع قصائد أخرى قال فيتقدمته لها : " ومما رواه ابن السكيت عن غير الأصمعي ، منشعر طرفة ، قوله فيرواية أبي عمرو الشيباني"[٢] ثم ختم هاتيك القصائد بقوله : " كمل جميع ما رواه الأصمعي وغيره من شعر طرفة .والحمد لله كثيرا كماهو أهله. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه . وسلم تسليما "[٣].

وعلىذلك فان العلماء الذين اشتركوا فيرواية شعر طرفة الذي وصلنا عن طريق الأعلم الشنتمري ، هم الأصمعي وأبوعبيدة ، والمفضل الضبي وأبوحاتم السجستاني وابن السكيت وأبوعمرو الشيباني.

وكان ابن السكيت كما ذكرنا قدروى شعر طرفة عن عدد من علماء العربية كالأصمعي والمفضل وأبيعبيدة وابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني وابن حبيب وغيرهم . والدليل علىروايته عنهم جميعا ، من غير أن يفرق بينهم لاختلاف مدرستيهم ، البصرة ، والكوفة ، هوماكان يعزوه لواحد أو أكثرمنهم مما تناثر فيمقدمات القصائد عنده أوفي تعليقه على بعض الأبيات

---

(١) انظرالديوان ص ١٠٩.

(٢) انظرالديوان ص ١١٩.

(٣) انظرالديوان أيضا ص ١٣٦.

ففى قول طرفة :

وأصْفَرَ مَضْبُوحٍ نظرتُ حِوَارَه   على النار واستودعتُه كَفَّ مُجْمِدِ (١)

يقول ابن السكيت : " لم يروه الأصمعى ، ولا ابن حبيب ، ولا ابن الاعرابى ، وهو فى روايتهم لعدى بن زيد " (٢)

وفى تقدمته للقصيدة التى مطلعها : (٣)

ألا اعتزلينى اليومَ خولةُ أو غُضِّى   فقد نزلت حَدْبَاءُ مُحْكَمَةُ العضِّ

يقول ابن السكيت : " قال أبو عمرو : وكان المفضل ينكرها ، ولم يثبتها الأصمعى ، ورواها أبو عبيدة " (٤).

وفى تقدمته للقصيدة التى مطلعها " سائلوا عنا الذى يعرفنا " (٥) يقول ابن السكيت : " أثبتها أبو عبيدة والمفضل وأبو عمرو الشيبانى. وزعم الأصمعى أنها مصنوعة وأنه أدرك قائلها " (٦)

ومن هذا وذاك يتضح لنا أن العلماء البصريين والكوفيين قد اشتركوا فى رواية ديوان طرفة. فمن البصريين الاصمعى وأبو عبيده وأبو حاتم السجستانى. ومن الكوفيين المفضل الضبى وابن الاعرابى وابن حبيب ، وابن السكيت الكوفى الذى اخذ عن البصريين والكوفيين.

---

(١) يعنى بالأصفر قدحا ، وانما صفره لانه من نبع أو سدر. والمضبوح الذى غيرت منه النار. والحوار المحاورة مصدر حاور وعلى النار أى عند النار. وذلك حين يشتد البرد ، فقد كانوا يوقدون النار ، وينحرون الجزور ويضربون بالقداح ، والمجمد الذى يأخذ بكلتا يديه فلا يخرج منهما شئ. (انظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٢٩-٢٣٠).

(٢) انظر نسخته الاولى ظهر ورقة ٢٧ ونسخته الثانية ورقة ٢٤.

(٣) انظر الديوان ص ١٦٨

(٤) انظر نسخته الاولى ظهر ورقة ٣٠ ونسخته الثانية ورقة ٢٧ ورواية البيت عنده (يا خولَ ، معضلة العض).

(٥) انظر الديوان ص ١٠٩   (٦) انظر نسخته الاولى ورقة ٣٥ والثانية ظهر ورقة ١٣ والقصيدة عنده اثنان وثلاثون بيتا بزيادة عشرة أبيات عما هى عند الاعلم الشنتمرى ومطلعها عنده :

ولقد شهد التاريخ لأولئك العلماء بأنهم قد بلغوا - في علوم اللغة والشعر الغاية . كما شهد بأنهم كانوا ثَبْتًا في النقل وثقة في الرواية . ولعل اثبات بعض أخبارهم مما غصت به معاجم الرجال وكتب المؤرخين ، وابراز تزكياتهم من اقرانهم وتلاميذهم من العلماء الآخرين ، وترديد الثناء عليهم والدعاء لهم منًّا ومن غيرنا مِنْ أخلافهم المتأخرين .. هي الأوسمةُ التي تزين بها بحثنا هذا عنهم ، أداء لحقوقهم علينا ، واعترافا بأهمية ماخلفوه إلينا .

وقد جمع أولئك العلماء - اذا استثنينا الأعلم الشنتمرى - عصر واحد تقريبا . فقد توفى أقدمهم - وهو المفضل الضبي - سنة ثمان وسبعين ومائة . وتوفى آخرهم - وهو أبو حاتم السجستاني سنة خمس وخمسين ومائتين . وتوفى الباقون منهم بين هذين التاريخين .

ولكننا لن نراعى سنوات وفياتهم عند حديثنا عنهم . وذلك لوجود أولويات أخرى غير سنوات الوفاة .

ولذلك سنقدم الأصمعى ، وإن تأخرت وفاته عن ثلاثة من أولئك العلماء ، وذلك لكونه الراوية الأساسى لشعر طرفة ، سواء عند الأعلم الشنتمرى ، أو عند ابن السكيت . وسنردفه بالمفضل الضبي وذلك لتقدمه على الجميع وفاة ، ولكونه رأس رواة الكوفة ، وشيخ علمائهم في هذا المجال .

ثم سنردفهما بأبي عبيدة ، وذلك لتقدمه وفاة على الباقين

= ياخليليّ قِفَا أخبرْكما عن أحاديثَ تَفَشَّتْني وهَمْ

ولكونه من شيوخ رواة البصرة. ولقدكان أبو عبيدة والأصمعى كما سنرى ـ كفرسى رهان أو رضيعى لبان ، ولكن أبا عبيدة عند رواة ديوان طرفة ، ليس أصلا كالاصمعى .. فهم يروون عنه فقط بعض ما لم يروه الأصمعى.

ثم سنتبعهم أباحاتم السجستانى ، فهو وان كان آخرهم وفاة الا أنه سند رواية الاصمعى . ثم سنتبعهم ابن السكيت ، فهو وان تأخر عن الباقين وفاة ـ تقريبا ـ الا أنه صاحب الفضل فى وصول نسخة من ديوان طرفة عن طريقه الينا . ثم سنتبعه أبا عمرو الشيبانى ، وذلك لكون ابن السكيت والأعلم الشنتمرى قد أخذا من روايته فيما أخذا .

وسنؤخر ابن الأعرابى وابن حبيب ، فهما وان تقدما وفاة ـ لم يذكرا الا عند ابن السكيت .

وأخيرا سَنُقَفِّى على آثارهم بالأعلم الشنتمرى ، الذى اعتمدنا روايته لديوان طرفة أساسا لدراستنا هذه . على أنه قد بذل ـ رحمه الله بصنيعه هذا ما يستحق به أن يوضع ـ وان تأخر زمانه ـ مع أولئك الأجلاء المتقدمين ، رحمة الله عليهم أجمعين.

* * *

الأصمعى (١٢٣ - ٢١٦هـ)[١]

هو أبو سعيد ، عبدالملك بن قُريب ، بن عبدالملك بن على بن أَصْمَع بن مُظَهِّر ، من قيس عيلان[٢] . وقريب لقب غلب على أبيه ، وانما اسمه عاصم . والأصمعى منسوب الى جده أصمع ، وقد أدرك أصمع هذا وأبوه مظهر النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلما جميعا[٣].

والأصمعى هو أحد الأفذاذ الذين انتهى اليهم علم الشعر واللغة . وقد سمع من شعبة بن الحجاج[٤] وحماد بن سلمة[٥] ،

---

(١) انظر ترجمته فى(المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٣، والورقة لابن الجراح ص ٣١ ، ومراتب النحويين ص ٨٠، وأخبار النحويين البصريين ص ٤٥ ، وتهذيب اللغة للأزهرى ١٤/١ ، وطبقات الزبيدى ص ١٦٧ ، والفهرست لابن النديم ص ٦٠ ، وجمهرة الأنساب ص ٢٤٥ ، وتاريخ بغداد ٤١٠/١٠ ، وأنساب السمعانى ٢٨٨/١ ، ونزهة الالباء ص ١١٣ ، واللباب فى تهذيب الانساب ٧٠/١ ، وانباه الرواة ١٩٧/٢ ، ونور القبس ص ١٢٥، ووفيات الأعيان - دار الثقافة - ١٧٠/٣ ، وميزان الاعتدال ٦٦٢/٢، ومرآة الجنان ٦٤/٢، والبداية والنهاية ٢٧٠/١٠ ، والنجوم الزاهرة ١٩٠/٢ ، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ص ١٢٩ ، وتقريب التهذيب ٥٢١/١، وبغية الوعاة ١١٢/٢، والمزهر ٤٠٤/٢، ٤٦٢ ، وطبقات المفسرين ٣٥٤/١ وتهذيب التهذيب ٤١٥/٦) .

(٢) قريب(كهذيل) ، وأصمع (كأحمد) ، ومظهر (كمعلم).

(٣) انظرجمهرة الأنساب ص ١٤٦.

(٤) هو شعبة بن الحجاج بن الورد - ويكنى أبا بسطام - من أعلام الحديث بالبصرة . وكان يقول :"والله لأنا فى الشعر أسلم منى فى الحديث ، ولو أردت الله ماخرجت اليكم ، ولو أردتم الله ماجئتمونى. ولكنا نحب المدح ونكره الذم". وقد توفى رحمه الله بالبصرة سنة ١٦٠هـ(انظر المعارف ص ٥٠١).

(٥) حماد بن سلمة من متقدمى النحويين البصريين - أخذ عنه يونس ابن حبيب وغيره .وهو من علماء الحديث أيضا .وقد توفى رحمه الله سنة ١٦٧هـ (انظر المعارف ص ٥٠٣، ونزهة الألباء ص ٤٠).

وحماد بن زيد،[١] ومِسْعر بن كدام[٢] ، ونافع[٣] ، وابن عون[٤] ، وأبى عمرو بن العلاء[٥] ، وخلف الأحمر[٦] ، وسواهم .

---

(١) هو حماد بن زيد بن درهم - ويكنى أبا اسماعيل - فقيه محدث ثقة توفى بالبصرة سنة ١٧٩هـ ، (انظر المعارف ص ٥٠٣) .

(٢) هو مِسْعر بن كدام بن ظهير الهلالى العامرى . توفى سنة ١٥٢هـ . محدث ثقة ثبت فاضل - وأحد الاعلام الذين خرّج لهم أصحاب السنن . وقد ضبط ابن حجر اسمه هكذا : " مسعر . بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة - وكدام : بكسر أوله وتخفيف ثانيه -" انظر تقريب التهذيب ٢٤٣/٢ ، وانظر كذلك تهذيب التهذيب ١١٣/١٠ ، وانظر تهذيب الأسماء واللغات ٨٩/٢ .

(٣) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبى نُعيم الليثى بالولاء . أحد القراء السبعة المشهورين . وقد اشتهر فى المدينة ، وانتهت اليه رياسة القراءة فيها . وقد أقرأ الناس نيفا وسبعين سنة وتوفى بالمدينة سنة ١٦٩هـ . وأصله كما روى عنه الأصمعى من أصبهان (انظر وفيات الأعيان - دار الثقافة - ٣٦٨/٥) ، وانظر كذلك المعارف ص ٥٢٨ ، وتهذيب التهذيب - ٤٠٧/١٠ ومرآة الجنان ٣٥٨/١ .

(٤) توفى الامام المحدث عبد الله بن عون - شيخ البصرة وعالمها سنة : ١٥١هـ (انظر مرآة الجنان ٣١٣/١) .

(٥) أبو عمرو بن العلاء هو العلم المشهور فى علم القراءة واللغة . أخذ عنه يونس بن حبيب والخليل والأصمعى وغيرهم كثير . وكان من أهل السنة - وكما قال ابن قتيبة فى المعارف اسمه كنية - وتوفى رحمه الله سنة ١٥٤هـ . وكان يونس بن حبيب يقول: " لو كان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله كله فى شىء ، كان ينبغى أن يؤخذ بقول أبى عمرو ابن العلاء كله فى العربية ، ولكن ليس من أحد الا وأنت آخذ من قوله وتارك " (انظر نزهة الالباء ص ٢٤ ، والمعارف ص ٥٤٠ - وانظر نزهة الالباء ص ٢٥ أيضاً وانظر هذا الخبر لابن سلام عن يونس فى طبقات ابن سلام ص ١٦) .

(٦) هو أبو محرز (بضم ثم سكون ثم كسر) ، البصرى خلف بن حيان المعروف بخلف الاحمر ، وكان راوية عالما بالغريب قال أبو عبيدة =

وقد لازم الأصمعى أبا عمرو بن العلاء طويلا فى بدء حياته .
وكان يخرج كثيرا الى البادية ، يكتب ما يسمعه من الاعراب الفصحاء ، من الشعر والغريب والطرائف (١) . ومن أشهر من روى عنه ابن أخيه عبدالرحمن (٢) ، وأبو حاتم السجستانى ، وأبو نصر أحمد بن حاتم المعروف بغلام الأصمعى (٣) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (٤) ، وغيرهم كثيرون.

وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر (٥) . وقال الأخفش " ما رأينا أحدا أعلم بالشعر من الأصمعى وخلف " (٦) . وأهم أقران الأصمعى أبو عبيدة وأبو زيد الأنصارى . قال المبرد : " وكان الأصمعى بحرا فى اللغة لايعرف مثله فيها ، وفى كثرة الرواية ، وكان

= "خلف الأحمر معلم الأصمعى ومعلم أهل البصرة" (نزهة الألباء ص٥٨) وقال الاخفش : " لم أدرك أحدا أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعى " . (انظر معجم الأدباء ١١/٦٧) . وقد كان يقول الشعر فيجيد ، وربما نسبه للمتقدمين (انظر ترجمته فى المعارف لابن قتيبة ص٥٤٤ ، ونزهة الألباء ص٥٨ ، ومعجم الأدباء ١١/٦٦) .

(١) انظر أخبار النحويين البصريين ص٥١ .

(٢) هو أبو محمد - أو أبو الحسن - عبدالرحمن بن عبدالله بن أخى الأصمعى - كان ثقة فيما يرويه عن عمه وعن غيره من العلماء . ومن طريف ما يروى عنه أن رجلا لقيه فى الطريق فقال له : ما يصنع عمك قال : ها هو قاعد فى غرفته ، يكذب على العرب . (انظر انباه الرواة ١٦٧/٢) .

(٣) هو أحمد بن حاتم الباهلى - أبو نصر - وكنيته أشهر من اسمه . وهو أديب من أهل البصرة روى عن الأصمعى كتبه كلها وقال عنه الاصمعى ليس يصدق علىّ انسان الا أبو نصر . وقد توفى سنة ٢٣١هـ (انظر انباه الرواة ١٨٠/٤) .

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام كان كما قال عنه ياقوت " امام أهل عصره فى كل فن " وقد أخذ عن الأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد الانصارى وغيرهم من البصريين كما أخذ عن ابن الاعرابى وأبى عمرو الشيبانى والفراء والكسائى وغيرهم من الكوفيين . توفى بمكة المكرمة سنة ٢٢٣هـ . (انظر نزهة الالباء ص١٣٧) . ومعجم الادباء ٢٥٤/١٦ .

(٥) انظر نزهة الالباء ص١١٣ ، (٦) نفس المصدر ونفس الصحيفة .

دون أبى زيد فى النحو."(١)

وقدكان الاصمعى كثيرا لحفظ للشعر والرجز. قال ابن الاعرابى "شهدت الأصمعى وقد أنشد نحوا من مائتى بيت، ما فيها بيت عرفناه"(٢) بل لقد زعموا "أنه حفظ أربعة عشر ألف أرجوزة. فقيل له: أفيها شئ هو بيت أو بيتان.. فقال: فيها المائة والمائتان"(٣) وقيل بل كان يحفظ ست عشرة ألف أرجوزة كما ذكر ذلك بنفسه.(٤)

وكان لأصمعى الى جانب ذلك حسن العبارة، ذلق اللسان. يحب الناس لغته لجمال أسلوبه. قال الامام الشافعى رضى الله عنه: "ماعبر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعى"(٥). وتناظر الأصمعى وسيبويه، فقال يونس بن حبيب: "الحق مع سيبويه، وهذا يغلبه بلسانه".(٦)

وكان الأصمعى الى جانب علمه كذلك صادق الرواية، ثقة فى الحديث، شديد التوقى لتفسير القرآن الكريم، وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم. كما كان "لايفتى الا فيما أجمع عليه العلماء ويقف عما يتفردون به عنه، ولايجوّز الا أفصح اللغات، ويلج فى

---

(١) انباه الرواة (٢٠١/٢)، وأبو زيد هو سعيد بن أوس بن ثابت الانصارى ثقة من أهل البصرة. وكان عالما بالنحو واللغة. وقد أخذ عن أبى عمرو بن العلاء. وكان صنو الاصمعى وأبى عبيدة. وكان سيبويه اذا قال "سمعت الثقة" فانه يعنى أبا زيد الانصارى. وقد أخذ كثيرون عنه منهم أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستانى وغيرهما. وقد توفى رحمه الله بالبصرة سنة ٢١٥هـ. (انظر نزهة الألباء ص ١٢٥، وانظر كذلك المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٥).

(٢) نزهة الالباء ص ١١٤ (٣) طبقات الزبيدى ص ١٦٩

(٤) انظر وفيات الأعيان (١٩٨/٢).

(٥) بغية الوعاة (١١٢/٢). والشافعى هو ابو عبدالله محمد بن ادريس الذى اجتمع فيه من العلوم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة رضوان الله عليهم وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من كلام العرب ولغتهم وشعرهم - ما لم يجتمع فى غيره. وتوفى رحمه الله بمصر سنة ٢٠٤هـ عن أربعة وخمسين عاما فقد كان مولده سنة ١٥٠هـ بغزة بفلسطين (انظر طبقات تقى الدين الاسدى ص ٦٢، ووفيات الأعيان - دار الثقافة - ١٦٣/٤).

(٦) بغية الوعاة ١١٢/٢

دفع ما سواه "[١] . قال الشافعي رضى الله عنه :" ما رأيت بذلك العسكر أصدق من الأصمعى"[٢]. وسئل أبو داود (صاحب السنن) عن الأصمعى فقال:" صدوق"[٣]

وقد روى عن الأصمعى يحيى بن معين فأكثر .[٤] وكان يقول " ولم يكن ممن يكذب ، وكان من أعلم الناس فى فنه"[٥] وكان الاصمعى أيضا رجلا ذا دين من أهل السنة . شهد بذلك ابن قتيبة فى المعارف حين قال" وكان صدوقا فى حديثه صاحب سنة"[٦] وكان ممن أثنى عليه فى دينه الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه[٧] ، وعلى بن المدينى رحمة الله عليه[٨] وغيرهم.

---

(١) مراتب النحويين ص ٤٩ (٢) نزهة الألباء ص ١٣٣

(٣) نفس المصدر من نفس الصحيفة ، وأبو داود هو سليمان بن الاشعث امام أهل الحديث فى زمانه ، وقد رحل لطلبه رحلة كبيرة ، وولد سنة ٢٠٢ هـ وتوفى بالبصرة سنة ٢٧٥هـ (انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٦٩/٤) .

(٤) انظر الورقة لابن الجراح ص ٣١ . ويحيى بن معين - أبو زكريا من أئمة الحديث ومورخى رجاله ومن كلامه " كتبت بيدى ألف حديث". ولد سنة ١٥٨هـ وتوفى سنة ٢٣٣هـ (انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢٨٠/١١).

(٥) بغية الوعاة ١١٢/٢ (٦) انظر المعارف ص ٥٤٣

(٧) هو الامام أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل - ينتهى نسبه الى بكر بن وائل - ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ وتوفى سنة ٢٤١هـ وكان اماما للمحدثين . وقد صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث مالم يتفق لغيره . وكان من أصحاب الامام الشافعى رضى الله عنهما . وعنه قال الشافعى " خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل . وقصته مع المعتصم مشهورة حين رفض القول بخلق القرآن فسجن ثم فك الله أسره على يد المتوكل بن المعتصم ، الذى أكرمه وقربه وقدمه .(انظر ترجمته فى وفيات الاعيان - دار الثقافة - ٦٣/١ وانظر تهذيب الاسماء ، واللغات ١١٠/١ .

(٨) هو على بن عبد الله بن جعفر ، السعدى بالولاء - المعروف بابن =

ومن طريف ما يروى عنه ، أنه ركب ذات يوم حمارا فقيل له : " بعد براذين الخلفاء تركب هذا .. فقال: هذا وأملك ديني أحب الي من ذاك مع فقده "(١)

وكان الأصمعي من أهل البصرة ، وقد قضى أكثر أيامه فيها ثم قدم بغداد أيام الرشيد فقربه وأغدق عليه.

وقد كان للأصمعي ـ كما قال أبو العباس المبرد ـ يد غراء في اللغة وقد أغنى مكتبتها بمصنفاته التي نيفت على الثلاثين.(٢)

وكان بين الأصمعي وبين قرنه أبي عبيدة تنافس شديد. ولذلك فقد أثر عن أبي عبيدة أنه قيل له : ان الأصمعي يقول : بَيْنَا أَبِي يساير سلم بن قتيبة (٣) ، على فرس له . فقال أبو عبيدة : سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر . والله ماهلك أبو الأصمعي قط دابة . ولاحمل الاعلى ثوبه (٤)

= المديني ـ أبو الحسن . أحد كبار علماء الحديث والتاريخ . ولد بالبصرة سنة ١٦١هـ ، وتوفي بسامراء سنة ٢٣٤هـ (قال عنه الخطيب البغدادي " وهو أحد أئمة الحديث في عصره والمقدم على حفاظ وقته . وأبوه محدث مشهور" انظر تاريخ بغداد ١١/٤٥٨ ، وانظر كذلك تهذيب التهذيب ٧/٣٤٩).

(١) نزهة الالباب ص ١٢٢

(٢) انظر تعداد مؤلفات الأصمعي في الفهرست لابن النديم ص ٦١ وفي بغية الوعاة ٢/١١٣.

(٣) هو سلم بن قتيبة بن مسلم ، من رهط الأصمعي (انظر نسبه في جمهرة الانساب ص ٢٤٦) وأبو قتيبة بن مسلم كان أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان أمير العراقين في ذلك الزمان .ولقتيبة ابن مسلم آثار كثيرة في فتوح الشرق. وقد قتل سنة ٩٦هـ (انظر وفيات الاعيان ـ دار الثقافة ـ ٤/٨٦).

(٤) انظر الفهرست لابن النديم ص ٦١

وقدولد الأصمعى سنة ثلاث وعشرين ومائة ، ومات بالبصرة سنة ست عشرة ومائتين على أرجح الاقوال .. رحمة الله عليه .
وفيه يقول أبوالعتاهية :"(١)

أَسِفْتُ لفقد الأصمعى لقد مضَى حميدًا له فى كل صالحةٍ سَهْمُ
وقد كان نجمَ العلم فيناحياتَه فلما انقضت أيامُه أَفَل النجمُ

* *

---

(١) انظرنزهة الألباء ص ١٢٤ . وأبوالعتاهية هو اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . الشاعرالمشهور. قال أبوالفرج الاصفهانى " وكان غزيرالبحر لطيف المعانى سهل الالفاظ كثير الامتنان ، قليل التكلف . وأكثر شعره فى الزهد والامثال. وتوفى سنة ٢١٣ هـ .
(انظر الاغانى - دارالثقافة ـ ١١٢/٤) وانظر مرآة الجنان ٤٩/٢ وفيه توفى سنة ٢١١ هـ والله أعلم).

المفضَّل الضَّبِّيّ (ت ١٧٨ هـ)[1]

هو أبوعبدالرحمن المفضل بن محمد بن يَعْلَى بن عامر بن سالم الضبي[2]. من أكابر علماء الكوفة ورأس رواتها . سمع سِماك ابن حَرْب[3] وعاصم بن أبي النّجود[4]، وسليمان الأعمش[5] وغيرهم. وقد أخذ عنه أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء[6]، ومحمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، وعلى بن حمزة المعروف بالكسائي وغيرهم.

---

(١) انظر ترجمته في (المعارف لابن قتيبة ص٥٤٥ ومراتب النحويين ص ١١٦ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١/١٠، وطبقات الزبيدي ص: ١٩٣ ، والفهرست لابن النديم ص ٧٥، وجمهرة الانساب ص ٢٠٥ وتاريخ بغداد ١٣/١٢١ ، ونزهة الألباء ص ٥٦ ، ومعجم الأدباء ١٩/١٦٤ ، وانباه الرواة ٣/٢٩٨ ، ونور القبس ص ٢٧٢ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص١٦٢، وبغية الوعاة ٢/٢٩٧ ، والمزهر ٢/٤٠٥ ، ٤٣٣).

(٢) يعلى (كيطلى) وينتهي نسبه الى ضبه من قيس عيلان).

(٣) هو أبو المغيرة - سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري . من رجال الحديث - من أهل الكوفة - أدرك ثمانين صحابيا . وروى له كثيرون من علماء الحديث . وقد توفى سنة ١٢٣هـ رحمه الله (انظر ترجمته في طبقات الزبيدي ص: ١٥٩ ، وانباه الرواة ٢/٦٥ وتهذيب التهذيب ٤/٢٣٢).

(٤) هو أبوبكر عاصم بن أبي النجود - أحد القراء السبعة - وهو تابعي من أهل الكوفة وقد توفى بها سنة ١٢٧ هـ. (انظر وفيات - الأعيان - دار الثقافة ١/٢٤٣ وتهذيب التهذيب ٥/٣٨).

(٥) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء - أبو محمد الملقب بالأعمش وهو تابعي مشهور كوفي المنشأ والوفاة . وكان عالما بالقرآن والحديث والفرائض . قال عنه الذهبي: " كان رأسا في العلم النافع ، والعمل الصالح" . ويروى الأعمش نحوا من ثلاثمائة وألف حديث وقد ولد سنة ٦١هـ وتوفى سنة ١٤٨. (انظر الاعلام للزركلي ٣/١٩٨).

(٦) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - من أهل الكوفة - أخذ عن الكسائي . وكان بحرا في اللغة ، نسيج وحده في النحو ، عالما بالفقه ، حاذقا بايام العرب وأشعارهم . وكان يقال الفراء أمير المؤمنين في النحو . وقد توفى في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ (انظر نزهة الألباء ص ٩٨ والمعارف لابن قتيبة ص٥٤٥)

وكان المفضل الضبي عالما بالأخبار والأشعار والعربية .
قال ابن سلام : " وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة ، المفضل بن محمد الضبي الكوفي "(١). والمفضل هو الذي جمع الأشعار المختارة المسماة بالمفضليات وقد عملها للمهدي كما ذكر الرواة وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة تقريبا . وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد فيها وتتأخر بحسب الرواية . وأصحها التي رواها عنه أبو عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي.(٢)

ويقال ان المفضل الضبي كان قد خرج فيمن خرج على المنصور فلما ظفر به عفا عنه ، وألزمه المهدي ، فجمع له تلك الاختيارات .(٣) هذا وقد عدد له ياقوت في معجم الأدباء غير المفضليات خمسة أخرى من المصنفات(٤)

وكان المفضل صادق الحديث ، صحيح الرواية ، الى جانب ماكان له باللغة والشعر والنحو والاخبار من علم ودراية ولثقته أخذ عنه أبو زيد الأنصاري البصري فقد قال السيرافي في " أخبار النحويين البصريين " : " ولا نعلم أحدا من علماء البصريين بالنحو واللغة ، أخذ عن أهل الكوفة شيئا من علم العرب ، الا أبا زيد . فانه روى عن المفضل الضبي ".(٥)

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٣٣
(٢) انظر الفهرست لابن النديم ص ٧٥
(٣) انظر انباه الرواة ٣/٣١٢
(٤) انظر معجم الأدباء ١٩/١٦٧
(٥) أخبار النحويين البصريين ص ٤٤ـ ٤٥ .

وقدشهد له بذلك أيضا أبوحاتم السجستانى فيما ذكره عنه أبوالطيب اللغوى فى مراتب النحويين[١]. وقال ياقوت فى معجم الأدباء " وكان ثقة ثبتا "[٢]. وقال السيوطى فى المزهر: وكان - أى المفضل الضبى - أوثق من روى الشعر من الكوفيين"[٣]

وهكذا كان المفضل عالما بالشعر مختصا بروايته ثقة فيما يرويه. وهو فى ذلك يقف بازاء شيوخ البصرة من الرعيل الأول كأبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد الأنصارى

وللمفضل الضبى مع الرشيد أخبار، تدل على سرعة بديهته وسعة علمه، وتقريب الرشيد له. ومن طريف مايروى من ذلك قوله: " سايرت الرشيد يوم منصرفه من مكه، فسنح لنا ذئب فقال الرشيد: ما أحسنُ ما قيل فى الذئب.. فقلت:

أطلسُ يُخفِى شَخْصَه غبارُهْ في فَمِهِ شفْرتُه ونارُهْ[٤]

فقال: أحسن الشاعر، ولكن أحفظ ماهو أحسن من هذا. فان جئت

---

(١) انظر مراتب النحويين ص ٧١

(٢) معجم الأدباء ١٩/١٦٤

(٣) المزهر ٢/٤٠٥

(٤) الاطلس من الذئاب الذى فى لونه غبرة الى السواد، وكل ما كان على لونه فهو أطلس وقيل بل الأطلس الذى قد تمعّط شعره. (وهو أخبث ما يكون، والانثى طلساء. (انظر معجم مقاييس اللغة ٣/٤١٩ - طلس - واللسان طلس).

به ولك خاتمى. فقلت : لعل أمير المؤمنين يريد :

ينامُ باحدى مقلتيه ويتقى المنايا بأخرى فهو يقظانُ هاجعُ(١)

فقال : ما طُرِحَ هذا على لسانك الا لذهاب خاتمى. ورمى به الى (٢)

وكانت وفاة المفضل الضبى على أرجح الأقوال ، سنة ثمان وسبعين ومائة ، والله أعلم.

* *

---

(١) البيت لحُميد بن ثور فى ديوانه ص ١٠٥ ، وروايته فيه :

ينام باحدى مقلتيه ويتقى بأخرى الأعادى فهو يقظان هاجعُ

- وبعده قوله :

اذا قام ألقى بَوْعَه قَدْر طوله ومَدَّ منه صُلْبَه وهو بائعُ

(والبوع والباع قدر مد اليدين وما بينهما من البدن. وبائع اسم فاعل منه).

(٢) نور القبس ص ٢٧٤ ، وهذا الخبر عن المفضل مع الرشيد فى انباه الرواة ٢٩٨/٣ ورواية البيت فيه : ويتقى..بأخرى المنايا ".

أبوعُبيدة (١١٠ - ٢٠٩ هـ)[١]

هو مَعْمَرُ بن المُثَنّى التيمى ، نسبة لتيم قريش ، رهط سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه . فقد كان أبو عبيدة مولى لهم . وهو أحد علماء البصرة الأفذاذ من أمثال الأصمعى ، وأبى زيد الأنصارى، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر[٢]

---

(١) انظر ترجمته فى (المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٣ ، ومراتب النحويين ص ٧٧ ، وتهذيب اللغة للأزهرى ١/١٤ ، وطبقات الزبيدى ص ١٧٥ ، والفهرست لابن النديم ص ٥٨ ، وتاريخ بغداد ١٣/٢٥٢ ، ونزهة الالباء ص ١٠٤ ، ومعجم الادباء ١٩/١٥٤ ، وانباه الرواة ٣/٢٧٦ ، ونور القبس ص ١٠٩ ، ووفيات الاعيان ٥/٢٣٥ - دار الثقافة - وتذكرة الحفاظ ص ٣٧١ ، وميزان الاعتدال ٤/١٥٥ ومرآة الجنان ٢/٤٤ ، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ص ٢٦١ ، وتقريب التهذيب ٢/٢٦٦ ، وتهذيب التهذيب ١٠/٢٤٦ ، والنجوم الزاهرة ٢/١٨٤ ، وبغية الوعاة ٢/٢٩٤ ، والمزهر ٢/٤٠٢ ، ٤٦٢ ، وطبقات المفسرين ٢/٣٢٦ ، ومفتاح السعادة ١/١٠٥).

(٢) هو عيسى بن عمر الثقفى بالولاء - من قراء أهل البصرة ونحاتها المشهورين . وكان فى طبقة أبى عمرو بن العلاء . وعنه أخذ الخليل . وله فى النحو نيف وسبعون تصنيفا ولكنها عدمت . وقد توفى سنة ١٤٩ هـ (انظر انباه الرواة ٢/٣٧٤).

وأبي الخطاب الأخفش (١) ، ويونس بن حبيب ، وفصحاء العرب

وكما لازم الأصمعيُّ - كما قال - أبا عمر بن العلاء طويـــلا.

فقد لازم أبوعبيدةَ يونسَ بن حبيب طويلا أيضا . فقد روى أبـــو الطيب اللغوي في مراتب النحويين عن أبي حاتم السجستاني قال: " سمعت أبا عبيدة يقول: اختلفت إلى يونس أربعين سنة ، أملأ كل يوم ألواحي من حفظه " (٢)

وأبو عبيدةَ أحد ثلاثة أئمة في اللغة والشعر وعلوم العرب لم ير مثلهم . وعنهم أخذ الناس جل ما في أيديهم من هذه العلوم. وذكر الأنباري في نزهة الألباء عن الجاحظ قال : " لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة " (٣).

وقال ابن النديم : " وكان ديوان العرب في بيتـــه " (٤)

---

(١) هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد - الأخفش الكبير . من أكابر علماء اللغة ، ومتقدميها أخذ عنه أبوعبيـــدةَ ويونس بن حبيب وقد توفي سنة ٢١٥هـ .
(انظر نزهة الألباء ص ٤٣ وطبقات الزبيدي ص ٤٠ ونـــور القبس ص ٤٧ ومرآة الجنان ٦١/٢).

(٢) مراتب النحويين ص ٢١

(٣) نزهة الالباء ص ١٠٥

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٥٩

وكان لأبي عبيدة علم بأمثال العرب أيضا ، وقد جمع منها فيما ذكره الزبيدي في طبقاته حوالي أربعة عشر ألف مثل.[1] ولكن أبا عبيدة مع علمه هذا كان لايقيم العروض. وكان ربما أنشد البيت، فلم يقم وزنه حتى يكسره وينشده مختلف العروض. قال أبو العباس المبرد : " كان أبو عبيدة عالما بالشعر والغريب والاخبار والنسب. وكان الأصمعي أعلم منه بالنحو ".[2]

وعن أبي عبيدة أخذ كثيرون من العلماء ، كأبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي عثمان المازني[3] ، وأبي حاتم السجستاني ، وغيرهم.

وقد ذكر العلماء أن أبا عبيدة كان متهما في أخلاقه كما كان مدخول الدين ، مدخول النسب. ولذلك فلم يكن الحكام يقبلون شهادته.[4] وكان كما ذكر الجاحظ في الحيوان يميل الى مذهب الخوارج.[5] كما كان متهما بالشعوبية ، يبغض العرب ويطعن عليهم. وله في مثالبهم كتب

وكان مولده كما ذكر ابن الأنباري في نزهة الألباء سنة عشر ومائة ، في الليلة التي مات فيها الحسن البصري رضي الله عنه[6] كما كانت وفاته سنة تسع ومائتين أو قبلها بسنة أو بعدها بسنتين. قال ياقوت " مات وله ثمان وتسعون سنة. ولم يحضر جنازته أحد

---

(١) انظر طبقات الزبيدي ص ١٧٧ (٢) نزهة الالباء ص ١٠٦

(٣) هو أبو عثمان بكر بن محمد المازني من أهل البصرة أخذ عن أبي عبيدة والاصمعي وغيرهما ، وأخذ عنه المبرد وغيره. وكان عالما بالنحو والتصريف والعروض وغيرها. وقد توفي سنة ٢٤٧هـ (انظر نزهة الألباء ص ١٨٢).

(٤) انظر انباه الرواة ٣/٢٨٣.

(٥) انظر الحيوان ٣/٤٠٢

(٦) انظر نزهة الالباء ص ١٠٥

لأنه لم يكن يسلم من لسانه أحد لاشريف ولاغيره".[1]

ومن طريف أخبار أبي عبيدة أن رجلا قال له : "يا أبا عبيدة قد ذكرت الناس وطعنت في أنسابهم . فبالله تعالى ، إلاّ ما عرّفتني من أبوك . وما أصله.. فقال : حدثني أبي أن أباه كان يهوديا".[2]

وكان أبو عبيدة كثير التصانيف حتى قيل انها تقارب المائتين وقد عدد له ياقوت منها نيفا وثمانين.[3] وقد ألف في مجاز القرآن الكريم فغمزه العلماء . وكان الاصمعي ممن عاب عليه وضعه لكتاب (المجاز في القرآن)، بقوله : يفسر ذلك برأيه . وبلغ أبا عبيدة ذلك ، فقام بزيارة الأصمعي يوما وسأله : "ما تقول في الخبز .. قال الاصمعي : هو الذي نخبزه ونأكله . فقال أبو عبيدة فسرت كتاب الله برأيك قال الله تعالى: " إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا "[4] فقال له الاصمعي : هذا شيء بان لي فقلته . لم أفسره برأيي. فقال أبو عبيدة : وهذا الذي تعيبه علينا كله شيء بان لنا فقلناه . ولم نفسره برأينا".[5]

---

(١) معجم الادباء ١٩/١٦٠

(٢) نزهة الألباء ص ١٠٥ ومعجم الأدباء ١٩/١٥٦

(٣) انظر معجم البلدان ١٩/١٦٠

(٤) سورة يوسف ، آية ٣٦

(٥) انظر هذا الخبر في نزهة الالباء ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ، وانظره في معجم الادباء ١٩/١٥٩.

وعلى أى حال ، فقد وثَّق العلماء أبا عبيدة ، فيما كان يرويه عن العرب من الغريب . وأكثر أبو عبيد القاسم بن سلام الرواية عنه فى كتبه . وروى الآخرون عنه وأكثروا . ولولا ثقتهم به فيما كان يرويه لم يفعلوا . وهم الذين كانوا يَتَحَرَّوْن الصدق فيما يقولون ، والصحة فيما ينقلون . قال ياقوت :
" وكان ابن المَدِينى يصحح رواية أبى عبيدة "[1].

* *

(١) معجم الادباء ١٩/١٥٥

أبو حاتم السِّجِسْتانى (ت ٢٥٥ هـ)[1]

هو سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم - أبو حاتم السجستانى نزيل البصرة وأحد كبار علمائها . والسجستانى - كما ذكر السيوطى فى المزهر[2] منسوب الى اقليم سجستان. وكان أبو حاتم كثير الرواية عن أبى عبيدة والأصمعى ، وأبى زيد الانصارى وكان أعلم الناس بالعروض . واخراج المعمى ، وقول الشعر الجيد كما كان كثير التصانيف فى اللغة ، وقد صنف فى النحو والقراءة وقد عدد القفطى فى انباه الرواة لأبى حاتم من المصنفات ،نيفا وثلاثين.[3]

وكان أبو حاتم الى جانب علمه صالحا عفيفا ، محسنا قارئا للقرآن الكريم[4] . كما كان يؤم الناس فى المسجد الجامع بالبصرة فقد كان حسن الصوت جهيره حافظا لكتاب الله ، عالما بالقراءات والتفسير . كما كان - كذلك - صادق الرواية موثوق الدين. قال السيوطى في بغية الوعاة[5] : " وروى له النَّسائى فى سننه[6] ، والبَزَّار فى مسنده ".

---

(١) انظر ترجمته فى (مراتب النحويين ص ١٣٠ ، وأخبار النحويين البصريين ص ٧٠ ، وتهذيب اللغة للأزهرى ٢٢/١ ، وطبقات الزبيدى ص ٩٤ ، والفهرست لابن النديم ص٦٤ ، ونزهة الالباء ص ١٨٩ ، ومعجم الادباء ٢٦٣/١١ ، وانباه الرواة ٥٨/٢ ، ونور القبس ص ٢٢٥ ، ووفيات الاعيان - دار الثقافة - ٤٣٠/٢ ، ومرآة الجنان ١٥٦/٢ ، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ص ٩٣ ، وتقريب التهذيب ٣٣٧/١ ، وتهذيب التهذيب ٢٥٧/٤ ، والنجوم الزاهرة ٣٣٢/٢ ، وبغية الوعاة ٦٠٦/١ ، والمزهر ٤٦٤/٢ ، وطبقات المفسرين ٢١٠/١ .

(٢) انظر المزهر ٤٤٥/٢ ، وسجستان بكسر الاول والثانى وسكون الثالث

(٣) انظر انباه الرواة ٦٢/٢ . (٤) فقد ذكر ابن خلكان انه كان يتصدق كل يوم بدينار ، ويختم القرآن الكريم فى كل اسبوع (انظر وفيات الاعيان دار الثقافة - ٤٣٢/٢) . (٥) بغية الوعاة ٦٠٦/١ .

(٦) ولد أبو عبد الرحمن - أحمد بن شعيب - القاضى الحافظ ، صاحب =

وذكر السيرافي وابن النديم[1] أن أبا بكر بن دريد قد اعتمد على أبي حاتم في اللغة . فقد روى عنه ابن دريد وأبو العباس المبرد[2] وغيرهما . وقال الأزهري في تهذيب اللغة بأن شمرا وعبدالله بن مسلم بن قتيبة[3] ، قد جالسا أبا حاتم ووثقاه . وذكر الزبيدي في طبقاته أنه قد قيل لأبي زيد الانصاري : على من تقرأ بعدك .. فقال: على سهل بن محمد يعني أبا حاتم.

[4]

ولكن أبا حاتم - رحمه الله - بالرغم من علمه هذا ، لم يكن بالحاذق في النحو ، ولذلك كان اذا التقى هو وأبو عثمان المازني[5] ، تشاغل أو بادر بالخروج خوفا من أن يسأله عن النحو وهو الذي قال فيه أبو العباس المبرد :" وسمعته يقول: قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين"[6]

وكان من عمل أبي حاتم الاتجار في الكتب[7] ، قال القفطي "وكان جَمَّاعةً للكتب ، وكان يتجر فيها". ولم يكن لأبي حاتم

كتاب السنن - سنة ٢١٥ هـ . وسمع كما قال ابن حجر - من خلائق لا يحصون . وتوفي رحمه الله سنة ٣٠٣هـ قيل بالرملة بفلسطين ، وقيل بمكة المكرمة . وهو الارجح ، والله أعلم (انظر تهذيب التهذيب ١/ ٣٦).

(١) انظر أخبار النحويين البصريين ص ٧٢ ، والفهرست لابن النديم ص ٦٤.

(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر - المعروف بالمبرد شيخ أهل النحو والعربية . وهو بصري أخذ عن المازني وأبي حاتم السجستاني وغيرهما . وكان حسن المحاضرة ، مليح الأخبار كثير النوادر ، عالمًا بمعاني القرآن الكريم . وقد توفي رحمه الله سنة ٢٨٥هـ (انظر نزهة الالباء ص ٢١٧).

(٣) انظر تهذيب اللغة ١/ ٢٢ (٤) انظر طبقات الزبيدي ص ٩٥.

(٥) انظر نزهة الالباء ص ١٩٠ ، وانظر كذلك انباه الرواة ٢/ ٥٩.

(٦) الفهرست لابن النديم ص ٦٤. (٧) انباه الرواة ٢/ ٥٩

السجستانى ماكان لأقرانه من الحظوة فى بغداد . قال أبو العباس المبرد : " ولو قدم بغداد ، لم يقم له منهم أحد"(١) ومن طريف ماروى السيوطى عنه قال: ودخل بغداد ، فسئل عن قوله تعالى : (قُوا أَنفُسَكُمْ)(٢) ، مايقال منه للواحد .. فقال: " قِ . فقال: فالاثنين .. فقال: قِيَا . قال : فالجمع .. قال: قُوا . قال : فاجمع لى الثلاثة . قال قِ ، قِيَا ، قُو . قال : وفى ناحية المسجد رجل جالس معه قماش . فقال لواحد: احتفظ بثيابى حتى أجىء ومضى الى صاحب الشرطة . وقال : انى ظفرت بقوم زنادقة يقرءون القرآن على صياح الديك . فما شعرنا حتى هجم علينا الاعوان والشرطة فأخذونا وأحضرونا مجلس صاحب الشرطة . فسألنا . فتقدمت اليه وأعلمته بالخبر . وقد اجتمع خلق من خلق الله ، ينظرون مايكون . فعنفنى وعذلنى . وقال : مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا وعمد الى أصحابى فضربهم عشرة عشرة . وقال : لا تعودوا الى مثل هذا . فعاد أبو حاتم الى البصرة سريعا ، ولم يُقِمْ ببغداد . ولم يأخذ عنه أهلها.(٣)

وقد توفى أبو حاتم - رحمه الله - بالبصرة سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة الشريفة ، وصلى عليه واليها . وترحم الناس عليه وعلى علمه الذى كان معه . ذكر القفطى فى انباه الرواة أن أبا الفضل الرياشى(٤) ، وكان ممن سار فى جنازة أبى حاتم السجستانى ، قال على قبره : " ذهب بعلم كثير . قيل له : كتبه .. فقال الرياشى : الكتب تؤدى ما فيها ، ولكن صدره "(٥).

* *

(١) انباه الرواه ٥٩/٢ (٢) آية ٦ من سورة التحريم . وتمامها "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقودها الناس والحجارة . عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون) (٣) انظر بغية الوعاة للسيوطى ٦٠٧

(٤) هو العباس بن الفرج - مولى بنى العباس بن عبد المطلب (رضى الله عنه) . من أهل البصرة ، وقد سمع الاصمعى وغيره ، وروى عنه ابو بكر بن دريد ، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد، وغيرهما . وقد كان أبو الفضل الرياشى من أهل الادب والنحو . وقد ذكر العلماء أنه كان يحفظ كتب الاصمعى، وأبى زيد الانصارى - كلها . وقد قدم بغداد وحدث بها وكان ثقة وتوفى بالبصرة رحمه الله سنة ٢٥٧ (انظر انباه الرواة ٣٦٧/٢)

(٥) انظر أنباه الرواة ٦٠/٢ .

ابن السِّكِّيت (ت ٢٤٤ هـ)[1]

هو أبو يوسف ، يعقوب بن اسحق . والسكيت لقب أبيه ، وقد عرف به لكثرة صمته .[2] وقد تتلمذ يعقوب على أبيه الذى كان - كما ذكر الباحثون - عالما بالعربية واللغة والشعر. وقد ذكر ياقوت بأنه كان أيضا من أصحاب الكسائى .[3] وكان ابنه يعقوب يقول فيه : " أنا أعلم من أبى بالنحو ، وهو أعلم منى بالشعر واللغة ".[4]

وقد برع ابن السكيت فى علوم النحو ، ونحو الكوفيين خاصة ، وعلوم القرآن ، وعلوم اللغة والشعر . وكان مؤدبا لأولاد المتوكل ببغداد وهو وان كان كوفيا فقد أخذ عن البصريين والكوفيين . فقد أخذ عن أبى عمرو الشيبانى ، والفراء ، والاثرم ،[5] وابن الاعرابى ، وغيرهم من علماء الكوفة . كما أخذ عن الاصمعى ، وأبى عبيدة ، وأبى زيد الانصارى وغيرهم من علماء البصرة . ولكن من غير سماع - كما ذكر العلماء - الا ممن

---

(١) انظر ترجمته فى (مراتب النحويين ص ١٥١ ، وتهذيب اللغة للأزهرى ١/ ٢٣ ، وطبقات الزبيدى ص ٢٠٢ ، والفهرست لابن النديم ص ٧٩ ، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٧٣ ، ونزهة الالباء ص ١٧٨ ، ومعجم الادباء ٢٠/ ٥ ، وانباه الرواة ٤/ ٥٠ ، ونور القبس ص ٣١٩ ووفيات الأعيان - دار الثقافة - ٦/ ٣٩٥ ، ومرآة الجنان ٢/ ١٤٧ ، والبداية والنهاية ١/ ٣٤٦ ، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ص ٢٨٨ والنجوم الزاهرة ٢/ ٣١٩ ، وبغية الوعاة ٢/ ٣٤٩ ، والمزهر ٢/ ٤١٢)

(٢) انظر انباه الرواة ١/ ٢٢٠ فى ترجمته لاسحق بن السكيت أبى يعقوب

(٣) انظر فى ذلك معجم الادباء (٢٠/ ٥٠) (٤) نزهة الالباء ص : ١٧٩ ، وانباه الرواة ١/ ٢٢٠ .

(٥) الاثرم ، هو أبو الحسن - على بن المغيرة الاثرم . روى عن جماعة من العلماء ، وعن فصحاء الاعراب . وروى كتب أبى عبيدة والاصمعى . وذكر العلماء بأنه كان لا يفارقهما وان كان قد اشتهر بملازمته لأبى عبيدة حتى قيل ان أبا نصر - غلام الاصمعى - كان صاحب الاصمعى - وان الاثرم كان صاحب أبى عبيدة . وللأثرم فى علوم الشعر واللغة مصنفات . وقد توفى سنة ٢٣٠ هـ (انظر الفهرست لابن النديم ص ٦٢) .

سمع منهم كالاثرم ، وابن نجدة [١] ، وأبو نصر . ولكن الازهري في تهذيب اللغة يقول : " ولقى الاصمعي فيما أحسب ،فانه كثير الذكر له في كتبه " [٢] وكان ابن السكيت ـ الى جانب روايته عن الكوفيين والبصريين ـ يروى كذلك عن فصحاء الاعراب الذين لقيهم ببغداد [٣] .

هذا وقد أخذ عنه أبوسعيد السكرى ، وأبوعكرمة الضبى ، وغيرهما وكان ابن السكيت واسع العلم باللغة والشعر ، حتى أكثر الباحثون من الاطراء عليه . قال أبوالطيب اللغوى في مراتب النحويين : "واليه والى ثعلب [٤] ، انتهى علم الكوفيين" [٥] . وقال ياقوت في معجم الأدباء بأنه كان " من أعلم الناس باللغة والشعر " [٦] . وقال الانبارى في نزهة الالباء بأنه كان " من أكابر اللغة" [٧] . وأخيرا قال السيوطى في بغية الوعاة : " ولم يكن بعد ابن الاعرابى مثله " [٨] .

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد الطبرى النحوى المعروف بابن نجدة ، كان صاحب أبي زيد الانصارى ـ يلازمه ويروى عنه ـ كما كان أبونصر صاحب الاصمعى ، والاثرم صاحب أبي عبيدة (انظر تهذيب اللغة ١ / ٢٢ وبغية الوعاة ١ / ٩٤) .

(٢) انظر تهذيب اللغة ١ / ٢٣ (٣) نفس المصدر ١ / ٢٣

(٤) هو أبوالعباس ـ أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانى النحوى المعروف بثعلب امام الكوفيين فى النحو واللغة فى زمانه . كان ثقة دينا مشهورا بصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم وقد كان مقدما بين الشيوخ وهو حدث لذكائه وفطنته وحرصه على العلم . وقد ولد سنة ٢٠٠ هـ ومات سنة ٢٩١ هـ رحمة الله عليه (انظر نزهة الالباء ص ٢٢٨) .

(٥) مراتب النحويين ص ٩٥

(٦) معجم الأدباء ٢٠ / ٥٠

(٧) نزهة الالباء ص ١٧٨

(٨) بغية الوعاة ٢ / ٣٤٩

وكان لابن السكيت الى جانب ذلك العلم ـ حظ من الستر والدين ، قال الازهرى : "وكان دينا فاضلا ، صحيح الأدب" [١] .

كما كان ثقة أمينا موثوق الرواية . شهد بذلك أبوالطيب اللغوى فى مراتب النحويين [٢] ، والقفطى فى انباه الرواة [٣] ، وغيرهما .

هذا وقد خلف ابن السكيت فى اللغة والشعر مصنفات جمة كاصلاح المنطق ، والالفاظ ، والاضداد ، والنوادر ، ومعانى الشعر وغيرها . وقد عدد له الباحثون الذين عنوا بذلك ، نيفا وعشرين مصنفا [٤] .

وقد فسر ابن السكيت من دواوين الشعر شيئا كثيرا [٥] . ولعل ديوان طرفة بن العبد ، الذى وصلنا عن طريقه هو أحد تلك الدواوين التى عنى بجمعها وتفسيرها .

وتوفى ابن السكيت رحمه الله ، سنة أربع وأربعين ومائتين [٦] . وقد ذكروا فى موته قصة ملخصها أن المتوكل قال له ذات يوم : "يا يعقوب من أحب اليك ، ابناى هذان أم الحسن والحسين ؟ " فذكر ابن السكيت السبطين الكريمين رضى الله عنهما ، بما هما أهله من الفضل والتقدمة وغض من ولدى المتوكل ونال منهما . فأمر المتوكل به فعذب حتى مات ، والله أعلم [٧] .

---

(١) تهذيب اللغة ١ / ٢٣

(٢) مراتب النحويين ص ٩٦ (٣) انباه الرواة ٤ / ٥٠

(٤) انظر الفهرست لابن النديم ص ٧٩ ، ومعجم الأدباء (٢٠ / ٥٢) وأنباه الرواة (٤ / ٥٥-٥٦) .

(٥) انظر نور القبس ص ٣١٩ (٦) انظر انباه الرواة ٤ / ٥٤

(٧) انظر بغية الوعاة ٢ / ٣٤٩ .

أبوعمرو الشيبانى (ت ٢١٠ هـ)[1]

هو اسحق بن مرار الشيبانى ، من الرمادة بالكوفة . وقد جاور بنى شيبان فنسب اليهم . وهو اسحق بن مرار - بكسر الميم وبعد ها رائين مهملتان مخففتان بينهما ألف - وكذلك ضبطه ياقوت فى معجم الادباء[2] ، وابن حجر فى تقريب التهذيب[3] ، والسيوطى فى بغية الوعاة[4] ، وقد ضبط فى كتاب المعارف لابن قتيبة : اسحق بن مرار كشداد -[5] وليس بصحيح ، ولعله خطأ من النساخ . وجاء فى تهذيب اللغة ، اسحق بن مراد -[6] ولعله من وهم النساخ كذلك .

وقد اشتهر اسحق بن مرار الشيبانى هذا ، بكنيته أبو عمرو فكانت تغلب على اسمه . وكان يعرف كذلك بأبو عمرو الأحمر.[7]

وكان أبوعمرو عالما باللغة ، حافظا لها ، عالما بأيام العرب جامعا لأشعارهم . وقد روى الازهرى فى تهذيب اللغة أنه قرأ دواوين الشعر على المفضل الضبى.[8] وروى الانبارى فى نزهة الالباء عن عمرو ابن أبو عمرو أنه قال : " لما جمع أبى أشعار العرب ، كانت نيفا وثمانين قبيلة . وكان كلما عمل منها قبيلة ، وأخرجها الى الناس ، كتب مصحفا وجعله فى مسجد الكوفة . حتى كتب نيفا وثمانين بخطه".[9]

---

(١) انظر ترجمته فى (المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٥ ، ومراتب النحويين ص ١٤٥ ، وتهذيب اللغة ١ / ١٣ وطبقات الزبيدى ص ١٩٤ ، والفهرست لابن النديم ص ٧٤ ، وتاريخ بغداد ٦ / ٣٢٩ ، ونزهة الالباء ص ٩٣ ، ومعجم الادباء ٦ / ٧٧ وانباه الرواة ١ / ٢٢١ ونور القبس ص ٢٧٧ ، ووفيات الاعيان - دار الثقافة - ١ / ٢٠١ ، والوافى بالوفيات ٨ / ٤٢٥ ، ومرآة الجنان ٢ / ٤٨ ، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ص ٣٨ ، وتقريب التهذيب ١ / ٦١ ، ٢ / ٤٥٥ وتهذيب التهذيب ١ / ١٨٢ ، وبغية الوعاة ١ / ٤٣٩ ، والمزهر ٢ / ٤١١) .

(٢) انظر معجم الادباء ٦ / ٧٨ (٣) انظر تقريب التهذيب ١ / ٦١

(٤) انظر بغية الوعاة ١ / ٤٤٠ (٥) انظر المعارف ص ٥٤٥

(٦) انظر تهذيب اللغة ١ / ١٣ (٧) انظر بغية الوعاة ١ / ٤٣٩

(٨) انظر تهذيب اللغة ١ / ١٣ (٩) نزهة الالباء ص ٩٤

وكان أبو عمرو واسع العلم باللغة والشعر حتى انه كان يعرف في وقته بين العلماء بصاحب ديوان اللغة والشعر" (١) . وفيه قال أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب : " كان مع أبي عمرو الشيباني من العلم والسماع ، أضعاف ما كان مع أبي عبيدة . ولم يكن من أهل البصرة مثل أبي عبيدة في السماع والعلم " . (٢)

وقد احتج ياقوت الحموي على ذلك القول بقوله : " ولقد أسرف ثعلب فيما فضل به أباعمرو ، فاني لا أقول ان الله خلق رجلا كان أوسع رواية وعلما من أبي عبيدة في زمانه" (٣) . وعلى أي حال فقد كان أبو عمرو الشيباني بشهادة كثير من العلماء ذا علم غزير . رُوي عن يونس ابن حبيب أنه قال : " دخلت على أبي عمرو الشيباني ، وبين يديه قِمَطْر فيه أَمْنَاءٌ (٤) من الكتب يسيرة . فقلت له : أيها الشيخ ، هذا جميع علمك ؟ فتبسم اليَّ وقال : " هذا من صندوق كبير" (٥) .

وكان أبو عمرو الشيباني ، يرحل الى مضارب العرب في الصحراء ليسمع منهم ويكتب عنهم . كما كان يفعل أقرانه من ذلك الجيل . قال ثعلب : " دخل أبو عمرو ، اسحق بن مرار البادية ، ومعه دستيجتان من حبر ، فما خرج حتى أفناهما بكتْب سماعه عن العرب" (٦) .

---

(١) انظر انباه الرواة ١/٢٢٢ (٢) انظر نزهة الالباء ص ٩٤

(٣) انظر معجم الادباء ٦/٨٢

(٤) القمطر (كالفطحل والهزبر) : ماتصان فيه الكتب . والجمع قماطر (اللسان قمطر) . والمنا (كالهوى) : المكيال الذي يكيلون به السمن وغيره . وتثنيته منوان ومَنيان (كفَتيان) الجمع أمناء (كأسماء) (اللسان منى) .

(٥) انظر نزهة الالباء ص ٩٥

(٦) انظر المصدر السابق ص ٩٣ وانظر كذلك انباه الرواة ١/٢٢٤ .

وكان الغالب على أبى عمرو ـ فيماذكر الأزهرى فى تهذيب اللغـــة النوادر وحفظ الغريب ، وأراجيز العرب.(١)

وكان أبوعمرو الى جانب علمه هذا ، دينا ، نبيلا ، فاضلا ، صدوقا فيما يحكيه ، موثقا فيما يرويه ، وكان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنـــه يلزم مجالسه ويكتب أماليه .

وقد روى عن أبى عمرو ابنه عمرو(٢) ، وأحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه وأبوعبيد القاسم بن سلام ، وابن السكيت ، وأبوسعيد الضرير(٣) ، وغيرهم فقد كان أبوعمرو مشهورا بسعة علمه ، معروفا بصدق روايته حتى جعلـه ياقوت راوية أهل بغداد(٤) . وانما قصر به عند العامة من أهل العلم أنه كان مشتهرا بشرب النبيـد .(٥)

وقد عمر أبوعمرو طويلا حتى أناف على التسعين ، كماذكر كثير مـن الباحثين . وقد خلف عددا من المصنفات ، ككتاب النوادر وكتاب اللغات وكتاب غريب الحديث وغيرها . وقد عدد له ياقوت فى معجم الأدباء بعض تلك المصنفات(٦) ، وكذلك فعل القفطى(٧) فى انباه الرواة .

وقد توفى رحمه الله سنة عشرومائتين ، وقيل بل خمسومائتين والله أعلم .(٨)

---

(١) انظرتهذيب اللغة ١ / ١٣

(٢) أخذ عمروبن أبى عمرو علم أبيه وتصدر للقراءة عليه وأبوه حى وتوفى سنة ٢٣١ هـ (انظرمعجم الادباء ١٦ / ٧٣) .

(٣) أبوسعيد الضرير هوأحمد بن خالد البغدادى اللغوى ـ لقى أباعمرو الشيبانى وابن الاعرابى وكان يلقى الاعراب الفصحاء . وهوموثوق الرواية ومما قال : "كنت أعرض على أبن اعرابى أصول الشعر ، أصلا أصلا" وقد ذكره ياقوت باسم (احمد بن خالد) . "انظرمعجم الادباء ٣ / ١٥ "وبغية الوعاة ١ / ٣٠٥ ."

(٤) انظرمعجم الادباء ٦ / ٧٨   (٥) انظرنزهة الالباء ص ٩٦

(٦) انظرمعجم الادباء ٦ / ٨١-٨٢   (٧) انظرانباه الرواة ١ / ٢٢٧

(٨) انظرمعجم الادباء ٦ / ٧٨ وانظرانباه الرواة ١ / ٢٢٤

ابن الأعرابى (١٥٠ - ٢٣١ هـ)[(١)]

هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابى . كان مولى لبنى هاشم ، وكان من أكابر أئمة اللغة الكوفيين ، المشار اليهم فى معرفتها وكان - كما قال ابن قتيبة فى المعارف - ربيبا للمفضل الضبى ، اذ كان المفضل زوج امه .[(٢)] وقد سمع منه دواوين العرب ، وصححها عليه . وقد حفظ من الغريب والنوادر مالم يحفظه غيره .[(٣)]

ويقال ان ابن الأعرابى قد ولد فى الليلة التى مات فيها الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه .[(٤)] وكان ذلك لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمسين ومائة .[(٥)] وظل يطلب العلم ، وعلوم العربية خاصة حتى صار كما ذكر ابن الانبارى فى نزهة الألباء " أحفظ الناس للغات والأيام والأنساب"[(٦)]

وابن الأعراب وان كان كوفيا ، فانه لم يقتصر فى الأخذ على الكوفيين . بل لقد أخذ علم البصريين أيضا . وعلم أبى زيد الانصارى خاصة . ولكن - كما ذكر السيوطى فى المزهر - " من غير أن يسمعه منه"[(٧)] . ولذلك قال ياقوت " لم يكن للكوفيين أشبه برواية البصريين منه".[(٨)]

---

(١) انظر ترجمته فى (المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٦ ، ومراتب النحويين ص ١٤٧ وتهذيب اللغة للأزهرى ١ / ٢٠ ، وطبقات الزبيدى ص ١٩٥ ، والفهرست لابن النديم ص ٧٥ وتاريخ بغداد ٥ / ٢٨٢ ، ونزهة الالباء ص ١٥٠ ، ومعجم الادباء ١٨ / ١٨٩ وانباه الرواه ٣ / ١٢٨ ، ونور القبس ص ٣٠٢ ووفيات الاعيان - دار الثقافة - ٤ / ٣٠٦ والوافى بالوفيات ٣ / ٧٩ ، ومرآة الجنان ٢ / ١٠٦ والبداية والنهاية ١٠ / ٣٠٧ ، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ص ٢٢١ ، وطبقات تقى الدين الاسدى ص ١١٤ ، وبغية الوعاة ١ / ١٠٥ ، والمزهر ٢ / ٤١١ ، ٤٦٤) .

(٢) انظر المعارف ص ٥٤٦ (٣) انظر انباه الرواة ٣ / ١٣١

(٤) هو النعمان بن ثابت أبو حنيفة - احد الائمة الاربعة رضى الله عنهم . وكان خزازا بالكوفة . ودعى للقضاء فأبى فضرب أياما كل يوم عشرة اسواط . وقد توفى رضى الله عنه ببغداد سنة ١٥٠ هـ عن سبعين سنة (انظر المعارف لابن قتيبة ص ٤٩٥) .

(٥) انظر نور القبس ص ٣٠٢ وانظر كذلك المزهر ٢ / ٤٦٤ .

(٦) نزهة الالباء ص ١٥١ (٧) المزهر ٢ / ٤١١

(٨) معجم الادباء ١٨ / ١٩٠

وقد جالس ابن الأعرابي الكسائي ، وأخذ عنه النوادر والنحو كما سمع من الأعراب الذين كانوا ينزلون بظاهر الكوفة فاستكثر .(١)

وكان ابن الأعرابي قوي الذاكرة ، واسع الحفظ ، لا يملو على الناس من كتاب . فقد ذكر ابن النديم أن ثعلبا قال : " لزمته بضع عشرة سنة ، ما رأيت بيده كتابا قط "(٢) . كما كان كثير الاملاء فقد ذكر ابن الانبارى عن ثعلب قال : " سمعت ابن الأعرابي يقول : أمليت قبل أن تجيئني يا أحمد ، حِمْلَ جَمَلٍ "(٣) . وذكر السيوطي أن ثعلبا أيضا قال : " وكان يحضر مجلسه زهاء مائة انسان ، كل يسأله أو يقرأ عليه ويجيب من غير كتاب "(٤) .

وقد ذهب العلماء في الاطراء على علم ابن الأعرابي وحفظه مذهبا بعيدا . قال الزبيدي في طبقاته : " وكان ناسبا نحويا كثير السماع راوية لأشعار القبائل ، كثير الحفظ "(٥) . وقال ثعلب : " انتهى علم اللغة والحفظ الى ابن الأعرابي "(٦) . وقال أيضا : " لم ير أحد في علم الشعر أغزر منه "(٧) . ومن أقوال العلماء : " كان للناس رؤوس . كان سفيان الثوري(٨) رأسا في الحديث ، وأبو حنيفة رأسا في القياس ، والكسائي رأسا في القرآن " . أما ابن الأعرابي " فانه رأس في كلام العرب "(٩) .

---

(١) تهذيب اللغة ١ / ٢١ وانظر انباه الرواة ٣ / ١٣٢

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٧٥ (٣) نزهة الالباء ص ١٥١

(٤) **بغية الوعاة للسيوطي ١ / ١٠٥** (٥) طبقات الزبيدي ص ١٩٥-١٩٦

(٦) نزهة الالباء ص ١٥١ (٧) الفهرست لابن النديم ص ٧٥

(٨) هو سفيان بن سعيد بن مسروق ـ ويكنى أبا عبد الله ، مات بالبصرة سنة ١٦١ هـ عن اربع وستين سنة (انظر المعارف ص ٤٩٧) ، وانظر تهذيب الاسماء واللغات (١ / ٢٢٢) .

(٩) انظر في هذا الخبر كله نزهة الالباء ص ١٥١ ، ومعجم الادباء ١٨ / ١٩١ .

وذُكر ابن الأعرابي عند الفرّاء فكان مما قال فيه : " كان يزاحمنا عند المفضل "(١)

هذا وقد أخذ عن ابن الأعرابي كثير من العلماء ، منهم أبو عكرمة الضبي (*)، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو يوسف يعقوب بن السكيت ، وغيرهم . قال الأزهري : " وكان شمر بن حمدويه (٢) ، جالس ابن الاعرابي دهرا ، وسمع منه دواوين الشعر ، وتفسير غريبها ".(٣)

ويقال أن ابن الأعرابي كان يغمز الأصمعي وأبا عبيدة ، ويزعم أنهما لا يحسنان قليلا ولا كثيرا .(٤) ولكنه كان لا يقول في أبي زيد الأنصاري الا خيرا .(٥) ومن ذلك ما رواه أبو العباس ثعلب قال : " سمعت ابن الأعرابي يقول في كلمة رواها الأصمعي : " سمعت من ألف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي ".(٦)

ولا يجهل أحد أن الأصمعي وأبا عبيدة كان شيخي رواة أهل البصرة ورأس علمائها في ذلك الزمان . ولذلك لم يكن العلماء يوافقون ابن الأعرابي على ما كان يقول فيهما . وقد قيل لأحدهم : " لم لم تأت ابن الأعرابي ، ولم تقرأ كتبه .. ؟ فقال : بلغني أنه كان يَنتقص الشيخين . يعني الأصمعي وأبا عبيدة ".(٧)

---

(١) انظر تهذيب اللغة ١ / ٢١ (٢) هو شمر بن حمدويه الهروي اللغوي أبو عمرو ـ الأديب الفاضل الكامل . اليه الرحلة في فن الادب من كل مكان في ذلك الزمان . رحل الى بغداد فلقي ابن الاعرابي وغيره من اللغويين . ولقي جماعة من اصحاب ابي عمرو الشيباني وأبي زيد الانصاري وأبي عبيدة والفراء ـ فأخذ عنهم . وسمع دواوين الشعر من وجوه شتى . وقد عاد الى هَراة ، وألقى بها عصاه . وتوفي سنة ٢٥٥ هـ (انظر انباه الرواة ٢ / ٧٧) .

(٣) تهذيب اللغة ١ / ٢١ (٤) انباه الرواة ٣ / ١٢٩

(٥) المزهر ٢ / ٤١١ (٦) نزهة الالباء ص ١٥١

(٧) انباه الرواة ٣ / ١٢٩ .

(*) هو عامر بن عمران بن زياد المشهور بأبي عكرمة الضبي ، من أهل سر من رأى ، كان نحويا لغويا اخباريا ، قال عنه ياقوت " وكان أعلم الناس بأشعار العرب وأرواهم لها " وتوفي سنة (٢٥٠ هـ) (انظر معجم الادباء ١٢ / ٣٩ ، وبغية الوعاة ٢ / ٢٤) .

وبالرغم من ذلك فقد كان ابن الاعرابى - كما ذكروا - أمينا على أعراض الناس ، روى ياقوت فى معجم الأدباء قال : " واغتاب رجل عنده بعض العلماء فقال له : " لولم تقل فينا ما قلت عندنا ، فلا تجلسنّ الينا ". (١) وكان ابن الاعرابى ايضا - كما ذكر الازهرى - "رجلا صالحا ورعا زاهدا صدوقا" (٢) .

وقد توفى رحمه الله سنة احدى وثلاثين ومائتين بعد أن نيف على الثمانين (٣) وكان ذلك ببغداد فى خلافة الواثق بن المعتصم. وصلى عليه أحمد بن أبى دؤاد الايادى . وكان يومئذ قاضى القضاة.

وقد خلّف ابن الاعرابى من التصانيف أكثر من خمسة عشر مصنفا (٤) ومن مأثور قوله رحمه الله : " ما رأيت قوما أكذب على اللغة ، من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق ". (٥)

---

(١) معجم الادباء ١٨ / ١٩٦ وانظر كذلك بغية الوعاة ١ / ١٠٥

(٢) تهذيب اللغة ١ / ٢٠

(٣) معجم الادباء ١٨ / ١٩٦ وانظر كذلك انباه الرواة ٣ / ١٣٠

(٤) انظر معجم الادباء ١٨ / ١٩٦

(٥) انظر نفس المصدر ١٨ / ١٩٦ .

محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ)[(١)]

هو أبو جعفر ، محمد بن حبيب ، مولى بني هاشم ، وأمه مولاة لهم . وذكر أكثر من واحد من العلماء بأنه كان ولد ملاعنة[(٢)] . ذكر ذلك الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[(٣)] . والقفطي في انباه الرواة[(٤)] ، والسيوطي في بغية الوعاة[(٥)] . كما ذكر أكثرهم أن أباه مجهول ، فنسب الى أمه وهي (حبيب) .

قال أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين : " وحبيب اسم امه ولذلك لا يصرف"[(٦)] . وقال ابن النديم في الفهرست : "ولم يكن حبيب أباه ولكن كانت أمه"[(٧)] . وقال الخطيب البغدادي : " ويقال ان حبيب اسم امه ، وقيل بل اسم أبيه ، فالله أعلم"[(٨)] . وقال ياقوت : " ولا يعرف أبوه ، وانما نسب الى أمه وهي حبيب"[(٩)] . وقال القفطي : وحبيب اسم امه في أكثر الروايات ، ووجد بخط العلماء" حبيب" غير مصروف لأجل التأنيث والعلمية"[(١٠)] . وكذلك قال السيوطي في بغية الوعاة[(١١)] .

---

(١) انظر ترجمته في (مراتب النحويين ص ١٥٢ ، وطبقات الزبيدي ص ١٣٩ ، والفهرست لابن النديم ص ١١٩ ، وتاريخ بغداد ٢/٢٧٧ ، ومعجم الأدباء ١٨/١١٢ ، وانباه الرواة ٣/١١٩ ، والوافي بالوفيات ٢/٣٢٥ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص٢١ وطبقات تقي الدين الأسدي ص ٨١ والنجوم الزاهرة ٢/٣٢١ ، وبغية الوعاة ١/٧٣ ، والمزهر ٢/٤١٣) .

(٢) ولد الملاعنة هو الذي يتهم ابوه امه بجريمة الزنا ، وليس معه شهداء على ذلك . فيقسم على صدق دعواه . وتقسم على صدق انكارها فيفرق بينهما من غير اقامة الحد .

(٣) تاريخ بغداد ٢/٢٧٨ (٤) انباه الرواة ٣/١١٩

(٥) بغية الوعاة ١/٧٣ (٦) مراتب النحويين ص ١٥٢

(٧) الفهرست ص ١١٩ (٨) تاريخ بغداد ٢/٢٧٧

(٩) معجم الأدباء ١٨/١١٢ (١٠) انباه الرواة ٣/١١٩

(١١) انظر بغية الوعاة ١/٧٣

وعلى أى حال ، فقد كان محمد بن حبيب من علماء بغداد باللغة والشعر والاخبار والانساب الثقات . قال عنه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : " وكان والله حافظا صدوقا ، وكان يعقوب أعلم منه (١) ، وكان هو أحفظ للأنساب والاخبار منه " (٢) وقال عنه البغدادى : " وكان عالما بالنسب وأخبار العرب ، موثقا فى روايته " (٣).

وقد روى ابن حبيب عن ابن الاعرابى ، وابن الكلبى (٤) ، وقطرب (٥) ، وغيرهم . وقد ذكر ابن النديم أنه قد روى عن ابى عبيدة وأبى اليقظان النسابة أيضا . (٦) وقد جمع ابن حبيب عددا من دواوين العرب ، وله مصنفات كثيرة فى الاخبار وغير الاخبار . قال ياقوت : " وكتبه صحيحة " (٧). وعدد له منها حوالى أربعين مصنفا . (٨) وعدد ابن النديم له منها نيفا وثلاثين . (٩) ومن كتبه التى اعتمدنا عليها فى بحثنا هذا : كتاب ألقاب الشعراء ، وكتاب كنى الشعراء ، وكتاب المغتالين من الشعراء .

وكان محمد بن حبيب مؤدبا وكان يقول : (١٠) " اذا قلت للرجل ما صناعتك ؟ فقال : معلم ، فاصفع " . وقد أخذ عنه أبو سعيد السكرى فأكثر . وكان لا يقعد فى المسجد الجامع . قال ثعلب : " فعذلته على ذلك فأبى ، فلم أزل به حتى قعد " (١١).

---

(١) يقصد يعقوب بن السكيت (٢) انباه الرواة ٣ / ١٢٠

(٣) تاريخ بغداد ٢ / ٢٧٧ (٤) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبى من أهل الكوفة . وكان من احفظ الناس ، وأعلمهم بالانساب . وقد توفى سنة ٢٠٤ أو سنة ٢٠٦ هـ (انظر المعارف ص ٥٣٦ وانظر نزهة الالباء ص ٨٩) .

(٥) هو ابو على محمد بن المستنير . اخذ عن سيبويه وعن جماعة من علماء البصريين . وكان ثقة فيما يحكيه . وقطرب دويبة تدب ولا تفتر . ويقال ان سيبويه لقبه بذلك لمباكرته اياه فى الاسحار . قال له يوما : ما انت الا قطرب ليل . وله مصنفات كثيرة . توفى سنة ٢٠٦ هـ (الفهرست لابن النديم ص ٥٨) .

(٦) هو سحيم بن حفص . وسحيم لقبه . واسمه عامر بن حفص . وكان عالما بالاخبار والانساب والمآثر والمثالب . ثقة فيما يرويه وله عدة مصنفات . وقد توفى سنة ١٧٠ هـ (انظر الفهرست لابن النديم ص ١٠٦) . (٧) معجم الادباء ١٨ / ١١٢

(٨) انظر معجم الادباء ١٨ / ١١٥-١١٧ (٩) انظر الفهرست لابن النديم ص ١١٩

(١٠) انظر فى ذلك معجم الادباء ١٨ / ١١٢ وأنباه الرواة ٣ / ١٢١ .

(١١) طبقات الزبيدى ص ١٣٩-١٤٠ .

وكان فى ابن حبيب خصلة لم تعجب العلماء فى ذلك الزمان ، وهى ليست من الامانة العلمية بمكان . وذلك أنه كان يغير على كتب الناس فيدعيها ، ويسقط أسماءهم.(١) وقد توفى رحمه الله ، بسامُرَّا فى أيام المتوكل سنة خمس وأربعين ومائتين .

الأعلم الشَنْتَمَرى (٤١٠ - ٤٧٦ هـ)(٢)

هو أبوالحجاج يوسف بن عيسى بن سليمان النحوى المعروف بالاعلم من أهل شنتمرية الغرب(٣) بالاندلس . رحل الى قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وأقام بها مدة . وأخذ عن ابن الافليلى(٤) وأبى سهل الحرانى ومسلم بن أحمد الاديب(٥) . وصار كما قال ابن بشكوال : " عالما باللغات والعربية ، ومعانى الاشعار . حافظا لجميعها . كثير العناية بها حسن الضبط لها ، مشهورا بمعرفتها واتقانها".(٦)

---

(١) انظر معجم الادباء ١٨ / ١١٣ ، وانباه الرواة ٣ / ١٢١ ، وبغية الوعاة ١ / ٧٣ (٢) انظر ترجمته فى (كتاب الصلة لابن بشكول ص ٦٨١ ، ومعجم الادباء ٢٠ / ٦٠ ، وانباه الرواة ٤ / ٥٩ ، ووفيات الاعيان - مطبعة السعادة - ٢ / ٣٥٣ وبغية الوعاة ٢ / ٣٥٦) . (٣) شنتمرية بفتح الشين المعجمة وسكون النون - وفتح التاء المثناه من فوقها ، والميم وكسر الراء وبعدها ياء مشددة مثناه من تحتها . وبعدها هاء ساكنة . وهى مدينة بالاندلس فى غربها (انظر وفيات الاعيان - دار الثقافة - ٧ / ٨٣) . (٤) هو ابو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا - المعروف بابن الافليلى - ينتهى نسبه الى سيدنا سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه . من أهل قرطبة . كان حافظا للاشعار واللغة قائما عليهما . ذاكرا للاخبار وأيام الناس . وقد ولى الوزارة للمستكفى بالله . ولد سنة ٣٥٢ هـ وتوفى سنة ٤٤١ هـ (انظر الصلة ص ٩٣) . (٥) هو ابوبكر مسلم بن احمد بن أفلح النحوى الاديب . من اهل قرطبة . كان رجلا جيد الدين حسن العقل واسع الخلق مع نبله وبراعته وتقدمه فى علم العربية واللغة راوية للشعر وكتب الادب . ولد سنة ٣٧٦ وتوفى سنة ٤٣٣ هـ . وكان لتلاميذه كالاب الشفيق والاخ الشقيق . وكان ذا حظ من علم الاعتقادات سالكا فيها طريق أهل السنة (انظر الصلة ص ٦٢٦) .

(٦) الصلة ص ٦٨١ .

قال ياقوت : " كان مشقوق الشفة العليا شقا واسعا ، ولذلك لقب بالاعلم " (١) . وقد كان مولده سنة عشر وأربعمائة ، ثم مافتىء أن ذاع صيته بين المتأدبين والعلماء فى الاندلس ، حتى صارت اليه الرحلة فى زمانه وقد شرح كثيرا من دواوين العرب . ومنها دواوين الشعراء الستة الجاهليين . ويعتبر شرحه لها من أحسن المجموعات الشعرية التى ظهرت فى الاندلس فى ذلك الزمان .

وقد ترك الاعلم مصنفات عدة . وعاون شيخه ابن الافليلى ، فى شرح ديوان أبى الطيب المتنبى (٢) . وقد روى عنه علماء كثيرون كأبى على الغسانى (٣) ، وغيره . فقد كان مشهورا فى أوساط العلماء . قال ابن بشكول فى الصلة : " وأخبرنا عنه غير واحد من شيوخنا " (٤)

وكان قد كف بصره فى أواخر زمانه . وتوفى رحمه الله بمدينة اشبيلية سنة ست وسبعين وأربعمائة (٥) .

وبالاعلم الشنتمرى نختم حديثنا عن أشهر الرواة الذين تناقل الناس عنهم ـ فيما تناقلوا من أشعار وأخبار ـ أشعار طرفة بن العبد وأخباره . آملين أن نكون قد وضحنا ولو بايجاز ـ الطريق الذى سلكته أشعار طرفة وأخباره ـ عبر أولئك الاعلام ، حتى وصلت الينا . . ،

---

(١) معجم الادباء ٢٠ / ٦١ (٢) انباه الرواة ٤ / ٦٠

(٣) هو حسين بن محمد بن احمد الغسانى . رئيس المحدثين بقرطبة ـ يكنى أبا على ـ وكان له الى جانب علوم الحديث ـ بصر باللغة والاعراب ومعرفة بالغريب والشعر والانساب . ورحل اليه الناس فى زمانه لهذه الغاية . وعولوا عليه فى الرواية . وجلس لذلك فى المسجد الجامع بقرطبة . وقد ولد سنة ٤٢٧ هـ وتوفى رحمه الله سنة ٤٩٨ (انظر الصلة ص ١٤٢) .

(٤) انظر الصلة ص ٦٨١ (٥) انظر معجم الادباء ٤ / ٦١ .

المبحث الثانى : الانتحال فى شعر طرفة :

لقد شغلت قضية الانتحال فى الشعر الجاهلى ، أذهان الباحثين منذ كان عهد التدوين . وذلك بسبب الظروف والملابسات التى أحاطت بذلك الشعر منذ تلفظ به الشعراء أنفسهم ولامس أسماع رواتهم ، وحتى أصبح مكتوبا ومدونا فى مجاميع العلماء واختياراتهم .

ومن ذلك ماذكره ابن سلام فى طبقات فحول الشعراء عن ذلك الشعر قال : " فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم . ولَهِيَت (١) عن الشعر وروايته . فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يَئِلُوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب . . وأَلْفَوا ذلك ، وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل . فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير " (٢)

والحقيقة أن الرواية الشفوية ، وهى التى غلبت على الشعر الجاهلى لها بعض المحاذير . فقد ينسى الرواة أو يتزيدون ، وقد يخطىء النَقَلَة والمتحدثون . ومن هذا المدخل الضيق نشأت قضية الانتحال .

---

(١) لها عن الشىء يلهو ، ولَهِىَ عنه (بفتح فكسر) يَلْهَى (بفتح الهاء) غفل عنه ونسى ذكره وأضرب عنه .

(٢) انظر طبقات الفحول ص ٢٥ .

وانقسم الباحثون حيال تلك القضية المهمة الى قسمين ، فقسم متطرف ينفى صلة أكثر هذا الشعر بأهله ، ويتهم رواة الأشعار ونقلة الأخبار بوضعه . وقسم معتدل يرى صحة نسبة أكثر هذا الشعر لقائليه . وأبياتا قليلة هى التى وضعها الرواة فيه .

ولقد كان للمتطرفين رؤوس من العلماء القدماء ، كمحمد بن سلام فى كتابه طبقات فحول الشعراء (١) ، ومن تطرفه قوله : " فلما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا فى الأشعار التى قيلت " (٢). أما المعتدلون من القدماء ، فلسنا نخص واحدا منهم بعينه ، ولكن أخبارهم توضح أنهم جميعا كانوا من الدراية بأشعار العرب والعلم بأخبارهم بحيث كانوا يميزون البيت المصنوع من بين بقية الاشعار ، كما يميز الصراف الماهر ، الدرهم المزيف من بين ما يعرض عليه من النقود . ولذلك فانهم لم يأخذوا بمقالة ابن سلام ، بل رووا الينا ما ثبتت لديهم صحته من الشعر ، ونبهوا الى ما داخلهم فيه شك . على أن ابن سلام نفسه يرد على نفسه بقوله : " وقد كان عند النعمان ابن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مُدح هو وأهل بيته به " (٣). وفى

---

(١) انظر مصادر الشعر الجاهلى ص ٣٣٥
(٢) طبقات الفحول ص ٤٦
(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٢٥ .

هذا الخبر دلالة على أن دواوين الفحول وكثيرا غيرها من أشعار العرب الجاهليين كانت مدونة قبل عهد التدوين ، وبالتالى فقد نجت من التزيد والانتحال ـ اللهم الا انا كان ذلك فى أضيق الحدود .

وأما المحدثون من الباحثين ، فقد كان منهم أيضا المتطرفون والمعتدلون فى دراسة قضية الانتحال فى الشعر الجاهلى ، وبرزت بينهم رؤوس من المتطرفين ، عربا أو مستشرقين . فمن المستشرقين مرجليوث ، ومن العرب الدكتور طه حسين ، فى كتابه المشهور (فى الأدب الجاهلى) . وليت هؤلاء العلماء اقتصروا على أدلة المتطرفين من القدماء ، اذن لهان الأمر .

ولكنهم ساقوا لمزاعمهم حشودا من الأدلة والبراهين ، استنتجوها من نتف الاخبار التى قد لا تصح . وحملوا بعض النصوص ما لا يطيقه من المعانى ، وتزيدوا على الحياة العربية فى الجاهلية ، كما تزيدوا على الرواة القدماء ، وألحقوا بهم تهما لا تليق بالعلماء .

وقد انبرى كثير من العلماء للرد على أولئك المتطرفين ، والدفاع عن صحة نسبة الشعر الجاهلى لأصحابه الحقيقيين ، فتصدى لمرجليوث كثير من المستشرقين أنفسهم ، فردوا عليه وأبطلوا حججه ، وضعفوا براهينه .(١)

وأما طه حسين ، فقد انبرى له حشد هائل من العلماء الاجلاء فهجنوا أراءه وضعّفوها ، ونقضوا براهينه وفنّدوها . وخير دليل على ذلك ما كتبه الاساتذة : محمد فريد وجدى فى كتابه (نقد كتاب الشعر الجاهلى) ، ومحمد لطفى جمعه فى كتابه (الشهاب الراصد) ، ومحمد أحمد

---

(١) انظر مصادر الشعر الجاهلى ص ٣٦٧ ومابعدها .

الغمراوى فى كتابه (النقد التحليلى لكتاب فى الادب الجاهلى) ، والشيخ محمد الخضر حسين فى كتابه (نقض كتاب فى الشعر الجاهلى) ، والشيخ محمد الخضرى فى محاضراته (فى بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى) ، والاستاذ مصطفى صادق الرافعى فى فصول كثيرة من كتابه (تحت راية القرآن) ، وغيرهم. (١)

والحقيقة أن للمتطرفين أدلة لها - فى نظرهم - وجه صحيح . ولكن أدلة المعتدلين لها - فى نظر بقية العلماء - أكثر من وجه صحيح . والمجال هنا لا يتسع لسرد تلك الأدلة أو مناقشتها ، اذ أن المقصود بهذا المبحث هو الحديث عن قضية الانتحال فى شعر طرفة بالذات. أما قضية الانتحال بصفة عامة فقد عقد الدكتور ناصر الدين الأسد لمعالجتها فصولا عدة فى كتابه (مصادر الشعر الجاهلى) ، وقد بسط الحديث فى تلك الفصول عن تلك القضية بسطا مستفيضا ، وشرح أدلة المعتدلين شرحا وافيا ، ورد على المتطرفين ردا شافيا . (٢)

وخلاصة الأمر فى ذلك أن بعضا قليلا من الشعر الجاهلى ، منحول على أصحابه لسبب أو لآخر. وهو لا يخفى على من كانت له بالشعر دراية . وقد أشار اليه كل من عنى بتلك الغاية . ولكن الاكثرية الغالبة من تلك الاشعار صحيحة النسبة لأصحابها ، ليس فى ذلك شك . وكل من تجاوز القول بهذا فقد تجنى على تراثنا ، وتزيد على أدبنا ، واتهم علمائنا بما هم منه براء . .

أما طرفة بن العبد ، فقد ناله هو الآخر طرف من الانتحال عليه ، وأصابه

---

(١) انظر مصادر الشعر الجاهلى ص ٤٠٢-٤٠٣

(٢) انظر الفصول ٢ ، ٣ ، ٤ من كتاب مصادر الشعر الجاهلى من ص ٣٢١ - ٤٢٨ .

جزء من ذلك القليل ، فنسبت بعض الأشعار التي لم يقلها اليه . والذى يتصفح ديوانه الذى هو بين أيدينا الآن ، ثم يقرأ ما كتب عن شعره العلماء الاقدمون ، يتضح له أن قضية الانتحال تنقسم فى شعره الى ثلاثة أقسام .

أما القسم الاول فهو وجود قصائد بأكملها من قصائد الديوان الاساسية اختلف الرواة الاقدمون فى نسبتها لطرفة . فقال بعضهم بأنها موضوعة منحولة ، وقال أكثرهم بأنها صحيحة أصيلة . وأما القسم الثانى فهو وجود أبيات متفرقة فى ثنايا القصائد الاساسية من قصائد الديوان ، اختلف الرواة الاقدمون أيضا فى نسبتها لطرفة ، فداخل الشكُّ فيها بعضهم ، وأثبت صحة نسبتها لطرفة أكثرهم . وأما القسم الثالث فهو وجود أبيات فى صلة الديوان شك فى نسبتها لطرفة أكثر الرواة القدماء ، ونوه بذلك أيضا من جاء بعدهم من العلماء .

وبودنا أن نبين هنا ، أننا سننهج فى ترجيح أو توهين صلة هذه الاشعار بطرفة ، نهجا من شقين : أحدهما خارجى ، وهو استعراض أقوال العلماء القدماء فى نفى تلك الاشعار أو اثباتها . والآخر داخلى وهو عرض تلك الاشعار على أشعار معروفة النسبة لطرفة ، فى خصائصها وموضوعاتها .

فما رجحت كفة نسبته لطرفة عند أكثر العلماء ، وأشبه فى خصائصه وموضوعاته بقية أشعاره ، فهو عندنا من شعره لا شك فى ذلك ، وما شالت كفة نسبته له عند أكثر العلماء ، وندّ فى خصائصه وموضوعاته عن بقية شعره ، فهو موضوع عليه - ولا شك أيضا فى ذلك .

فالديوان طرفة ، كي نعيش بين دفتيه زمنا ، لعلنا نستطيع أن نطبق عليه مانقول . أما النوع الاول وهو وجود قصائد بأكملها من قصائد الديوان الاساسية ، شك بعض الرواة في نسبتها لطرفة ، وأثبتها له أكثرهم فمنه في الديوان قصيدتان أولاهما هي الثانية عشرة فيه ومطلعها : (٢)

سائِلُوا عنا الذى يعْرِفُنَا   بِقُوَانا يومَ تَحْلاق اللِّمَمْ

يقول الاعلم الشنتمرى في تقدمته لها : " وزعم الاصمعى أنها مصنوعة ، وأنه أدرك قائلها ، وأثبتها أبوعبيدة والمفضل وغيرهما " (٣) . ويقول ابن السكيت في تقدمته لها أيضا : " أثبتها أبو عبيدة والمفضل وأبو عمرو الشيبانى . وزعم الاصمعى أنها مصنوعة ، وأنه أدرك قائلها " (٤)

فاذا سلكنا المنهج الذى ذكرناه ، في معالجة أمر هذه القصيدة يصبح من اليسير الرد على زعم الاصمعى بشأنها . فهى مشهورة النسبة لطرفة . وقد أثبتها كما رأينا أبوعبيدة ، وهو نظير الاصمعى وصنوه . وأحد جهابذة رواة البصريين الموثوقين مثله . وأثبتها كذلك المفضل الضبى وهو رأس رواة الكوفة ، المشهود لهم بالعلم والصدق بين أهل البصرة كما رأينا عند الحديث عنه .

فاذا رجعنا الى العلماء الآخرين ، وجدنا أبيات هذه القصيدة

---

(١) دَفُّ الشيء ودَفَّتُه جنبه . وهى بالفتح لا غير (اللسان د فف)
(٢) الديوان ص ١٠٩ وقد مر بنا شرح هذا البيت
(٣) الديوان ص ١٠٩ .
(٤) انظر ورقة ٣٥ من المخطوطة الاولى ، وظهر ورقة ٣١ من المخطوطة الثانية .

متناثرة في بطون كتبهم منسوبة لطرفة بن العبد . ومن أمثلة ذلك ، ماذكره ابن اسحق وابن الكلبي في كتابهما حرب البسوس (١) . وأبوحاتم السجستاني في الاضداد (٢) ، وابن قتيبة في المعاني الكبير (٣) ، وابن دريد في جمهرة اللغة (٤) ، وابن الانباري في الاضداد ، وفي شرح المفضليات (٥) وأبوالفرج في الاغاني (٦) ، والحسن العسكري في التصحيف والتحريف (٧) ، والمرزباني في الموشح (٨) ، وابن فارس في مقاييس اللغة (٩) ، والربعي في نظام الغريب (١٠) ، والزمخشري في أساس البلاغة (١١) ، وابن الشجري في مختاراته (١٢) ، وأسامه بن منقذ في لباب الاداب (١٣) ، وابن الاثير في الكامل في التاريخ (١٤) ، وابن منظور في لسان العرب (١٥) ، والزبيدي في تاج العروس (١٦) ، وغيرهم (١٧) .

---

(١) حرب البسوس ص ٨٩ - ٩٠ (٢) الاضداد ص ١٥١

(٣) المعاني الكبير ص ١٦٩-٥٥٦

(٤) جمهرة اللغة ٢ / ٨١ (م جرع)

(٥) الاضداد ص ١٤٠ ، وشرح المفضليات - ط بيروت - ص ٥١٩

(٦) الاغاني -مطبعة التقدم ٢٠ / ١٤٣

(٧) التصحيف والتحريف ص ٢٨٧

(٨) الموشح ص ١٧ (٩) مقاييس اللغة ١ / ٩٧ (أرم) ، ٤ / ٣٠٣ (عرج) .

(١٠) نظام الغريب ص ١٣٣ (١١) أساس البلاغة ١ / ٤٩٠ (شرب)

(١٢) مختارات ابن الشجري ١ / ٣٩-٤١

(١٣) لباب الاداب ص ٢٠٧

(١٤) الكامل في التاريخ - ط أوروبا - ١ / ٣٩٥ .

(١٥) انظر المواد : شيح ، خلج ، عرس ، نبه ، نبك في لسان العرب . والبيت رقم ٩ من هذه القصيدة فيه مادة فرع بدون نسبة .

(١٦) انظر المواد : نبه ، خلج ، عرس في تاج العروس

(١٧) راجع تخريج هذه القصيدة في الديوان ص ٢٢٩ .

هذا من الناحية الخارجيـة .

أما من الناحية الداخلية فان فى هذه القصيدة موضوعـات شعر طرفة الشىء الكثير فيها الفخر بقومه كأشد ما يكون الفخر مبالغة وغلوا ، فقد افتخر بشجاعتهم وجودهم ورزانة أحلامهم وسماحة أخلاقهم ، وكرم أصلهم ، وعلو منزلتهم . . وغير ذلك .

وفيها الوصف الذى أولع به طرفه ، وأجاد فيه . وهو هنا وصف معارك القوم ، وما كان لهم فيها من مواقف حاسمة شديدة ، وما كان ينتاب أعداءهم فيها من الهزائم العديدة . ووصف كذلك لما كانوا يستعملون فيها من السيوف الحسامات القاطعة البتارة ، والخيل القويـة الضامرة السريعة فى الغارة . وغير ذلك مما نود أن نرجىء الأمثلة عليه الى حين دراسة أغراض شعر طرفة وموضوعاته .

كما أن فى هذه القصيدة أيضا ـ من خصائص شعر طرفة ـ الشىء الكثير . فيها الصياغة القوية التى تناسب الحال ، والألفاظ الضخمة التى تلائم الفخر والوصف ، وفيها محسناته وتشبيهاته وكناياته واستعاراته وصيغ المبالغة عنده . وغير ذلك ـ مما سنضرب له الأمثلة ان شاء الله تعالى عند التعرض بالدراسة لخصائص شعر طرفة . أيليق بالأصمعى بعد هذا ، أن يزعم أن هذه القصيدة مصنوعة على طرفة ، ثم يزعم بأنه أدرك من قالها . . ؟

وأما القصيدة الثانية التى شك بعض الرواة فى نسبتها لطرفة فهى القصيدة الثامنة عشرة فى الديوان (١) ، ومطلعها :

وَرَكوبٍ تَعزِفُ الجِنُّ بـه قبل هذا الجيل من عهد أبَـدْ (٢)

---

(١) الديوان ص ١٣٤ (٢) الركوب : الطريق المذلل ، وعزيف الجن صوتها ، وغناؤها . يقول رب ركوب تعزف به الجن من قديم =

فقد قال الأعلم الشنتمرى فى تقدمته لها : وزعم ابن الكلبى أنها لعش بن لبيد العذرى (١) . وهذه القصيدة هى من القصائد الأربع التى قال الأعلم الشنتمرى نفسه فى مقدمتها :

"ومما رواه ابن السكيت عن غير الأصمعى ، من شعر طرفة ، قوله فى رواية أبى عمرو الشيبانى (٢) ."

وقد رجعت الى رواية ابن السكيت لديوان طرفة فى المخطوطتين اللتين بين يدى ، فلم أجده قال شيئا فى تقدمته لتلك القصيدة (٣) . كما لم أجد فى مصادر بحثى شيئا منها لا لطرفة ولا لغيره . وكذلك الحال بالنسبة لمحققى الديوان (٤) .

والحقيقة أن هذه القصيدة قريبة هى الأخرى من أشعار طرفة لما فيها من موضوعات شعره وخصائصه . فهو يصف طريقا صعبا مخيفا ، وآية ذلك عزيف الجن به . وتناثر الضباب الغرقى على جانبيه من شدة السيول التى اجتاحته ، فهدمت جحور تلك الضباب وقضت عليها .

ثم يتحدث بأسلوبه المعهود عن تبطنه لذلك الطريق واجتيازه له فهو الفتى الذى لا تعيقه العوائق ، ثم يفتخر بشىء من أخلاق قومه شجاعة وكرما ، تماما كما فعل فى القصيدة السابقة .

= اجتزت . كما يتحدث فى بقية الأبيات . انظر شرح الأعلم للديوان ص ١٣٤ .

(١) الديوان ص ١٣٤ (٢) الديوان ص ١١٩

(٣) المخطوطة الاولى فى ظهر ورقة ٣٨ والثانية ظهر ورقة ٣٦

(٤) انظر تخريجهما لها فى الديوان ص ٢٣٢ .

على أن هناك قصائد أخرى من قصائد الديوان الاساسية ، ذكر ابن السكيت فى شرحه لديوان طرفة أن الرواة الاوائل قد اختلفوا فى نسبتها لطرفة . ففى تقدمته للقصيدة الثالثة من الديوان والتى مطلعها : (١)

أَشَجَاكَ الرَّبْعُ أم قِدَمُهْ   أم رَمَادٌ دَارِسٌ حُمَمُهْ (٢)

يقول ابن السكيت : " وقال طرفة ، ولم يروها الاصمعى ، وأثبتها أبو عبيدة والمفضل وأبوعمرو . قالها لعمرو بن كلثوم (٣) " .

والعجيب أن الاعلم الشنتمرى قد أثبت هذه القصيدة ، فى الشعر الذى رواه لطرفة عن الاصمعى ، ولم يذكر مما ذكره ابن السكيت عنها شيئا (٤) .

ولا نريد أن ينصرف الذهن الى أن هذا التشدد أو التحوط بالنسبة لشعر طرفة ، كان يحدث من علماء احدى المدرستين البصرة أو الكوفة فان بين أيدينا ما يثبت أن ذلك كان يقع فى المدرستين كلتيهما . وليس أدل على ذلك مما رواه ابن السكيت فى تقدمته للقصيدة السادسة والخمسين من صلة الديوان ، والتى مطلعها : (٥)

---

(١) الديوان ص ٧٤

(٢) الربع المنزل وهو محل القوم زمن الربيع ، والدارس الذى امتحى وذهب أثره ، والحمم الفحم . يقول : أأحزنك خلو الربع ؟ أم قدم عهده بأهله . . أم ماتراه من رماد قد درس فحمه ؟ (انظر الديوان ص ٧٤) .

(٣) المخطوطة الاولى ورقة ١٤ والمخطوطة الثانية ورقة ١٢ .

(٤) انظر الديوان ص ٧٤

(٥) انظر الديوان ص ١٦٨

ألا اعتزليني اليوم خولة أو غُضّي   فقد نزلت حدباء محكمة العَضِّ

فقد قال ابن السكيت : " قال أبوعمرو ، وكان المفضل ينكرها ، ولم يثبتها الأصمعي ، ورواها أبوعبيدة ". (١)

فها أنت ذا ترى أن المفضل وهو رأس رواة الكوفة ، قد أنكر نسبة هذه القصيدة لطرفة ، كما فعل الأصمعي أحد رؤوس رواة البصرة ولكن أباعبيدة وهو صنو الاصمعي في الرواة البصريين قد أثبتها لطرفة وهكذا .

وأما النوع الثاني من الشعر المشكوك في نسبته لطرفة ، فهو بعض الأبيات في ثنايا القصائد الصحيحة النسبة له . فقد اختلف الرواة - الأولون أيضا حولها . فكان الواحد منهم يروي القصيدة من شعر طرفة ويستثني منها بيتا أو بضعة أبيات لشك في نسبتها له . ولكن أقرانه من الرواة الاخرين ، ونظراءه من الباحثين كانوا يرجحون نسبة تلك الابيات لقائلها ، بما ثبت لديهم مما لم يثبت لدى صاحبهم . ولكنهم قد يستثنون أبياتا أخرى شكوا هم في نسبتها لطرفة . وهكذا .

ولعل هذا هو السبب الاساسي في تفاوت عدد أبيات القصيدة الواحدة في مصادرها الاصلية ، وعند مختلف الرواة الاقدمين . والامثلة على ذلك متعددة وكثيرة ، وللتدليل على ذلك سنتحدث بايجاز عن هذه الظاهرة في القصائد الاساسية لديوان طرفة ، وهي - كما ذكرنا سابقا - ثماني عشرة قصيدة ، تبدأ بالمعلقة .

---

(١) انظر المخطوطة الاولى ظهر ورقة ٣ والمخطوطة الثانية ورقة ٢٧ .

فأما أولى قصائد الديوان وهى المعلقة ،فانها تتكون فى رواية الأعلم الشنتمرى المشهورة عن الأصمعى كما عرفنا من مائة وثلاثة أبيات ولكنها عند ابن السكيت مائة وخمسة أبيات ، باغفال بيت وزيادة ثلاثة فقد أغفل البيت الحادى والستين ، و زاد بيتا بعد الأول ،وآخر بعد السابع والستين ، وثالثا بعد المائة.

والجدير بالذكر أن ابن السكيت لم يفته أن ينوه الى أن تلك الزيادات ليست من الرواية الأصلية ، فهو يقول بعد شرح البيت الأول وقبل البيت الذى زاده بعده : "ويروى بعده" (١).

أما البطليوسى (٢) فقد روى المعلقة مائة وثلاثة أبيات أيضا ـ كما رواها الأعلم ، ولكن باختلاف كذلك ،فقد أغفل البيت الخامس والأربعين منها وزاد بيتا فى آخرها.

وبتحقيق المعلقة عند من رواها من العلماء القدماء أيضا ، نجد اختلافا كبيرا عن رواية الأعلم المذكورة. فهى عند أبى زيد القرشى فى جمهرة الأشعار ، طبعة بولاق ـ مائة وتسعة أبيات ،باغفال ستة أبيات وزيادة تسعة ، وهى فى نفس الجمهرة ـ بتحقيق البجاوى ـ مائة وواحد وعشرون بيتا ،بعدم اغفال أى بيت . وهى عند محمد بن القاسم الأنبارى فى شرح القصائد السبع الطوال مائة وثلاثة أبيات باغفال بيت مما رواه الأعلم وزيادة آخر. وهى عند أبى جعفر النحاس فى شرح المعلقات التسع مائة وخمسة أبيات باغفال بيتين وزيادة أربعة. وهى عند الزوزنى فى شرح المعلقات السبع مائة وأربعة أبيات باغفال بيتين وزيادة ثلاثة

---

(١) انظر ظهر ورقة ١٧ فى المخطوطة الاولى وظهر ورقة ٥١ فى المخطوطة الثانية.

(٢) نسبة الى بطليوس ـ بفتح الباء والطاء وسكون اللام وضم الياء ـ مدينة بالأندلس (انظر معجم البلدان ـ بطليوس).

وهى أخيرا عند التبريزى فى شرح القصائد العشر مائة وخمسة أبيات . باغفال بيت وزيادة ثلاثة .

ولعل أهم مايستخلص من هذا الاحصاء أن معلقة طرفة قد نيفت على مائة بيت وأن الرواة القدماء قد اختلفوا فى اثبات نسبة بعض أبياتها لطرفة . فاستثنوا بعض الأبيات التى رواها الأصمعى نفسه ،ورووا أبياتا أخرى لم يعرفها الأصمعى . ومن أمثلة النوع الأول قول طرفة فيما أثبته الأعلم الشنتمرى من رواية الأصمعى :(١)

فَذَرْنِى أُرَوِّى هامتى فى حياتها   مخافةَ شُربٍ فى الحياة مُصَرَّدِ (٢)

فان كثيرين ممن رووا معلقة طرفة من العلماء القدماء أهملوا هذا البيت ومنهم ابن السكيت ،وأبوزيد القرشى فى رواية ،وأبو جعفر النحاس والزوزنى فى شرحهما للمعلقات.

ومن أمثلة النوع الثانى ،قول طرفة فيما رواه غير الأصمعى :(٣)

وأَصْفَرَ مَضْبوحٍ نَظَرْتُ حِوَارَهُ   على النار واستودعته كَفَّ مُجْمِدِ (٤)

فقد قال ابن السكيت بعد أن روى هذا البيت : " لم يروه الأصمعى ، ولا ابن حبيب ولا ابن الاعرابى ،وهو فى روايتهم لعدى بن زيد"(٥) . وقد قال ابن الأنبارى قبل أن يروى هذا البيت : " وروى أبو عمرو الشيبانى هاهنا بيتا لم يروه الأصمعى ولا ابن الأعرابى".(٦)

واذا تصفحنا تخريج بقية قصائد ديوان طرفة ،سنجد أيضا اختلافا بين الرواة فى اثبات نسبة بعض الأبيات لطرفة أو نفيها عنه تماما كما فعلوا

---

(١) الديوان ص ٣ (٢) يقول لعاذله ذرنى أروى نفسى من الخمر قبل الموت خشية أن يكون شربى مصردا ،والمصرد الذى يقطع قبل الرّىّ .
(٣) انظر صلة الديوان ص ١٥٠ (٤) انظر شرح هذا البيت فى هامش ص : ٢٠٣ من بحثنا هذا . (٥) انظر المخطوطة الاولى ظهر ورقة ٢٧ ، المخطوطة الثانية ورقة ٢٤ (٦) شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٢٩ .

فى المعلقة ،فالقصيدة الثانية والتى مطلعها : " أَصَحَوْتَ اليومَ أمْ شَاقَتْكَ هِر "(١)
يرويها الاعلم أربعة وسبعين بيتا ، ويرويها البَطَلْيُوسى مثل الاعلم ،ولكن
باغفال بيت وزيادة آخر ، ويرويها ابن الشجرى فى مختاراته خمسة
وستين بيتا ،باغفال تسعة أبيات . ولكن ابن السكيت لم يرو منها فى
النسخ التى تيسر لنا الاطلاع عليها سوى تسعة عشر بيتا .

وكذلك يروى الاعلم الشنتمرى القصيدة الثالثة ،ثلاثة وعشرين بيتا
ومطلعها : " أَشَجاك الربعُ أم قِدَمُهْ "(٢) .ويرويها ابن السكيت أربعة
وعشرين ،بزيادة بيت واحد ،ويرويها البطليوسى ثلاثة وعشرين ، ولكن
باغفال بيت وزيادة آخر .

أما القصيدة الرابعة والتى مطلعها " لهند بحِزّانِ الشُّرَيْف طُلُولُ "(٣) فان
الاعلم يرويها خمسة عشر بيتا وحسب . ولكن ابن السكيت يرويها عشرين
بيتا ، ويرويها البطليوسى تسعة عشر . ثم يروى الاعلم القصيدة الخامسة
ثلاثة عشر بيتا ، وهى التى مطلعها : "رَقِّى ودعينا اليومَ يا بنةَ مالكِ "(٤) ،
ولكن ابن السكيت يرويها خمسة وعشرين ،بزيادة اثنى عشر بيتا كما ترى .
والجدير بالذكر أن هذه القصيدة قد وردت فى كتاب " الاختياران مما
روى عن المفضل الضبى والاصمعى " ـ أحد عشر بيتا فقط . وبمثل ذلك
رواها البطليوسى .

---
(١) الديوان ص ٥٠
(٢) الديوان ص ٧٤
(٣) الديوان ص ٨٦
(٤) الديوان ص ٨٦

وكذلك زاد كل من ابن السكيت والبطليوسي بيتا واحدا في القصيدة السابعة التي مطلعها : "إنَّ امْرأً أسَرِفَ الفُؤادِ يَرَى
عَسَلاً بماءِ سحابةٍ شَتْمِي"(١)

وزاد ابن السكيت عشرة أبيات في القصيدة الثامنة (يا عجبًا من عبد عمرو وبَغْيِه)(٢) كما زاد خمسة عشر بيتا في القصيدة التاسعة (لَيْتَ لَنا مكانَ المَلْكِ عمرو)(٣) ، وزاد كل من ابن السكيت والبطليوسي بيتين اثنين في القصيدة العاشرة والتي مطلعها : إني وجَدِّك ما هَجَوْتُكَ والأنْصابِ يُسْفَحُ بينهن دَمُ(٤)

وزاد ابن السكيت عشرة أبيات في القصيدة الثانية عشرة ومطلعها :
" سائِلُوا عنَّا الذي يعرفنا "(٥) . كما زاد بيتا واحدا في المقطوعة الرابعة عشرة وأولها : "أَسْلَمَنِي قومي ولم يَغْضَبُوا"(٦) وأغفل بيتا من أبيات القصيدة الخامسة عشرة والتي مطلعها : " أتعرفُ رَسْمَ الدار قفرًا منازِلُهْ"(٧) . وأغفل كذلك بيتا من أبيات القصيدة الثامنة عشرة ، وهي آخر قصائد الديوان الأساسية ومطلعها : " وركوبٍ تَعْزِفُ الجِنُّ به"(٨)

أما القصائد الأخرى ، التي لم نتعرض لها وهي السادسة ، والحادية عشرة ، والثالثة عشرة والسادسة عشرة ، والسابعة عشرة ، فلم تختلف تلك المصادر في عدد أبياتها وإن اختلفت في ترتيب بعضها .

---

(١) الديوان ص ٩٥ ، والسَّرِف (بكسر الراء) المخطئ الغافل ، (وبفتحها) الخَطَأ .
(٢) الديوان ص ٩٩ (٣) الديوان ص ١٠١
(٤) الديوان ص ١٠٦ (٥) الديوان ص ١٠٩
(٦) الديوان ص ١١٨ (٧) الديوان ص ١١٩
(٨) الديوان ص ١٣٤

وخلاصة الأمر فى هذا الموضوع هو أن الرواة اختلفوا كما ذكرنا فى اثبات نسبة بعض الأبيات من أبيات القصائد الأساسية - فى ديوان طرفة . ويظهر أن اختلافهم راجع لأمرين . أولهما سماعهم تلك الأبيات من رواتها الأوائل منسوبة لطرفة مرة ، ولأحد أقرانه مرة أخرى كما هو الحال بالنسبة للبيت الذى رأينا بعضهم يرويه لطرفة ، ورأينا الآخرين يروونه لعدى بن زيد . وثانيهما اختلاف السماع . اذ قد يكون الذين استثنوا بعض تلك الأبيات من رواياتهم لم يسمعوها من أحد . ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن السكيت فى آخر شرحه لمعلقة طرفة قال :

" قال الأصمعى : حدثنى رجل من أهل أُضَاخ (١) ، قال : قدم علينا جرير . فقلنا له : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول : غَدٌ مَا غَدٌ مَا أَقْرَبَ اليومَ مِنْ غَدِ . قال الأصمعى : (لم يأت بهذا البيت غير جرير) . وروى أبوعبيدة صدر البيت الذى لم يعرفه الأصمعى ، ولم يأت به جرير " (٢) .

على أن باستطاعتنا أن نضيف سببا ثالثا وراء ذلك الاختلاف . وهو ما قد يكون وقع من النساخ المتأخرين من تصرف سواء بالزيادة أو بالحذف . وأوضح دليل على ذلك هو ما حصل فى القصيدتين الخامسة عشرة والثامنة عشرة . فان بين الأعلم وابن السكيت خلافا فى عدد أبياتهما ، كما رأينا .

علما بأن هاتين القصيدتين هما من جملة أربعة قصائد رواها الأعلم عن ابن السكيت ، وقد قال فى تقدمته لها : " ومما رواه ابن السكيت من غير الأصمعى ، من شعر طرفة ، قوله فى رواية أبى عمرو الشيبانى " (٣) .

---

(١) أضاخ (بالضم وآخره خاء معجمة من قرى اليمامة ، (معجم البلدان - أضاخ)
(٢) انظر المخطوطة الاولى ظهر ورقة ٢٧ وأول ورقة ٢٨ ، وانظر ظهر ورقة ٢٤ من المخطوطة الثانية .
(٣) انظر الديوان ص ١١٩ .

فالقصيدتان من رواية ابن السكيت كما ترى ، ولكن أبياتا منهما ذكرت في رواية ، وأغفلت في أخرى . فهل يدل ذلك - والله أعلم - على شيء من تصرف النساخ المتأخرين . . ؟

أما النوع الثالث من أنواع الانتحال في شعر طرفة ، وهو أكثر الشعر المروي في صلة الديوان ، مما لم يرد في أصوله المخطوطة ، فانه ينقسم الى ثلاثة أقسام من حيث قوة نسبته لقائله وضعفها . فأما القسم الاول منها فهو تلك القصائد الثلاث الهمزية والقافية واليائية المروية في صلة الديوان تحت أرقام (١٩ ، ٦٢ ، ٩٢) ، وفيها من الشعر خمسة وسبعون بيتا ، في الاولى واحد وثلاثون ، وفي الثانية سبعة وعشرون ، وفي الثالثة سبعة عشر بيتا . ومطلع الاولى :

وَقَالُوا لِمَيْتٍ مَاتَ : مَا كَانَ دَاؤُهُ فَقُلْتُ لَهُمْ : مَيْتٌ أَتَاهُ نِسَاؤُهُ (١)

ومطلع الثانية :

أَرِقْتُ لِهَمٍّ أَسْهَرَتْنِي طَوَارِقُهْ وَسَاعَدَنِي دَمْعِي فَفَاضَتْ سَوَابِقُهْ (٢)

ومطلع الثالثة :

مَنْ قَالَ فِي النَّاسِ قَالُوا فِيهِ مَا فِيهِ وَحَسْبُهُ ذَاكَ مِنْ خِزْيٍ وَيَكْفِيهِ (٣)

وهذه القصائد الثلاث تجتمع فيها صفات أهمها اثنتان : أولاهما أنه لا يوجد منها أي بيت في المصادر القديمة أو الحديثة التي تيسر لي ولمحققي الديوان الرجوع اليها . فقد نقلها المحققان عن الديوان المطبوع بفرنسا سنة ١٩٠٠م ، والذي لم يذكر محققه مرجعه في تلك القصائد .

---

(١) انظر صلة الديوان ص ١٣٧ ، وأتاه : يريد أتى عليه وأهلكه
(٢) انظر صلة الديوان ص ١٧٨ (٣) انظر صلة الديوان ص ٢٠٢

وثانى تلك الصفات هى كون تلك القصائد لا تشبه شعر طرفة لا من قريب ولا من بعيد ، ففيها من المعانى الدارجة ، والالفاظ المبتذلة والصور المتكلفة مالا يسف اليه طرفة ، ولا يسمح للسانه أن ينطق بمثله بل ان فيها من المعانى مايخالف مذهبه ، ويضاد آراءه .

واستمع اليه يقول فى الاولى (١) :

وَلَنْ يَهْلِكَ الانسانُ الا اذا أتى ... من الأمر مالم يرضه نصحاؤه

وجالِسْ رجال الفضل والبر والتقى ... فزينُ الفتى فى قومه جُلساؤه

أرأيت كيف أن طرفة فى هذه الابيات لا يستمع الا الى الناصحين ولا يجالس الا رجال الفضل والبر والتقى والدين ؟ ياسبحان الله . .

أيقول هذا الشعر طرفة الذى يقول (٢) :

ومازال تشرابى الخمور ولذتى ... وبيعى وانفاقى طريفى ومتلدى (٣)

الى أن تحامتنى العشيرة كلها ... وأُفرد تإفراد البعير المُعبد (٤)

ثم أعد قراءة مطلع القصيدة الثانية ، واستمع الى طرفة يقول فيها (٥) :

ولم أبكِ طيفًا زار وهْنًا خيالُه ... ولا شادِنًا فى الخِدْر ركنت أعانقه

سأصرف نفسى عن هوى كل غادر ... وأُعرِضُ عن أخلاقه وأخارقه (٦)

وأَجْعَلُ أهْلَ الدين أهلَ مودتى ... ليعلم أهلُ الفضل من أنا واثقه

---

(١) انظر صلة الديوان ص ١٣٨

(٢) الديوان ص ٣١

(٣) انظر شرح هذا البيت فى هامش ص ١٥٣ من هذا البحث.

(٤) انظر شرحه فى هامش ص ١٥٣ **أيضًا من هذا البحث** .

(٥) انظر صلة الديوان ص ١٧٨ ، ١٧٩

(٦) الخرق (كالسهم) : البُعْدُ (اللسان خرق)

فهل هناك من أهل الدين والتقوى والصلاح ، والأخلاق العاليات ، من يصل الى ما وصل اليه شاعرنا طرفة فى هذه الأبيات . . ؟ ؟ أيعقل أن يقول مثل هذا الشعر طرفة الذى يقول : (١)

وان تبغنى فى حلقة القوم تلقنى ... وان تقتنصنى فى الحوانيت تصطد (٢)

متى تأتنى أصبحك كأسا رويّة ... وان كنت عنها ذا غنى فاغن وازدد

ندامای بیض كالنجوم وقينة ... تروح علينا بين برد ومجسد (٣)

لعمرك ما أمرى علىّ بغمّة ... نهارى ولا ليلى علىّ بسرمد (٤)

أرأيت من يصادق طرفة . . وأين يكون ؟ ؟ ان هذه الأبيات هى التى توائم ما ورد نا عن طرفة من أخبار ، أما تلك فانها لا تتم الا عن عاكف فى محرابه آناء الليل وأطراف النهار . .

ولا أريد أن أفيض فى الحديث عن تلك القصائد الثلاث المروية لطرفة فى صلة ديوانه ، ويكفى أن أقول بأن النقاد القدماء لو أدركوها لحرقوها - ولا يخفى على أحد بأنها مصنوعة فى العصور المتأخرة ، وأن الذين وضعوا هذه الابيات قد هبطت عزائمهم وقصرت جهود هم عن أن يدانوا بشئ منها شعر طرفة ان فى الخصائص أو فى الموضوعات .

وأما القسم الثانى من هذا الشعر المنحول على طرفة أو المشكوك

---

(١) انظر الديوان ص ٢٩ ، ٤٧

(٢) انظر شرحه فى ص ١٥٢ من هذا البحث .

(٣) الندامى الأصحاب الشاربون ، والقينة هنا المغنية ، والبرد ثوب وشى ، والمُجْسَد الثوب المصبوغ بالزعفران ، والجساد الزعفران (انظر شرح الاعلم لهذا البيت بالديوان ص ٣٠) .

(٤) ولا ليلى على بسرمد أى بدائم أو طويل لانه يتلقى الامور بالصبر فلا يطول ليله (انظر المصدر السابق ص ٤٧) .

فى صحة نسبته له بتعبير أدق ، فهوتلك الاشعار التى نسبها لطرفة من الباحثين كثيرون ، ونسبها لغيره ، كثير آخرون . ورواها بدون نسبة ، لأحد كثير آخرون أيضا .

وهذا القسم تتأرجح نسبته لطرفة بين الأصالة والانتحال . وان كانت الأصالة تغلب عليه لما فيه من مذاهب طرفة ، وسلوكه وأخباره . ولما فيه كذلك من تشابه فى الموضوعات والخصائص مع بعض أشعاره .

ومن هذا النوع أرجوزته التى مر ذكرها - فى القنابر - وهى ذات الرقم ٤٥ من صلة الديوان ومطلعها : (١)

يَالَكِ من قُبَّـــرَةٍ بِمَعْمَـــرِ
خَلَا لَكِ الجَوُّ فَبِيْضِى واصْفِـرِى

وهذه الارجوزة وان كانت قد وردت فى نسخة مخطوطة ، مما صنعه الوزير البطليوسى - كما رأينا - الا أن حكمها هو حكم الشعر الذى لم يرد فى أصول الديوان المخطوطة . وذلك لأن نسخة البطليوسى الاخرى لم تذكرها ثم انها لم ترد عند الاعلم أو عند ابن السكيت .

ومن تخريج هذه الأرجوزة يتبين لنا أن الذين نسبوها لطرفة ، سواء كلها أو بعضها ، من الباحثين كثيرون ، ومنهم مثلا - عدا الذين ذكرهم محققا الديوان فى تخريجها - (٢) أبو الفضل الميدانى فى مجمع الامثال (٣) ، وأبو منصور

---

(١) انظر صلة الديوان ص ١٥٧ (٢) انظر الديوان ص ٢٣٨
(٣) الارجوزة كلها فيه ، ١ / ٢٤٩ وقصة طرفة مع القنابر .

الجواليقى فى شرح أدب الكاتب (١) ، والبيهقى فى المحاسن والمساوى (٢) ، وابن يعيش فى شرح المفصّل (٣) ، وأبو بكر الرازى فى مختار الصحاح (٤) ، وصفى الدين البغدادى فى مراصد الاطلاع (٥) ، والبغدادى فى خزانة الادب (٦) والالوسى فى بلوغ الارب (٧) ، وغيرهم .

وهناك آخرون من الباحثين والعلماء قد نسبوا هذه الارجوزة أو - نسبوا رجزا منها لكليب وائل بن ربيعة . وهناك آخرون أيضا لم ينسبوها لأحد (٨) .

ومن هذا النوع من الشعر الذى تتأرجح نسبته بين طرفة وغيره ، بعض الابيات التى نسبت له فى هجاء عمرو بن هند . فقد نسبت أيضا لخاله المتلمس كما رأينا .

والحقيقة أن البت فى صحة نسبتها لطرفة أو وضعها عليه ، ليس من السهولة بمكان . وذلك لانها تشبه شعره من وجوه ، وتشبه شعر خاله المتلمس من وجوه أخرى . فقد هجيا - كلاهما - عمرو بن هند كما أثبت العلماء . وقد أقذعا كلاهما أيضا له فى الهجاء . ومن ذلك قولهما كما سبق أن ذكرنا :

"مَلِكُ النَّهَارِ وأَنْتَ اللَّيلَ مُومِسَةٌ (٩)

وقولهما كذلك :

لو كنتَ كَلبَ قَنِيْصٍ كنتَ ذا جُدَدٍ تكونُ أُرْبَتُهُ فى آخر المَرَسِ

---

(١) شرح الكاتب ص ٢٨٥-٢٨٦ وقصة طرفة مع القنابر كذلك .

(٢) المحاسن والمساوى ص ٤٨٩

(٣) انظر شرح المفصل ص ١٤٥٥ (٤) مختار الصحاح (يا)

(٥) مراصد الاطلاع ص ١٢٩١ (٦) خزانة الادب ١/ ٤١٧

(٧) بلوغ الارب ٣/ ١١٠ - ١١١

(٨) انظر فى ذلك تخريجها فى الديوان ص ٢٣٨ - ٢٣٩

(٩) انظر البحر المحيط ٣/ ١٩٥ فقد نسبه لطرفة ، وانظر البيت للمتلمس فى ديوانه ص ٢٩٨ .

ولقد تذبذب الباحثون في نسبة هذا البيت أيضا ، فنسبه بعضهم لطرفة ، ونسبه آخرون لخاله المتلمس.[1] وغير ذلك.

وأما القسم الثالث من الشعر المنحول على طرفة ، فهو تلك الأبيات التي رويت منسوبة لطرفة عند بعض الباحثين ، ولكن أكثر الآخرين قد نفوا صلتها بطرفة ، وأكدوا انتحالها عليه. وأنت اذا تصفحت تلك الابيات لا يعجزك بقليل من امعان النظر ، أن تتبين ما فيها من تكلف وصنعة ، لا تمتان لشعر طرفة بصلة.

ومن أمثلة ذلك البيت الذي نسبه لطرفة أبو زيد الانصاري في كتابه النوادر في اللغة ، وهو قوله[2]:

اضْرِبَ عنك الهمومَ طارقَها ضَرْبَك بالسيف قَوْنَس الفَرَسِ[3]

فقد قال أبو زيد نفسه بعد أن أنشده : " وزعم النحويون أنه مصنوع"[4] قال ابن منظور في لسان العرب بعد أن أنشد هذا البيت : " قال ابن بري والبيت مصنوع على طرفة "[5] وقال السيوطي في المزهر بعد أن أنشده أيضا ، نقلا عن أبي زيد : " أنشدني الاخفش بيتا مصنوعا لطرفة "[6]

ويظهر فعلا أن البيت مصنوع على طرفة. وقد وضع للاستشهاد به على قاعدة من قواعد النحو الشاذة ، وهي حذف نون التوكيد في قوله

---

(١) انظر تخريجه في الديوان ص ٢٤١-٢٤٢ والبيت للمتلمس في ديوانه ص ٢٩٩.

(٢) انظر صلة الديوان ص ١٦٥

(٣) اضرب أراد اضربن فحذف نون التوكيد ، وقونس الفرس هو العظم الناتئ بين أذنيها.

(٤) النوادر في اللغة ص ١٣ (٥) اللسان (قنس)

(٦) المزهر للسيوطي.

" اضرب " ، وقد أراد " اضربن" . ولذلك كثر الاستشهاد به في كتب اللغة والنحو بنسبة وبدون نسبة.(١)

ومن هذا النوع أيضا ، البيت الذي نسبه سيبويه لطرفة في "الكتاب" ، وهو قوله(٢):

أَسَعْدَ بْنَ مَالٍ أَلَمْ تَعْلَمُوا ... وذو الرأي مهما يقلْ يصدُقِ(٣)

وقد علق عليه سيبويه بقوله : " وهو مصنوع على طرفة ، وهو لبعض العباديين"(٤).

ولعل من هذا النوع كذلك ، تلك الأبيات التي نسبها بعض الباحثين لطرفة ،ونسبها اكثرهم لغيره ، ومن ذلك قوله(٥):

تَصَدَّقْ عَلَى هَدَاكَ لمليكُ ، فإن لكل مَقَامٍ مَقَالاَ

فان هذا القول يخالف سلوك طرفة في الحياة ، ولا يوائم اعتداده بنفسه الذي عرفناه . أفيقول طرفة مثل هذا ، وهو الذي يقول :

(١) انظر تخريجه في الديون رقم ٩ من القطعة ٣ ص ٢٤١
(٢) انظر صلة الديوان ص ١٨٢
(٣) سعد بن مال ، هو سعد بن مالك ، وهو جد طرفة المشهور، وأحد سادات بكر بن وائل في زمانه . وفيه يقول طرفة :"انظر الديوان ص ٨٨".:

رأيت سعودا من شعوب كثيرة ... فلم ترعيني مثل سعد بن مالك

(٤) انظر الكتاب لسيبويه ٢/٢٥٥
(٥) انظر صلة الديوان ص ١٨٩.

ولكنْ نفى عنى الرجالَ جراءتى   وصبرى واقدامى عليهم ومحتدى (١)

أم يقول ذلك طرفة وهو الذى يقول: (٢)

وأُجِرُّ ذا الكَفَلِ القناةَ على   أنْسائه فيظل يستدمى (٣)

أترى المعتد بجراءته وصبره واقدامه على الرجال ، المدل بأصله بينهم ، كما نقرأ فى البيت الأول ، الذى يعرف كيف يطعن ، ومن يطعن ، كما نقرأ فى البيت الثانى ، أترى ذلك يسف الى القول :

تصدق على هداك المليك فان لكل مقام مقالا ..

لذلك فقد صدق الذين نفوا صلة هذا البيت بطرفة. وقد نسبوه للحطيئة. كما فعل أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٤) ، والمبرد فى الكامل فى الأدب (٥) ، والقرطبى فى تفسيره المعروف بالجامع لأحكام القرآن (٦) ، وابن منظور فى اللسان (٧) ، والبيت فى ديوان الحطيئة من جملة أبيات قال أبو عبيدة عنها ، بأنها أول ما استعطف به سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعد أن سجنه (٨).

---

(١) الديوان ص ٤٧   (٢) الديوان ص ٩٦
(٣) انظر شرحه فى هامش ص ١٥٤   (٤) مجاز القرآن ٢/٣
(٥) الكامل فى الأدب ص ٥٤٩
(٦) تفسير القرطبى ١١/٨٨
(٧) اللسان (حنن قول)
(٨) انظر ديوان الحطيئة ص ٢٢٢.

ومن أمثلة ذلك أيضا ، البيت الذى نسبه لطرفة ، أبو منصور الثعالبى فى كتابه "المنتحل"[١] ، وهو قوله[٢] :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

فقد نسبه لعدى بن زيد ، أبو الفضل الميدانى فى مجمع الأمثال[٣] والحسن ابن عبد الله العسكرى فى المصون[٤] . وأبو حيان التوحيدى فى الصداقة والصديق[٥] ، وأبو منصور الثعالبى فى التمثيل والمحاضرة[٦] ، وغيرهم .

ونود أن نختم الحديث عن هذا القسم من الشعر المنحول على طرفة بهذه القصة الطريفة التى رواها أبو الفرج الاصفهانى فى أغانيه عن أبى عبيدة قال : " انشدنى أبو الزعراء – رجل من بنى قيس بن ثعلبة لطرفة بن العبد :

"تكاشرنى كرها كأنك ناصح ... وعينك تبدى أن صدرك لى جوى[٧]

قال : فعجبت من ذلك ، وأنشدته أبا عمرو بن العلاء ، وقلت له : انى كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفى ، فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفة"

فكان مما رد به أبو عمرو بن العلاء على أبى عبيدة – كما روى أبو الفرج قوله :" وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقا " . قال أبو الفرج : "ما أظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه ، لأن العلماء من رواة الشعر رووها ليزيد بن الحكم . وهذا أعرابى لايحصل مايقوله .

ولو كان هذا الشعر مشكوكا فيه أنه ليزيد بن الحكم – وليس كذلك

---

(١) المنتحل ص ١٧٢
(٢) انظر صلة الديوان ص ١٥١ وروايته فيه :(وابصر قرينه)، (مقتد)
(٣) مجمع الامثال ١٦٩/٢ (٤) المصون ص ١٠٨
(٥) الصداقة والصديق ص ٣٣
(٦) التمثيل والمحاضرة ص ٥٢

(٧) كشر عن اسنانه (من باب ضرب) : أبدى للضحك او غيره . وكاشره اذا ضحك فى وجهه (اللسان كشر) وجوى الشيء واجتواه : كرهه (اللسان جوا)

لكان معلوما أنه ليس لطرفة ، ولاموجودا في شعره على سائر الروايات ولاهو أيضا مشبها لمذهب طرفة ونمطه".

ثم روى أبو الفرج بعض تلك القصيدة بعد أن قال:" فأما تمام القصيدة التي نسبت الى طرفة ، فأنا أذكر منه مختاره ، ليعلم أن مرذول كلام طرفة فوقه ".

وبعد أن روى ما روى منها قال: " وهذا شعر اذا تأمله من له في العلم أدنى سهم ، عرف أنه لايدخل في مذهب طرفة ولا يقاربه "(١)

أرأيت كيف كان النقاد القدماء ، والمتأدبون والعلماء - ينبرون للوضاعين فلا يتركونهم ينالون مأربا ، أو يحققون مطلبا حتى خلت تلك الأشعار - الا القليل منها - من الوضع والانتحال. ولقد نبه العلماء الى هذا القليل - بما قالوه فيه من أقوال.

أيجوز بعد ذلك للمتطرفين أن يذهبوا الى ما ذهب اليه ابن سلام في الحكم على شعر طرفة بقوله :" ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقي بأيدى الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر . وان لم يكن لهما غيرهن ، فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة. وان كان ما يروى من الغثاء لهما ، فليسا يستحقان مكانهما على أفواه الرواة. ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير أن الذى نالهما من ذلك أكثر. وكانا أقدم

---

(١) انظر في هذه القصة الاغاني - دار الكتب - ١٢/ ٢٩٤-٢٩٦ .

الفحول ، فلعل ذلك لذاك فلما قل كلامهما حمل عليهما حمل كثير"(١).

فماذا يقول ابن سلام الآن لو عرف أنه قد صح لطرفة من الشعر أضعاف ما ذكر. وأن المصححين الذين عناهم ، هم الذين قد نفوا عن ذلك الشعر ، ما لحق به من الغثاء الذى ذكر . وهم الذين أثبتوا ما هو بين أيدينا الآن. ومن أولئك العلماء - كما رأينا - الأصمعى وأبو عبيدة والمفضل الضبى وأبو حاتم السجستانى ، وابن الاعرابى وابن حبيب وأبو عمرو الشيبانى وابن السكيت وغيرهم . ومن هم المصححون الذين يعنيهم ابن سلام اذا لم يكونوا أولئك العلماء الأجلاء..

على أننا نوافق ابن سلام على تعجبه من قلة شعر طرفة ، وان كان قِصَرُ عُمْرِهِ كفيلاً بأن يبطل هذا التعجب . ثم نوافقه على ضياع بعض أشعاره ، وهو أمر لابد وأن يكون ، فى مثل الظروف التى مر بها الشعر الجاهلى منذ نبست به شفاه الشعراء الجاهليين حتى وصل الى عصر التدوين.

ولكن هذا الذى ضاع من شعر طرفة ، لم يكن بالقدر الذى ذكره ابن سلام ، حتى يخلص من ذلك الى الزعم بكثرة الوضع فيه . ونحن لا نرد على ابن سلام ، فهو من هو من العلم والتقدمة ، ولكنه هو الذى يرد على نفسه بنفسه - كما كنا قد ذكرنا - فهو يقول عن الشعر الجاهلى " وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول وما مُدح هو وأهل بيته به"(٢)

أليس طرفة من الفحول .. ألم يضعه ابن سلام نفسه فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية .. بل لقد قدمه كثير من العلماء على غيره من الفحول كما سنرى . ألم تكن أشعاره اذن محفوظة فى الديوان

---

(١) انظر طبقات ابن سلام ص ٢٦
(٢) انظر نفس المصدر ص ٢٥

الذى كان عند النعمان بن المنذر ، مع أشعار بقية الفحول .. كيف اذن يضيع من شعره كل هذا القدر الذى ذكره ابن سلام ..

وبودى أن أتساءل : ماذا كنا نريد من طرفة أن يقول ، فى تلك السنوات القليلة التى عاشها ، أكثر مما قال .. ألم يداخل العجب من طرفة ، والاعجاب به جميع العلماء - كما سنرى فى المبحث القادم - وذلك بسبب قوله لما بين أيدينا من أشعار ، فى سنوات عمره القصار ..

وخلاصة الأمر أن شعر طرفة الذى هو فى ديوانه الآن ، لا يداخلنا شك فى صحة نسبته له . كما شهد بذلك رواة الجيل الأول عندما رووا - هذا الشعر ، وتحدثوا عن صلته بقائله . وكما رأينا من تشابه بين قصائده وأبياته فى حملها لخصائص شعر طرفة واحتوائها على موضوعاته .

وأما ذلك الشعر الذى فى صلة الديوان ، فبعضه صحيح النسبة لطرفة ، وبعضه متأرجح النسبة بين طرفة وبين غيره من الشعراء وبعضه مصنوع عليه ، كما بين ذلك المحققون والعلماء .

* *

المبحث الثالث : طرفة في رأي القدماء :

لقد شغل طرفة بن العبد ، بموهبته الشعرية الفذة ، أذهان القوم منذ القديم . شغل الناس في مجالسهم ومنتدياتهم ، وشغل الشعراء الفحول في آرائهم وتصريحاتهم ، وشغل العلماء في كتبهم ومؤلفاتهم . فلم تكن تمر بندي قوم يتذاكرون الأشعار والأخبار ، الا وتسمع لطرفة في أحاديثهم ذكرا ، وتجد لشعره بينهم أثرا .

ولايكاد يخلو - كذلك - كتاب من كتب العلماء في ذلك الزمان من ذكر طرفة ، والاستشهاد بشعره . سواء أكان ذلك الكتاب يبحث في الشعر أو النحو أو اللغة أو التاريخ أو التفسير أو الأخبار أو غير ذلك .

كما لايكاد يذكر شاعر من الفحول المتأخرين ، الا ويذكر له رأي فيمن سبقه من الشعراء ، وفيمن تبوأ منهم المنازل الأولى . وقد كان طرفة ممن يجري ذكره على ألسنة أولئك ، سواء أكانوا يفضلونه أو يفضلون غيره .

ولم يقف تدارس شعر طرفة ، وتناقل أخباره عند منتديات الناس وحلقات العلماء ، وأفواه الفحول من الشعراء ، ولكنهما تعدياها الى مجالس الأمراء وقصور الخلفاء . بل ان المتأدبين والندماء لم يكونوا ينادمونهم ويتناظرون في مجالسهم الا بأشعار الفحول وأخبارهم . وقد كان طرفة أحد أولئك الفحول .

والحقيقة أن طرفة ، وان كانت أشعاره قليلة ، فقد بلغ بها مالم يبلغه المكثرون ، اذ بجودة الشعر وقوته ، لابكثرته ، يتفاضل الشعراء ، وليس في الكثرة مع الغُثاء - كما هو معلوم - أي غَناء.

ولقد جود طرفة في شعره - على قلته - حتى فاق أكثر شعراء زمانه ، وتقدم على أكثر أقرانه . ولعله كان يسلك في شعره مسلكه في حياته ، ويذهب فيه مذهبه فيها . فلقد كان كما عرفنا - فتى جريئا في تصرفاته ، قويا في شخصيته ، معتدا بنفسه ، مدلا بمكانه في قومه ، ومكان قومه في الناس.

فلعله - وقد مَنَّ الله عليه بموهبة الشعر - قد تفنن في ضروبه وجود فيه، واعتنى بصوره وألفاظه ومعانيه ، حتى صار " يعد من الطبقة الأولى " ، كما قال أبوعثمان الأشناندانى في (معانى الشعر)(١)

وجمع العلماء - كما عرفنا - أشعار طرفة وأخباره ، فيما جمعوا من أشعار وأخبار يتلقفونها من أفواه الرواة والحفظة والفصحاء . أو يقصدونهم في مضارب أقوامهم عبر الصحراء . فلم يكونوا يرون فصيحا في جعبته أشعار وأخبار الا اجتمعوا عليه ، ولم يكونوا يسمعون براوية من رواة الأشعار والأخبار كذلك الا تسابقوا اليه .

بل لم يكونوا يعرفون صاحب رأى في أشعار الشعراء القدماء وأخبارهم الا انطلقوا اليه يسألونه عما عنده . فاذا قال شيئا

---

(١) معانى الشعر ص ١٦٠

دونوه أوحفظوه ، ثم انطلقوا الى الناس فأذاعوه بينهم ونشروه فيهم . ذكر ابن سلام فى طبقات فحول الشعراء قال :

" مر لبيد فى بني نهد فأتبعوه رسولا سئولا ، يسأله : من أشعر الناس؟ قال : الملك الضليل يعنى امرأ القيس ، فأعادوه اليه ، قال : ثم من ..؟ قال الغلام القتيل - يعنى طرفة - قال ثم من ..؟ قال: الشيخ أبوعقيل - يعنى نفسه "(١).

وقد شغل هذا الخبر العلماء فى ذلك الزمان ، فتلقفوه وتعاوروه يروونه فى كتبهم كما سمعوه ، مختلفين فى ألفاظه وصياغته ، متفقين فى مضمونه ودلالته . قال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء :

"قال أبوعبيدة : مر لبيد بمجلس لنهد بالكوفة ، وهو يتوكأ على عصا . فلما جاوز أمروا فتى منهم أن يلحقه فيسأله ، من أشعر العرب ..؟ ففعل . فقال له لبيد: الملك الضليل - يعنى امرأ القيس فرجع فأخبرهم ، قالوا : ألاسألته : ثم من ؟ فرجع فسأله ، فقال : ابن العشرين - يعنى طرفة . فلما رجع قالوا : ليتك كنت سألته ثم من..؟ فرجع فسأله ، فقال: صاحب المحجن - يعنى نفسه "(٢).

وقال صاحب جمهرة الأشعار : " وذكر المفضل أن لبيد بن ربيعة مر بمجلس بني نهد بالكوفة ، وبيده عصا له يتوكأ عليها بعدما كبر " ثم أكمل القرشى رواية الخبر.(٣)

وقال صاحب العقد الفريد : " وقيل للبيد: من أشعر الناس ..؟ قال: صاحب القروح - يعنى امرأ القيس - قيل له فبعده من ..؟ قال : ابن العشرين - يعنى طرفة . قيل له : فبعده ..قال أنا "..(٤)

(١) انظر طبقات الفحول - دار المعارف - ص ٤٥ ومطبعة المدنى ص ٥٤ مثله

(٢) الشعر والشعراء ١٨٩/١-١٩٠ (٣) انظر جمهرة الأشعار بتحقيق : البجاوى - ص ٤٢

(٤) انظر العقد الفريد ٢٧١/٥ .

هذا وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني هذا الخبر في موضعين من الأغاني ، تابع في الموضع الأول منهما ما ذكره ابن سلام وابن قتيبة ، من مرور لبيد بمجلس بني نهد بالكوفة ، ثم أكمل الخبر (١) ، وذكر في الموضع الثاني أن لبيدا كان في المسجد عندما بعث اليه جمع من القراء نائبا عنهم يسأله عن أشعر العرب فأدلى برأيه الذي رأينا .

وهناك خبر آخر وضع فيه طرفة ثاني الشعراء كذلك ، ولكنه جاءنا عن طريق آخر غير طريق لبيد . قال أبو الفرج الاصفهاني " وسئل أعرابي عن أشعر الناس فقال: الذي يقول :

وما ذَرَفَتْ عيناكِ الاَّ لتضْرِبي بسهمَيْكِ في أَعْشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ (٢)

يعني امرأ القيس . قيل له : فمن الثاني ؟. قال : الذي يقول :

تطردُ القُرَّ بحَرٍّ ساخنٍ وعَكِيْكَ القيظِ ان جاء بِقُرّْ (٣)

يعني طرفة " (٤)

وقد ذهب الأخطل الى ما ذهب اليه لبيد ، اذ جعل طرفة ثاني الشعراء ولكنه انتزع الأولوية من امرىء القيس وخص بها الأعشى . روى أبو الفرج في أغانيه " أن عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس ، قال: الذي كان اذا مدح رفع ، واذا هجا وضع . قال : ومن هو ؟. قال : الأعشى . قال ثم من ؟. قال ابن العشرين – يعني طرفة – قال ثم من ؟. قال : أنا " (٥)

---

(١) انظر الاغاني مطبعة التقدم ١٤/٩٣
(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١٣ ، والاعشار القطع والكسور يقول : وما بكيت الا لتذهبي بقلبي كله ، أو الا لتجرحي قلبي المقطع فرواية الديوان " الا لتجرحي " .
(٣) هذا البيت في الديوان ص ٥٨ ، والقر : البرد ، والعكيك – الحر الشديد ، الذي يأخذ بالنفس في سكون ريح . (انظر شرح الاعلم بالديوان ص ٥٨) .
(٤) انظر الاغاني – دار الكتب – ٩/١١١
(٥) انظر نفس المصدر – الاغاني – دار الكتب ٨/٢٩٣

وقد تابع كثير من العلماء المتأخرين أسلافهم المتقدمين ، في الاستشهاد برأى لبيد ابن ربيعة على جعل طرفة ثاني الشعراء ومن هؤلاء السيوطي في المزهر [١] ، والعباسي في معاهد التنصيص [٢] والألوسي في بلوغ الأرب [٣] ، وغيرهم.

وليس يعني ذلك أن الآراء اجتمعت على كون طرفة ثاني الشعراء كما جعله لبيد ، فقد جعله جرير أشعر شعراء الجاهلية على الاطلاق . وتخطف العلماء رأى جرير هذا فأذاعوه ، كما تخطفوا رأى لبيد من قبله ونشروه.

روى ابن الأنبارى في شرح القصائد السبع الطوال: " قال: قال الأصمعي: حدثني رجل من أهل الصلاح ، وهو من أُضَاخ ، قال : قدم علينا رجل لم نعرفه فقلت له : من أنت ؟ قال: أنا جرير. فلما عرفناه قلنا له : من أشعر الناس ؟ قال: الذى يقول :

غَدًا ما غَدٌ ما أَقْرَبَ اليَوْمَ مِنْ غَدِ" [٤] وكان ابن السكيت قد روى مثل هذا الخبر في شرحه لديوان طرفة - كما عرفنا [٥] - وقد أثبت الأعلم الشنتمرى في شرحه لديوان طرفة شيئا قريبا من هذه الرواية. [٦]

(١) انظر المزهر ٢/٤٧٩ (٢) انظر معاهد التنصيص ١/٣٦٦
(٣) انظر بلوغ الارب ٣/١٣ (٤) شرح القصائد السبع الطوال ص ١٣١
(٥) انظر مبحث الانتحال في شعر طرفة ... من هذا الفصل.
(٦) انظر الديوان ص ٤٩ .

وقد فصل أبو علي القالي في أماليه هذا الخبر ، عن عمارة بن عقيل قال : " حدثني أبي - يعني عقيل بن بلال - قال: سمعت أبي يعني بلال بن جرير - يقول : سمعت جريرا يقول: دخلت على بعض خلفاء بني أمية ، فقال : ألا تحدثني عن الشعراء ؟. فقلت: بلى قال : فمن أشعر الناس ؟. قلت: ابن العشرين - يعني طرفة ".(١)

أما أبو الفرج الأصفهاني ، فقد ذكر هذا الخبر أيضا في موضعين من أغانيه ، جريا على عادته في استقصاء الروايات ، قال في الموضع الأول منهما : " حدث عمارة ابن عقيل عن أبيه عن جده : قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير: من أشعر الناس ؟. قال : ابن العشرين - يعني طرفة "(٢)

وقال أبو الفرج في الموضع الثاني: " قال عمارة بن عقيل ابن بلال بن جرير بن الخَطَفَى: سمعت أبي يقول : دخل جدي على بعض ملوك بني أمية ، فقال: ألا تخبرني عن الشعراء ؟. قال : بلى. قال من أشعر الناس ؟. قال: ابن العشرين يعني طرفة "(٣)

هذا ، وقد جاءنا هذا الخبر ، وهو أن طرفة أشعر الناس ، من طريق آخر أيضا غير طريق جرير . روى أبو زيد القرشي في جمهرة الأشعار قال: "وقال تميم بن مقبل : طرفة أشعر الناس".(٤)

---

(١) الأمالي ١٧٩/٢
(٢) الأغاني - دار الكتب ٥٣/٨
(٣) المصدر السابق ١٩٩/٨ - ٢٠٠
(٤) جمهرة الأشعار بتحقيق البجاوي ص ١٠٥

وكما أخذ بعض العلماء المتأخرين برأى لبيد ، فجعلوا طرفة ثانى الشعراء ، فقد أخذ بعضهم أيضا برأى جرير ، فجعلوه أشعر الناس على الاطلاق . قال الشريشى فى شرحه للمقامات الحريرية " والعرب تقول: أشعر الناس ابن العشرين ، وتعنى طرفة "(١) .
وقال السيوطى فى شرحه لشواهد المغنى: " وسئل جرير من أشعر الناس قال : الذى يقول :(٢)

سَتُبْدِى لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيك بالأخبارِ من لم تُزَوِّدِ(٣)

وهكذا كان طرفة من الشعراء المقدمين ، عند العلماء الاقدمين . ويكاد اجماعهم ينعقد على أن طرفة لم يتأخر عن المرتبة الثانية بين جميع شعراء الجاهلية . ولم يشذ عن ذلك فيما أعلم - الا ابن سلام فى طبقات فحول الشعراء ، اذ وضع طرفة فى الطبقة الرابعة مع عبيد بن الأبرص ، وعلقمة بن عبدة ، وعدى بن زيد .

وحجته فى ذلك قلة شعرهم فى أيدى الرواة ، والا كان قد وضعهم مع الفحول الأوائل كما يذكر فهو يقول: " موضعهم مع الأوائل ، وانما أخل بهم قلة شعرهم بأيدى الرواة "(٤) ولكن أيام طرفة القصيرة ، قد شفعت له عند غير ابن سلام ،

---

(١) شرح المقامات الحريرية للشريشى ١٤٨/١
(٢) البيت فى الديوان ص ٤٨ .
(٣) شرح شواهد المغنى ص ٢٧٢ .
(٤) طبقات فحول الشعراء - دار المعارف - ص ١١٥ ومطبعة المدنى ص ١٣٧ .

فوضعوه في موضعه الصحيح ، قال القرشي في جمهرة الأشعار : "قال الذين قدموا طرفة بن العبد : هو أشعرهم ، اذ بلغ بحداثة سنه ما بلغ القوم في طول أعمارهم "(١) .

أما الذين جعلوا طرفة أشعر الناس بمعلقته المشهورة ، فهم من العلماء القدماء كثيرون . وقد كان على رأسهم ابن سلام نفسه حين قال في طبقات الفحول : "فأما طرفة فأشعر الناس واحدة ، وهي قوله :

لخولةَ أطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَـدِ وقفتُ بها أبكي وأبكي الى الغدِ (٢)

قال ابن سلام أيضا : " وتليها أخرى مثلها وهي :

أصحوتَ اليومَ أم شاقَتْكَ هـرٌّ ومن الحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَقِـــرُّ (٣)

ومن يَعُدُّ له قصائدُ حسانٌ جِيادٌ " (٤)

أما ابن قتيبة فانه عندما تحدث في الشعر والشعراء عن طرفة قال برأيه مرة ، وعن أبي عبيدة أخرى . فأما التي برأيه فهي قوله : " وهو أجودهم طويلة ، وهو القائل ، لخولة أطلال ببرقة ثهمد . وله بعدها شعر حسن" (٥)

وأما التي برأي أبي عبيدة فهي قوله : "قال أبو عبيدة : طرفة أجودهم واحدة ، ولا يلحق بالبحور . يعني امرأ القيس وزهيرا والنابغة . ولكنه يوضع مع أصحابه : الحارث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم ، وسويد بن أبي كاهل" (٦) .

---

(١) جمهرة الأشعار ـ بتحقيق البجاوي ـ ص ٩٤

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ١٣٨ .

(٣) انظر ديوان طرفة ص ٥٠ وروايته " جنون مستعر"

(٤) طبقات الفحول ص ١٣٨ . (٥) انظر الشعر والشعراء ١/ 185

(٦) انظر المصدر السابق ص ١٩٠ .

وقد سار العلماء المتأخرون على آثار من سبقوهم من العلماء القدماء ، ففضلوا طرفة بمعلقته على بقية الشعراء. فقال ابن رشيق : " وطرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء " [١] وقال في موضع آخر : " وأما أصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجمحي. وهو الحكم والصواب " [٢] . وقال البيهقي [٣] : " وأشعر العرب واحدة طويلة جمعت جودة مع طول ثلاثة : طرفة بن العبد في قوله :

. لخولة أطلال ببرقة ثهمد . والحارث بن حلزة في قوله : . آذنتنا ببينها أسماء . [٤] وعمرو بن كلثوم في قوله

. ألا هبي بصحنك فاصبحينا " [٥]

وقال السيوطي في المزهر : "وأما أصحاب الواحدة فطرفة أولهم " [٥] وقال في شرح شواهد المغني : "وأما أشعرهم قصيدة فطرفة " [٦] . وقد قال بمثل ذلك غير أولئكم كثيرون.

وقد يكون الرأي رأي أولئك أو هؤلاء من العلماء ، ولكن الرأي الصواب فيما نرى - والله أعلم - هو ما قال العلماء المعتدلون الذين جعلوا أولئك الفحول جيادا سابقة ، وجعلوا لكل منهم مضمارا يبز فيه أقرانه . فالشعر كما ذكر ابن سلام مثل الشجاعة والخطابة والجمال ، لا يُنْتَهَى في أي منها الى غاية ، ولا يُجْتَمع فيه على واحد بعينه . قال في طبقات الفحول : " وشهدت خَلَفًا فقيل له : من أشعر الناس.. فقال : ما ننتهي الى واحد يُجْتَمع عليه ، كما لا يجتمع

---

(١) العمدة ١/٦٥ (٢) نفس المصدر ١/٦٦

(٣) المحاسن والمساوي ص ٤٥٧ - ٤٥٨.

(٤) وتمامه قوله : رب ثاو يمل منه الثواء

(٥) وتمامه قوله : ولا تبقي خمور الأندرينا

(٦) المزهر ٢/٤٨٧

على أشجع الناس ، وأخطب الناس ، وأجمل الناس ".[1]

ومن هذا الرأى المعتدل قول أبى عبيدة : "أشعر الناس أهل الوبر خاصة ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة ، وفى الطبقة الثانية الأعشى ولبيد وطرفة "[2] قال القرشى: " والقول عندنا ما قال أبو عبيدة ".[3]

وتعاور هذا الرأى المعتدل ، كثير من العلماء فيما بعد ، ففى المقامة القريضية - يقول بديع الزمان - كما يذكر الحصرى فى زهر الآداب : " سلونى أجبكم ، واستمعوا أعجبكم . قلنا : فما تقول فى امرئ القيس .. قال : هو أول من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير فى وكناتها ، ووصف الخيل بصفاتها ولم يقل الشعر كاسبا ، ولم يُجِدِ القول راغبا ، ففُضّل من تفتق للحيلة لسانه ، وانتجع للرغبة بنانه . قلنا : وما تقول فى النابغة .. قال: ينسب اذا عشق ، ويثلب اذا حنق ، ويمدح اذا رغب ، ويعتذر اذا رهب ، فلا يرمى الا صائبا . قلنا : فما تقول فى طرفة .. قال: هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنز القوافى ومدينتها مات ولم تظهر أسرار دفائنه ، ولم تطلق عتاق خزائنه ".[4]

---

(١) انظر طبقات الفحول ص ٦٥ - ٦٦
(٢) انظر جمهرة الاشعار - طبعة بولاق ص ٣٤
(٣) نفس المصدر ص ٣٤ أيضا .
(٤) زهر الآداب ص ٦٣٥ - ٦٣٦ .

ثم تابع بديع الزمان الحديث ، فقال في زهير وجرير والفرزدق والمتقدمين والمتأخرين.

ويقول القيرواني في أعلام الكلام : " وأما طرفة فلو طال عمره لطال شعره ، وعظم في الشعر ذكره ، ولقد خُصّ بأوفر نصيب من الشعر على أنزر نصيب من العمر ، فملأ أرجاء ذلك النصيب ، بصنوف من الحكمة ، وأوصاف من علو الهمة . والطبع معلم حاذق ، والذكاء جواد سابق ."[1]

وقال مسلمة بن عبد الملك لخالد بن صفوان: " صف لنا الشعراء العشرة " فتحدث له عن عدد من الشعراء ثم قال: " وأما أهجاهم للرجال، وأبنهم في المقال ، وأضربهم للأمثال ، فطرفة ".[2]

ذلك هو – فيما نظن – الرأي الصواب ، فان لكل شاعر من أولئك الفحول ، نصيبا من السبق والتقدمة . ولعل قول الفرزدق في ذلك هو فصل الخطاب روى أبو زيد القرشي في جمهرة الأشعار أن الفرزدق قال :" وان الشعر كان جملا بازلا[3] ، عظيما فنحر ، فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه ، وعمرو بن كلثوم سَنامه ، وزهير كاهِلَه[4] ، والأعشى والنابغة فخذيه ، وطرفة ولبيد كِرْكِرَته[5] ، ولم يبق الا الذراع والبطن ، فتوزعناهما بيننا "[6] .

لقد أعطى الفرزدق بهذا القول ، لكل واحد من الفحول القدماء من السبق نصيبه ، ومن التقدمة حقه ، حين وزع الشعر فيما بينهم

(١) أعلام الكلام ص ١٦ (٢) انظر المحاسن والمساوى ص ٤٥٩

(٣) البازل من الجمال هو الذي استكمل الثامنة من عمره فبزل نابه أي طلع فهو بازل وبزول. وجمع البازل بزّل ، وجمع البزول بُزُل . والانثى بازل ايضا بغيرها . وجمعها بوازل (اللسان بزل). (وعن سيبويه : قد يجمع الذكور على بوازل ايضا).

(٤) الكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق (اللسان كهل)

(٥) الكركرة – بكسر الكافين وسكون الراء الأولى وفتح الثانية مع تخفيفها هي الصدر من كل ذي خف والجمع كراكر (اللسان كركر)

(٦) انظر جمهرة الاشعار بتحقيق البجاوى – ص ٦٣ .

هذا التوزيع . وان كان الفرزدق قد ظلم المتأخرين بهذه القسمة ، وجار عليهم . الا أن ذلك منا لتواضع .

وهكذا شغل طرفة منذ القديم - القوم جميعهم كما ذكرنا - شغل الناس فى أنديتهم ومجالسهم ، وهم يتسامرون بأخباره وأشعاره آناء الليل وأطراف النهار . وشغل الرواة والفصحاء والحفظة ونقلة الأخبار .

وشغل النقاد والعلماء والنسابين وغيرهم ممن عنى بالأشعار ..

وشغل حتى الأمراء والخلفاء فى مختلف العواصم والأمصار ..

فماذا قال طرفة فى شعره .. وأىّ الموضوعات طرق ..

وأين أجاد .. وأين قصر .. ولماذا انشغل الناس به ذلك الانشغال ..

هذا ما سنحاول الاجابة عنه فى الصفحات القادمة ان شاء الله تعالى ..

*   *

الفصل الثانى

موضوعات شعر طرفة

الوقوف بالأطلال ❖ الغزل
الوصف ❖ الفخر
الهجاء ❖ الأمثال والحكم
الآراء الخاصة فى الحياة

الفصل الثانى
موضوعات شعر طرفة

تمهيد :

طرق الشعراء الجاهليون فى أشعارهم ، موضوعات شتى . وتنقلوا فيها بين فنون متعددة . فوقفوا بالاطلال يتحسرون على مافات ، وتغزلوا بالنساء وخصوا منهن الجميلات . ووصفوا الديار والمنازل ومواطن تنقلهم بين الجبال والوديان والصحراوات ووصفوا كذلك ما اتخذوا من ركائب فى ذلك الزمان ، كما وصفوا ما طاردهم وما طاردوه فى الصحراء من حيوان .

وكانوا بحكم حاجتهم الى الشجاعة والكرم فى بيئتهم التى عرفنا ، يتباهون بذلك ويتفاخرون ، ويتهاجون ويتمادحون . ويرثون فرسانهم وشجعانهم وسادتهم وكرماءهم تخليدا لذكراهم ، وتندرا بسجاياهم . ووفاء بعهدهم ، وتشجيعا على الاقتداء بهم .

وبين هذا وذاك من الموضوعات ، تناثرت الحكم والامثال التى كانت تجود بها قرائح أولئك الشعراء ، فتتناقلها الشفاة ، وتطير فى كل اتجاه . لما كانت تحمل من رأى سديد . ولما كان لها على نفوس الناس من وقع شديد وأثر بعيد .

وسار الشعراء على منوال الجاهليين فيما تلا ذلك من عصور ، بالرغم مما طرأ على الحياة من تبديل وتغيير . ان فى الوسائل او فى الغايات . فقد ولى — الى غير رجعة — ذلك الشظف الذى عهده الجاهليون . ونعم العرب عقب الفتوح الاسلامية ، برخاء لم يكن يحلم به الاولون .

ولكن موضوعات الشعر الجاهلى ، ظلت تهيمن على الشعراء المتأخرين ،

وان زادوا فيها بعض ما أفرزه تغير الحياة ، وتغير المواطن ، وتغير الدين . فقد وقفوا كما وقف أسلافهم الجاهليون بالاطلال ، وقالوا مثل ماقالوا في الغزل والوصف والفخر والمدح والهجاء والرثاء والحكم والامثال .

اما طرفة فكان واحدا من فحول الجاهلية كما رأينا . ولذلك فقد تنقل هو الاخر بين تلك الضروب ، وسلك فيها ماسلكه أقرانه من دروب ، فوقف بالاطلال وأكثر عندها من البكاء . وعشق وتغزل وتحسر على فراق النساء . ووصف ناقته وصفا لم يستطعه الاخرون ، وقال في الفخر والهجاء والامثال والحكم ، أقوالا قصر عن مثلها الكثيرون . وله كذلك آراء خاصة في الحياة لم يتحرج من تبيانها ، بل لقد كان كما سنرى ــ يتفاخر بها ويجاهر باعلانها .

ولكن طرفة قد ترفع ــ فيما يبدو من دراسة شعره ــ عن بعض موضوعات الشعر الجاهلي كالمدح مثلا ، وذلك بالرغم من شيوع المدح في ذلك العصر بين الفحول ، من أمثال زهير والنابغة والأعشى . وقد ترفع كذلك عن الرثاء ، لارتباطه بالمدح في أغلب الحالات .

ويرجع ترفع طرفة عن تلك الموضوعات ، الى أنها لا توائم ماطبع في الحياة عليه ، ولا تلائم ماكان يذهب فيها اليه . فقد فطر طرفة ــ كما رأينا ــ معتزا بنفسه ، معتدا بشخصه ، مدلا بمكانه في قومه ، مغاليا في ذلك كله ، متعاليا بمكان قومه في الناس . ومن كانت تلك طباعه ، فلن تجد لنفسه بالرثاء ولعا ، ولن تجد للمدح في قوله متسعا .

لذلك فقد خلت اشعار طرفة ــ أو كادت ــ من المدح . ولم يقل فيه الا ابياتا لا تخالف طبعه ولا تجافي مذهبه . أما الرثاء فماله فيه من نصيب ،

لا من بعيد ولا من قريب . وأرانا متشوقين بعد هذا التمهيد الى بسط الحديث فيما خاض فيه طرفة من الموضوعات .

الوقوف بالأطلال

ذكر ابن منظور فى اللسان ، بأن الطلل هو ماشخص من آثار الديار ، وجمعه أطلال وطلول .(١) وذكر كذلك ان الرسم هو الاثر ، او بقية الأثر ، أو ماليس له شخص من الآثار ، أو ماكان لاصقا بالارض من آثار الديار . وجمعه أرسم ورسوم .(٢)

ولقد وقف الشعراء بتلك الاطلال والرسوم ، يتذكرون ماكان بينهم وبين معشوقاتهم قبل الرحيل من تلك المواضع . فقد كان الناس فى الجاهلية يعيشون جماعات تنتجع مواطن العشب والماء ، فتقيم بها زمنا ، ثم ترحل عنها الى أمكنة أخرى . وهكذا دواليك . ولذلك فقد كان الشاعر منهم ، لا يكاد ينعم من صاحبته باتصال ، حتى ينادى أهلها بالظعن والترحال .

ولقد ضم كثير من الباحثين الوقوف بالاطلال الى الغزل ، ودمجوه فيه . والصواب ليس كذلك . فالوقوف بالاطلال ، والبكاء عندها ، وان كان الشعراء يتخذونه مدخلا لغزلهم ، الا أنه موضوع مستقل ، كان يخوض فيه الكثيرون لذاته ، ويتخذونه مدخلا لقصائدهم سواء تغزلوا بعد ذلك أو لم يتغزلوا .

---

(١) انظر اللسان طلل .　　(٢) انظر اللسان رسم .

ولقد كان الوقوف بالاطلال سمة من سمات الشعر العربى ، يستوى فيه المتقدمون والمتأخرون. ولولا انه لا يوائم عصرنا لما أغفله الشعراء المحدثون .
وليس هنا مجال الحديث عمن وقف بالاطلال من الشعراء ، ولكن ليس هناك مايمنع من ضرب أمثلة ، لنرى كيف عشق الشعراء فى الجاهلية والاسلام ذلك ، وكيف سار فيه الخلف كما سار السلف . وسنكتفى بامرئ القيس فى الجاهلية ، وجرير فى عصر بنى أمية . وأبى تمام فى عصر بنى العباس .

قال امرؤ القيس :

أَلاَ عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِى — وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِى العُصُرِ الخَالِى (١)

وقال جرير :

لِمَن الدِّيارُ رُسُومُهُنَّ خَوالِى — أَقفَرْنَ بَعْدَ تَأَنُّسٍ وَحِلاَلِ (٢)

وقال أبو تمام :

طَلَلَ الجميعِ لقدْ عفَوْتَ حَمِيدَا — وَكَفَى عَلَى رُزْئِى بِذَاكَ شَهِيدَا (٣)

وما هؤلاء الشعراء — كما ذكرنا — الا أمثلة منتقاة من بين أقرانهم الآخرين ، أما الباقون فانك لاتكاد تجد شاعرا منهم ، الا وله بالاطلال صلات ، وبالرسوم وقفات . وذلك منذ أن قيل الشعر وعرفه الناس ، حتى الأيام الاخيرة من عهد بنى العباس ، بل ومن بعد بنى العباس .

ولقد كنا نظن ابا نواس صادقا فى قوله :(٤)

دَعِ الاطْلاَلَ تَسْفِيهَا الجَنُوبُ — وَتُبْلِى عَهْدَ جِدَّتِهَا الخُطُوبُ

---

(١) انظر ديوانه ص ٢٧
(٢) انظر ديوانه — ط صادر وبيروت — ص ٣٧٤ .
(٣) انظر ديوانه ص ٤٠٥
(٤) ديوان ابى نواس ص ١١ .

فها هو قد تخفف من تلك العادة ، ودعا الشعراء للتخلص منها . بل لقد تجاوز ذلك حين سخر ممن يقف بالاطلال هذه السخرية اللاذعة التي تمثلت في قوله :(١)

قُلْ لِمَنْ يبكي على رَسْمٍ دَرَسْ   واقفاً ما ضَرَّ لو كان جلس

ولكن ابا نواس خيب ظننا فيه ، فقد كانت له بالاطلال وقفات ملتاعة كالآخرين . يقول :(٢)

لقدْ طالَ في رَسْمِ الدِّيارِ بُكائي   وقدْ طالَ تردادي بها وعنائي

ويقول(٣) :

لِمَنِ الديارُ تسربَلَتْ ببلاها   نسيتك ربتها وما تنساها

اما طرفة فكانت له هو الاخر مع الاطلال ، وقفات طوال . فهو ما أن يرى أطلال من يهوى حتى يثور شوقه ، ويهيج غرامه ، بل ويكاد الأسى يقضي عليه، لولا أن صحبه كانوا يدركونه ويواسونه . يقول :(٤)

لخولةَ أطلالٌ ببرقةِ ثَهْمَدِ   تلوحُ كباقي الوشْمِ في ظاهرِ اليدِ

وُقوفاً بها صَحْبِي عليَّ مَطِيَّهُمْ   يقولون : لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلَّدِ

وتكاد شخصية طرفة التي عرفنا قوتها وعزتها ، تذوب من شدة الحسرة وكثرة البكاء ، اذا مالاحت لها أطلال الحبيبة . يقول في رواية أخرى : " ظَلِلْتُ بِها أَبْكِي وأَبْكِي إلى الغَدِ " (٥)

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٤ (٢) المصدر السابق ص ٤٠٢

(٣) المصدر السابق ص ٤٩٦ (٤) انظر ديوانه ص ٦

(٥) انظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري ص ١٣٢ .

ويقول فى موضع آخر :(١)

مَتَى تَرَ يوماً عَرْصَةً مِنْ دِيارِهَا ولو فَرْطَ حَوْلٍ تَسْجُمُ العينُ أَوْ تُهِلّ(٢)

فيا عجبا لذلك الفتى الجرئ المقدام ، الذى استعصت نفسه على كل قياد . كيف يبكى بكاء الأطفال ، كلما وقف على واحد من تلك الاطلال . انها — لعمر الحق — عاطفة الهوى القوية ، التى تلوى أعناق الاقوياء والضعفاء ، والتى ينصاع لقيادها الشجعان والجبناء .

ويصدقنا طرفة الحديث ، حين يخبر بوقوفه على طلل الحبيبة ، تشده اليه نفسه ، ولو أطاعها مابرحه . يقول :(٣)

حابِسِى رسمٌ وقفتُ بــه لو أطيعُ النفسَ لم أَرِمُهْ (٤)

وهو وان عشق الوقوف بتلك الاطلال — الا أنه يعترف بقدمها ، وذهاب معالمها ، فقد مضى حول على الاقل على أقربها به عهدا ، يقول :(٥)

لِهِنْدٍ بِحِزَّانِ الشُّرَيْفِ طُلُولُ تلوحُ وأدنى عَهْدِهِنَّ مُحِيلُ

ولذلك فهو يعجب — كما نعجب معه — من وقوفه بتلك الدوارس المتنكرات من الاثار يقول :(٦)

وَمَازَادَكَ الشَّكْوَى إِلَى مُتَنَكِّرٍ تَظَلُّ به تبكى وليس به مَظَلّ

وقد كان طرفة بعد أن يصف ماتلقى نفسه حين تلوح لها تلك الطلول ، ينصرف الى وصفها ووصف تغيرها من بعد ساكنيها ، أو ينصرف الى الحديث عما كان

---

(١) الديوان ص ٩٢ .
(٢) العرصة هى كل خربة ليس فيها بناء . وقد سميت بذلك لان الولدان يعرصون فيها اى يلعبون ويمرحون . وفرط الشئ بعده . يقول : اذا رأى أثرا من آثار ديارها — ولو بعد حول كامل — يسيل دمعه بل يهطل هطول المطر .
(٣) الديوان ص ٧٥ . (٤) يقول ان الذى حبسنى هو هذا الرسم الذى وقفت ناقتى به . ولو اطعت نفسى مابرحته . (٥) الديوان ص ٨١ .
(٦) الديوان ص ٩٢ .

بينه وبين صواحبه فيها . واستمع اليه وهو يصف ماحدث لواحد من تلك الطلول يقول :(١)

لَعِبَتْ بَعْدِى السيولُ به ... وجَرى فى رَوْنَقٍ رِهَمُهْ (٢)

فالكثيبُ مُعْشِبٌ أُنُفٌ ... فَتَنَاهِيهِ فَمُرْتَكِمُهْ (٣)

جَعَلَتْهُ حَمَّ كَلْكَلِهَا ... لِرَبِيعٍ - دِيمَةٌ تَثِمُهْ (٤)

فقد تتابع هطول الامطار على ذلك المكان من كل جانب ، وأخذته السيول من كل ناحية ، وجعلت كل ديمة تنيخ عليه بمطرها ، فتدقه وتكسره حتى تغيرت معالمه ، ودرست آثاره ، وأعشبت نواحيه دون أن تجد من يرعاها . فالربع من السكان خلاء ، والمراعى قد هجرها الرعاء .

ثم استمع اليه وهو يتحدث عما كان بينه وبين احدى صواحبه ، وقد ذكّره بذلك مروره على رسوم ديارها يقول :(٥)

أتعرفُ رسمَ الدار قَفْرًا منازلُهْ ... كجفْنِ اليمانى زَخرفَ الوَشْىَ ماثِلُهْ (٦)

ديارُ سُلَيْمَى إذْ تَصِيدُكَ بالمُنَى ... واذ حَبْلُ سَلْمَى منك دانٍ تُواصِلُهْ

---

(١) الديوان ص ٧٥.

(٢) الرونق حسن النبات واوله . والرهم جمع رهمة وهى مطر ضعيف كالديمة . اى جرى المطر فى اعواد نبات ذلك المكان فنداه ونعمه .

(٣) الكثيب هوما اجتمع من الرمل . والمعشب كثير العشب . والانف الذى لم يُرْعَ . يصفه بالخلاء . والتناهى جمع تنهية وهى بطن ينتهى اليه ومرتكمه مجتمعه ومتراكمه . يريد أن الخصب قد عم ذلك الربع ، ما ارتفع منه وما انحدر . انظر شرح الاعلم (الديوان ص٧٥) .

(٤) الديمة هى المطر الدائم ، وتثمه اى تدقه وتكسره لشدة مطرها . وجعلته حم كلكلها اى جعلت ذلك الربع قصد صدرها ومعتمده . يريد انها أناخت عليه بمطرها وبركت عليه ولزمته (نفس المصدر ص ٧٥-٧٦) .

(٥) انظر الديوان ص١١٩-١٢٠ .

(٦) الجفن هو الغمد ، واليمانى السيف نسبة الى اليمن . وماثله صانعه ، يشبه آثار ديارها الدارسة بما على غمد السيف اليمانى من زخرفة وتماثيل .

وإذْ هي مثلُ الرِّيمِ صِيْدَ غزالُها ... لها نظرٌ ساجٍ اليكَ تُواغِلُهْ (١)
غَنِيْنا وما نَخْشَى التفرقَ حِقْبَةً ... كِلَانا غَرِيرٌ ناعمُ العيشِ باجِلُهْ (٢)
ليالِيَ أَقتادُ الصِّبَا ويقودُنِي ... يجولُ بنا رَيْحانُهُ ونُجاوِلُهْ (٣)

فتلك ديار صاحبته سلمى ، تذكره طلولها بايامه معها ، فقد كانت حقبة من الزمان جميلة . فهو جار لسلمى قريب منها ، وهي تمنيه الأماني وتصيده بها . وهما على العهد الذى بينهما ، يواصلانه ولا يقطعانه ، ويعبان من نعيم الهوى زمانا ، ولا يخشيان تفرقا ولا هجرانا . يدور بهما الصبا — في رخاء عيش — كل مدار ، ويدوران معه — بحسن حال — حيث دار .

ولا يغيب عن طرفة ، وهو بين تلك الاطلال ، أن يذكر ماكان يراه فيها من طير او حيوان . ففى بعضها يتكاثر النعام ، حتى لا يكاد يرى فيها سواه ، وفى بعضها يتكاثر الحجل حتى يصبح هدف الصائدين . وفى الطريق الى بعضها الآخر — هناك في الخلاء — تسرح حمر الوحش كما تشاء . يقول :(٤)

لا أَرَى الا النعامَ بهِ ... كالإماءِ أَشْرفتْ حُزَمُهْ (٥)

ويقول :(٦)

لخولةَ بالأَجْزاعِ من إِضَمٍ طللْ ... وبالسفحِ من قَوٍّ مقامٌ ومحتملْ (٧)

---

(١) الريم والريمة الظبية البيضاء ، وقوله صيد غزالها — يقصد طول عنقها " لان ذلك اشد لتشوفها ومد عنقها . والساجي الساكن الفاتر . وتُواغله اى تسارق النظر وتتبع بعضه بعضها .
(٢) غنينا اى أقمنا ولبثنا وسعدنا . والغرير الذى لم يجرب الامور . والباجل الناعم الحسن .
(٣) يجول بنا ونجاوله اى يدور بنا وندور معه . وريحانه اوله .
(٤) الديوان ص ٧٦ .
(٥) شبه النعام وقد رفع من اجنحته بالاماء يحملن حزم الحطب .
(٦) الديوان ص ٩٠ .
(٧) الاجزاع جمع جَزْع وهو منعطف الوادى ، وإِضَم وادٍ ، والسَّفْح موضع ، وقَوٌّ مكان ، أى لها فيهما مكان إقامة وارتحال .

تربعه مرباعها ومصيفها مياه من الأشراف يرمي بها الحجل (١)

ويقول : (٢)

يظل بها عير الفلاة كأنه رقيب يخافي شخصه ويضائله (٣)

وهكذا كان طرفة ، مولعا بآثار صواحبه ، مغرما بالهجرة اليها ، لانها لم تكن في موضع واحد . وكان كلما مر بأثر منها ، ثارت لواعج الشوق في نفسه ، وتاق الى من كان فيه من الصواحب . ومر بخياله ماكان بينه وبينهن في غابر الازمان ، وقبل رحيلهن من هذا المكان . ثم ترجم ذلك في قريض تناقلته الشفاة ووعته الصدور ، وقد رأينا أمثلة له فيما تقدم من سطور .

الغزل

الغزل بمعناه الشامل هو الحديث عن النساء المعشوقات ، سواء أكن من الصواحب والخليلات ، أو كن من الحلائل والازواج . ومن معانيه ايضا محادثة النساء ومراودتهن واللهو معهن ، والنسيب والتشبيب بهن وماالى ذلك .(٤)

غير أن العلماء الذين عرضوا لهذا الموضوع ، قد فرقوا بين الغزل من ناحية ، وبين النسيب والتشبيب من ناحية اخرى . فالغزل هو محادثة النساء

---

(١) انظر شرح هذا البيت في هامش ص ٨ > من هذا البحث .
(٢) الديوان ص ١٢١ .
(٣) العير الحمار الوحشي . ويضائله : يصغره ويحقره . يقصد انها فلاة ذات ظهور وبطون فالعير يبدو فيها مرة ويخفي مرة . فكأنه رقيب ينظر ثم يستخفي حتى لا يشعر به أحد .
(٤) انظر اللسان — غزل ، وشبب ، ونسب .

ومفاكهتهن ، كما يقول ابن دريد فى الجمهرة [١]، او حديث الفتيان والفتيات كما يقول الازهرى فى التهذيب [٢]، وابن فارس فى معجم المقاييس [٣] ، وابن منظور فى اللسان [٤]، او هو اللهو مع النساء ، كما يقول ابن سيده فى المحكم [٥] والتغزل بهن هو التكلف لذلك ، مثلما قالوا .

اما التشبيب فهو ترقيق الشعر بذكر النساء [٦]. وفيه من حرارة العاطفة مافيه كما يتضح من اسمه . فهو كما قال اولئك العلماء — من تشبيب النار وتأريثها . [٧] والنسيب مثله . قال ابن منظور : " والتشبيب النسيب بالنساء "[٨].

ولكن هذه الفروق بين الغزل والنسيب والتشبيب ، لا تعنينا هنا ، فان العلماء متفقون على أن الغزل يشمل هذه جميعا . قال ابن منظور فى اللسان : " وشبَّب بالمرأة قال فيها الغزل والنسيب "[٩].

ولقد شاع الغزل فى الشعر العربى شيوعا واسعا منذ عرف الناس ذلك الشعر وحتى اليوم . فلا تكاد تجد شاعرا يخلو ديوانه من الغزل والنسيب . ولا تكاد تجد شاعرا الا وقال فى التشبيب . ويستوى فى ذلك الشعراء الجاهليون

---

(١) جمهرة اللغة ٣ /١٠ — غزل — .
(٢) تهذيب اللغة ٨ /٤٩ — غزل — .
(٣) معجم مقاييس اللغة ٤ /٤٢٢ — غزل — .
(٤) اللسان — غزل —
(٥) المحكم ٥ /٢٦٤ — غزل —
(٦) انظر تهذيب اللغة ١١ /٢٨٩ — (شبب) — ، واللسان (شبب) .
(٧) انظر المصدرين السابقين — فى نفس الموضعين .
(٨) اللسان (شبب) .
(٩) انظر اللسان (شبب) ايضا .

وغير الجاهليين وهذا أمر طبيعي فان في فطرة الرجل ميلا غريزيا للنساء ، فاذا أتيح له أن يعبر عن تلك الفطرة ، فهو مولع بان يطيل الكلام ، وهو حرى بأن يجيد فيه . اذ أنه يصدر عن عاطفة ولدت معه ، وهي عاطفة حب المرأة والاعجاب بها والميل نحوها .

وكل الناس في ذلك الامر سواء . ولكن الشعراء يمتازون بما وهب لهم الله سبحانه وتعالى من ملكة خاصة ، يعبرون لنا بها عن احساسهم بتلك العاطفة ، بأساليب تختلف عن أساليب بقية الناس .

هذا ، ولقد كان للشعراء الجاهليين ولع خاص بالغزل . وذلك لان العرب قد أَعزُّوا نساءهم واحبوهن ، وأولعوا بحديثهن ومحادثتهن والنظر اليهن والتمتع بالحياة بينهن ومعهن . ولذلك كانوا يجزعون لصدهن او فراقهن او هجرهن .

وقد بدأ الشعراء قصائدهم كما رأينا بالوقوف على اطلالهن ، يتحسرون على ظعنهن ورحيلهن ، ويندبون حظوهم لفراقهن وبعدهن ، ويتذكرون خوالي ايامهم معهن . ثم ينتقلون الى مغازلتهن ، فيشهدونهن على مفاخرهم ومآثرهم وفروسيتهم ومكارمهم ومروءتهم ونجدتهم . وغير ذلك مما يتشوفون به الى اثارة اعجابهن وكسب رضاهن ، ويتوسلون به الى امتلاك قلوبهن ونيل هواهن .

وقد أغرم الشعراء العرب بعامة ، والجاهليون منهم خاصة ، بجمال المرأة بنوعيه الحسي والمعنوى . فالمرأة الى جانب جمالها المحسوس المرئى ، الذى يتصف به جسمها من اشراق وجه ونحول خصر ، وطول قامة وغير ذلك مما يعجب الرجل منها ــ تتمتع بجمال آخر غير جسمي ــ وهو ذلك الجمال المعنوى ــ اذا

جاز لنا التعبير ــ كالنظرات الفاتكات ، واللفتات المشجيات ، والصوت الرخيم والاحاديث الجذابة ، والخطرات الخاصة والبسمات الخلابة . أضف الى ذلك التمنع والعفة والحياء ، وغيرها مما فصل فيه الشعراء .

ولقد كان شاعرنا طرفة من اولئك الغزلين ، الذين أغرموا بجمال المرأة بنوعيه ، وان كان جمالها الحسي هو الذى استأثر بمعظم شعره الغزلي . وليس لطرفة زوج بين النساء اللواتي تغزل بهن ، بل كن كلهن من الصواحب والخليلات . وهو شأن الشعراء الجاهليين أكثرهم ، فقد كانت اكثر معشوقاتهم من الصواحب والخليلات . وشذ عنهم زهير بن ابى سلمى حين قال :(١)

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ (٢)

ومن قبله فعل امرؤ القيس حين قال :(٣)

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِى عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ ... نُقَضِّ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

فقد كانت أم أوفى زوجَ زهير ، كما كانت أم جندب زوجَ امرئ القيس (٤).

هذا وقد كثرت صويحبات طرفة ، وتعدد تخليلاته ، حتى بلغن ستا ، شاع ذكرهن فيما قال أو نسب اليه من شعر . وهن خولة وهرّ ، وسلمى وهند وليلى والرباب . اما الاربع الاول منهن فقد ذُكرن فى القصائد الاساسية ،

---

(١) انظر ديوانه ص ٩ .

(٢) الدمنة هي آثار الدار وما سوّد الحي بالرماد والبعر وغير ذلك . ولم تكلم : يريد أنه سألها عن أهلها توجعا منه وتذكرا فلم تجبه . والحومانة ماغلظ من الارض وانقاد . والدراج والمتثلم موضعان (انظر شرح الاعلم بالمصدر السابق ص ٩) .

(٣) انظر ديوانه ص ٤١ .

(٤) انظر ديوانه ص ٤٠ .

من ديوانه ، وأما ليلى والرباب فلم يذكرن الا فيما نسب اليه من شعر ، وهو المثبت في صلة ديوانه .

وليس في شعر طرفة مايستدل به على نسب صويحباته ، غير اشارات قليلة كان الرواة يستنبطون منها شيئا لا يثبت للتمحيص . فقد ذكر ابن الانباري في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات قال : " قال هشام الكلبي : خولة امرأة من كلب "(١) . ولكن طرفة يلقب خوله بالمالكية . وابن الانباري نفسه يقول : " والمالكية من بنى مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة "(٢) فكيف تكون خولة مرة من كلب ، ومرة من قيس بن ثعلبة ؟ ثم يلقبها طرفة مرة اخرى بالحنظلية . ويقول الاعلم الشنتمرى حينئذ : " والحنظلية من بنى حنظلة بن مالك "(٣).

وبسبب هذا الاختلاف فاننا لا نستطيع أن نجزم بنسب واحدة منهن .. على أن طرفة قد ذكر الاماكن التى كانت تقيم بها صويحباته . ولكننا حتى بذلك لا نستطيع أن نجزم بانتسابهن الى بطن بعينه ، وذلك لتشعب البطون التى كانت تنزل في تلك الاماكن . وكل مايقال في هذا الجانب هو أن بعض صاحباته كن من اقربائه بلاشك وان بعضهن الاخر كن من جيراته ، وفي هذا الكفاية .

وليس نسب صويحبات طرفة من الاهمية بمكان ، ولكن الذى يهمنا هو ماقاله فيهن ، فقد استأثرن ــ كما ذكرنا ــ باغلب اشعاره . وقد تنقل في تلك

---

(١) انظر شرح القصائد السبع الطوال ص ١٣٢ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٣) انظر الديوان ص ٩٣ .

الاشعار كما ذكرنا ايضا ، بين الحديث عن جمال معشوقاته الجسمى ، وجمالهن المعنوى ، تنقلا يدل على خبرة بألوان الجمال التى تعارف عليها الناس فى ذلك الزمان •

فهذه واحدة من خليلاته وهى هر ، ذات سحر جذاب ، وجمال معنوى يأخذ بالالباب • فهى فاترة الطرف لا تنظر الا على استحياء ، وهى مترفة ناعمة تحيا فى بحبوحة من العيش ورغد ورخاء • وهى ايضا ذات صوت جميل فيه رقة وفيه لين ، يقول :(١)

تَخْلِسُ الطرفَ بعينَىْ بُرْغُزٍ ... وبخدَّىْ رشأٍ أَدَمَ غِرْ (٢)

تَحْسَبُ الطرفَ عليها نَجْدَةً ... يالَقَومى للشباب المُسْبَكِرْ (٣)

فَجَعُونى يوم زَمُّوا عِيرَهُمْ ... برخيم الصوتِ ملثوم عُطِرْ (٤)

ولكن هذا الجمال المعنوى عند طرفة ، لم يكن مقصودا لذاته ، اذ أن الهدف من ابرازه فى واحدة من صويحباته ، هو اتمام الصورة التى يرسمها لجمالها الجسمى ، وابراز هذا الجمال وتأكيده ، ولذلك فقد تناثرت تلك الابيات بين وصفه لجسم صاحبته دون أن يخصها بموضع مستقل •

اما الجمال الحسى فقد سار طرفة فيه شوطا بعيدا • حيث إنه لم يكن

---

(١) انظر من الديوان الصفحات ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٩ •
(٢) تخلس الطرف اى تسارق النظر ، والبرغز ولد البقرة • والرشأ الغزال • والغر الغافل لحداثة سنه •
(٣) تحسب الطرف ، اى تعد رفعها طرفها للنظر " نجدة اى شدة •• وذلك لنعمتها ورقتها • والمسبكر التام •• وقوله يالقومى •• لمّا وصفها بالنعمة تعجب من جمالها وعجّب غيره •
(٤) الزَّمُّ التقدم فى السير (انظر معجم مقاييس اللغة ٣/ ٥ ـ زم) ، ويقصد بقوله يوم زموا عيرهم : يوم الرحيل • والرخامة فى الصوت السهولة واللين •

يترك من جسم صاحبته شيئا يستطيع وصفه الا وصفه ، طورا بايجاز واقتضاب واطوارا اخرى بتفصيل واسهاب .

فوجه خولة مثلا جميل جمال الشمس، وكأنه قد أخذ من بهجتها وحسنها ثم انه نقي فتي ، لم يشب لونه مايشينه ، ولم يضطرب جلده او يتغضّن كما لم يسترخ لحمه او يترهل . يقول :(١)

ووجهٍ كأنَّ الشمسَ حلَّتْ رداءَها عليه ، نقيُّ اللونِ لم يَتَخَدَّدِ

غير أن طرفة لا يكتفي بهذا القدر من الحديث عن وجه صاحبته ، ولكنه يفصل الحديث عن اعضائه لتكتمل الصورة ، وتبين أسباب الجمال . يقول :(٢)

وفي الحيِّ أحْوى ينفضُ المَرْدَ شادِنٌ مُظاهِرُ سِمْطَيْ لؤلؤٍ وزَبَرْجَدِ (٣)

وتَبْسِمُ عن ألمَى كأن مُنَوِّراً تخلَّلَ حُرَّ الرمْلِ دِعْصٌ له نَدِ (٤)

فعيناها كحيلتان كعيني الظبي ، وشفتاها تخالطهما الحُوَّة التي تخالط شفتيه ، ولها ثغر جميل اسمر اللثات ، وذلك أظهر لبياضه وصفائه ، كأنه نَوْرُ الأُقحوان .

وكان هذا القدر من وصف اجزاء وجه خولة يكفينا لنتبين شدة جماله ، ولكنه

---

(١) الديوان ص ١١ .
(٢) انظر الديوان ص ٨ ، ٩ .
(٣) الأحوى من الظباء الذى فى شفتيه حمرة تضرب الى السواد ، والانثى حواء . والشادن الذى تحرك وقوي وكاد يستغنى عن أمه . والمرد ثمر الاراك . والمظاهر اللابس واحدا فوق الاخر ، والسمط الخيط من اللؤلؤ "أي العقد"
(٤) الألمى الثغر الاسمر اللثات . والمنور الاقحوان الذى ظهر نَوره . والدعص الكثيب من الرمل . وحر الرمل اوسطه واكرمه . والندى الذى فى اسفله الماء . يقول : ثغرها كالاقحوان المنور الذى ينبت فى كثيب فى اسفله ماء .. واذا كان كذلك تنعم الاقحوان وصفا لونه . فثغرها كذلك .

قد لم يكف طرفة ، فتطرق الى خدها واسنانها وريقها . يقول :(١)

تَخْلِسُ الطَّرْفَ بعينَىْ بُرْغُــزٍ	وبخدَّىْ رَشأٍ آدَم غِــرْ (٢)
بادِنٌ تجْلُو اذا ما ابتسمتْ	عن شتيتٍ كأقاح الرمل غُــرْ (٣)
بدلته الشمسُ من مَنْبِتِــه	بَرَدًا أبيضَ مصقولَ الأُشُــرْ (٤)
واذا تضحك تُبْدِى حَبَبًــا	كرُضَابِ المسك بالماءِ الخَصِرْ (٥)

فعيناها حوراوان كعينى ولد البقرة ، شديدتا سواد السواد ، وشديدتا بيــاض البياض . وخداها اسيلان كخدى الغزال الفتى . وثغرها شتيت اى متفرق الاسنان أبيض رقيق صاف كنور الاقحوان . وأسنانها كالبرد لونا وجمالا . وهن يضفيــن على ابتسامتها بهجة يشيع معها السرور فى قلب المتيم المعمود . اما ريقهــا فمثل الماء البارد وقد مزج به رضاب المسك ، فبالطعمه . وبالطيبه . فماذا بعد ؟

لقد سبى طرفة من معشوقاته جمال أعناقهن ، كما سبته شعورهــن ونحورهن ، يقول :(٦)

وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن	مُظاهر سِمْطَىْ لؤلؤ وزبرجد (٧)
خَذُولٌ تُرَاعِى رَبْرَبًا بخميلــةٍ	تناولُ اطرافَ البَرير وترتَدِى (٨)

---

(١) الديوان ص٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ .
(٢) انظر شرحه ص٢٩٣ من هذا البحث .
(٣) انظـر شرحـه ص ١٤ من هذا البحث
(٤) الاشر تحزيز فى اطراف الاسنان . والبيت يشير الى مايفعله الصبيان حيـن تتخلع اسنانهم فيطلبون من الشمس ابدالهم اياها بأحسن منها واجمل .
(٥) الحبب طرائق الريق ، وهو كناية عن كثرته .. ورضاب المسك قطعه .. والخصر البارد .
(٦) انظر الديوان ص٨ ، ٩ .
(٧) انظر شرحه فى هامش ص ٢٩٤
(٨) الخذول التى خذلت صواحبها واقامت على ولدها . والربرب القطيع من بقر =

فهي كالظبي في طول عنقه ، وهو يمده فينفض بروقيه ثمر الاراك • وهي كالظبية في ذلك ايضا ، وهي تمد عنقها لتتناول أطراف الاغصان ، ولكن صاحبة طرفة يزيد جمال عنقها عن اعناق الظباء بما لبسته من لئالىء وعقود •

واما الشَّعَرُ في اولئك الفتيات ، فهو كثيف ملتف كثير الاصول ، ينسدل على ظهورهن متماوجا في امتداد وطول ، يقول :(١)

وعلى المَتْنَيْنِ مِنْهَا وَارِدٌ حَسَنُ النَّبْتِ أثِيثٌ مُسْبَكِرّْ(٢)

فهل اكتفى طرفة بوصف وجوه معشوقاته ، بما فيها من أجزاء كالعيون والشفاه والثغور والاسنان والخدود ؟ وهل أشبع نهمَه بالجمال الحسي ، وصفُه لنحورهن وشعورهن واعناقهن ؟ ام تعدى تلك الحدود ؟ لقد ذهب طرفة الى أبعد من ذلك بكثير ، حين أتى بوصفه كذلك على الارداف والبطون والخصور ، يقول :(٣)

ولَها كَشْحَا مَهَاةٍ مُطْفِلٍ تَقْتَرِي بالرمل أفنانَ الزَّهَرْ(٤)

واذا قامت تَدَاعى قَاصِفٌ مالَ مِنْ أعْلَى كَثِيبٍ مُنْقَعِرْ

فخاصرتاها كخاصرتي البقرة الوحشية ، في طيهما واستوائهما وضمورهما • وخص المطفل لانها لم تحمل بعد ، فيمتلىء كشحاها • اذ الحمل هو سبب الامتلاء أو هو الامتلاء نفسه •وخصها كذلك لحنوها الشديد ، وكأنه يشبه حنو صاحبته عليه ، بحنو المهاة على طفلها •

= الوحش • وتراعيه اي تراقبه وتشرئب بعنقها اليه لئلا يبعد عنها • والبرير ثمر الاراك • وترتدى اي تتهدل الاغصان عليها فتصبح لها كالرداء •

(١) الديوان ص ٥٤ •

(٢) المتنان ما اكتنف الصلب من اللحم • والوارد الشعر المنسدل الساقط على المتنين ، وسمي واردا لانه ورد العجيزة • والاثيث الملتف الكثير الاصول والمسبكر الممتد الطويل •

(٣) انظر الديوان ص ٥٢ ، ٥٨ •

(٤) الكشح الخصر ، والمهاة البقرة الوحشية ، وخص المطفل لانها انفردت به =

وهى كذلك ذات أرداف ممتلئات لينات ، فاذا تحركت كانت مثل كثيب الرمل الذى يكاد ينهال من نعومته ولينه .

وطرفة معجب ببطون صواحبه وخصورهن ، ومعجب كذلك بمن لم تحمل منهن . ولذلك فانه يكرر هذا المعنى كلما سنحت له الفرصة . يقول :(١)

لَهَا كَبِدٌ مَلْسَاءُ ذَاتُ أَسِرَّةٍ   وَكَشْحَانِ لَمْ يَنْقُصْ طَوَاءَهُمَا الحَبَلْ

فهى خميصة البطن ضامرة الخصر ، ناعمة الجسد رشيقة . وهى كذلك ناعمة العضدين ، يزينهما الحلى ، لينة الساقين ، تحليهما الخلاخيل . وباختصار فان كل مافى جسمها ساحر جذاب .

فاذا صَوَّرَ طرفة من وصف جمال معشوقاته ، أخذ يتحدث عن أشياء أخر . ذكرنا بعضها فى أول حديثنا ، ونود أن نستوفيها هاهنا . فصاحباته كلهن جميلات منعمات ، لا يهتممن بخدمة ولا بتربية ولد ، وذلك ادل على نعمتهن وجمالهن . يقول :(٢)

لَا تَلُمْنِي انَّهَا من نِسْوَةٍ   رُقُدِ الصَّيفِ مَقَالِيتَ نُزُرْ

فهن مكفيات الخدمة ، نئومات الصيف ، واكثر التصرف والعمل يكون فيه ، ونومهن فى الشتاء أولى . وهن كذلك مقاليت نزر ، اى قليلات الولد ، لا يهتممن بشئون تربية او رضاعة . وذلك أصلح لهن وأتم لنعمتهن .

وقد بالغ طرفة فى وصف نعمة صواحبه ورقتهن ودلالهن ، حتى جعل رفع الواحدة منهن لطرفها ، وتحريكها لعينيها للنظر ــ شدة وبأسا لا تكاد تطيقها . يقول :(٣)

= وحنت عليه فهو أبين لحسنها منها اذا كانت فى قطيعها . وتقترى أفنان الزهر اى تتبعها وترعى زهرها وورقها وماغض من أطرافها .

(١) الديوان ص ٩١ .

(٢) الديوان ص ٥٨ .

(٣) الديوان ص ٥٤ .

تحسَبُ الطرفَ عليها نجدةً   ياالقومى للشباب المُسبكِـــرْ

وهن كذلك ذوات حياء وتمنع وخفر ، وان تمتع هو بوصالهن ، فان غيره لا أمل له فى ذلك ، فهن يحببنه وحسب ، ودونهن حراسات شديدة ، ومسافات بعيدة . يقول :(١)

واذ هى مثل الريم صيد غزالُها   لها نظر ساج اليك تُواغلُـــهْ

وكم دونَ سَلْمى من عدوٍّ وبلْـدَةٍ   يَحَارُ بِهَا الهَادِى الخفيفُ ذَلاذِلُهْ (٢)

فسلمى ولهانة به وحده ، تتشوف للقائه ، كالظبية التى صيد ولدها . على انها ذات حياء لا ترفع طرفها الساجى الساكن الفاتر بوضوح ، ولكنها تسارق النظر مسارقة . اما الحراسات التى دونها ، فهى أشد على زائرها من العدو وأخطر ، هذا اذا تمكن الزائر من تخطى العقبات ، واجتياز المسافات ، التى لا يكاد يجتازها الدليل الخفيف النشيط السريع .

أما تمنعها ودلالها بعد أن تمتعه بنوالها حقيقة أو خيالا ، فهو تمنع شديد الوقع عليه ، يجعل النهار مظلما فى عينيه يقول :(٣)

فَلَهُ منها على أَحْيانِهَـــا   صَفْوةُ الراحِ بِملْذُوذٍ خَصِـرْ(٤)

إِنْ تنوِّلْه فقد تَمنَعُـــهُ   وتُرِيه النَّجْمَ يجرى بالظُّهُرْ

وطرفة فى هذا يوائم ماتعارف عليه العرب منذ القديم ، وهو التعلق بالمرأة المتمنعة ، والولع بها . وهجر المتبذلة والبعد عنها . فكانوا كلما اشتد تمنعها

---

(١) الديوان ص ١١٩ ، ١٢١ .

(٢) يحاربها الهادى اى لا يهتدى لطريقها والخلاص منها . والخفيف ذلاذله : يقال لمن رفع ذيله : خفت ذلاذله . اى شمر وأسرع .

(٣) الديوان ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) له منها على أحيانها أى كل حين . غدوة وعشية ونصف النهار . وصفوة الراح : ما صفا من الخمر . والملذوذ اللذيذ والخصر البارد .

عليهم ، اشتد ولعهم بها ، ورغبتهم فيها . قال سُلَيك بن السُّلَكة :(١)

يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذْلِ قَلْبِي   وأَتَّبِعُ المُمنعَةَ النَّوَارَا(٢)

ولا يفوت طرفة أن يطلعنا على ماكان يصيبه من فراق معشوقاته من ألوان الولـه والجزع والفجيعة التي قد تصل الى حد الجنون . يقول :(٣)

أصحوت اليوم أم شاقتـك هـر   ومن الحب جنونٌ مُسْتَعِـرْ(٤)

لا يكنْ حُبُّـكِ داءً قاتـلاً   ليس هذا منكِ ماوِيَّ بِحُـرْ

هكذا وبغير مواربة ، يعلن طرفة ان عقله قد غاب عنه . وقد غيبه الشوق لهـرّ ، فقد استخفته ذكراها ، وهيجه حبها ، فذهبا بعقله كله . وهو أمر بديهـى في رأيه . فمن الحب جنون مستعر ، جنون غير عادى ، جنون شديد بالـغ ، يلتهب التهاب النار .

وانظر الى طرفة المعتد بنفسه ، الذى لا يصرع الا الابطال ، ولا يعـادى الا مغاوير الرجال ، كيف يتمنى على فتاته ألا تقتله بهجرها ، وألا تصرعـه بفراقها . بل لقد اعترف بضياع عقله ، وفساده كله ، دون أن يخشـى معرة او يهتم بلوم ، يقول :(٥)

وقدْ ذهبتْ سَلْمَى بعقلك كلِّـهِ   فهل غيرُ صيدٍ احْرزتهُ حبائِلُـهْ (٦)

كما أحرزت أسماءُ قلبَ مُرَقِّـشٍ   بحبٍّ كلمعِ البَرْقِ لاحَتْ مَخايِلُـهْ (٧)

---

(١) انظر الاغانى ــ دار الكتب ــ ٤/٣٦٤ .

(٢) نار ينور اى نفر ، وامرأة نوار اى عفيفة ، تنور من القبيح اى تنفر منه . والجمع نُورٌ والمصدر نَوْرٌ ونَوار . والا سم النِّوار بالكسر . انظر معجم مقاييس اللغـة ٥/٣٦٨ ــ نور ــ .

(٣) الديوان ص ٥٠ .

(٤) شاقتك اى هيجتك واستخفتك واخذك الشوق لها . ومستعر مفرط مجاوز للقدر ملتهب .

(٥) الديوان ص ١٢٢ ، ١٢٤ .

(٦) اى هل انت غير صيد صيد فنشب في حبائل الصائد ؟

(٧) هو مرقش الاكبر اخو جسدٌ طرفة الثانى . واسماء ابنة عم مرقش هـذا وقد =

فوجدى بسلمى مثلُ وجد مرقش   باسماء اذ لا تستفيق عواذلـــهْ (١)

قضى نحبَه وجْدًا عليها مرقـشٌ   وعُلِّقْتُ من سلمى خَبالاً أُماطِلُـهْ (٢)

ياسبحان الله . أهكذا يفعل الحب بالمحبين ؟ والى هذا الدرك ينزل العشق بالعاشقين ؟ طرفة الذى تتغير قسماتُ وجه المرء عجبا ، ويشتد وجيـبُ (٣) قلبه طربا ، ويفور دمه حماسة وهو يقرأ قوله :(٤)

وأَنا امرؤٌ أكْوِى من القَصَرِ البَادِى ، وأَغْشَى الدَّهْمَ بالدَّهـْـمِ (٥)

وأُصِيْبُ شَاكِلَةَ الرَّمِيَّـةِ إِذْ   صَدَّتْ بِصَفْحَتِهَا عن السَّهْـمِ (٦)

وأُجِرُّ ذا الكَفَلِ القَنَاةَ علَـى   أَنْسَائِـهِ فيظَـلُّ يَسْتَدْمِـى (٧)

فهو الفتى الجرىء على الرجال ، الخبير بمواطن الطعن القاتلة ، خبرته باساليب القتال ، الذى لا يحمل ضيما ، ولا يقبل اساءة . طرفة الذى ذاك شأنه ، يتهاوى هكذا امام معشوقاته ، فلا تكاد تحمله رجلاه ، وتفجعه المصيبة لفراقهـن ، فتهل بالدمع عيناه . طرفة الذى يقول لنفسه اذا اشتد القتال ، وتعانـق الابطال : " فاصْبِرى انَّكِ منْ قَوْمٍ صُبُرٌ "(٨)، لا يملك لنفسه صبرا على فـراق معشوقته ، فتراه يلجأ للبكاء تارة ، ويلجأ للشكاة اخرى . يقول :(٩)

= تعشقها وتزوجت غيره . فمات وجدا عليها . ولاحت مخايله اى ظهرت دلائل هذا البرق على المطر . فحبها كالبرق الصادق .

(٢) النحب الموت ، والوجد الحزن ، والخبال فساد العقل . وأُماطله أطاوله .

(٣) الوجيب اضطراب القلب ، وكذلك الوجَبان (اللسان ـ وجب)

(٤) الديوان ص٩٥ ، ٩٦ .

(٥) القصر (كالقمر) داء يصيب القصرة (كالشجرة) وهى اصل العنق وماغلظ منه (معجم مقاييس اللغة ٥/٩٨ ـ قصر ـ) ، والكى دواؤه . واراد بالقصر الشر والفساد وبالكى الرد على ذلك .

(٦) انظر شرحه ص ١٥٤ من هذا البحث .

(٧) انظر شرحه كذلك ص١٥٤ من هذا البحث .

(٨) الديوان ص٦٠ .

(٩) الديوان ص٩٢ .

إذا قلتُ هل يسلو اللبانةَ عاشِقٌ   تمرُ شئونُ الحبِّ من خولةَ الأُوَلُ(١)

فياعجبا كل العجب ، لذلك الولهان الذى يتحاشاه الرجال لجرأته عليهم ، ويهابه الابطال لشدته وبأسه ، "ولكنْ نفى عنّى الرِّجالَ جراءتى " (٢) ، ولكنه لا يقوى على سلو خولة او نسيانها ، وأنّى له السلو والنسيان ، ولحبها عليه سلطان واى سلطان .

لقد كان حب احداهن اذا اصابه ، استكن فى قلبه ووتن(٣) ، وأصابه بنصب شديد وعناء قوى . ولذلك لم يكن يرجو برءا أو يأمل شفاء يقول :(٤)

كيف أرْجُو حبَّها من بعدما   علِقَ القلبُ بنَصْبٍ مُسْتَسِرْ (٥)

فاذا هجرته احداهن وغابت ، أسِيَتْ (٦) نفسه لفراقها وذابت . واستزار خيالها فلعله يخفف به لوعته ، ويقضى منه لبانته . يقول :(٧)

أرّقَ العينَ خيالٌ لم يَقِرْ   طافَ والركبُ بصحراءِ يُسُرْ
جازتْ البيدَ الى أرْحُلِنَا   آخر الليل بيَعْفُورٍ خَدِرْ(٨)
ثم زارتنى وصحبى هُجَّعٌ   فى خليطٍ بين بُرْدٍ ونَمِرْ(٩)

---

(١) السلو ان تطيب النفس بترك الشىء . واللبانة الحاجة (معجم مقاييس اللغة ٥/ ٢٣٢ — لبن —) وتمر تشتد وتقوى . والشئون الامور . يقول اذا رمت السلو عما انا فيه تجدد ماقدم من حبها واشتد (انظر شرح الاعلم للديوان ص٩٢) .   (٢) الديوان ص ٤٧
(٣) وتن اى أقام فيه ولازمه . ومنه الوتين وهو عرق ملازم للقلب (اللسان وتن)
(٤) الديوان ص ٥١ .
(٥) قوله كيف ارجو حبها اى كيف ارجو اقلاع حبها عنى . وقد علق القلب منه بنصب والنصب (كالبدر) العذاب والشدة . والمستسر المكتتم الداخل فى القلب .
(٦) اسى (كنسى) اى حزن (اللسان أسى) .
(٧) الديوان ص٥١ ، ٥٢ .
(٨) جازت البيد يعنى خيالها وانثه لتأنيثها فهو يتحدث عن الخيال ويقصد صاحبة الخيال . واليعفور الظبى تعلوه حمرة . والخدر الفاتر العظام البطئ عند القيام .
(٩) هجع نيام جمع هاجع . وبرد ونمر ضرب من الثياب إماله وإمالها .

على أن الطبع غلاب – كما يقولون – ، فقد كان طرفة حتى في تلك المواقف ، يحن الى فطرته ، ويرجع الى طبيعته ، ويعود الى اعتزازه بشخصه واعتداده بنفسه ، فتبدر منه فلتات لسان ، بين حين وآخر ، تذكرنا بذلك فيه يقول :[1]

وإذا تلسُنُني ألسُنَها ... انني لستُ بموهُونٍ فَقِرْ[2]

لا كبيرٌ دالفٌ من هَرَمٍ ... أرهبُ الليلَ ، ولا كَلُّ الظُّفُرْ[3]

فها هو ذا يعود الى طبعه ، ويرجع الى حقيقته .. وينطلق كعادته ، فتى منتصرا لنفسه ، لا يقبل ضيما من أحد ، حتى من أحب الناس اليه . ولذلك يرد الاساءة بالاساءة ، حتى وان جاءت من أعز الناس عليه . فها هو ذا لا يسمح لهرّ صاحبته ، بأن تلسنه وتفخر عليه ، حتى وان غيّب حبُّها عقلَه ، وأصابه بلمسات الجنون ، وفجعته برحيلها ، وكادت تورده المنون .

ولقد أخذ الباحثون على طرفة – فيما أخذوا – هذا الموقف في الغزل فقد نقل المرزباني في الموشح عن الاصمعي قوله : " لم يكن طرفة يحسن أن يتعشق " .[4] غير أن ذلك ليس كذلك . فهو بهذا الموقف أقرب الى العشق الصحيح . فان لمرأة لا تعشق في الرجل شيئا عشقها لرجولته وفتوته

---

(١) الديوان ص ٦٠ .

(٢) الموهون الضعيف من الوهن (كالبدر) وهو الضعف . وهو من باب ضرب تقول وهن يهن وها اى ضعف . كضرب يضرب ضربا . (انظر معجم مقاييس اللغة ٦/١٤٩ – وهن –) . والفقر الضعيف الفقار . كناية عن ضعف النفس واحتمال الذل .

(٣) الدالف الذي يقارب الخطو في مداركه وسرعة . وهو مشى الشيخ الضعيف . وقوله ارهب الليل اراد اهل الليل . وعنى بالظفر السلاح . اى هو كامل السلاح حديده (انظر شرح الاعلم لهذا البيت – الديوان ص ٦٠) .

(٤) الموشح للمرزباني – بتحقيق البجاوى – ص ٧٧ .

وقوته • وهل فعل طرفة فى هذا الموقف غير أن استعرض امامها رجولته وقوتـه وفتوتـه •

لقد ترفعت عليه ، ونالت منه بلسانها ، فبين لها اباءه للضيم ورفضه للاساءة ولماذا يقبل منها ذلك • وهو شاب فتي الجسم شديده ، كامل السلاح حديده • لا يرهب الليل وأهله ، وهو بالنهار ومن فيه ابعد عن الرهبة•

وهكذا كانت تبدر من طرفة بوادر كهذه ، تنم عما تأصل فى نفسه من اعتداد بها واعتزاز • فهو وان شفه وجد هن ، وبرح به عشقهن — حتى اصابه بداء لا يرتجى منه شفاء • الا انه لا يسمح لواحدة منهن بأن تهينه او تتعالى عليه والا ردها بأسلحة لا تطيقها ، كأن يسكتها بلسانه — كما رأينا — او يثير غيرتها لتنكب عليه ، وتلقى بأسلحتها بين يديه • يقول :(١)

تُعَيِّرُنِي طَوْفَ البِلادِ وَرِحْلَتِي ... أَلَا رُبَّ دَارٍ لِي سِوَى حُرِّ دَارِكِ

انه خبير بما يثير غيرتهن ، فيلوى اعناقهن • فالمرأة قد تصبر على كثير من أذى رجلها ، فتكتم عنه غيظها وتتدلل عليه • الا أن يعشق غيرها ، فانها لا تطيق على ذلك صبرا •

ومن ذلك الجانب كان طرفة يأتى صويحباته ، كلما تدللت عليه احداهن او فكرت فى التعالى عليه واحدة منهن •

ثم يعلن طرفة انه رجل صريح عملى ، وأن رأيه فى هذه الامور واضح جلى • فهو لا يتشبث بالمنى ، ولا يتعلل بالامال • ولذا فلا يقبل من صاحبته الا أن تبادله ودا بود ، ووصالا بوصال • يقول :(٢)

---

(١) الديوان ص٨٧ •
(٢) الديوان ص٩٢ •

فَقُلْ لخيالِ الحنظليةِ ينقلبْ   اليها فانى واصلُ حَبْلَ من وَصَلْ (١)

اما أن يكون الحب من جانب واحد فلا يرضى طرفة ولا يوائم مذهبه . واما أن يصلها ولا تصله ، فلا يلائمه ذلك ولا يعجبه ، بل يثيره — كما رأينا — ويغضبه . ولو أنه أدرك جميلا وهو يقول :(٢)

ولَسْتُ وان عَزَّتْ عليَّ بقائلٍ   لها بَعْدَ صُرْمٍ يابثين صِلينى (٣)

أو سمعه وهو يقول :(٤)

فأفنيتُ عيشِى بانتظارى نوالَهــا   وأبلتْ بذاك الدَّهْرَ وهو جديـدُ (٥)

أو سمع كُثيِّراً وهو يقول :(٦)

فوالله ماقاربتُ إلاَّ تباعـدتْ   بصُرْمٍ ولا اكثرتُ إلاَّ أقلَّـــتِ
أَسِيئِى بنا او أَحْسِنِى لا ملُومــةً   لَدينا ولا مَقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّـتِ (٧)

أقول لو أن طرفة ادركهما وهما يقولان ذلك ، لضحك عليهما ، وسخر منهما ، واعرض عنهما . اذ لا يعجبه ماذهبا اليه ، ولا يقبل مايقبلانه ولا يصبر على ماصبرا عليه .

---

(١) أى قل لخيالها فليرجع اليها فانى أصل حبل من وصلنى بنفسه وبدنه . فاما بخياله فلا .
(٢) أمالى القالى ١/ ٢٠٤
(٣) عزت اى اشتدت وبخلت وقل عطاؤها فهى عزوز (كجزور) والجمع عزز (كجزر) — (انظر معجم مقاييس اللغة ٤ / ٣٨ — عز) . والصرم (كالظلم) : القطع — والهجر .
(٤) أمالى القالى ١/ ٢٧٢ .
(٥) جديد اى متجدد لا يفنى ، ولا تأتى عليه الايام ولذلك سمى الليل والنهار الجديدين (انظر معجم مقاييس اللغة ١/ ٤٠٩ — جد) .
(٦) انظر ديوانه ص ١٠٠ ، ١٠١ .
(٧) اسيئى بنا أى قولى ما أسواه وما أقبحه . واحسنى قولى ما أحسنه وما أملحه والقلى (بالكسر والقصر) والقلاء (بالفتح والمد) البغض والكره . تقول قلاه يقليه . وتقلى اى تبغض . وقوله إن تقلت انتقال من الخطاب الى الغيبة واصله إن تقليت .

ذلك هو طرفة بن العبد اذا تغزل ، فهو مولع بالجمال بنوعيه المعنوى والحسى ، وهو بالجمال الحسى أشدُّ ولعا ، ثم هو مغرم بالترف والنعمة والثراء ، ولذلك فلاتجد بين صويحباته غير الجميلة المترفة الناعمة بالرغم مما كان فيه هو من الفقر اذا قيس باقرانه ،

وهو مولع بتفصيل الحديث فى أوصافهن ، وذكر ماكان يحظى به من متعة وسعادة معهن ، ثم هو لا يجد حرجا فى نشر ماكان يعانيه لفراقهن من اللوعة والفجيعة والجزع الشديد ، الذى قد يودى بعقله ، فيظل كالمجنون ،

ثم هو بين هذا وذاك قد يفلت من لسانه ماينم عن طبعه ومذهبه فى الحياة ، من اعتداد بنفسه واعتزاز بشخصه ، اعتدادا لا يغيّبه ماكان يعتريه بين الغوانى من وله وتعلق وهيام ، واعتزازا لا يشوبه ماكان يعانيه من العشق والغرام ،

فهل بعد هذا العشق الذى رأيناه ، يقول الاصمعى — رحمه الله — " لم يكن طرفة يحسن أن يتعشق " (١)؟

على أن قول الاصمعى هذا ، قد يصدق على طرفة من جانبين ، اولهما أنه كان يغلّب الملموس من جمال المرأة ، على النواحى الاخرى من جمالها ، وثانيهما انه كان لا يهتم الا بما يحظى به من نوالها ،

والحقيقة ان غزل طرفة مما يعاب عليه كله ، وذلك لأنه تنقل بين اكثر من فتاة ، بدافع من هابط الشهوات وساقط الاهواء ، ثم لأنه أسف وهو يصف جسومهن لا يمنعه خلق ولا يردعه حياء ،

---

(١) انظر ص ٣٠٢ من هذا البحث ،

وكأنه كان يتمثل قول القائل :(١)

خَلَعْتُ عِذَارِي جَامِحًا مَا يَرُدُّنِي عَنِ البِيضِ أَمْثَالِ الدُّمَى زَجْرُ زَاجِرِ

فبئس هذا السبيل ، الذى كان ينتهجه فى ذلك الزمان ، ثلة من الفتيان اللاهين العابثين . وبون شاسع بينه وبين النهج ، الذى كان يسلكه من فتيان العرب ، الكرامُ المتحفظون ، الذين يمثلهم عنترة بن عمرو بن شداد فى قوله :(٢)

وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا

إِنِّي امْرُؤٌ سَمْحُ الخَلِيقَةِ مَاجِدٌ لا أُتْبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا

أَلاَ إِنَّ أُولئك هُمُ الرِّجال .

* * *

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ٤٧٦/١ ـ جمح ـ بدون نسبة . ، والبيت كذلك بدون نسبة فى اللسان ـ جمح ـ .

(٢) انظر ديوان عنترة ص ٨٦ .

الوصف

" الوصف من الفنون البارزة التى برع فيها الشعراء الجاهليون "[1]. فقد سبتهم صحراؤهم التى عاشوا فيها ، فأكبوا على تضاريسها وأطلالها وحيوانها ومناخها " فرسموا من ذلك لوحات ناطقة بالفن الاصيل "[2]. وأغنوا تراثنا بما قالوه فيها من الشعر الجميل .

وكان للحيوان ــ كما سبق أن ذكرنا ــ أثره فى نفوسهم ، لارتباطهم به وحاجتهم اليه ، ولذلك فقد أكثروا من الحديث عنه . يصفون جسومه وطباعه ، وحركاته وسكناته . وصلتهم به وحبهم له . وكانت اكثر صلاتهم بالابل والخيل ، فبرز ذلك واضحا ــ ايضا ــ عندهم .

وكان طرفة أحد أولئك لشعراء الذين اشتهروا بالوصف ، وبرزوا فيه . وهو وان كان قد تناول مختلف الحيوان وبعض الادوات والظواهر الطبيعية ، بيد أن وصف ناقته هو الذى غلب على وصفه فاشتهر به . فقد فصل الحديث فيه ، وتناوله من أغلب نواحيه . اما وصفه لغير ناقته من الحيوان او غير الحيوان ، فلم يكن مقصودا ، وانما كان يأتى عرضا فى بعض أبياته . فقد وصف الخيل ، وأسلحة القتال ، ودماء الابطال ، كما وصف الصحراء المترامية الموحشة ، ومافيها من أنواع الحيوان والنبات ، ومايهب عليها من رياح او يهطل عليها من أمطار ، كما تحدث عن وديانها وفلواتها وتلالها ومافيها من مواطن اقامة القوم ، أو ماخلفوه من أطلال أو رسوم أو آثار .

---

(١) الشعر الجاهلى ــ للدكتور يحيى جبورى ــ ص ٢٤٩ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٩ ايضا .

ولكن ذلك الوصف كان يأتي عرضا ، أثناء حديثه عن موضوع من الموضوعات كما كان يأتي موجزا في بيت أو عدة من الابيات . اما الناقة فقد تخصص في وصفها — ان جاز هذا القول . ولم يكد يترك من أمورها شاردة ولا واردة الا فصل الحديث فيها . حتى قال الباحثون : " ولم يقف أحد عند وصف الناقة وقفة طويلة متأملة مثل طرفة في معلقته "(١)

ولذلك فقد كان لزاما علينا أن نبدأ في دراستنا لوصف طرفة بالحديث عن تلك الناقة يقول :(٢)

واني لأُمضي الهَمَّ عند احتضاره	بعَوْجاءَ مِرْقالٍ تروحُ وتغتَدي (٣)
أَمونٍ كالواح الإِرانِ نسأْتُها	على لاحبٍ كأنه ظهرُ بُرْجُدِ (٤)
تُباري عتاقا ناجياتٍ وأتبعتْ	وظيفًا وظيفا فوق مَوْرٍ مُعَبَّدِ (٥)
كَقَنْطَرةِ الرُّوميِّ أقسم ربُّها	لتكتنفنْ حتى تُشادَ بِقَرْمَدِ (٦)
جنوحٌ ، دُفاقٌ عَنْدَلٌ ثم أُفْرِعت	لها كتفاها في مُعالىً مُصَعَّدِ (٧)

فناقته بشكل عام ضامرة سريعة جريئة ، قد لحق ظهرها ببطنها فاعوج شخصها ، لاعتيادها السفر ، ومضائها فيه وصبرها عليه . وهي سريعة تنفض رأسها في سيرها بين الحين والحين ، فتزيد سرعتها وتشتد وهي قوية تصل

---

(١) نفس المصدر ص ٢٥٠ .
(٢) الديوان ص ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ .
(٣) انظر شرح هذا البيت في هامش ص ؟؟ من هذا البحث .
(٤) انظر شرح هذا البيت في هامش ص ؟؟ من هذا البحث ايضا .
(٥) انظر شرح هذا البيت في هامش ص ؟؟ من هذا البحث .
(٦) شبهها بالقنطرة في انتفاخ جوفها . وخص الرومي لاتقانه في صنع القناطر وبنائها . وتشاد اي ترفع او تجصص . والقرمد الآجر واحدته قرمدة . وهو فارسي معرب (انظر شرح الاعلم لهذا البيت — الديوان ص ١٨ — ١٩) . وتكتنفن أي تحكم اكنافها وهي نواحيها .
(٧) الجنوح التي تجنح في سيرها نشاطا وسرعة . والدفاق (كالبساط والبراق)=

آخر النهار بأوله في السير ، صامدة لا يكسرها سير العشية أن تبدأ الغـــداة بسير آخر نشيط . وهي كذلك موثقة الخلق شديدة ضخمة يؤمن عثارها . وكأنها في شدة خلقها وقوة عظامهـا التابوت أو القنطرة . وهي تشبه في سيرها الابل العتاق الناجيات ، الكرام السراع . ولها من ضروب سير الابل أسرعها وهـــو المناقلة أو النقال . وهو أن تضع وظيف رجلها موضع وظيف يدها .

وهي باختصار الى جانب ضخامتها وارتفاعها واشرافها ، تجنح في سيرهـــا اى تميل فيه حيوية وسرعة ونشاطا ، وتتدفق فيه اندفاقا .

أرأيت كيف أن طرفة لا يترك صفة من الصفات التي تدل على القوة والنشـــاط والحيوية والسرعة والشدة والصبر والامان ، الا ورمى بها ناقته . ولكنه ايضـــا لم يكتف بهذا .. بل راح يفصل القول في كل عضو من اعضائها ، ويتحدث لنـــا عن كل جزء من اجزاء جسمها . فذكر جمجمتها ورأسها ، ومشافرها وأنفهـــا ، وعينيها وخدها ، وأذنيها وعنقها ، وصدرها وظهرها ، وكتفيها وذراعيهـــا ، ومرفقيها وفخذيها وخفيها ، وضرتها وذيلها .. وغير ذلك . حتى لقد دخل الى جوفها ووصف لنا قلبها ، وذلك لارتباطه هو الاخر بنشاطها وقوتها .

وطرفة يذكر كل ذلك باستقصاء عجيب ، وتفصيل غريب . غير عابئ بترتيـــب الاعضاء كما ركبت في جسمها ، ولكنه يغوص عليها حسبما اتفق ، وهمه الاجادة لا الترتيب . اما نحن فلن نبدأ كما بدأ بذيلها وضرتها ، ولكننا سنبدأ برأسهـــا وجمجمتها .

= التي تندفق في سيرها وافرعت اى علوليت كتفاها وأشرفتا . وفي معالى مصعـــد اى مع ظهر عال مرتفع الى فوق .

أما رأسها فضخم قوى اذا أومأت به الى الارض ازدادت سرعة ونشاطـــا ، يقول :(١) " مَتَى تُرجِمْ بِهِ الأَرْضَ تَزْدَدِ " ، وجمجمتها صلبة قوية ، كأنهـــا فى صلابتها سندان الحداد . وملتقى قبائل رأسها شاخصة ناتئة ، كحـــرف المبرد . وذلك أشد لرأسها ، وأصلب لجمجمتها ، يقول (٢) :

وجُمْجُمَةٌ مِثْلُ العَلَاةِ كأنمـــا ... وَعَى المُلْتَقَى مِنْهَا إلى حَرْفِ مِبْرَدِ (٣)

واما مشفرها فمشقوق من شفتها العليا فهو أعلم ، قال ابن الانبارى: " وكل الابل عُلْمٌ "(٤) . وهو مارن عتيق اى لين وجيد ، وهو كذلك طويل ، قال الاعلم الشنتمرى " وذلك مما تمدح به "(٥)، اذ أن كرائم الابل مشافرها طـوال . وأنفها مخروت هو الاخراى مشقوق . وخدها أسيل جميل ابيض لا شعر فيـــه ، وكأنه صفحة القرطاس ، يقول :(٦)

وأَعْلَمُ مَخْرُوتٌ من الأَنْفِ مَـــارِنٌ ... عتيقٌ ، مَتَى تَرْجُمْ بِهِ الارضَ تَزْدَدِ (٧)

وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشَّآمِي ومِشْفَـــرٌ ... كَسِبْتِ اليَمَانِي ، قِدُّهُ لم يُجَرَّدِ (٨)

---

(١) الديوان ص ٢٦ .
(٢) الديوان ص ٢٢ .
(٣) العلاة السندان لتى يضرب عليها الحداد حديده . ووعى أى انضم .
(٤) شرح القصائد السبع الطوال ص ١٨٠ .
(٥) الديوان ص ٢٣ .
(٦) الديوان ص ٢٣ ، ٢٦ .
(٧) الاعلم المشقوق ، والمخروت المثقوب ، اذ الخرت (كالضرب والحزن) هـو ثقب الابرة (انظر معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٧٥ ـ خرت ـ) ، والمـــارن اللين . والعتيق الجيد .
(٨) شبه بياض خدها وخلوه من الشعر بصفحة الكراسة البيضاء الملســـاء الخالية من الكتابة . والمشفر للبعير مثل الشفة للانسان ، والسِّبْـــت جلود البقر المدبوغة التى تصنع منها النعال . وخص اليمانى لانهم ملوك ونعالهم أحسن النعال . ولم يجرد اى لم يلق عنه الشعر وذلك أليـــن له . يشبه مسافرها بالنعال فى طولها .

وأما عيناها فهما كالمرآة في صفائهما ونقائهما واتساعهما وهما غائرتان وبذلك توصف النجائب من الابل . وتحيط بهما عظام صلبة كصخور الماء ، وصخور الماء أشد من غيرها وأصلب . (١) وهما صحيحتان خاليتان من العُوّار والقذى ، اى لا رمد فيهما ولا أوساخ . وهما كحيلتان وحادتان تشبهان عيني البقرة الوحشية المذعورة المُطْفِل . واذا كانت مطفلا كان أحد لنظرها وأبين لحسن عينيها وأشد لتشوفها ـ اشفاقا على ولدها . يقول : (٢)

وعينان كالماويَّتَيْن اسْتَكَنَّتا ... بكَهْفَيْ حِجاجَيْ صَخْرةٍ قلْتِ مَوْرِدِ (٣)

طحوران عُوَّارَ القذَى فتراهما ... كمكْحُولَتَيْ مذعورةٍ أُمِّ فرْقَدِ (٤)

واما أذناها فهما عاريتان من الوبر ، محددتان كتحديد الحربة تعرف كرمهما وعتقهما بمجرد رؤياك لهما ، وذلك من تحديدهما وقلة وبرهما . ثم انهما صادقتان ، تشبهان في ذلك أذني ثور وحشي فنفلت في الفلاة وحده . واذا كان وحده ، كان أشد لتوجسه وتسمعه وارتياعه . قال الاعلم الشنتمرى : " وأذن الوحش أصدق من عينه " (٥) . فهما اذن لا تكذبانها الخبر ، وقد تغنيانها عن النظر ، اذ لا يخفى عليهما صوت خفي أو مرتفع يقول : (٦)

---

(١) انظر الديوان ص ٢٣ .

(٢) انظر الديوان ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) الماوية هي المرآة ، واستكنتا اى حلتا في كن وستر ، والكهف الغار . وأراد به غار العظم الذى فيه العين ، والحجاج (كالسراج) عظم العين المشرف الذى ينبت عليه الحاجب ، والقلت النقرة في الصخر تمسك الماء . وقلت مورد اى قلت تتخذ موردا .

(٤) الطحوران الدفوعان الطرودان ، وعوار القذى قطع الاوساخ التى تنتج عن رمد في العين . والمذعورة البقرة الوحشية ، والفرقد ولدها .

(٥) الديوان ص ٢٤ .

(٦) الديوان ص ٢٤ ايضا .

وصادقتا سَمْعِ التَّوَجُّسِ للسُّرَى ... لِجَرْسٍ خَفِيٍّ أو لصوت مُنَدَّدِ (١)

مُؤَلَّلَتان تَعْرِفُ العِتْقَ فيهما ... كسامِعَتَيْ شاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ (٢)

واما عنقها فمشرف مرتفع طويل ، يشبه في ارتفاعه ـ اذا مدته ـ عمود السفينة الذى يُنصب عليه الشراع . يقول :(٣)

وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ اذا صَعَّدَتْ بِهِ ... كسُكَّانِ بُوصِيٍّ بدجلة مُصْعِدِ (٤)

وكذلك أفرعت كتفاها وعليتا واشرفتا ـ كما سبق أن رأينا ـ وأُمِرَّ فتلُ مرفقيها اللذين تجافيا عن زَوْرها وبانا عنه ، فلا يصيبها مايصيب الابل التى تصطك مرافقها بصدورها . وفُتلت يداها كذلك فتلا شديدا ، حتى نُحِّيَتا عن جنبها ، فازدادتا قوة وصلابة . واما عضداها فقد أميلتا هما الاخريان ، وشدد خلقهما حتى أشبهتا صفائح الحجارة التى يسند بعضها فى البناء بعضا ، يقول :(٥)

لها مِرْفَقان أفتلان كأنما ... أُمِرَّا بِسَلْمَىْ دالِجٍ مُتَشَدِّدِ (٦)

أُمِرَّتْ يداها فَتْلَ شَزْرٍ وأُجْنِحَتْ ... لها عضداها فى سَقِيفٍ مُسَنَّدِ (٧)

---

(١) التوجس الخوف والحذر والسرى السير فى الليل . والجرس الصوت الخفى ، والمندد الصوت المرتفع البين .

(٢) مؤللتان اى محددتان كتحديد الالة . والألّة (كالمَرَّة) الحربة) والجمع إلال (كتلال) (انظر معجم مقاييس اللغة ١ / ١٨ ـ ألّ) .

(٣) الديوان ص ٢١ .

(٤) الاتلع المشرف والنهاض المرتفع يقصد عنقها ، وصعدت به اى اشخصته فى السماء ورفعته . والسكان عود المركب ، والبوصي السفينة وهو فارس معرب (عن الاعلم ـ الديوان ص ٢١) .

(٥) الديوان ص ١٨ ، ١٩ .

(٦) الافتلان المتجافيان عن الصدر البائنان عنه . وأمرا اى فتلا . والسلم الدلو . والدالج الذى يمشى بالدلو الى الحوض حتى يصبها فيه . وقال (متشدد) لان حامل الدلوين يتشدد ويتقوى وهو يباعد عضويه عن صدره .

(٧) أمرت يداها فتل شزر : اى فتلتا فتلا قويا شديدا ـ والشزر من الفتل مايبدأ من أسفل الكف الى فوق . واجنحت اى أميلت . والسقيف هنا هو صدرها =

وأما ظهرها فهو عال مرتفع ــ كما رأينا ــ ثم ان فَقاره مطويّة [١]، تتصل بها مآخير ضلوع محنية ، تشبه في انحنائها الاقواس، وذلك أوسع لجوف الناقة . ويتصل ذلك بحلقوم ملصق بفقار عنق مضمومة ملصقة ببعضها ، يقول :[٢]

وطَيٌّ مَحَالٍ كالحَنِيِّ خُلوفُهُ وأجْرِنَةٌ لُزَّتْ بِدَأْيٍ مُنَضَّدِ [٣]

واما ذنبها فقد كثرت خُصله وغزر شعره ، حتى كأنَّ على جانبيه جناحَيْ نَسْر . واما ضرعها فقد تقبض وجف لبنه ، وذلك أشد لها وأقوى . واما فخذها فهما كاملتا الخلق ، مكتنزتا اللحم ، كأنهما مصراعا باب القصر المنيف المشرف العالي وذلك في قوتهما واكتمال خلقهما .. يقول :[٤]

تَرِيعُ الى صوتِ المُهيِّب وتتَّقي بذي خُصَلٍ رَوْعاتِ أكْلفَ مُلبِدِ [٥]
كأنَّ جَناحَيْ مَضْرَحيٍّ تَكَنَّفا حِفافَيْه شُكَّا في العَسِيبِ بِمِسْرَدِ [٦]

= وما فوقه . واصل السقيف صفائح حجارة . والمسند شديد الخلق ، الذي قد أسند بعضه الى بعض .

(١) الفقرة (كالفتنة والبلدة) والفقارة (كالبداوة) واحدة فقار الظهر . والجمع فقر (كعنب) وفقار (كرماد) (اللسان فقر) .

(٢) الديوان ص ١٦ .

(٣) المحال كالفقار لفظا ومعنى واحدتها مَحالة . وقوله : وطى محال اي وظهرها مطوى المحال . والحنى جمع حنية وهي القوس سميت بذلك لانحنائها . والخلوف مآخير الاضلاع واحدها خلف بكسر فسكون . والجران باطن الحلقوم وقد جمعه موائمة لما حوله . ولزت اي الصقت وضمت . والمنضد الملصق بعضه ببعض . والدأى فقار العنق واحدتها دأية (كزمرة) .

(٤) الديوان ص ١٤ ، ١٥ .

(٥) تريع اي ترجع ، والمهيب الفحل المهيب بها اي الذي يدعوها . والخصل شعر الذنب . والاكلف من الفحول الذي يشوب حمرته سواد . والملبد الذي تلبد على ظهره بوله من أثر ضربه بذنبه من الهياج .

(٦) المضرحي من النسور هو الاحمر الذي يضرب الى البياض . وتكنفا حفافيه اي صارا عن يمينه وشماله . والعسيب عظم الذنب . والمسرد المخرز الذي يخرز به .

فطورًا به خَلفَ الزميل وتـــارةً على حَشِفٍ كالشَّنِّ ذاوٍ مُجَــدَّدِ (١)

لها فخذان أُكمل النَّحْضُ فيهمــا كأنهما بابا مُنيفٍ مُمَــــرَّدِ (٢)

وأما اخفافها فقد لثمتها الحجارة ، فأدمتها وسوتها ، وذهبت بالشعر من حولها . فصارت اخفافا قوية ، تقيها وعورة الارض وخطورتها ، وتحميها من حزومها وحزونها وشدتها (٣)، يقول وهو يتحدث عن بلاد بعينها .(٤)

قدْ تبطنتُ وتحتي جسْــرةٌ تتقي الأرضَ بملثُــومٍ مَعِــرْ (٥)

على أن هذه الناقة التى تنقل الشاعر فى وصفها هــذا التنقل ، من حديـث مستفيض عن أعضاء جسمها ، الى حديث مستفيض أيضا عن سرعتها ومشيهـا ، هذه الناقة فى حاجة الى قلب شديد حديد ، بالغ الذروة فى شدته ، فــزع مضطرب مرتاح لحدته . وهو الى ذلك خفيف ذكى مجتمع مصمت.. كأنه المـرداة التى تدق بهـا الصخور .

ولذلك فقد اخترقت نظرات طرفة الثاقبة جسم ناقته ، فوجد قلبها بتلـك الاوصاف. يقول :(٦)

---

(١) الزميل هو الرديف ، والحشف هو الضرع المتقبض الذى لا لبن فيه . والشن القربة البالية الجافة . والذاوى الذابل . والمجدد الذى ذهب لبنـه من جَدَّ الشئَ اذا قطعه .

(٢) النحض اللحم ، وأكمل النَّحْض فيهما اى فخذاها كاملتا الخلق مكتنزتـا اللحم ، والمنيف القصر العالى المشرف ، والممرد المشرفايضا . والاملس.

(٣) حزوم الارض (جمع حزم) وحزونها (جمع حزن) هو ماغلظ منها وخشـن (اللسان ـــ حزن ـــ) .

(٤) الديوان ص ٦٠

(٥) تبطنت اى دخلت بطونها يعنى البلاد التى ذكر . والجسرة الطويلة الجريئة على الشدائد لنشاطها . والملثوم الخف الذى لثمته الحجارة فأدمتـه . والمعر الذى ذهب ماحوله من الشعر .

(٦) الديوان ص ٢٥ .

وأروعَ نبّاضٍ أحَذَّ ململمٍ كمرداةِ صخرٍ من صفيحٍ مصمّدِ (١)

وباختصار يقول إن ناقته قوية سريعة واسعة الخطو تموج فى سيرها موجا ، شديدة الجِرْم موثقة الخلق ــ كما رأينا ــ يزيد هاصَهَبُ لَحْييْها صباحة وملاحة (٢) يقول : (٣)

صُهابيةُ العُثْنونِ موجدةُ القَرا بعيدةُ وخْدِ الرِّجْلِ موّارةُ اليَدِ (٤)

وهى كذلك مِطْواع حسنة القياد ، تسبح فى الهواء اذا انطلقت ــ سبح الظليم ، يقول : (٥)

وإنْ شِئْتُ سامَى واسِطَ الكُورِ رأْسُها وعامتْ بضَبْعَيْها نَجاءَ الخَفَيْددِ (٦)

تلك هى ناقة طرفة بن العبد ، وقد أوجزنا الحديث عن أهم أوصافه لها ، وأقواله فيها حتى لا يطول بنا المقام . وقد أغضينا عن كثير مما قال ، حَدْسًا بأن الذى تعرضنا له فيه الكفاية . وخلاصة الامر فى ذلك ان طرفة قد فصل فى ناقته الحديث ، بشكل لا نعلم ان أحدا بزه فيه . قال صاحب " الانوار

---

(١) الاروع القلب الحديد المرتاع لحدته ، والنباض المضطرب من الفزع ، والأحذ الاملس او الخفيف الذكى ، والململم المجتمع ، والمرداة صخرة تدق بها الحجارة ، والصفيح صخر عريض ، والمصمد المصمت .

(٢) الصهب (كالتعب) والصهبة (كالعروة) : لون حمرة تكون فى شعر الرأس واللحية . وبعير أصهب (كأحمد) وصهابى (كخرافى) وناقة صهباء (كشهباء) وصهابية (مؤنث صهابى) (اللسان ــ صهب) . والصباحة والملاحة (كالبسالة والشجاعة) : الجمال .

(٣) الديوان ص ١٩ .

(٤) العثنون ماتحت لحييها من الوبر . والموجدة الموثقة الشديدة الخلق . والقرا الظهر . والوخْد والوخَدان هو سعة خطو الناقة تقول : وخدت الناقة تَخِدُ وخَدَانا (معجم مقاييس اللغة ٦/٩٤ ــ وخد) . وموارة اليد اى أن جلد كتفيها ومنكبيها رهل يموج .

(٥) الديوان ص ٢٥ .

(٦) الواسط هو العود الذى بين مورك الرحل ومؤخرته . والكور هو الرحل =

ومحاسن الاشعار " : " ولم يصف أحد ممن تقدم وتأخر ، الناقة أحسن من وصف طرفة بن العبد • فانه جمع صفات خلقها ، وسرعتها ، فجاء بها بأحسن كلام وأوضح تشبيه "(١)

على أن طرفة قد وقع أثناء وصف ناقته والحديث عنها ، في أمور اخذها عليه الباحثون ، ومن ذلك وصفه ذنب ناقته بكثافة الشعر • فقد بالغ في ذلك بقوله كأن على جانبيه جناحي نسر • قال المرزباني في الموشح : " وانما توصف النجائب برقة الذنب وخفته • وجعله هذا كثيفا طويلا عريضا "(٢) ويظهر ان طرفة لم يكن وحده موضع الانتقاد في هذا ، فقد قال ابن الانباري في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : " كل الفحول من الشعراء وصف الاذناب بكثرة الهُلْب "(٣).

وهناك على طرفة مأخذ آخر ، وهو تكرار ضربه لناقته ، وكأنها لا تنطلق الا بالضرب • ولست أعلم أحدا أخذ على طرفة هذا الموقف ، مع أنهم اخذوه على امرئ القيس بن حجر • حدث الاصمعي ان امرأ القيس وعلقمة بن عَبَدَة التميمي اجتمعا معا فتذاكرا الشعر ، فقال كلٌ منهما لصاحبه : انا اشعر منك • وتحاكما الى أم جُنْدَب زوج امرئ القيس يومئذ •(٤) فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :(٥)

= نفسه • ومعنى عامت اى سبحت • فالسبح والسباحة هما العوم (اللسان — سبح) • وضبعاها عضداها والنجاء السرعة • والخفيدد ذكر النعام •

(١) الانوار ومحاسن الاشعار ١/٣٧٦ •

(٢) انظر الموشح — بتحقيق البجاوى — ص ١٣٦ •

(٣) شرح القصائد لابن الانبارى ص ١٥٧ •

(٤) فقد طلقها كما رووا بعد ذلك ، وخلف عليها علقمة •

(٥) انظر ديوانه ص ٤١ •

خليليَّ مرّا بي على أم جندبِ نقضِّ لبانات الفؤاد المعذبِ

وقال علقمة قصيدته التي مطلعها :(١)

ذهبتَ من الهجران في غير مذهبِ ولم يكُ حقاً كلّ هذا التجنبِ

فلما فرغ منها فضلته أم جندب على امرئ القيس، فقال لها : بم فضلته عليَّ ؟ .

قالت : فرس ابن عبدة اجود من فرسك ، فقد سمعتك زجرت وضربت وحركت ، وهو قولك :(٢)

فللساق ألهوبٌ وللسوط دِرّةٌ وللزجر منه وقع أهوج مِنْعَبِ(٣)

وأما فرس علقمة فقد أدرك طريدته من غير زجر أو ضرب ، وهو قوله :(٤)

فأقبلَ يهوِي ثانياً من عِنانِهِ يمرّ كمرِّ الرائح المتحلِّبِ(٥)

وهكذا أخذت أم جندب على امرئ القيس ضربه لحصانه ، وكانت تريده أن يدرك به ما أراد من غير أن يضربه أو يزجره . وكأن هذا النقد قد راق للرواة فتناقلوه .

---

(١) انظر ديوانه ص٧٩ .

(٢) انظر ديوان امرئ ص٠٤

(٣) الالهوب هو جري الفرس الشديد الذي يثير الغبار . تقول ألهب الفرس يلهب الهابا وله ألهوب (اللسان — لهب) ودر الفرس يدر دريرا ودرة — عدا عدوا شديدا (اللسان درر) ، النعب (كالقتل) السير السريع ، والنعيب صوت الفرس ، وفرس منعب (كمبرد) جواد يمد عنقه في عدوه ، والمنعب كذلك الاحمق الاهوج المصوت (اللسان نعب) .

(٤) انظر ديوان امرئ القيس ص ٤٠ .

(٥) يقال (جاء ثانيا من عنانه) ، كناية عن سرعة الفرس من غير زجر ولا ضرب ، وتحلب المطر والندى والعرق سقط ، والمتحلب الذي يسقط عليه المطر ، والرائح الثور الوحشي وهو اذا مطر اشتد عدوه (اللسان حلب ، روح) .

اما طرفة فقد ضرب ناقته أكثر من مرة ، إما بعصاه او بسوطه الموجع . وكأنها كما قلنا لا تنطلق الا بالضرب وهو الذى وصفها بالاندفاق فى السير والجنوح فيه من الشدة والنشاط . ولكنها عثرة الجواد . يقول :(١)

أمون كألواح الإران نسأتُها على لاحب كأنه ظهرُ برجُدِ

فها هو ذا قد زجرها وضربها بمنسأته وهى عصاه . ثم يقول :(٢)

وان شِئْتُ لم ترْقِلْ ، وان شئتُ أرقلتْ مخافةَ ملْوِىٍّ من القَدِّ مُحْصَدِ (٣)

فها هى ذى لا تستجيب لرغبته فى السرعة ، أو تلبى نداءه بالبطء ، الا خوفا من سوطه الجلدى ، الشديد الفتل القوى . لقد ترجرج طرفة فى هذا الموقف واضطرب رأيه فيه ، وناقض نفسه بنفسه وهو القائل :(٤)

وان شئتُ سامى واسط الكُورِ رأسُها وعامتْ بضبعيها نَجاءَ الخَفَيْدَدِ

أيليق بالتى تسبح فى الفضاء سبح السفينة على صفحة الماء ، وتنطلق على الاديم ، انطلاق الظليم ، أيليق بها أن توصف بالبلادة والعناد ، وانها لا تسرع او تبطىء الا مخافة لسعات السياط الشداد !

على أن طرفة قد تجاوز الحد فى ذلك ، فصب على ناقته الضرب صبا ، وجعلها لا تريع لصوته ، الا اذا ألهب ظهرها بسوطه . يقول :(٥)

أَحَلْتُ عليها بالقَطِيعِ فأجْذَمتْ وقدْ خَبَّ آلُ الأمْعَزِ المتوقِّدِ (٦)

---

(١) الديوان ص ١٢ وشرحه فى هامش ص ٢٢ من هذا البحث .
(٢) الديوان ص ٢٦ .
(٣) الارقال نفض الرأس لشدة السير ، والملوى هو السوط المفتول ، والقد الجلد والمحصد الشديد الفتل .
(٤) الديوان ص ٢٥ وشرحه فى هامش ص من هذا البحث .
(٥) الديوان ص ٢٧ .
(٦) أحلت عليها أى اقبلت ، والقطيع السوط ، وأجذمت أسرعت ، وخب الال =

أفما كان الاجدر بطرفة ، وقد وصف ناقته بأحسن الصفات ، أن يتركها تنساب بالاشارة ، غير محتاجة الى هذا الزجر والضرب الذى صبه عليها ، كما كانت تنساب فى قوله :(١) " وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد " من غير زجر ولا ضرب .

على أنه برغم ذلك قد أعطاها من الوصف حقها ، وخلد بأشعاره ذكرها وحق لها ذلك ، فقد كانت توءنس وحدته ، وتفرج كربته ، وتزيل غمّه، وتسرى عنه همه ، فاستحقت اهتمامه وعنايته .

أما الاشياء التى تعرض لها طرفة بالوصف غير الناقة ، فأهمها الخيل ، وخيل قومه بالذات . وقد عرج على وصفها أثناء فخره بمكارم قومه ومفاخرهم ، اذ أن من مآثرهم الاحتفاظ بالخيل على شدة الزمان وحاجة الناس وجوعهم . يقول :(٢)

نُمسِكُ الخيلَ على مكروهها حين لا يُمسِكُها الا الصَّبْرْ

ثم ينفذ من ذلك الى وصف تلك الخيل ، والحديث عنها . فهى خيل أصيلة كريمة ، أعوجيات نسبة الى أعوج " وهو فحل من الخيل معروف النجابة " (٣) وهى طويلة ضامرة قوية ، ضخمة سريعة شديدة . وتظهر شدتها وسرعتها عندما يسيل عرقها وتبتل منه لُجُمها . وذلك طبع كرام الخيل . اذ تشتد سرعتها حين تشتد الحاجة الى تلك السرعة . وهى خيل كذلك صلبة الحوافر ، سمر القوائم معوجتها قويتها . وسمرة قوائم الخيل واعوجاجها من صفات مدحها عندهم .(٤) . يقول :(٥)

= جرى واضطرب وذلك عند اشتداد الحر ، والال السراب ، والامعز الغليظ الكثير الحصى ، والمتوقد الذى يتوقد بالحر .

(١) الديوان ص ٢٥ وشرحه فى هامش ص ٣١٥ من هذا البحث .

(٢) الديوان ص ٦٨ . (٣) انظر شرح الاعلم لديوان طرفة ص ١١٢ .

(٤) انظر المصدر السابق ص ٧٠ (٦) الديوان ص ٦٩ .

أيها الفتيانُ في مجلسنـــــا   جردوا منها وِرادا وشُقُرْ
أعوجياتٍ طوالاً شُزَّبــــا   دوخل الصنعةُ فيها والضُّمُرْ(١)
من يعابيبَ ذكورٍ وُقُــــح   وهِضَبَّاتٍ اذا ابْتَلَّ العُــذُرْ(٢)
جافلاتٍ فوق عُوجٍ عُجُـــلٍ   رُكِّبَتْ فيها مَلاَطِيسُ سُمُــرْ (٣)

وهى خيل كذلك أعناقها مشرقة طويلة ، ممتدة كأنها جذوع النخل التى ألقـى عنها شذبها فزاد ذلك فى طولها . واجوافها واسعة لا تنبهر ولا تكبــو ، " واذا ضاق جوف الفرس وصوره ومخرج نفسه انبهر وكبا وسقط "(٤) .

وخيولهم ليست كذلك . يقول :(٥)

وأنافتْ بِهَـوادٍ تُلُعٍ   كجذوع شذبتْ عنها القشـرْ(٦)
علت الأيدى بأجوازٍ لها   رَحْبَةُ الأجوافِ ما إنْ تنبهـرْ(٧)

ولخيلهم ـ كذلك عند اشتداد جريها ، صفات لا توجد فى غيرها . فهى تنطلق فيه رافعة اذنابها عاضة على لجمها ، مسرعة فى جريها . حتى لتكاد أزرهـا المشدودة عليها تطير من فرط سرعتها . يقول :(٨)

---

(١) اعوجيات نسبة الى أعوج وهو فحل نجيب ، والشزب الضمر ، دوخل الصنعة فيها أى أُحسن القيام عليها فبدا أثر الصنعة عليها ، والضمر اى تضميرهـا ، وهو أن تجرى لتدرب وتخف حتى تضمر .

(٢) اليعابيب جمع يَعبوب وهو الطويل الجسم الكثير الجرى من الخيل (معجم المقاييس ٤ / ٢٤ ـ عب) ، ووقح جمع وَقاح وهو الصلب الحافر ، والهضبات السراع الشداد . والعذر جمع عذار كسراج .

(٣) جافلات مسرعات ، والعوج القوائم فيها انحناء ، والعجل جمع عجول وهو المسرع ، والملاطيس جمع ملطاس وهو معول يكسر به الصخر ، شبها لحوافر بها فى صلابتها ، ووصفها بالسمرة لان ذلك اشد لها وأصلب .

(٤) عن الاعلم ص ٧٠ من ديوان طرفة .

(٥) الديوان ص ٧٠ .

(٦) أنافت اى أشرفت ، والهوادى جمع هاد وهو العنق ، وهادى كل شئ مقدمه ،

(٧) يقول : كأنه قد ركب على أيديها أجواز منتفخة رحيبـــة .

(٨) الديوان ص ٧٠ .

فهى تردِى فإذا ما ألهِبت   طار من إحمائِها شد الأزر (١)

كائرات وتراها تنتحى   مسلحِبات إذا جد الحضر (٢)

ولقد تحرض طرفة لهذه الخيل فى موضع آخر ببضعة ابيات ، من قصيدته التى مطلعها : (٣)

" سائلوا عنا الذى يعرفنا " ، ولكنه لم يزد على تلك الصفات ، ولقد شدد على كون خيلهم من الفحول ، فقال هنا : (٤)

من يعابيب ذكور وقح " ، وقال هناك : (٥)

وفحول هيكلات وقح   أعوجيات على الشأو أزم (٦)

قال الاعلم الشنتمرى : " وانما خص الذكور لانها أوقح وأصلب " (٧) . وقد شدد طرفة كذلك على اهتمامهم بتلك الخيل ، وقيامهم عليها . فهى ليست مهملة أو مغفلة . قال هنا : (٨)

---

(١) الرديان نوع من السير السريع كعدو الحمار ، وألهبت اى شدد جريها ، ويردى ألهبت اى أسرعت كلهيب النار . والاحماء مثله .

(٢) كائرات أى رافعات أذنابها ، شائلات بها ، وتنتحى تنحرف فى عدوها وتعض على لجمها ، والمسلحبات الممتدات المنبسطات فى العدو .. وجد الحضر اى اشتد العدو .

(٣) الديوان ص ١٠٩ .

(٤) اى فيما سبق .. الديوان ص ٦٩ .

(٥) الديوان ص ١١٢ .

(٦) الفحول الذكور طبعا ، والهيكلات جمع هيكل وهو الضخم من الخيل . والوقح جمع وقاح (كرماد) الصلب الحافر ، والاعوجيات نسبة الى اعوج - فحل معروف النجابة - كما سبق ، والشأو السبق ، والآزم العواض على اللجم .

(٧) انظر شرح الاعلم لديوان طرفة ص ٦٩ .

(٨) الديوان ص ٦٩ .

" دُوخِلَ الصَّنعَةَ فيها والضُّمرُ " • وقال هناك :(١)

أَدَّتِ الصَّنعَةُ فى أَمتُنِهَا فهى من تَحتُ مُشيَّحاتُ الحُزُمْ(٢)

فقد آثر فى متونها القيامُ عليها بالعَلَفِ والخدمة ، فاكتنزت باللحم وقويت واشتدت واصبحت الخيل بذلك جادات سريعات• وغير ذلك •

وقد سقط طرفة وان أجاد — فى وصفه لخيول قومه ، كما كان قد سقط فى وصفه لناقته ، سقطة أخذت عليه هنا ، كما أخذت عليه هناك •اذا استعمل الضرب مع هذه الخيل ،كما استعمله مع ناقته ، والنجيبة الكريمة لا تحتاج الى زجر او ضرب • يقول :(٣)

خُلُجُ الشَّدِّ مُلِحَّاتٌ إِذَا شَالَتِ الأَيدِى عَلَيْهَا بالجِذَمْ(٤)

وكان احرى به الا يفعل ، حتى لا يقال له ماقيل لامرىء القيس : "ان فرسا يحتاج الى ان يستعان عليه بهذه الاشياء ، لغيرُ جواد " (٥)

تلك هى أوصاف الخيل التى تطرق اليها طرفة ، ولم يكن يقصدها لذاتها كما فعل بناقته ، ولكنه استطرد اليها فى معرض حديثه عن قومه ، والفخر بمكارمهم وشجاعتهم فى الحروب •

---

(١) الديوان ص١١٣ •
(٢) مشيحات جادات سريعات ، وأصل الاشاحة الجد والانكماش فكأن بطونها لحقت بظهورها فضمرت وارتفعت حزمها ، وتسمى حينئذ مشيحات •
(٣) الديوان ص١١٤ •
(٤) الخَلْجُ جذب الفرس رجليه فى عدوه من السرعة والنشاط • والملحات التى تلح فى جريها اى تديمه وتكثره • والجِذَم السياط •
(٥) انظر الموشح للمرزبانى — بتحقيق البجاوى — ص١١٣ •

وأما غير الناقة والخيل من الامور التى تطرق اليها طرفة بالوصف ، فلم تكن بهذا التفصيل ، ولم يجىء بها الا عرضا وبغير تطويل . بل باشارات عابرة وهو يتحدث عن هذا الامر أو ذاك . ومن ذلك قوله :(١)

حين يَحْمِى الناسُ نَحْمِى سِرْبَنَا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ واضِحِى الأوجه معروفى الكَرَمْ(٢)

بحساماتٍ تراها رُسَّبًا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فى الضَّرِيبَاتِ مُتِرَّاتِ العُصُمْ(٣)

فسيوفهم حسامات تقطع اللحم والعظم معا ، رسب مترات ، أى ينغرزن فى الضريبة فيقطعن مايصلن اليه ، وعلى الخصوص معاصم الرجال ، ليمنعنهم عن مواصلة القتال . وسيف طرفة منها بالذات ــ الى هذه الاوصاف ــ رقيق الشفرتين ماض ، يقول :(٤)

وآليتُ لا ينفكُّ كَشْحِى بِطَانَةً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لِعَضْبٍ رقيقِ الشفرتين مُهَنَّدِ

حسامٍ اذا ماقمتُ منتصرًا بـه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ كفى العَوْدَ منه البَدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ

وكذلك يتطرق طرفة أثناء وصفه لناقته الى أمور كثيرة ، باشارات عابرة ، كالطريق مثلا ، فهو طريق واضح أثَّر فيه السير فعبَّده ، وبيَّنه ، وظهرت على سطحه طرائق من أثر المشى فيه ، فكان كأنه الكِسَاءُ المخطط يقول (٥) :

أَمونٍ كألواح الإِرَانِ نَسَأْتُهَا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ على لَاحِبٍ كأنه ظَهْرُ بُرْجُدِ

ويتطرق فى موضع آخر ــ لوصف السحاب ــ وذلك أثناء وقوفه بأطلال خولة ،

---

(١) الديوان ص ١١٢ .
(٢) السرب المال الراعى .
(٣) الحسام من السيوف هو الذى يقطع اللحم والعظم ، والرسب التى ترسب فى الضريبة وتدخل فيها ، والعصم هى المعاصم جمع معصم وهى موضع الاسورة من اليد .
(٤) الديوان ص ٤٢ ، ٤٣ وشرحهما فى هامش ص ١٥٣ من هذا البحث .
(٥) الديوان ص ١٢ وشرحه فى هامش ص ٢٣ من هذا البحث .

يقـول :(١)

كأنّ الخلايا فيه ضَلّتْ رِباعُهـا ... وعُوذًا إذا ما هزّهُ رعدُه احْتَفَلْ (٢)

فهو سحاب كثير المطر بسبب كثرة الغيوم فيه ، وسرعتها وتواليها ، وكثرة رعودها . وكأنها فى ذلك ابل حديثات النتاج ، وقد فقدت أولادها بموت أو سـواه ، فهى تحن اليها ، وتجأر بالشكوى من ولهها عليها .

ويتعرض طرفة فى موضع آخر لوصف أوانى الطعام عندهم ، التى يكرمون بما فيها من طعام أضيافهم ، وذلك فى معرض افتخاره بمآثر قومه ، يقول :(٣)

بجِفانٍ تَعْتَرِى نادِيَنـا ... من سَدِيفٍ حين هاج الصِّنَّبِرْ (٤)

كالجَوابِى لا تَنِى مُتْرَعَـةً ... لِقِرَى الأَضْيافِ أو للمُحْتَضِـرْ (٥)

فهم لا يقدمون طعاما فى أوان صغيرة ، فذاك شأن المقلين أو البخـلاء ، ولكن أوانيهم كالاحواض العظيمة التى يُجبى فيها الماء وذلك لسعتها وعظمهـا . ثم هى أوان لا تنفك تنضح بالطعام ، للضيفان والمحتاجين والجيران وغيرهـم وذلك حين يشتد البرد ، وتشتد معه حاجة الناس للطعام .

وقد تطرق طرفة ايضا الى وصف البلاد التى كان يجوب ، والطرق الـتى كان يسلك ، وذلك فى معرض غزله يقول :(٦)

وبلادٍ زَعِلٍ ظِلْمانُهـا ... كالمَخاضِ الجُرْبِ فى اليوم الخَدِرْ (٧)

---

(١) الديوان ص ٩١ .

(٢) الخلايا جمع خلية وهى الناقة التى عطفت على ولد ، والرباع ما نتج فى الربيـع ، والعوذ جمع عائذ وهى الحديثة النتاج . يقول كأن فى هذا السحاب لكثـرة رعده ابلا عوذا قد ضلت أولادها فهى تحن اليها . وتصوت عليها .

(٣) الديوان ص ٦٦ .

(٤) السديف قطع السنام ، والصنبر أشد ما يكون البرد .

(٥) المترعة المملوءة ، والقرى القيام بواجب الضيف ، والمحتضر النازل مع القوم على مائهم .

(٦) الديوان ص ٦٠ .

(٧) الزعل النشيط ، والظلمان ذكور النعام واحدها ظليم . والمخاض =

قد تبطنت وتحتى جسرة   تتقى الارض بملثوم معر (١)

فهى بلاد مقفرة واسعة ، يتراكض فى انحائها النعام الكثير ، وهى بلاد مخيفة لا انس فيها ، ولذلك تجمع فيها النعام بتلك الكثرة ، كثرة الابل الحوامل وقد اجتمع بعضها الى بعض فى يوم شديد البرد كثير المطر .

وهى أيضا بلاد ذات تلال موحشة ، " يحارُبها الهادى الخفيف ذلاذله " وهى مسارح لحمر الوحش التى تمرح هى الاخرى بين جنباتها آمنة مطمئنة ، فليس فى تلك الفلاة مايروعها أو يخفيفها . وهى تلاع ووهاد ، مرتفعات ومنخفضات ولذلك ترى الوحش فيها يظهر مرة ويختفى اخرى . وكأنه الرقيب الذى يحاذر أن يراه الناس . يقول (٢) :

يَظَلُّ بها عيرُ الفلاة كأنه   رقيبٌ يخافى شخصه ويضائله

ومن ذلك أيضا وصف طرفة لزمام ناقته ، وكيف يتلوى وهى تلاعبه فى سيرها تلوى الأفعى ، ويتعمج تعمجها ، يقول (٣)

تُلاعبُ مثنى حضرمىٍّ كأنه   تعمجُ شيطانٍ بذى خروعٍ قفرِ (٤)

فهو زمام لين أملس ، ينساب انسياب الأفعى ، ويتلوى تلويها ، وهى بذلك المكان القفر بين أشجار الخروع ، تنطلق على سجيتها ، فتتمدد تارة ، وتتلوى

= الحوامل من الابل وخص الجرب منها لانها سود من القطران فهو أشبه لها بالنعام ، والخدر الذى يُخدَّرُ فيه لشدة برده او مطره .

(١) انظر شرحه فى هامش ص ٣١٤ من هذا البحث .

(٢) الديوان ص ١٢١ ، وشرحه فى هامش ص ٢٨٨ من هذا البحث .

(٣) الديوان ص ١٥٨ .

(٤) المثنى (كالمبنى) زمام الناقة (اللسان ثنى) ، والتعمج التلوى والاعوجاج فى السير (معجم مقاييس اللغة ٤ / ١٣٦ — عمج —) ، والشيطان الحية (نفس المصدر ٣ / ١٨٣ — شطن —) .

أخرى ، وكذلك زمام ناقة طرفة • قال الازهرى فى تهذيب اللغة : " وقيل للحية عومج ، لتعمجه فى انسيابه ، أى لتلويه • ومنه قول الشاعر ، يشبه زمام البعير بالحية اذا تلوى فى انسيابه "(١)• • • • ثم ذكر بيت طرفة الذى ذكرنا •

على أن طرفة لم يفته كذلك وصف مجالس الشراب ، التى كان القوم يقضون فيها أوقات فراغهم — اذا جاز التعبير — فوصف الندماء الذين كانت تضمهم تلك المجالس بالبياض وسماحة الوجوه كأنهم النجوم ، ووصف الجارية التى كانت تدور عليهم بالشراب ، فتعرض نفسها وترسل ثوبها وتهز أعطافها وتتبختر فى مشيتها • ثم وصف الجارية التى تغنيهم بثيابها القشيبة ، وصدرها المكشوف ، وجسمها البض ، ونظراتها الفاترة ، وانطلاقها على سجيتها فى الغناء ، دون أن تجد منه أى عناء • يقول (٢) :

وذَالَتْ كما ذَالَتْ وليدةُ مجلسٍ	تُرِى رَبَّها أَذْيالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ (٣)
ندامَاىَ بيض كالنجوم وقَينةٌ	تروح علينا بين بُرْدٍ ومُجْسَدِ (٤)
رحيبٌ قِطَابُ الجَيْبِ منها رفيقةٌ	بِجَسِّ الندامى بَضَّةُ المُتَجرِّدِ (٥)
اذا نحنُ قلنا أَسْمِعينا انبرتْ لنا	على رِسْلِهَا مطروفةً لم تَشَدَّدِ (٦)

---

(١) تهذيب اللغة ١/٣٨ •

(٢) الديوان ص٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

(٣) ذالت اى ماست فى مشيها وتبخترت ، والسَّحْل الثوب الابيض والجمع سُحُلٌ ، والممدد المرسل فى الارض •

(٤) انظر شرحه فى هامش ص ٢٥٧ من هذا البحث •

(٥) قطاب الجيب هو مخرج الرأس من الثوب ، ورحابته اتساعه ، والبضة البيضاء الناعمة الرقيقة ، والمتجرد هو ما سترته الثياب من الجسد •

(٦) انبرت لنا أى اخذت فيما طلبنا ، وعلى رسلها أى على مهلها ورفقها ، والمطروفة الفاترة الطرف •

تلك هى الامور التى عنّ لطرفة أن يصفها ، فأجاد فى وصفها كما رأينا ، مفصلا الحديث فى بعضها كناقته ، ومختصرا الحديث فى بعضها الاخر . كخيل قومه ، ومشيرا الى بقية الامور اشارات مقتضبة ولكنها من قبيل الوصف على أى حال . الى غير ذلك مما كان طرفة به فى مصاف الشعراء الذين اجادوا الوصف ، بل وبرزوا فيه

ولنا مع طرفة فى وصفه لمجالس الشراب وقفة . فهى مثلب واضح من مثالبه ، وواحد من أهم معايبه . فلقد كان يفخر دائما — كما سنرى — بانه من كرام القوم وشجعانهم ، ومن معدوديهم وخيرة فتيانهم وفرسانهم .

ولكن مجالس الشراب التى كان يعشق تدحض مايقول ، فهى تُنقِصُ من المفاخر ، وتُعَفِّى على المآثر .

وأين المفاخر فى العقول التى تذهب بصحوتها الكئوس ، أم أين المآثر فى الجسوم التى تنخر فيها الشهوات نخر السوس .

ان المفاخرَ اىوربى والمآثرَ غيرُ ذلك . فان كرام القوم لا يسفون الى هذه المنازل ولا يشاركون فى تلك المهازل .

الفخر

الفخر هو ذكر مافى النفوس من شمائل ، ونشر مالهن من فضائل . وقد فرضت الصحراء بشظفها وعرائها وترامى أطرافها — على العرب صفات خاصة ، تمادحوا بها وتفاخروا ، وتباهوا وتناحروا .

ومن تلك الصفات الكرم ، الذي فرضه الشظف الذي اتصفت به حياتهم ، والجدب الذي تميزت به صحراؤهم . فواجهوا ذلك الشظف والجدب بالكرم الذي التزموه وتوارثوه ، حتى صار سمة من سماتهم البارزة على مر الايام ، ومأثرة من مآثرهم التي يفاخرون بها الانام .

ومنها الشجاعة ، التي فرضتها حياتهم في العراء ، لا حامي لهم الا شجاعتهم وسلاحهم ، ولا مانع لهم الا سيوفهم ورماحهم . قال ابن خلدون في مقدمته :

" فهم دائما يحملون السلاح ، ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ، ويتجافون عن الهجوع الا غرارا في المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب . ويتوجسون للنبآت والهيعات ويتفردون في القفر والبيداء ، مدلين ببأسهم ، واثقين بأنفسهم . قد صار لهم البأس خلقا ، والشجاعة سجية ، يرجعون اليها متى دعاهم داع او استنفرهم صارخ "(١)

وبين هاتين الخلتين الكرم والشجاعة ، تنوعت مفاخر القوم وتعددت مآثرهم . ومردُّ كل ذلك لهما ، فمنبعه منهما ، ومصبه فيهما .

وقد اقتصر الفخر عند بعض الشعراء على نوع واحد ، وهو الفخر بالنفس ، ولكنه تشعب عند اكثرهم الى نوعين ، فخر بالنفس وفخر بالقبيلة . اما الصفات التي كانوا يتمادحون بها ، فهي – بالتقريب – ذات الصفات . سواء أكان الشاعر يختص بها نفسه ، أم كان يعم بها قبيلته .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٢٥ .

فهناك من ضروب الشجاعة ، ودروب الكرم ، مايستطيعها الفرد بنفسه ، فتكون من صفاته الخاصة ، ومكارمه الشخصية . بيد أن هناك من تلك الضروب والدروب مالا يطيقه الانسان بمفرده ، ولابد لأدائه من قوم جميع ، فيكون ذلك من مكارم القبيلة كلها ، ومن مآثرها ومفاخرها بمجموعها .

ولطرفة في ميدان الفخر بنفسه وقبيلته جياد سابقة . فقد افتخر بنفسه حتى بز المفتخرين ، وافتخر بقبيلته فخلد مفاخرها ونشر مآثرها بين الاخرين .

فأما فخره بنفسه فكثير متعدد الجوانب ، فهو فتى شجاع ، فارس مقدام ، يهب للنجدة ، ويجيب الصريخ ، وهو شديد على الاعداء لا يتوعدهم ولا يتهددهم بل يجيبهم بالموت مباشرة ، وكأنه يرى في التوعد خورا لا يليق بالرجال ، وفي التهديد جُبنا لا يقبله الابطال . يقول (١) :

وإنْ أُدْعَ للجُلّى أكُنْ من حُماتِها ... وإنْ يأتِكَ الأعْداءُ بالجَهْدِ أَجْهَدِ (٢)

وان يَقْذِفُوا بالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ ... بِشُرْبِ حياضِ الموتِ قبل التَّهَدُّدِ (٣)

وهو فتى جرىء على الرجال ، شديد على الابطال ، ذو اقدام مشهود ، وأَصْلٍ كريم ، لا يعرف الخور ولا الضعف ، وليس من صفاته الجبن او الخوف ، ولذلك فانه لا يحسب لاحد حسابا ، سواء أكان هذا الأحدُ يلقاه بمفرده ، أو كان معه فئة ينصرونه . يقول : (٤)

فلو كنتُ وَغْلاً في الرجال لضرَّني ... عداوةُ ذي الأصحاب والمتوحِّدِ

---

(١) الديوان ص ٣٩ .

(٢) الجلى الامر العظيم ، والجهد المشقة والشدة .

(٣) القذع والقذع (كالقذف والقلم) الفحش والخنا ، والحياض جمع حوض وهو مثل على ايراده اياهم حياض المهالك .

(٤) الديوان ص ٤٦ ، ٤٧ وانظر شرح البيتين في هامش ص ١٥٤ من هذا البحث .

ولكن نفى على الرجالَ جَراءَتِــي　　وصبرى واقدامى عليهم ومحتِـدِى

وهو فتى لا يسكت لذى شر على شره ، ولا يستكين لذى ضر على ضره ، بـل إنه يجازيه ويعاقبه ، ويرعه ويؤدبه ٠٠ ويلقاه بنفسه فردا ان كان فردا ، وبجماعته ان كان فى جماعته ٠ ثم هو خبير بمواطن الطعن القاتلة ، لا تنثنى يمينه عن ضريبة الا وقد نفذت اليها طعنته النجلاء ، وهو كذلك مولـع بضرب الرجال الاشداء ، والمترفين منهم على وجه الخصوص ٠ يقول :(١)

وانا امرؤ أكْوِى من القَصَـرِ البـادِى وأغْشَى الدَّهْمَ بالدَّهْـمِ
وأُصيبُ شاكلَةَ الرمية إذ　　صَدَّتْ بصفحتها عن السَّهْـمِ
وأُجُرُّ ذا الكَفَلِ القَناةَ على　　أنسائه فيظـل يَسْتَدْمِـي

ثم إنه ــ ايضا ــ رجل خفيف الروح لطيف الجسم ، غير مترهل ولا ثقيل ، وهو كذلك متوقد ذكى ، كثير الحركة ، يقول :(٢)

انا الرجل الضَّرْبُ الذى تعرفونه　　خِشاشًا كرأسِ الحية المتوقِّـدِ(٣)

وهو ايضا يقظ شديد الانتباه ، لا يغفل عن سلاحه طرفة عين ، اذ لا يفعل ذلك فى تلك البيئة الا الغافل الجبان ٠ ثم انه مدرب على استعمـال سيفه القاطع البتار ، الذى لا يفارق جنبه آناء الليل ، ولا أطراف النهـار يقـول :(٤)

---

(١) الديوان ص٩٥ ، ٩٦ وانظر شرح البيت الاول فى هامش ص ٣٠٠ من هذا البحث وشرح البيتين الاخرين فى هامش ص ١٥٤

(٢) الديوان ص٤٢ ٠

(٣) الضرب من الرجال الخفيف اللطيف ، والخشاش الماضى فى الامور الذكى فى تصريفها ٠

(٤) الديوان ص٤٢ ، ٤٣ وانظر شرح هذه الابيات فى هامش ص ١٥٣ من هذا البحث ٠

وآليتُ لا ينفك كشحي بطانةً ... لعضبٍ رقيق الشفرتين مهنّدِ

أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة ... اذا قيل مهلا قال حاجزة قَـدِ

حسام اذا ماقمت منتصرا بـه ... كفى العودَ منه البدءُ ليس بمِعْضَدِ

اذا ابتدر القوم السلاح وجدتني ... مَنيعًا اذا بَلَّتْ بقائمه يَـدِي

وهو باختصار ــ في هذا الامر ، فتى القوم الذي لا يدعو صريخهم الا ايـاه ، ولا يحتاج ملهوفهم الى سواه . يقول :(١)

اذا القومُ قالوا مَنْ فتًى خلتُ أنّني ... عُنِيتُ فلم أكسلْ ولم أتبلّـدِ

الى غير ذلك مما قاله طرفة ، مفتخرا بشجاعته في القتال ، وشدته وصـبره وجراته عند ملاقاة القرناء والابطال . حتى لقد اعتد بجودة قصيده وقـوة شعره ، فقولته كحد السيف على الناس ، وقعها كوقعه أو أبعد آثـرا ، وجرحها كجرحه أو أشد ألما . يقول :(٢)

وتَصُدُّ عنـك مَخيلَـةَ الرجل العِرِّيضِ مُوضِحَـةٌ عن العَظْـمِ(٣)

بحسام سيفـك أو لسانك والكَلِمُ الأَصِيلُ كأَرْغَبِ الكَلْـمِ(٤)

أرأيتم يصد طرفة عن نفسه زهو المتكبرين ، وخيلاء المختالين ، واعـتراض المعترضين . لقد كان يصد ذلك بواحدة من اثنتين ، اما بشجة من سيفـه ، تغوص الى عظم قرنه ، فتوضحه وتكشف عنه لحمه وتبدي بياضه ، وذلـك

---

(١) الديوان ص ٢٧ وشرح البيت في هامش ص ١٥٤ من هذا البحث .

(٢) الديوان ص ٩٦ .

(٣) المخيلة الخيلاء والتكبر والزهو ، والرجل العريض الذي يعترض فيما لا يعنيه . والموضحة : الشجة تبدي عن وضح العظم أي بياضه .

(٤) الاصيل من الكلام ، البليغ النافذ الذي له اصل وقوة ، ويريد الهجاء ، وأرغب الكلم اي أعمق الجراح .

لشدتها ، واما بكلمة مقذعة من كلمات الهجاء ، فانها تبلغ فى نكاية العدو ماتبلغ الطعنة النجلاء .

أما الكرم فقد بلغ فيه طرفة شأوا بعيدا ، وتندر الناس على مر الازمان بشعره فيه ، فقد درج وقومه على اطعام الناس وقت الشدة ، واطعامُهم وقت الرخاء أولى .. يقول :[١]

نَحْنُ فى المشتاة ندعو الجَفَلَى ‏ ‏ ‏ ‏ لا ترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

وهذا من درجات الكرم العالية ، ان لم يكن أعلاها ، حين لا يخص الداعى الاغنياء من الناس ولا الأقرباء منهم ، ولكنه يعم بدعواه كل من له فى الطعام مأرب ، ولنفسه اليه حاجة . ومتى يكون ذاك ؟ يكون فى الشتاء وفى أيام البرد الشديد حيث تشتد حاجة القوم الى الطعام .

وطرفة لهذا الامر لا يستتر عن أعين الناس فى مسكنه ، مخافة الطاعمين والاضياف وابن السبيل ، ولكنه يتعرض لهم فيرفد من يسترفده ، ويعين من يستعينه ، يقول[٢] :

ولستُ بحلال التلاع مخافةً ‏ ‏ ‏ ‏ ولكن متى يسترفد القومُ أرفِدِ[٣]

وأصدق الادلة على ذلك ماكان يفعله للحاضرين والحَضِرين والضيفان[٤] ، وماكان يقدمه للطاعمين والجيران . فقد كان ينقض بسيفه على النجائب

---

(١) الديوان ص ٦٥ ، وشرحه فى هامش ص ٤٧

(٢) الديوان ص ٢٨ وروايته (لبيتةٍ اى لمبيت) .

(٣) التلاع مجارى الماء التى تصب فى الاودية وهى تستر من نزل بها ، والرفد (بالكسر) العطاء والصلة ، ورفد من باب ضرب ، ورفده وأرفده اعانه ، والاسم منهما الرفد (بالكسر) والمصدر الرفد بالفتح (اللسان رفد) .

(٤) الحاضر المقيم على الماء مع القوم ، والحَضِرُ الذى يتحين طعام القوم =

من ابل أهله ، عقرا وجزرا ، فلا يفلت من عقره وجزره نادٌّ ولا قريب (١).

ولقد تعودت تلك الابل من طرفة ذلك الامر ، فصارت اذا لمحته أيقنت بالوُجوب (٢)، فاستبد بها الخوف وأمعنت فى الهروب .

ويحاول عقلاء القوم رَجْعَه عما يقصد ، وصده عما يريد ، بالنصح تارة، وبتحريض أهله عليه تارة أخرى، ولكنه لا يستجيب . فيخلون بينه وبينها ، ويتركونه وشأنه ، والنتيجة استمتاع الطاعمين بوجبات هنية ، وأطعمة شهية . يقول (٣):

وَبَرْكٍ هُجُودٍ قد أثارت مخافتى	نَوادِيَهُ أمْشِى بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ (٤)
فمرتْ كَهَاةٌ ذاتُ خَيْفٍ جُلالَةٌ	عقيلةُ شيخٍ كالوَبيل يَلَنْدَدِ (٥)
يقول وقد تَرَّ الوظيفُ وساقُها	ألستَ ترى ان قد أتيتَ بمؤيَدِ (٦)
وقال ألا ماذا ترون لشاربٍ	شديدٍ عليكم بغيُه متعمَّدِ

= ليحضره (اللسان حضر) .

(١) نَدَّ البعير ينِدُّ (بالكسر) نفر وشرد . والمصدر: نَدٌّ (كشد) وندود (كهروب) ونديد كهويل ، ونداد كعناق . وناقة ندود اى شرود (اللسان ند) .

(٢) الوجوب الموت (اللسان وجب) .

(٣) انظر الديوان ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) البرك الابل ، والهجود النيام ، ونواديه اوائله وماسبق منه ، والعضب من السيوف القاطع ، والمجرد المسلول من غمده .

(٥) الكهاة الضخمة من النوق ، وكذلك الجلالة (بالضم) ، والخيف جلد الضرع ، وناقة خيفاء واسعة جلد الضرع كناية عن ضخامتها . وعقيلة المال افضله ، والوبيل العصا ، واليلندد الشديد الخصومة .

(٦) تَرَّ أىْ طنَّ لمَّا ضربه بالسيف ، والوظيف فى الرجل مابين الرسغ والساق وفى اليد مابين الرسغ والذراع . والمؤيد الداهية الشديدة ذات الايد اى القوة .

فقالَ ذَرُوه إنَّما نَفْعُها لَـهُ ... وإلَّا تردُّوا قاصِيَ البَرْكِ يَزْدَدِ
فظلَّ الإماءُ يمْتَلِلْنَ حُوارَها ... ويُسْعَى علينا بالسَّدِيفِ المُسَرْهَدِ (١)

واما طرفة الرَّحَّال الجَوَّال ، الذى كان لا يشق عليه سير فى غدو أُو آصال . طرفة الذى كان لا يرهب الرَّوَاح ولا السُّرَى (٢) ، ولا يستثقل ضَحْوةً أو تَهَجُّراً (٣) ، طرفة الخبير بالطرق والمسالك ، يتبطنها وقتما يشاء فلا يخشى المهالك ، ويجتاز الى من يحب المغاوز والقفار ، وهو عليمٌ بها فلا يضل ولا يُحار .

طرفة المحب الجرئ ، الذى لا يخشى فى حبه لوما ، الذى يتنقل بين أقوام معشوقاته ، فلا يرهب منهم قوما ، طرفة الذى يحفظ لمعشوقته ودها ويدوم على هواها ، ولكنه فى الوقت ذاته كريم أبى لا يقبل الضيم ، فاذا لسنته لسنها واذا قلته قلاها .

طرفة الذى تلك شئونه ، وهذه صفاته ، مرت بنا الامثلة التى تدل على ذلك من اشعاره ، وذلك أثناء حديثنا عن غزله ووقوفه بالاطلال ، بحيث لا تحتاج تلك الامثلة الى التكرار فى هذا المجال .

ولا نريد أن ننسى فى ختام حديثنا عن فخر طرفة بنفسه ، أمرا كان دائما مايعتز به ويعتد . حتى ترك ذلك الامرُ على شخصيته بصماتٍ واضحة ، وآثارا بينة . وطبع نفسه بانطباعات كان لها فى اقواله واعماله سمات بارزة ،

---

(١) يمتللن اى يشوين فى الملة وهى الرماد الحار ، والحوار (بالضم والكسر) ولد الناقة ، والسديف قطع السنام ، والمسرهد السمين الحسن .
(٢) الرواح السير بالعشى والسرى السير آخر الليل (اللسان روح ، سرى) .
(٣) الضَّحوة السير ضحى والتهجر والتهجير والاهجار السير فى الهاجرة (اللسان ضحى ، هجر) .

وعلامات لا تخفى • ذلك الامر هو شعوره بأصالة محتده ، وطيب أصله ، وعلو منزلة فرعه بين فروع قبيلته • يقول (١) :

وإنْ يلتق الحَيُّ الجميعُ تُلاقِنى ... إلى ذِرْوَةِ البَيْتِ الكريم المُصَمَّدِ (٢)

ثم يقول (٣) :

ولِيَ الأَصْلُ الذى فى مثله ... يُصلِحُ الآبِرُ زَرْعَ المؤتَبِرْ (٤)

ذلكم هو طرفة الفرد ، وتلكم هى مفاخره الشخصية ، ومكارمه الخاصة ، فما هى مكارم قبيلته ؟ وما هى مفاخرها ؟

فى حقيقة الامر تكاد الصفات التى يتفاخر بها الافراد – تكون هى ذات الصفات التى تتفاخر بها القبائل ، مع ائتلاف تام فى بعض الجوانب ، واختلاف يسير فى بعضها الاخر • فالكرم هو الكرم ، ولكن الذى يتكرم به الفرد على بعض المحتاجين ، غير ماتتكرم به القبيلة على الناس الاخرين • والشجاعة كذلك هى الشجاعة • ولكن شجاعة الفرد التى تتمثل فى قوته الشخصية ، وجرأته الذاتية ، غير شجاعة القبيلة التى تتمثل فى التفاف بعضها على بعض فى السَّرَّاء والضَّرَّاء ، وتكاتفها واجتماعها حين البأس ضد الاعداء ، وتعاضدها وصبرها عند اللقاء •

وتلك أمور لا تمنع أن تتمتع القبيلة بشجاعة أفرادها الخاصة ، وجرأتهم

---

(١) الديوان ص ٢٩ •
(٢) ذروة كل شىء أعلاه ، والمصمد المقصود • فالصمد القصد (وهو من باب ضرب) فهو من أعلى بيت يصمد اليه الناس لعزه ويلجئون فى حوائجهم اليه لشرفه •
(٣) الديوان ص ٦٣ •
(٤) الابر المصلح ، والمؤتبر الذى يطلب ذلك ، واكثر مايكون الابار فى النخل وقد استعاره •

الشخصية وكرمهم وجودهم وبذلهم وتضحيتهم .. فذلك مما يزيد القبيلة شجاعة الى شجاعتها ، وكرما على كرمها . ولكن ، كم من جبان يصبح شجاعا بقومه ! وكم من بخيل في ذاته يصبح جوادا بتشجيع أهله !

اما قوم طرفة فقد كانوا يتصفون – كما ذكر – بكرم المحتِد ، ودوام السُّؤدد والمجد المؤثل ، كما كانوا يتصفون بالنجدة والصبر والشجاعة ، والكرم والمروءة والرزانة ، والحلم وسماحة الخلق وسداد الرأى ، وغير ذلك .

يقول (١)

وتفرعنا من ابنَىْ وائلٍ ... هامةَ العِزِّ وخرطومَ الكَرَمْ (٢)

ويقول (٣) :

ورثوا السُّؤدَدَ عَنْ آبائهم ... ثم سادوا سؤددًا غيرَ زَمِرْ (٤)

فهم في أعلى مراتب الشرف ، وأرفع منازله ، بل لقد امتطوا أعز مراتبه وأرفع منازله . أعزاء أقوياء كرماء ، يتوارثون المجد والسؤدد خلفا عن سلف .

ثم هم كذلك قوم ذوو شجاعة في القتال ، وصبر في النزال . يقول (٥)

وَتَشَكَّى النفسُ ما صَابَ بها ... فاصْبِرى إنَّك مِن قومٍ صُبُرْ (٦)

---

(١) الديوان ص ١١١ .
(٢) تفرعنا أى علونا وركبنا ، والهامة الرأس والخرطوم الانف .
(٣) الديوان ص ٦٥ .
(٤) السؤدد السيادة ، والزمر القليل .
(٥) الديوان ص ٦٢ ، ٦٤ .
(٦) تشكى أى تشتكى ، وصاب بها أى أصابها .

أُسْدُ غابٍ فاذا ما فَزِعُوا ... غيرُ أنكاسٍ ولا هُوجٍ هُذُرْ (١)
وهمُ ما همْ اذا ما لبسُوا ... نَسْجَ داود لبأْسٍ مُحْتَضَرْ (٢)
وتساقى القومُ كأسًا مُرَّةً ... وعلا الخيلَ دماءٌ كالشَّقِرْ (٣)

فهم قوم صبر لا يعرفون الفرار وقت الشدة ، وذلك عندما يتساقى القوم كئوس المنايا ، وتسيل الدماء حمراء قانية من تبادل الطعن ، فتكسو أجسام الخيول • ومن كانت تلك صفاته ، فهو لا يتأخر عن فزع ، ولا يتكاسل عن صريخ ، بل يهب هب الاسود في غاباتها ، وينقض انقضاضها على فرائسها في أجماتها •

على أن لقوم طرفة صفات في غاراتهم ، تتناثر من هولها جثث الابطال في ساحات النزال • يقول (٤)

دُلُقٌ في غارةٍ مَسْفُوحَةٍ ... ولَدَى البأْسِ حُماةٌ ما نفِرْ (٥)
نُمْسِكُ الخيلَ على مكروهها ... حين لا يُمْسِكُها الا الصُّبُرْ (٦)
دُلُقُ الغارةِ في إِفزاعهم ... كرِعالِ الطَّيْرِ أَسْرابًا تَمُرّْ (٧)
تَذَرُ الأَبطالَ صَرْعَى بَيْنَها ... ما يَنِي مِنْهُمْ كَمِيٌّ منعفِرْ (٨)

(١) فزعوا أى أغاثوا ، والانكاس جمع نكس (بكسر ثم سكون) وهو الضعيف الدنيء والهوج جمع أهوج وهو الاحمق ، والهذر جمع هذور (كجزور) وهو الكثير الكلام•
(٢) نسج داود اى الدروع • والبأس المحتضر اى الحاضر •
(٣) مر شرحه في هامش ص ١٤ من هذا البحث •
(٤) الديوان ص ٦٨ ، ٧١ •
(٥) دلق جمع دلوق (كرءوف) وهو المتقدم المسرع الى الغارة ، والمسفوحة النازلة المصبوبة•
(٦) انظر هامش ص من هذا البحث •
(٧) الرعال القطع والجماعات •
(٨) ماينى اى مايزال ، والمنعفر الملتصق بالتراب •

فهم يهبون الى الغارة ويتقدمون فيها ويسرعون اليها اسرابا وجماعات ، تترك الابطال من الاعداء صرعى تتعفر وجوههم بالتراب . ومن كانت تلك صفاته فهو لا يعرف فرارا من شدة ، ولا يولى دبره لعدو .

ثم انهم كذلك شجعان جميعا ، الشباب منهم والكهول ، ليس فيهم جبان أو خامل أو كسول . يقول(١) :

بِشَبَابٍ وكُهُولٍ نُهُدٍ ... كَلُيُوثٍ بين عِرّيسِ الأَجَمْ(٢)

فهم جميعا شيوخهم وشبابهم نُهُدٌ متعاونون ، ينهدون لعدوهم اى ينهضون لقتاله ، نهود الاسد فى أجماتها . قال الاعلم الشنتمرى : " وخص ليوث الاجم ، لانها أشد اقداما وجرأة ، لحمايتها أجمها "(٣)

ثم إنهم — فوق ذلك — قوم كرام جياد ، يبلغ كرمهم وقت الشدة أعلاه ، ويبلغ جودهم عندما يجوع الناس منتهاه . ويظهر ذلك فى زمن الشتاء خاصة ، وقد كان فى أيامهم أشد الزمان ، حيث يصيب الناس من الجهد والحاجة للطعام الشئ الكثير ، وحتى يصبح ريح الشواء بين الجياع بمنزلة ريح العود . وفى هذا الجو الذى ترى ، يعم قوم طرفة بدعوتهم الى الطعام ، ولا يخصون بها أحدا دون آخر .

وهم يقدمون طعامهم فى جفان واسعة ، يصدر منها القوم ويشبعون ولا يقدمونه فى أوانى صغيرة لا تسمن ولا تغنى من جوع . ثم هم يذبحون كل

---

(١) الديوان ص ١١٤ .
(٢) العريسة موضع الاسد من الاجمة .
(٣) انظر الديوان ص ١١٤ .

يوم للناس، ولا يدخرون من ذبائحهم شيئا لغد ، فيفسد وتتغير رائحته وطعمه ، فليس ذلك من عاداتهم بل انه من عادات البخلاء أو المقلين .

يقول (١) :

نحنُ فى المشتاةِ ندعو الجفلَى ... لا ترى الآدب فينا ينتقرْ .(٢)

حين قال الناسُ فى مجلسهم ... أقُتَارٌ ذاك أم ريحُ قُطُرْ (٣)

بجفان تعترى نادينا ... من سَدِيفٍ حين هاج الصِّنَّبْرْ .(٤)

كالجوابى لا تَنِى مُتْرَعةً ... لِقِرَى الاضياف أو للمُحْتَضِرْ .(٥)

ثم لا يَخْزَنُ فينا لَحْمُها ... إنما يَخْزَنُ لحمُ المُدَّخِرْ (٦)

ويكرر طرفة تلك المعانى ويشدد عليها ،وكأنه يريد أن ترسخ مكارم قومه فى الاذهان ، من كثرة مايطرق بذكرها الاذان . على أنه اذا كررها لا يقتصر على ماذكره منها بل يزيد فيها .

فهم الى جانب ذبحهم للضيفان والجيران ، أيام الشتاء حين يشتد الزمان ، متكاتفون ، متعاونون ، متكافلون . لا يلجأ اليهم محروب الا جبروه ، ولا يصمد اليهم مسلوب الا عوضوه . يقول (٧) :

---

(١) الديوان ص ٦٥ ، ٦٦ .
(٢) انظر شرحه فى هامش ص ٤٧ من هذا البحث .
(٣) القتار : رائحة اللحم المشوى، والقطر العود الذى يتبخر به .
(٤) انظر شرحه فى هامش ص ٣٢٤ من هذا البحث .
(٥) انظر المصدر السابق .
(٦) خزن اللحم يخزن اذا تغيرت رائحته ، ومثله خنز (وهما من بابى نصر ، وسمع) .
(٧) الديوان ص ١١٠ .

يَجْبُرُ المَحْرُوبُ فينا مالَــهُ ... بِبِنَـاءٍ وسَوَامٍ وخَـدَمْ (١)
نُقُلٌ للشَّحْمِ فى مَشْتاتِنَـا ... نُحُرٌ للنِّيْبِ طُرَّادُوا القَـرَمْ (٢)

ومن شمائلهم العالية الكريمة ايضا انهم لا يتشددون فى مطالبة المدين المعسر ، ولكنهم ينظرونه الى أن يوسر . وهذا بلاشك ، خلق الكرام من النـاس . يقول : (٣)

لا يُلِحُّونَ على غارِمِهِـمْ ... وعلى الأَيْسارِ تَيْسِيرُ العَسِرْ

ولهم خلاف ذلك من المزايا ما يستحقون عليه المدح ، أما أخلاقهم فسمحة ، وأما رأيهم فسديد ، وأما احلامهم فرزينة ، وأما هم بشكل عام فأناس موزونون ، لا تستخفهم النعمة ولا تبطرهم ، ولا تكبوبهم الشدة ولا تقهرهم . يأمرون دائما بالخير ويفعلونه ، ويترفعون عن جهل جارهم ويسامحونه . كما أنهم متسامحون فيما بينهم ، لا يتعالون أو يتفاخرون على بعضهم . يقول (٤) :

إنْ نُصادِفْ مُنْفِساً لا تُلْفِنا ... فَرِحَ الخَيْرِ ولا نَكْبُو لِضُرّْ (٥)
ثم زادُوا أنهم فى قومِهِم ... غُفُرٌ ذَنْبَهُمُ غيرُ فُخُرْ
ولقدْ تَعْلَمُ بَكْرٌ أَنَّنَـا ... آفَةُ الجُزْرِ مَسَامِيحُ يُسُرْ
ولقدْ تعلمُ بكرٌ أننـا ... فاضلوا الرأىِ وفى الرَّوْعِ وُقُرْ
فُضُلٌ أَحْلامُهُمْ عن جارِهِمْ ... رُحُبُ الأَذْرُعِ بالخَيْرِ أُمُرْ

بل لقد بالغ طرفة فى نقل كرم أخلاق قومه ، ووصف رزانة أحلامهم ، حتى جعلهم

---

(١) المحروب من أُخذ مالُه بحرب أو سواها . والسوام الابل السائمة فى المرعى .
(٢) النيب جمع ناب وهى المسنة من الابل ، والقرم شهوة اللحم .
(٣) الديوان ص ٧٢ .
(٤) الديوان ص ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ .
(٥) المنفس والنفيس الشى المعجب المتنافس فيه ويريد به المال والغنى .

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . ، فقد رأيناهم فى الابيات السابقة وهم بالخير أُمُر ، ثم انظر اليهم وهم يكفون الجاهل من جلسائهم عن جهله ، وينهون السفيه عن سفهه ، حتى ليشبه مجلسهم حرم البيت الحرام ، من حيث كونه لا يُتكلم فيه بفحش ، ولا يراد بأذى ، ولا يُرفثُ فيه ولا يفسقُ . يقول :(١)

نَزَعُ الجَاهِلَ فِى مَجْلِسِنَا فَترى المَجْلِسَ فِينَا كالحَرَمْ

===

أولئك هم قوم طرفة ، كما أحب طرفة أن يصفهم وكما أراد أن يفخر بهم . فهم قوم متكاملو الأوصاف ، طيبو الأصل ، كريمو الأخلاق . أما شجاعتهم وكرمهم فلا يحد هما حد ، وأما مآثرهم ومفاخرهم فلا يحصيها العد .

ولذلك فقد حق لهم أن يجروا أزرهم من الخيلاء ، وان يتضوع طيبهم فى مختلف الأنحاء . يقول :(٢)

ثُمَّ رَاحُوا عَبَقُ المِسْكِ بِهِمْ يلحِفُونَ الأرضَ هُدَّابَ الأُزُرْ(٣)

على أن طرفة قد كبا فى فخره بقومه ، كبوة الجواد . حين سقط فيما أُخذ عليه ، يقول :(٤)

فَإِذَا مَاشَرِبُوهَا وانْتَشَوْا وَهَبُوا كُلَّ أَمُونٍ وطِمِرْ(٥)

فجعلهم هنا لا يهبون نجائب الابل وكرام الخيل ، ويجودون بها على من

---

(١) الديوان ص ١١١ .
(٢) الديوان ص ٦٥ .
(٣) عبق المسك رائحة المسك ، .
(٤) الديوان ص ٦٥ .
(٥) الامون من الابل الموثقة الخلق ـ والطِمِرُّ من الخيل الطويل المشرف النشيط .

يحتاجها ، الا اذا ادارت الخمر رؤوسهم ، ولعبت بعقولهم ، وذهبت بوعيهم . قال المرزباني في الموشح : " قد عاب الناس قول طرفة هذا[1] ، فهم " انما يهبون عند الآفة التي تدخل على عقولهم ".[2] ثم ذكر المرزباني أن الناس قد فضلوا على قول طرفة هذا قول عنترة :[3]

وإذا شَرِبْتُ فإنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ ... مَالِي وَعِرْضِي وافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ
وإذا صَحَوْتُ فما أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى ... وكما عَلِمْتِ شَمائِلِي وتَكَرُّمِي

ولكنها من طرفة كبوة الجواد وحسب ، فلقد ذكر لقومه من المفاخر والمكارم والمآثر ، وسرد لهم من الطبائع والشمائل والفضائل ، ما خلد ذكرهم على مر الايام ، وأعلى قدرهم بين الانام ، وجعل الناس ينظرون اليهم باعجاب واكبار واحترام .

---

(١) الموشح ـ بتحقيق البجاوى ـ ص ٧٨ .
(٢) نفس المصدر ونفس الصحيفة .
(٣) انظر الموشح ـ بتحقيق البجاوى ـ ص ٧٨ والبيتان فى ديوان عنترة ص ٢٧

الهجـــاء

الهجاء من الفنون الشعرية العريقة فى أدبنا العربى منذ القديم ، فكما كان الشعراء يتباهون بمآثر قومهم ومكارمهم ، وينشرون بالفخر ــ على الناس ــ محامدهم ومناقبهم ، كانوا كذلك يعيرون أعداءهم بنقائصهم ومخازيهـــم ، ويبينون بالهجاء للناس سقطاتهم ومثالبهم .

ولقد كان الامراء والزعماء وذوو السلطان ، يشترون أعراضهم بالإنعـــام على الشعراء ، خشية الوقوع تحت ألسنتهم السليطة ، والتعـرض لهجائهـــم المقذع .

ولقد كان لطرفة بن العبد فى الهجاء ــ كما كان له فى الغزل والوصـــف والفخر ــ باع طويل . بل ان هجاءه هو الذى قضى عليه كما رأينا . فقـــد كان سليط اللسان جريئا على هجاء من يعاديه ، لا يحسب حسابا لاحد ، ولا يقف فى هجائه عند حد . يتناول الصفات الخُلُقية فيحط منها ، ويتهمها ويشهـــر بها ، ويتناول السمات الخِلْقية ، فيسخر منها ويهزأ بها ويُضحك النَّاسَ عليها ، وليته كان يقف عند حد الطعن فى الاخلاق ونفى المكارم ، بل تعدى ذلك الـــى شتم الاعراض والنيل من المحارم .

ولقد كان من سوء طالع عمرو بن هند وأخيه قابوس ، أن وقعا تحت لسان طرفة ، يقول : (١)

لَيتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمْـــرٍو رَغُوثًا حَـوْلَ قُبَّتِنَـا تَخُـورُ (٢)

---

(١) الديوان ص ١٠١ .

(٢) انظر شرحه فى هامش ص ١٦٢ من هذا البحث .

مِن الزَّمِراتِ أَسْبَلَ قادِماهَا   وضَرتها مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ (١)
يُشارِكُنا لَنا رَخِلانِ فِيهَا   وتَعْلُوهَا الكِبَاشُ فَما تَنُورُ (٢)
لَعَمْرُكَ إِنَّ قابوسَ بْنَ هِنْدٍ   لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نُوكٌ كَثِيرُ (٣)

أرأيت كيف يفضل طرفة على عمرو بن هند ، نعجة مرضعا غزيرة الالبان ؟ فهى عنده أكثرفائدة ٠ اذ تغذوهم باللبن من ضرتها المدرار ، وترفه عن كباشهم، وتمدهم بالغنم الصغار ٠

الى هذا الحد ينزل طرفة بقيمة عمرو بن هند ، وليس فى الحيرة يومئذ أشرس منه ولا أخبث ، حتى سمى " مضرط الحجارة " لخبثه (٤) ، ولكن طرفة قال فيه ذلك غير عابئ بالنتائج ، وذلك لما كان يذهب اليه فى حكمه من الجور والظلم والانحراف الشديد ، ولما كان يوءخذ عليه من لانشغال عن مصالح الناس، وعدم الاهتمام بها ، لا من قريب ولا من بعيد ٠ ولما كان يتصف به اخوه قابوس بن هند ـ كذلك ـ من الحمق فى تصريف الامور ، والسفه فى معالجتها ، فضلا عن سلوكه المعوج ، وأخلاقه المتدنية ، وقد رأينا جانبا من هذا الهجاء ، عند حديثنا عن علاقة طرفة ببلاط الحيرة مما لا ضرورة لاعادة القول فيه مرة أخرى هنا ٠

---

(١) انظر شرحه فى هامش ص ١٦٣ من هذا البحث ٠
(٢) الرخل (كالكتف) ، الانثى من ولد الضأن والجمع رخال ، والذكر حمل (انظر معجم مقاييس اللغة ٢ / ٥٠٠ ـ رخل) ، ونارت تنور نورا اى نفرت ٠ وامرأة نوار اى عفيفة تنفر من القبيح ، والجمع نُورٌ ٠ ويقال فى المصدر ايضا نوار بالفتح ، والاسم بالكسر (انظر معجم مقاييس اللغة ٥ / ٣٦٨ ـ نور)٠
(٣) النوك (كالبوق) ، والنوك (كالشوك) : الحمق والجهل والسفه ، ورجل أنوك ومستنوك (كاحمق ومستلقى) وقوم نوكى ونوك (كهلكى ونوق)٠ (انظر معجم مقاييس اللغة ٥ / ٣٧٢ ـ نوك) ٠
(٤) انظر الديوان ص ١٠١ ٠

على أن الذى نود أن نذكر به فى هذا المجال ، هو أن طرفة قد أقذع لعمرو بن هند فى الهجاء ، وأفحش له فى القول ، ورماه بأقبح الصفات واحط الخلال . حتى لقد شبهه كما سبق أن ذكرنا بالمرأة الفاجرة ، التى لا هم لها الا الانحراف والاجرام ، والعكوف على الحرام ، وارتكاب الفواحش ومقارفة الآثام ، يقول :(١) " مَلِكُ النَّهارِ وأَنْتَ اللَّيلَ مُومِسَةٌ " .

هذا وقد رأينا كذلك فيما مضى جانبا من هجاء طرفة لابن عمه عبد عمرو ابن بشر بن مرثد ، أحد ندماء عمرو بن هند المشاربين ، واحد اصدقائه الحميمين . ومن ذلك قوله :(٢)

وَلا خَيْرَ فيه غيرَ أَنَّ له غِنًى وأَنَّ له كَشْحًا إِذا قامَ أَهْضَما

فهو رجل يتمتع بكثير من صفات النساء ، فهو مترف غنى ناعم كمثلهن ، أهضم الخصر ، ضامر البطن كواحدة منهن ...

ولقد كانت مثل هذه الكلمات تقع على المهجو وقع الصاعقة ، فهى شديدة لاذعة ، رغم خلوها من الالفاظ المقذعة .

وكما عير طرفة ابن عمه بسماته الخُلُقية ، عيره ايضا بصفاته الخلقية ، فقد وشى به الى عمرو بن هند ، وأذاع سره عنده ، فأحنقه عليه وأثاره ضده . وليس هذا بفعل كريم ، ولا بخلق قويم . يقول :(٣)

أَلاَ أَبْلِغَا عَبْدَ الضَّلاَلِ رِسَالَةً وَقَدْ يُبْلِغُ الأَنْباءَ عَنْكَ رَسُولُ

---

(١) انظر فى ذلك بحثنا هذا ص ١٦٧

(٢) الديوان ص ٩٩

(٣) الديوان ص ٨٢ .

دَبِيبَ يسرى بَعْدَ ما قَدْ عَلِمْتُهُ   وأنْتَ بأسرارِ الكرامِ نَسُولُ (١)

ثم عيره ببخله بين الاقارب ، وشدته عليهم وسوء معاملته لهم ، وهو فى ذات الوقت يكرم على الاباعد ، ويتسامح معهم ، ويحسن معاملتهم · يقول : (٢)

فأنْتَ على الأدنى شَمالٌ عَرِيَّةٌ   شآميةٌ تَزْوِى الوجوهَ بليلُ

وأنتَ على الأقصى صَبًا غيرُ قَرَّةٍ   تَذاءَبُ ، منها مُرْزِغٌ ومُسِيلُ

وهذه الاخلاق ليست من أخلاق قوم طرفة التى مدحهم بها ، أن يحسنوا الى الغريب، ويسيئوا الى القريب ، ولكن اخلاقهم أن يحسنوا اليهما كليهما ·

فهم مع الغريب :

رُحُبُ الأذْرُعِ بالخَيْرِ أُمُرْ (٣)

فُضُلٌ أحلامُهم عَنْ جارِهِمْ (٤)

نِعَمَ السّاعونَ فى القَوْمِ الشُّطُرْ (٥)

الى غير ذلك مما خلعه عليهم من كريم الخلال · وهم مع القريب :

لا يُلِحّونَ على غارِمِهِمْ (٦)

غُفُرٌ ذَنْبَهُمْ غيرُ فُخُرْ (٧)

يَكْشِفُونَ الضُّرَّ عَنْ ذِى ضُرِّهِمْ (٨)

---

(١) النسول السريع ·

(٢) الديوان ص ٨٢، وانظر شرحهما فى هامش ص ٩ من هذا البحث ·

(٣) الديوان ص ٦٨ ·

(٤) نفس المصدر ص ٦٨ ·

(٥) الديوان ص ٧٢ والشطر البعداء من الناس والغرباء ·

(٦) الديوان ص ٧٢ ·

(٧) نفس المصدر ص ٦٤ ·

(٨) نفس المصدر ص ٦٧ ·

أما مايفعله عبد عمرو بن بشر ، من الاحسان للاباعد ، والاساءة للاقارب، فليس من شيم القوم ، ولذلك فقد اسقطه طرفة من حساب القبيلة بشكل عام ، وجعله ذليلا كالفقع في القيعان ، يوطأ بالحوافر والأقدام . يقول (١)

فأصبحت فقعاً نابتاً بقرارةٍ تصوّحُ عنه والذليلُ ذليلُ (٢)

هذا وقد استنفد عمرو بن هند ، وعبد عمرو بن بشر بن مرثد ، مما قال طرفة في الهجاء — أكثره ، وأشهره ، وأقذعه وأشده وأفحشه . وكان ذلك لموقفهما منه ، وتصرفهما معه ، وأذاهما الذي ناله . ولذلك فقد جادت قريحته فيهما بما رأينا .

أما خصوم قبيلة طرفة وأعداؤها ، فان لطرفة معهم ايضا جولات من الهجاء . يقول (٣) :

أنتمُ نخلٌ نُطيفُ به فاذا ما جزّ نصطرمُهْ (٤)

وعذاريكم مقلّصةٌ في دُعاعِ النخل تجْترِمُهْ (٥)

فهم من الضعف والضعة بحيث لا يملكون حماية أنفسهم ، ولا يستطيعون الذب عن محارمهم . ثم خص عذاريهم بذلك ، لانهن أحق محارم القوم بالحماية

---

(١) الديوان ص ٨٣ .
(٢) الفقع (كالسهم) ضرب من الكمأة وبه يشبه الرجل الذليل فيقال : " هو أذل من فقع بقاع " (معجم مقاييس اللغة ٤ / ٤٤٥ — فقع) ، والقرارة ما اطمأن من الارض ، وتصوح عنه اى تشقق الارض عنه .
(٣) الديوان ص ٧٧ .
(٤) نطيف به أي نحيط به ونتعاهده ، وجزّ آن جزه أي صِرامه .
(٥) العذارى الابكار ، والمقلصة المشمرة ، والدعاع نبت سوء يأكلونه ، وتجترمه تقطعه .

والستر ، فاذا هنّ هنّ فخيرهن أهون .

ثم يعيرهم طرفة فى موقف آخر بما جرى لهم ، ويتوعدهم بمثله ، ويتهددهم بكلمات الهجاء اللاذعة الذائعة من ناحية ، وجحافل الابطال المتتابعة الرادعة من ناحية أخرى ، وذلك ان هم أثاروا حربا أو أبدوا شحناء أو بغضاء . يقول : (١)

إِنْ تُعِيدُوهَا نُعِدْ لَكُمُ — مِنْ هِجَاءٍ سَائِرٍ كَلِمُهْ

وقتالٍ لا يُغِبُّكُمُ — فى جميعٍ جَحْفَلٍ لَهِمُهْ (٢)

وفى موقف آخر من مواقف طرفة فى الهجاء ، يقع تحت لسانه بنو المنذر ابن عمرو . توقعهم حظوظهم العاثرات ، فيصفهم طرفة بأخس الصفات ويرميهم بأحط السمات . ومن ذلك بخلهم وشحهم الشديدان ، فهم لا يعطون شيئا يذكر فى الملمات ، ولا يقرون الضيفان ولا يغيثون ذوى الحاجات. وليس ذلك لقلةٍ فيهم ، فهم كثير ، وليس ذلك ايضا لفقر فيهم ، فان ذلك دأبهم وتلك صفاتهم ، حتى وان ملأت سوامهم المراعى . يقول (٣) :

من الشرّ والتبريح أولادُ معشرٍ — كثيرٌ ولا يُعطون فى حادثٍ بكرا (٤)

همُ حَرْمَلٌ أعيا على كل آكلٍ — مُبيرًا ، ولو أمسى سوامُهُمُ دثرا (٥)

انهم فى شدة بخلهم وعمق شحهم وانعدام الامل فى معروفهم كالحرمل ، وهو

---

(١) الديوان ص ٧٩ .
(٢) يغبكم من الغب (بالكسر) وأصله أن ترد الابل يوما وتترك يوما ، وغب وأغب بمعنى . والجميع الجيش المجتمع ، والجحفل العظيم . ولهمه أى التهامه . فهو جيش يلتهم كل شيء ويذهب به ويبتلعه ابتلاعا .
(٣) الديوان ص ١١٦ .
(٤) التبريح الجهد والمشقة ، والبكر الفتيّ من الابل — وليس الضخم العظيم .
(٥) المبير المهلك ، والدثر الكثير الذى لا يحصى لكثرته .

ذلك النبات المر الذى لا يطيق آكل أكله والا هلك .

ثم يذهب طرفة بهم الى أسوأ من ذلك ، حين يجعلهم كالارض الوعرة المجدبة ، التى تدمى بوعورتها أخفاف الابل الضخام ، وكأنه يقول ان هؤلاء القوم لا ينزل بهم نازل الا ناله أذاهم وطاله اعتداؤهم ، ولا يرجوهم ذوو الحاجات الا خاب فيهم رجاؤهم . يقول :(١)

جماد بها البَسْبَاسُ تَرْهَصُ مُعْزُهَا
بَنَاتِ اللَّبُونِ والسَّلاَقِمَةَ الحُمْرَا (٢)

ثم يصفهم طرفة بصفات مضحكة ومخجلة(٣)، ليس لذكرها ضرورة ، فان فيما ذكرناه غناء .

ولعل ماقاله طرفة لأعمامه حين ظلموا أمه حقها ، ولم يقسموا لها من تركة أبيه ، يدخل فى هذا المجال ، فقد حقرهم وصغر من شأنهم ، وتوعدهم وتهددهم وأنذرهم وعرَّض بهم . يقول(٤) :

ماتنظُرون بحق وردةَ فيكمُ	صغُرَ البنونَ ورهطُ وردةَ غيَّبُ
قد يبعثُ الامرَ العظيمَ صغيرُه	حتى تظلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ
أَدُّوا الحقوقَ تَفِرْ لكم أعراضُكُمْ	إِنَّ الكريمَ إِذَا يُحَرَّبُ يَغْضَبُ

---

(١) الديوان ص ١١٦ .

(٢) البسباس نبت لا غناء فيه ينبت فى وعر الارض وخشينها . والرهص (بالفتح) أن يصيب حجر حافرا أو منسما فيدميه . والمعز جمع أمعز ومعزاء (كأفعل وفعلاء) ، وهو الحزن الغليظ الصلب ذو الحصى من الارض .
والسلاقمة العظام من الابل .

(٣) انظر الديوان ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٤) الديوان ص ١٠٧ ، ١٠٨ وانظر شرح الابيات فى هامش ص ١٣٩ من هذا البحث .

فهو يحط من قدرهم حين يذكر انهم استضعفوا امرأة رهطها غائبون ، وابناؤها صغار ، ثم ينذرهم بما قد يلحق بهم اذا لم يؤدوا من الحقوق ماسلبوه ، وفى هذه القطعة يضرب طرفة لاعمامه من الحكم والامثال مايعضد به تهديده ووعيده . وهو ما سنعرض له فى حينه ان شاء الله تعالى .

هذا هو الهجاء عند طرفة ، سرد لمثالب المهجوين وتصغير لشأنهم ، وحط من أقدارهم ، وتهجين لارائهم ، وكفر للحسن من فعالهم ، واذاعة للسىء من أخلاقهم . وغير ذلك . وقد يذهب الى أبعد من ذلك فيثلب الاعراض ويقدح فى الطباع . بألفاظ فاحشة بذيئة ، ومعان أشد فحشا وبذاءة .

ولذلك فقد وضعه الرواة بين كبار الشعراء الهجائين ، كما فعل ابو عبيدة فيما ذكره الجاحظ فى البيان والتبيين .[١] بل لقد عده ابوعبيدة من اولئك الشعراء " الذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ، ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوا ، وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم ، وسكت عنهم بعض من (هجوه)[٢] ، مخافة التعرض لهم ، وسكتوا عن بعض من هجاهم ، رغبة بأنفسهم عن الرد عليهم "[٣]

واذا كان طرفة فى الهجاء كما ذكر ابو عبيدة ، فانه فى المدح لم يكن كذلك ، وأشهر ماعرف له من المديح بضعة أبيات قالها فى قتادة بن مسلمة الحنفى ، وكان قوم طرفة قد اجدبوا فأتوا قتادة فبذل لهم[٤] . فبعث

---

(١) انظرالبيان والتبيين ٤ / ٨٣ .
(٢) الرواية (هجاهم) ولا يلائم المقام .
(٣) انظر البيان والتبيين ٤ / ٨٣ .
(٤) انظرتقديم الاعلم الشنتمرى للقصيدة رقم (٧) بالديوان ص ٩٥ .

اليه طرفة يشكره على ذلك ، ويدعو لبلاده بدوام الرخاء . يقول (١) :

أبلغْ قتادةَ غيرَ سائلـه ... منه الثوابَ وعاجلَ الشكـم
أني حَمِدْتُكَ للعشيرة إذْ ... جاءتْ إليك مُرِقَّةَ العَظْم
أَلْقَوا اليك بكل أرملةٍ ... شعثاءَ تَحْمِلُ مِنْقعَ البُرْم (٢)
فَفَتَحْتَ بابَكَ للمكارم حيـنَ ... تَوَاصَتِ الأبوابُ بالأَزْم
فسقى بلادَكَ غيرَ مُفْسِدِها ... صوبُ الربيع ودِيْمَةٌ تَهْمِي

وهذه الابيات الى الفخر بالقبيلة أقرب منها الى المدح ، وذلك أن قتادة بن مسلمة المذكور ، من بني حنيفة ، وبنو حنيفة من ربيعة قوم طرفة . واذن فإن بين الرجلين آصرةً من النسب ، ورابطةً من القربى . فاذا مدح طرفة فعاله ، فكأنما يفتخر بها افتخاره بمكارم القبيلة .

أضف الى ذلك أن الابيات لا يحملن خصائص المدح المعروفة بين الشعراء المداحين ، كالتزيد من الصفات الحقيقية ، والتماس الصفات الكاذبة ، لرفع اقدار الممدوحين . اما طرفة فانه يخاطب ابن عمه هذا بقوله : لقد شكرْتُكَ بين أهلنا على صنيعك بهم ، حين جاءوك مجهودين قد رقت من الجدب عظامهم ، وهزلت من الشظف نساؤهم . فرفقت بهم وأحسنت اليهم ، وفتحت أبوابك لاستقبالهم واستضافتهم وإكرامهم . في حين قد عجز غيرك عن مثل ماصنعت ، وقصر عن مثل ماقدمت . بل لقد اقفل عليه أبوابه ، إما جَدْباً وإما بُخْلاً .

---

(١) الديوان ص ٩٧ وانظر شرح الابيات ـ عدا الثالث منها ـ في هامش ص ٤٧ من هذا البحث .

(٢) الشعثاء المتغيرة من الهزال ، وسوء الحال . والبرم جمع برمة وهي ما ينقع فيها أنكات الأخبية ، من الأواني الحجرية .

ثم دعا طرفة لممدوحه بما يدعو به الصديق لصديقه . دعا له بأن تغاث بلاده ويدوم خيرها ولم نره يتذلل اليه ، أو يلقى من الصفات الكاذبة عليه .

ومثل هذا المدح أيضا يظهر من طرفة لبني جده سعد بن مالك ، يقول (١):

رأيتُ سُعُودًا من شُعُوبٍ كثيرةٍ ... فلم تَرَ عيني مثلَ سَعْدِ بْنِ مَالكِ
أبرَّ وأوفَى ذِمَّةً يعقِدُونها ... وخيرًا إذا ساوَى الذُّرا بالحَوَارِكِ (٢)
وأنمَى إلى مَجْدٍ تَلِيدٍ وسُورةٍ ... تكونُ تُراثًا عند حَيٍّ لِهَالِكِ (٣)

أرأيت كيف أن طرفة في هذا الموقف أيضا — يجعل عالي الفضائل وكريم الشمائل ، لا تخرج من قبيلته ولا تتعداهم ؟ ثم أرأيت كيف انه لا يختص بمدحه أحدا سواهم ؟ انه لم ير ببصره أو ببصيرته أحدا من الناس أصدق ولا آمن ولا أشجع ولا أكرم ولا أسرع الى المجد من بني سعد بن مالك ، وهم عشيرته الأقربون . لقد كانوا اذا أقسموا على أمرٍ بروا بقسمهم وأنفذوه ، واذا أعطوا عهدا وفوا به وحفظوه .

كما كانوا أكثر الناس خيرا وأوسعهم كرما ، وخاصة اذا اشتد الزمان وتوالى الجدب ، واشتد الشظف وعم المحل ، حتى تذوب من تلك الشدائد أسنمة الابل من الهزال . كما كانوا أسرع الناس الى اكتساب الحمد ، وتسنم ذرا المجد ، ينعمون بها زمانهم ثم يورثونها لمن بعدهم من الاجيال .

ان هذا ليس من المدح في شيء ، ولكنه فخر بالقبيلة ، وسرد لمكارمها

---

(١) الديوان ص ٨٨ .
(٢) الذرا الأسنمة ، والحوارك جمع حارك وهو مقدمة السنام .
(٣) السورة المنزلة من الشرف .

ونشر لمآثرها . وان كان قد جاء في صورة المدح كما نرى .

وخلاصة الامر أن طرفة كان شاعرا هجاء مقذع الهجاء ، يتبوأ في هجائه أرفع المنازل بين بقية الشعراء . ولكنه لم يكن في المدح كذلك ، فقد كانت له نفس مجبولة على العزة والانفة والتعالي والطموح ، فأنفت من المدح أنفة النجيب ، وندّت عنه ندَّ الجَمُوح .

===

الأمثال والحكم

المثل هو القول المختصر ، الذى يتندر به الناس، لانه يحمل لفظا موجزا ، ومعنى عميقا ، ويصلح لمواقف متعددة تكون كالموقف الذى قيل فيه أول الأمر ، وذلك لانه — كما ذكر ابن فارس فى مقاييس اللغة — " يذكر مُوَرَّى به عن مثله فى المعنى "(١).

والامثال وليدة حوادث الايام المليئة بالعجائب ، ونتاج مايجرى للناس عبر حياتهم من التجارب • ولقد أغرم الجاهليون بضربها ، سواء منهم الشعراء وغير الشعراء ، يعبرون بها عن أمر من الامور التى عَنَّت لهم ، او حَدَثان من الحوادث التى جابهتهم ، ثم تشيع تلك الامثال فى الناس ، وتصبح ملكا لهم •

وغرام العرب فى الجاهلية بالامثال ، ظاهر من انتشار ضربها فى أقوالهم ، وكثرة استخدامها فى أحاديثهم ، حتى خصص لها العلماء والباحثون الكتب والمؤلفات ، يجمعونها ويستقصونها ، ويحصونها ويدونونها ، ويصنفونها ويشرحونها ويعلقون عليها •

ومن ذلك مافعله الضبى (٢) فى كتابه (أمثال العرب) ، وأبو فيد السدوسى (٣) فى كتابه (الأمثال) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (٤)، فى كتابه (الأمثال) كذلك ، وأبو عكرمة الضبى (٥) ايضا فى كتابه (الأمثال)،

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٩٦ — مثل) •
(٢) توفى المفضل الضبى سنة ١٧٨ هـ •
(٣) توفى أبو فيد مؤرّج بن عمر السدوسى سنة ١٩٨ هـ •
(٤) توفى أبو عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٤٤ هـ •
(٥) توفى ابو عكرمة الضبى سنة ٢٥٠ هـ •

وحمزه بن الحسن الاصبهانى[(١)] ، فى كتابه (الدرة الفاخرة ، فى الامثال السائرة) ، وأبو هلال العسكرى[(٢)] فى كتابه (جمهرة الامثال) ، وأبو عبيد البكرى[(٣)] فى كتابه (فصل المقال) ، وابو الفضل الميدانى[(٤)] فى كتابة (مجمع الامثال) ، وجارالله الزمخشرى[(٥)] فى كتابه (المستقصى فى أمثال العرب) ، وغير اولئك من العلماء .

ومن هذه الامثال قول طرفة الذى مر بنا ـ " استنوق الجمل " ، فقد قاله فى حدثان بعينه ، وذلك حين كان يستمع لاحد الشعراء ينشد شعرا فى وصف جمل ، ثم حوله الى نعت ناقة . فقال طرفة " استنوق الجمل " فذهبت مثلا . قال أبو عبيد البكرى فى كتابه فصل المقال : " ومن أمثالهم : قد استنوق الجمل . وهو الرجل يكون فى حديث ثم يخلط ذلك بغيره . وينتقل اليه . وهو لطرفة "[(٦)] ، ثم قال : " وقد يقال ذلك للرجل يظن ان عنده غناء من شجاعة وجَلَد ثم يكون الامر على خلاف ذلك "[(٧)] . وقال ابو هلال فى " استنوق الجمل[(٨)] " : " يضرب مثلا للرجل الواهن الرأى ، المخلط فى كلامه . والمثل لطرفة "[(٩)]

---

(١) توفى الاصبهانى سنة ٣٥١ هـ .
(٢) توفى ابو هلال العسكرى سنة ٣٩٥ هـ .
(٣) توفى أبو عبيد البكرى سنة ٤٨٧ هـ .
(٤) توفى ابو الفضل الميدانى سنة ٥١٨ هـ .
(٥) توفى جار الله الزمخشرى سنة ٥٣٨ هـ .
(٦) فصل المقال ص ١٩٠ .
(٧) نفس المصدر ص ١٩٠ .
(٨) وهذا المثل فى مجمع الامثال للميدانى تحت رقم ١٢ ، وهو كذلك فى المستقصى للزمخشرى ١ / ١٥٨ .
(٩) جمهرة الامثال ١ / ٥٤ .

وقد ولع طرفة بضرب المثل ولعا شديدا ، فلا يكاد يمر بموقف من المواقف التى عرض لها فى شعره الا ضرب فيها عددا من الامثال ، حتى طبقت أمثاله الافاق ، وعده الباحثون والنقاد أضرب الشعراء الجاهليين مثلا على الاطلاق . روى السيوطى فى المزهر قال : " وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبه بن مسلم ، يسأله عن أشعر الشعراء فى الجاهلية ، وأشعر شعراء وقته فقال : أشعر الجاهلية امروء القيس ، وأضربهم مثلا طرفة "(١)

والحقيقة أن الذى يتصفح ديوان طرفة ، ويمعن النظر فى اشعاره ، يجد مصداق ماقال قتيبه بن مسلم للحجاج . فقد تناثرت الامثال عنده فى كل مجال . فى الغزل والوصف والفخر والهجاء وحتى فى الوقوف بالاطلال . ولقد جمع العلماء الذين ذكرنا ـ كثيرا من أمثال طرفة فى مؤلفاتهم ، ولكنهم ايضا قد أغفلوا منها الكثير . واليك بعضا من ذلك على سبيل المثال ، وليس على سبيل الحصر فان الحصر محال :

قال أبو عبيد البكرى : "ومن اقوالهم (رأى فلان الكواكب مظهرا) ، أى أظلم عليه يومه حتى رأى الكواكب عند الظهر "(٢) وقد ضرب طرفة هذا المثل لتمنع صاحبته عليه بقوله :(٣)

ان تنوله فقد تمنعه   وتريه النجم يجرى بالظهر

ومن أمثلة الميدانى فى مجمع الامثال قول العرب " صابت بقر "(٤) . ومعناه

---

(١) المزهر ٤٨١/٢ .

(٢) فصل المقال ص ٤٦٥ والمثل فى مجمع الامثال للميدانى تحت رقم ١٦٠٣ ، وفى المستقصى للزمخشرى ٩٢/٢ .

(٣) الديوان ص ٥٦ .

(٤) مجمع الامثال رقم ٢١١٦ .

أن الأمر قد حل في محله ، ووقع في موقعه . وقد ضرب طرفة هذا المثل لنفسه بقوله :[1]

سادرًا أحسَبُ غيِّي رشَدًا فتناهيتُ وقدْ صَابتْ بِقُرْ

قال الأعلم الشنتمري في شرحه لهذا البيت : " وهذا مثل . تقول العرب للشيء اذا وقع موقعه : صابتبقر . وكذلك يقولون لمن اصاب خيرا أو وقع في أمر "[2]. وقال الزمخشري في تعليقه على هذا المثل : " يضرب لفعلة أو قولة او خصلة تقع موقعها "[3].

وفي جمهرة الامثال لابي هلال قولهم : " أيسر من لقمان "[4]. قال ابو هلال : " يعني لقمان بن عاد ، وكان أضرب الناس بالقداح ، والأيسار القوم يجتمعون فيضربون بالقداح ، واحد هم يَسَر[5] ، والعرب تقول : كأيسار لقمان ، للقوم يكون لهم شرف "[6] . وقد ضرب طرفة هذا مثلا لقومه حين قال :[7]

وهمُ أيسارُ لقمان إذا أغلتِ الشتوةُ أبداءَ الجزرْ

ومن أمثلتهم أيضا : " إنَّ في الشرِّ خِيارًا " . قال ابو هلال العسكري : " معناه ان بعض الشر أهون من بعض "[8] . وقد ضربه طرفة لعمرو بن هند

---

(١) الديوان ص٧٣ .
(٢) نفس المصدر ص٧٣ .
(٣) المستقصى ٢ /١٣٧ .
(٤) انظر كذلك المستقصى ١ /٤٤٩ .
(٥) يسر (كقمر) واحد الايسار وهم الذين يجتمعون على الميسر وهو القمار .
(٦) جمهرة الامثال ٢ /٤٣٦ .
(٧) الديوان ص٧٢ .
(٨) جمهرة الامثال ١ /٦٧ .

فيما نسب اليه من شعر ، وهو قوله (١) :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا   حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

ولذلك فقد قالوا : " ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ، وانما العاقل من يعرف خير الشرين "(٢) .

ومن أمثالهم كذلك " إنه لمَوْهُون الفقار " . وهو يضرب مثلا للرجل الضعيف كما ذكر الميدانى(٣) . وقد ضربه طرفة لنفسه قال(٤) :

واذا تلسُنِى أَلْسُنُهَا   اننى لستُ بموهون فَقِرْ

ومن أمثالهم كذلك " ما أشبه الليلة بالبارحة "(٥) ، قال ابو هلال فيه :

" يضرب مثلا فى تشابه الشيئين من غير نسب ، يقال هو أشبه به من الليلة بالليلة ، ومن الماء بالماء ، ومن التمرة بالتمرة ، ومن الغراب بالغراب "(٦)

وقد ضربه طرفة مثلا لأقاربه الذين خذلوه فى محنته قال :(٧)

كلهم أروغ من ثعلبٍ   ما أشبه الليلة بالبارحةْ

ومنها كذلك قول طرفة " ويأتيك بالاخبار من لم تزود "(٨) . ويضرب مثلا للأمر يأتيك خبره ، من غير أن يجهدك طلبه . ومنها كذلك قول طرفة

---

(١) الديوان ص ١٧٢ .
(٢) جمهرة الامثال ١/٦٨ .
(٣) انظر المثل رقم ٣١٧ فى مجمع الامثال .
(٤) الديوان ص ٦٠ .
(٥) انظر كذلك فصل المقال ص ٢٢٧ والمستقصى ١/١٤٥ .
(٦) جمهرة الامثال ٢/٢٤٧ .
(٧) الديوان ص ١١٨ .
(٨) الديوان ص ٤٨ والمثل فى جمهرة الامثال ٢/١٢٢ ، وفى فصل المقال ص ٣٠١ ، وفى المستقصى ٢/٤٠٤ .

فى قصته مع القنابر : " خلالك الجو فبيضى واصفرى "(١). ويضرب مثلا للرجل يخلى بينه وبين حاجته . ومنها كذلك قولهم : " رب قول أشد من صول "(٢) . ويضرب مثلا للكلمة النافذة نفاذ السهم ، المؤلمة ايلام الكَلْم . وقد عبر طرفة عن ذلك بقوله :(٣) " والكَلِمُ الأَصيلُ كأرغب الكَلْمِ " .

ومن أقوالهم كذلك " أنفذ من ابرة " ، وهو يضرب مثلا للكلمة القوية النافذة . وقد ضربه طرفة مثلا لأشعاره قال (٤):

رأيت القوافى يتَّلِجْنَ موالجًا تضايقُ عنها أن تولجها الإِبَرْ

ومن أمثالهم كذلك " ان الجواد قد يعثر " . وهو يضرب مثلا للكريم الاخلاق تزل خطاه أو يضل – مرة – مسعاه . وقد نسب لطرفة شعر فى هذا المعنى وهو قوله (٥):

قَدْ يَعْثُرُ الجَوادُ وتمحِلُ البِلادُ
وتُنْهَبُ التِّلادُ ويضْعُفُ الجِلادُ

---

(١) الديوان ص١٥٧ ، والمثل فى جمهرة الامثال ٤٢٢/١ ، وفى فصل المقال ص٣٦٤ .
(٢) انظر جمهرة الامثال ٤٧٦/١ ، والمثل فى مختار الصحاح للرازى – صول – .
(٣) الديوان ص٩٦ .
(٤) الديوان ص ١٦١ والولوج الدخول ، تقول ولج كدخل لفظا ومعنا يلج بالكسر .
(٥) استدراكات الديوان ص٢٧٨ ، والتلاد بالكسر والفتح ايضا المال القديم، والجلاد يجوز أن يكون من الجلد (كالسهر) والجلادة (كالبسالة) وهى القوة والتحمل ،ويجوز ان يكون بمعنى الابل القليلة اللبن وهى الجلاد (كالبلاد) (انظر معجم مقاييس اللغة ٤٧٢/١ – جلد) .

ومن الامثال التي ذكرها الميداني في مجمع الامثال قولهم " وأُمِرَّ دون عبيدة الوذم " ، ويضرب مثلا لمن يستبد بالامر دونه . وهو من قول طرفة ، وقد ضربه مثلا لما حدث لابله وابل أخيه (عبيدة) ، حين أُغير عليها فقال :[1]

ولقدْ هممتُ بذاك اذ حُبِسَتْ　　وأُمِرَّ دون عبيدةَ الوذَمُ

تلك هي بعض الامثال التي ذكرها العلماء في كتبهم ، والتي كان طرفة قد ضربها في شعره ، سواءآكان هو اول من اشتقها واستعملها ، او كان قد استشهد بها وحسب .

أما الامثال التي تناثرت في قول طرفة دون أن تحظى – كلها – بجمع واستقصاء ، او بتصنيف أو احصاء ، فهي كثيرة . ومنها قوله : " لا تهلك أسى وتجلد "[2] ، فقد قاله على طلل لخولة ، ولكنه ذهب مثلا يقال في كل مجال يتطلب التجلد والتصبر والتجمل والتأسي والتعزية . ومنها قوله في ثغر معشوقته خولة ايضا : " سقته إياةُ الشمس "[3] . قال الاعلم الشنتمري في شرحه : " والمعنى حسنته وبيضته ، وهذا مثل . وانما أراد أن ثغرها أبيض براق "[4] . وعليه فاننا نستطيع أن نضربه مثلا لكل ما هو أبيض براق .

ومنها قوله : " فان تقتنصني في الحوانيت تصطد "[5]. يقول فحيثما

---

(١) الديوان ص ١٠٦ وشرحه في هامش ص ١٦٥ من هذا البحث .
(٢) الديوان ص ٦ .
(٣) الديوان ص ١١ وإياة الشمس ضوءُها وشعاعها .
(٤) انظر الديوان ص ١١ .
(٥) الديوان ص ٢٩ .

طلبته وجدتني • قال الاعلم في شرحه أيضا : " وضرب الاقتناص مثلا للطلب ، والاصطياد مثلا للوجود "(١).

ومنها أيضا قوله : " رأيت بني غبراء لا ينكرونني "(٢)، فهو يضرب مثلا لمن يريد أن يتمدح بصلته بالفقراء والمحتاجين ، وعطفه عليهم ، ووصله اياهم • وقوله : " كأنا وضعناه على رَمْسٍ مُلْحَدِ "(٣) فقد ضربه مثلا ليأسه من كل خير في ابن عمه • وكأنه قد مات ووضعه في قبره ، وساق ذلك مثلا لانقطاع خيره ويأسه من بره • وصدر البيت قوله : " وأيأَسَني من كلِّ خيرٍ طلبتُه " •

ومنها قوله كذلك : " متى يك عهد للنكيثة أشهد "(٤) فقد ساقه مثلا لكرمه وشجاعته وحبه للنجدة في كل مجال ، إنْ بالنفس وإنْ بالمال • وكذلك قوله :

وان يقذفوا بالقذع عِرْضَكَ اسقهم بشرب حياض الموت قبل التهدد "(٥)

قال الاعلم الشنتمري في شرحه : " وهذا مثل • أي أُوردهم حياض المهالك "(٦) ومن ذلك قوله(٧) :

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد

فقد ساقهما مثلا في كثرة المال وكثرة الولد ، ولذلك يقول بعده :(٨)

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٩ •
(٢) الديوان ص ٣١ والغبراء الارض والفقير ينسب اليها •
(٣) الديوان ص ٣٧ •
(٤) الديوان ص ٣٨ والنكثية الامر الصعب •
(٥) الديوان ص ٣٩ •
(٦) نفس المصدر ص ٣٩ •
(٧) الديوان ص ٤١ •
(٨) الديوان ص ٤٢ •

فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وعادني بنون كرامٌ سادةٌ لِمُسَوَّدِ

ومن أمثال طرفة أيضا قوله في سيفه : " إذا قيل مهلاً قال حاجزه قَدِ "(١) ، يضرب مثلا للسيف الصارم الذي لا ينبو ، وللرجل الحازم الذي لا يتردد • ومن ذلك قولهم : " سبق السيفُ العَذَلَ " •

ومنها كذلك قوله : " ولا ليلي على بِسَرْمَدِ "(٢) ، اى لا يطول ليله كما تطول ليالي المحزونين والمهمومين ، ويضرب ذلك مثلا لمن لا تغلبه الأشجان ، او تقض مضجعه الهموم والأحزان •

ومنها قوله : " ما أقرب اليوم من غد "(٣) ، فهو يضرب مثلا لكل أمر يكون مظنة البُعد والاستحالة ، • وقوله : " ستبدى لك الايام ماكنت جاهلا "(٤) ، فهو يساق مثلا لكل من لا يعتبر بما مضى من خطوب ، ولا يأخذ الامور بالحزم المطلوب •

ومنها قوله : " ومن الحب جنون مستعر "(٥) ، فقد ضربه طرفة مثلا لتعلقه بصاحبته ، تعلقا ذهب بعقله ، ولكنه يساق مثلا لكل من يتعلق بشيء لا يقوى على فراقه •

ومنها قوله : " ولا كلُّ الظُّفْرِ "(٦) ، فقد ساقه مثلا لشدته وقوته ، وانه في كامل سلاحه وعدته • ونحن نستطيع أن نضربه مثلا كذلك للضعف

---

(١) الديوان ص ٤٢ •
(٢) الديوان ص ٤٧ •
(٣) الديوان ص ٤٨ •
(٤) الديوان ص ٤٨ •
(٥) الديوان ص ٥٠ •
(٦) الديوان ص ٦٠ •

والقوة • فليس القوى الشجاع المرهوب الجانب بكل الظفر ، وكل ضعيف مستباح الحِمى كُلُّ الظفر •

ومن ذلك قوله عن حوادث الايام " تبْتَرِي عُودَ القَوِيِّ المُسْتَمِر "(١)• فقد ضربه مثلا لفعلها بالناس ، فهى تضعف الاقوياء وتنال من ذوى الصمود ، صنع المبراة بالقلم ، وصنع النصْل بالعُود •

ومنها كذلك قوله :(٢)

ولى الاصل الذى فى مثله " يصلح الابر زرع المؤتبر "

قال الاعلم الشنتمرى فى شرحه : " وأكثر مايستعمل لابار فى النخل ، ثم هو عام فى كل شىء • وضربه هاهنا مثلا لاتمام الصنيعة ، وربا المعروف "(٣).

ومن ذلك قوله ايضا :(٤)

طيبو الباءة سهل ولهم سُبُلٌ ان شئت فى وَحْشٍ وَعِرْ

قال الاعلم الشنتمرى فى شرحه " أى ساحتهم طيبة ، سهلة لمن اراد معروفهم وهى وعرة خشنة لمن أراد هم بسوء ، وهذا مثل "(٥)

ومنها قوله : " وتساقى القوم كأسا مرة "(٦) ، فهو مثل ضربه لاشتداد القتال ، وتبادل الطعن بين الرجال • وقوله فى قومه : " آفة الجُزُرِ "(٧)

---

(١) الديوان ص ٦٢
(٢) الديوان ص ٦٣
(٣) المصدر السابق ص ٦٣ •
(٤) الديوان ص ٦٣
(٥) الديوان ص ٦٤ •
(٦) الديوان ص ٦٤ •
(٧) الديوان ص ٦٧ •

فقد لجوا فى كرمهم حتى أصبحوا كالآفة تصيب جزرهم فتقضى عليها من كثرة ما يذبحون منها للقرى . ثم هم كذلك " رحب الاذرع "(١) ، وهذا مثل لحلمهم وسعة صدورهم .

أما قوله " أغلت الشتوة ابداء الجزر "(٢) ، فقد ضربه مثلا لشدة الزمان ، وفيه تغلو الجزر وترتفع أثمانها ، من شدة الحاجة اليها . وقوله : " فعقبتم بذَنُوبٍ غيرِ مُرّ "(٣) ، فهو مثل للحظ الذى ناله منهم ، فهو حظ غامر ، وغير ممطول . وقد ضرب الذنوب وهو الدلو مثلا لكثرة حظه ، وضرب عدم مرارته لوفائهم به وعدم المُطْل فيه .

وقوله " جعلته حَمَّ كَلْكَلِهَا "(٤) ، ضربه مثلا للسحابة وقد أناخت على ذلك المكان بمطرها ، وبركت عليه ، بروك النوق .

وقوله : " أنتم نخل نطيف به "(٥) ، ساقه مثلا لضعتهم وضعفهم ، وعدم قدرتهم على حماية أنفسهم .

وقوله : " فالهَبِيتُ لا فؤاد له "(٦) ، ضربه مثلا لشدة الحرب وهولها ، حيث ينخلع لذلك قلب الجبان فيصبح وكأنه " لا فؤاد له " .

ومن ذلك قوله ايضا " فأنت على الادنى شمال عَرِيَّةٌ "(٧) ، " وأنت على الاقصى صَبًا غيرُ قَـرَّةٍ "(٨) ، ضرب الاول مثلا لابن عمه عبد عمرو بن بشر

---

(١) الديوان ص ٦٨ .
(٢) الديوان ص ٧٢ .
(٣) الديوان ص ٧٢ .
(٤) الديوان ص ٧٥ .
(٥) الديوان ص ٧٧ .
(٦) الديوان ص ٨٠ .
(٧) الديوان ص ٨٣ .
(٨) الديوان ص ٨٣ .

ابن مرثد فى شدته على اقاربه وسوء معاملته لهم ، وضرب الثانى مثلا له ايضا فى سماحته مع الاباعد ، وحسن معاملته لهم . وضرب ريح الشَّمال مثـلا لسوء المعاملة والشدة ، وذلك لانها ريح باردة تذهب بالسحاب ولا مطـر فيها . وضرب ريح الصَّبا مثلا للسماحة وحسن المعاملة ، وذلك لانها ريـح لينة ممطرة وغير باردة .

ومن أمثلته كذلك قوله لابن عمه ذاك : " فأصبحتَ فقعًا نابتا بقرارة "[1] وقد ضربه مثـلا لذلته وهوانه . قال الاعلم الشنتمرى فى شرحه : " يضـرب مثلا للذليل ، يقال أذل من فقعٍ بقاعٍ "[2]

ومنها قولـه :[3]

وأَنَّ لسانَ المرء مالم تكن لـه حَصَـاةٌ ، على عوراته لدليـلُ

يقول : " لسان المرء دليل على عوراته ، اذا لم يكن له عقل يرشده ، ويرده عن القبيح . وانما ضرب هذا مثلا لعبد عمرو ابن عمه "[4]

وقوله : " ساوى الذُرَا بالحوارك "[5]، وهو مثل لشدة الزمان وتوالـى الجدب . اذْ هزلت الابل من ذلك فذهبت اسنمتها وتساوت أعاليها مـع مقدماتها .

ومنها كذلك قوله : " اذا جاء مالابد منه ــ فمرحبا به "[6]، ضربـه مثلا لاستعداده للخطوب وصبره على نزولها وتواليها .

---

(١) الديوان ص ٨٣ .
(٢) الديوان ص ٨٤ والمثل فى معجم مقاييس اللغة (٤ / ٤٤٥ ــ فقع) .
(٣) الديوان ص ٨٥ .
(٤) انظر شرح الاعلم لذلك البيت ــ الديوان ص ٨٥ .
(٥) الديوان ص ٨٨ .
(٦) الديوان ص ٩٢ .

وقوله : " ألا إنني شربت أسود حالكا "(١) ، ضربه مثلا لفساد مابينه وبين محبوبته ، فكأنه شرب كأس المنية .

وقوله : " وأنا امرؤ أكوي مرلقَصَر البادي "(٢). أي من كان ذا شر وفساد جازيته عليه وعاقبته به ، وضرب القَصَر وهو الداء في العنق — مثلا للشر والفساد . وضرب الكيّ — مثلا للمجازاة والمعاقبة .

وقوله عن عشيرته ، وقد أصابها الجدب " جاءت اليك مرقة العظم "(٣) فقد ضربه مثلا لما أصاب العشيرة من شدة وجدب فجهدت وهزلت حتى رقت عظامها .

وقوله : " وتواصت الابواب بالأزم "(٤)، فقد ضربه مثلا لبخل الناس، ومنعهم للمعروف ، وعدم نجدتهم للملهوف .

وقوله : " يبعث الامر العظيم صغيره "(٥) ، ضربه مثلا لأعامه على وخامة عواقب الظلم . فهو يبدأ صغيرا ثم يهيج ويكبر ، كما قال الآخر : " ومعظم النار من مستصغر الشرر " وقد ضرب طرفة لاعامه أمثلة اخرى في الظلم ، دلت على شدة حرقته من ذلك .(٦)

ومن أمثلته أيضا قوله : " يوم تبدي البيض عن أسوقها "(٧)، فقد ضربه مثلا لشدة الحرب حتى كشفت الفتيات المصونات عن أسوقهن ، ورفعن ذيولهن استعدادا للهرب ، ولا يفعلن ذلك الا من شدة الحرب وهولها .

---

(١) الديوان ص ٩٣ .
(٢) الديوان ص ٩٥ .
(٣) الديوان ص ٩٧ .
(٤) الديوان ص ٩٧ .
(٥) الديوان ص ١٠٧ .
(٦) انظر ديوانه ص ١٠٨ .
(٧) الديوان ص ١٠٩ .

وقوله : " تفرعنا ـ هامة العز ، وخرطوم الكرم "(١) ، ضربه مثلا لتسنمهم أرفع المنازل ، وأعلاها ، فمجد لا يجارى ، وكرم لا يبارى .

وقوله : " همُ حَرْملُ أعيا على كل آكلٍ "(٢) ، فقد ضربه مثلا لبخل القوم الذين هجا ، وايذائهم لمن يستطعمهم ، واعتدائهم على من يستجير بهم .

وقوله : " يحارُبها الهادِى ـ الخفيفُ ذلاذِله "(٣) ضرب ذلك مثلا للخفة والسرعة والنشاط . اذ " يقال لمن رفع ذيله خفت ذلاذله . أى شمر وأسرع "(٤) .

وقوله عن الليل : " جِيْبت سرابِله "(٥) اى لبست قمصه ، وهو مثل للسير فيه . ومن ذلك كذلك قوله :(٦)

وإذا المُغيرة للهياج غـدت بسُعار موتٍ ظاهرٍ ذُعُـره

فقد ضربه مثلا لشدة الحرب ، وذلك من سعار النار وهو شدة اضطرامها وهيجها . وقوله في المخذول : " لَمْ يصْبحْ بِرِيِّق مائِهِ شَجَرهْ "(٧) . أى لم يوصل المسكين ولم ينعش ، كما الشجر الذى لم يصله الماء .

الى غير ذلك من الامثال التى أولع طرفة بضربها فى اشعاره . فكانت تقوى مبانيها ، وتعمق معانيها . وهى كما رأينا أمثال كثيرة متعددة متفرعة الشعاب ،

---

(١) الديوان ص ١١١ .
(٢) الديوان ص ١١٦ .
(٣) الديوان ص ١٢١ .
(٤) انظر شرح الاعلم لذلك البيت ـ الديوان ص ١٢١ .
(٥) الديوان ص ١٢١ .
(٦) الديوان ص ١٢٧ .
(٧) الديوان ص ١٢٨ .

لم يخل منها من شعر طرفة موقف من المواقف أو باب من الابواب .

فكما ضرب أمثالا للشرف والكرم والصبر والجمال والحزم والشدة والمضاء ، فقد ضرب أمثالا كذلك ، للقوة والسرعة والنشاط وحسن الصنيع والمعروف والنجدة والوفاء . وكما ضرب أمثالا لشدة الحرب والشجاعة والصرامة والغنى والسماحة وحسن المعاملة وحلم الاقوياء ، فقد ضرب أمثالا كذلك ، للجبن والضعف والمراوغة والفقر والبخل وسوء المعاملة والايذاء . وكما ضرب أمثالا ، للظلم والاعتداء والشر والفساد ، فقد ضرب أمثالا كذلك ، للعقوبة والمجازاة وسقطة الكريم وعثرة الجواد .

ولما كان المجتمع العربى الجاهلى فى حاجة الى صفات معينة فى أبنائه ، فقد أكثر طرفة من أمثاله حول مدح القوة والشجاعة والصبر والكرم والمعروف ، وذم الضعف والجبن والبخل وعدم نجدة الملهوف .

===

أما الحكمة فلها بالمثل اتصال وثيق ، وارتباط عميق . ذلك انهما يصدران كلاهما عن تجارب طويلة ، وبصائر نافذة ، وتأمل فى حوادث الزمان ، ومصائر الانسان . واستخلاص مافى ذلك من عبر وعظات ، بينات وخافيات .

أما المثل فهو الكلمة السائرة التى تصلح لان يتندر بها الناس ، كلما عن لهم نفس الموقف . واما الحكمة فهى رصد التجربة ، وابراز العبرة والموعظة . بكلمات مقتضبة مديجة محكمة . تشيع بمجرد التلفظ بها شيوع النار فى الهشيم وتسرى فى الناس سريان النسيم .

وكثيرا مايكون المثل هو الحكمة ، وتكون الحكمة هى المثل ، ومن ذلك

قول طرفة :(١)

سَتُبْدِي لكَ الايامُ ماكنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

فقد ذكر صاحب العقد الفريد ، قال : " وأُنشد النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذا البيت فقال : انه من كلام النبوة "(٢). وقال أبو منصور الثعالبى فى كتابه خاص الخاص : " وكان ابن عباس رضى الله عنهما ـ يقول : انه كلام نبى ، يجمع الحكمة والمثل "(٣) . غير أن الامثال ليست كلها حكما ، والعكس كذلك صحيح .

وقد كان طرفة مولعا باستنباط الحكمة ، كما كان مولعا بضرب المثل . وكأنَّ تلك الايام القصار التى عاشها كانت مملوءة بالتجارب ، مكتظة بالعبر . فهو يضرب لك المثل ضرب الناقد البصير ، ويصوغ لك الحكمة صوغ المجرب الخبير .

فاذا عدنا الى ديوانه لنستقصى الحكم فيما قال ، كما استقصينا ما استطعنا من آمثال ، فاننا نستنتج أن طرفة كان يرمى بحكمه الى مقاصد عدة . فهو يسجل ببعضها تجاربه الخاصة ، ويوضح ببعضها ما استفاد من حوادث الايام ، وما اتعظ به من مصائر الناس . ثم هو يحث ببعضها على فضائل بعينها ، كالكرم والصدق والشجاعة وغيرها ، ويحض ببعضها الاخر على التخلص من رذائل بعينها ، كالظلم والكذب والبخل وغيرها .

فأما تلك الحكم التى كان طرفة يسجل بها تجاربه الخاصة ، فمنها قوله :(٤)

---

(١) الديوان ص٤٨ .
(٢) العقد الفريد ٢٧١/٥ .
(٣) خاص الخاص ص٧٦ .
(٤) الديوان ص٤٨ .

أَرَى الموتَ أَعْدادَ النفوسِ ولا أَرَى بعيدًا غدًا ما أَقْرَبَ اليومَ من غَدِ

وقد ضمن بيته هذا ثلاثا من الحكم الصادقة ، أولا ها أن الموت كالماء تَرِدُه جميع النفوس ، وثانيتها ان الذى لا يدركه الموت اليوم فسيدركه غدا ، وثالثتها ان الموت قريب من الجميع قرب اليوم من غد . فهل فى ذلك من ريب !

ثم يقول : (١)

لَعمرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأَ الفَتَى لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياهُ فى اليَدِ

فلا يظنن الذين يُطال فى آجالهم أنهم بمفازة من الموت ، أو أنهم خالدون . فما مثلهم الأكمثل لجام الفرس فى يد الفارس ، يطول له اذا شاء ، ويثنيه اليه وقتما يشاء . ان الموت حينما يحين وقته لا يحتاج الا لجذب المرء اليه فاذا هو رهين رمسه تماما كما لا يحتاج الحيوان الذى انطلق فى المرعى يسرح فيه ويمرح ــ الى غير جذبة من سيده ليكون بين يديه .

ثم يقول : (٢) " والكَلِمُ الأَصِيلُ كأَرْغَبِ الكَلْمِ " . فالكلمة المحكمة الشديدة لها على النفوس آثار قوية بعيدة . بل انها تفعل بها ما تفعله الجروح الغائرة بالأجسام .

ولعل من ذلك قول الاخر : (٣)

جِرَاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا الْتِئَامٌ ولا يَلتامُ ما جَرَحَ اللِّسَانُ

ومن تجارب طرفة فى الحب قوله : " ومن الحبِّ جنونٌ مستَعِر " (٤) . ولعل الذين فعل بهم العشق ما فعل بطرفة ، يوافقونه على ذلك ، ويؤيدونه فى حكمته هذه ، ويكفى فى صدقها انها قد نبعت من تجربتنا الخاصة .

---

(١) الديوان ص ٣٧ . (٢) الديوان ص ٦٦

(٣) لم أقع لهذا البيت على قائل ، والذى فى البيان والتبيين ١ : ١٦٧ ، واللسان (دمل) بدون نسبة هو :

وجُرْحُ السَّيْفِ تَدْمُلُهُ فَيَبْرَا ويَبْقَى الدَّهْرَ ما جَرَحَ اللِّسَانُ

(٤) الديوان ص ٥٠ .

على أن أعمق تجارب طرفة آثارا ، وأبعدها مسارا ، هي تلك التي سجلها في قوله (١) :

ستُبدي لك الايام ما كنتَ جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تُزوِّدِ
ويأتيك بالاخبار من لم تَبِعْ له بتاتاً ولم تضربْ له وقت موعدِ

فقد أُعجب الناسُ بهذا القول اعجابا شديدا ، حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما كما رأينا : " انه من كلام نبي ، يجمع الحكمة والمثل "(٢). وقال جرير ، وكان قد سئل عن أشعر الناس ، فقال : الذي يقول : " ما أقرب اليوم من غد " ، " ولم تضرب له وقت موعد "(٣). وذكر الثعالبي أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان اذا استراب الخبر تمثل بقول طرفة : " ويأتيك بالاخبار من لم تزود "(٤)

وفي حياة الحيوان الكبرى قال الدميري : " وذكر ابن خلكان وغيره ، ان أحكم بيت قالته العرب : ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود "(٥) . وعلق أبو الفضل بن طيفور(٦) ، في اختيار المنظوم والمنثور ، على معلقة طرفة بقوله : " وختمها بأحسن مثل وأبلغه ، وأكمله معنى ولفظا وجزالة وبلاغة ، وأسيره مثلا وهو قوله : ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا (البيت) "(٧).

واما ما استخلصه طرفة من أحداث الزمان ومصائر الناس من الحكم

---

(١) الديوان ص ٤٨ .
(٢) انظر ص ٦٩ ج من هذا البحث -
(٣) انظر ما ذكره الاعلم في شرحه ص ٤٩ من ديوان طرفة .
(٤) خاص الخاص ص ٧٦ .
(٥) حياة الحيوان الكبرى ٢/٢٨٣
(٦) توفي ابن طيفور سنة ٢٨٠ هـ .
(٧) انظر اختيار المنظوم والمنثور ج ١٢ ظهر ورقة ٧٩ .

فمنه قوله :[1]

أرى الموتَ يعتامُ الكِرامَ ويصطفي عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدِّدِ

وهذا وان كنت ترى مافيه من حكمة ، الا أن الحقيقة تغايره ، فلكل أجل كتاب . ولكن موت الكريم أشهر ، اذ يترك فى الناس أثرا لا يتركه موت غيره ، وضياع كرائم الاموال أبين ، اذ يأسى عليها أهلها أسى لا يكون منهم على غيرها .

ومن حكم طرفة أيضا قوله : " وليس على ريب الزمان كفيلُ "[2]. فان حوادث الايام تفجأ الناس ، فلا يركنن لها أحد ، فليس لها وقت محدد ولا زمن معلوم . فالحذرَ الحذرَ ، لعله يخفف من وقعها ، ويثبت عند نزولها ليس الا ، فإنه لا يمنعها حذر ولا غير حذر .

ثم يقول[3] : " اذا ذل مولى المرء فهو ذليل " ، فهل يراد لهذا القول من دليل ؟ انه أمر مشهور ، اذ لا يُعتدى الا على الضعفاء ومن يلوذ بهم . أما الاقوياء فهم أعزة ومواليهم أعزة ، وجيرانهم أعزة .

وكأن طرفة قبل أن يستخلص لنا هذه التجربة ، قد طوف بالبلاد ، وتنقل بين العباد . وقد فعل ، بل كأنه نظر بعينه الثاقبة ، فاخترق الزمان ، وأبصر ما الناس فيه الان ، فالعزيز عزيز جاره ، والقوى محمى ذماره ، والويل كل الويل للضعفاء ، يُصفعون ويسكتون ، ويُركلون ولا ينتصرون ، وتنتقص أطرافهم وهم ينظرون .

ثم ينقلنا طرفة الى تجربة أخرى من تجاربه يقول : " وما كل ما يهوى امرؤ

---

(١) الديوان ص ٣٦ .
(٢) الديوان ص ٨٢ .
(٣) الديوان ص ٨٤ .

هو نائله "(١) .

أرأيت من أين أخذ المتنبى قوله : " ماكل مايتمنى المرء يدركه "(٢) ؟
وقد سار قول المتنبى هذا على كل لسان ، ولو أنصف الناس لعرفوا لطرفة فيه حقه .

ومن تجارب طرفة التى استقاها من معرفته بالناس ، قوله فيما نسب اليه من شعر (٣) :

تعارف أرواح الرجال اذا التقوا فمنهم عدو يتقى وخليل

وهى قولة صادقة حكيمة ، بين صدقها وحكمتها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال فيما رواه البخارى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : " ، سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف "(٤)

بمثل تلك الحكم ، عبر طرفة عن معرفته بصروف الزمان ، ووعيه لما يحدث من تقلب الايام ، واستفادته من مصائر الغابرين ، والمامه بأخلاق الحاضرين .
ثم ان له حكما غير هذه ، يشتم منها الترغيب فى أمور والتنفير من أمور غيرها .

فقد حث على الكرم والشجاعة واباء الضيم ، والصدق والبر والتزام الحق والتسامح ، وغير ذلك من الفضائل . ثم نفر من الكذب ، ومن جليس السوء ، ومن الظلم . وغيرها من الرذائل . فمن حكمه فى الحث على الكرم قوله :(٥)

---

(١) الديوان ص١٢٣ .
(٢) ديوان المتنبى ٤ / ٣٦٦ وتمام البيت فيه : " تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن .
(٣) الديوان ص ١٨٦ .
(٤) انظر صحيح البخاري ـ طبعة كتاب الشعب ـ ٤ / ١٦٢ ـ كتاب الانبياء .
(٥) الديوان ص٣٦ .

أَرَى المالَ كَنْزاً ناقِصاً كلَّ ليلةٍ   وما تَنْقُصِ الايامُ والدهرُ ينفدِ

وكأني به يقول اذا كان الامر كذلك ، فبئس البخل وبئس أهله ٠ ان المال الذي سينفد ان عاجلا أو آجلا ، لماذا يدخر ؟ ولماذا يُضَنُّ به ؟

ويقول في حكمة أخرى : " انما يَخْزَنُ لَحْمُ المُدَّخِرِ "(١) ٠ فهو يحث على اطعام الطعام ، وبذله للناس ، ويمتدح ذلك في قومه ، الذين لا يدخرون مما يذبحون لحما لغد ، وانما يطعمونه للناس كله ، ويذبحون في غد غيره ٠ فلا يخزن اللحم عندهم ، ولا تتغير رائحته او طعمه " انما يخزن لحم المدخر " ٠

ويقول كذلك : " وعلى الأيسار تيسير العَسِر "(٢) ، وهو مبدأ للتكافل كانت العشيرة أحوج ماتكون اليه ، بل ان الناس اليوم أيضا في حاجة ماسة اليه ٠ وهو من المبادئ الكريمة التي وجه الاسلام اليها الامة الاسلامية ، بعد أن هذبها وشذبها ونقاها من غبش الجاهلية ٠ قال الله سبحانه وتعالى : " وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ "(٣) ، وقال سبحانه وتعالى : " كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ "(٤) ، فمن للمعسرين والمحتاجين والبائسين والغارمين والفقراء ، غيرُ الموسرين والمتصدقين والكرماء وأهل البذل والعطاء ؟!

أما الحث على الشجاعة ، فقد قلت حكم طرفة فيه قولا ، وكأنه اكتفى بما كان يقوم به ٠ واعتبره حِكَماً عملية ٠ أو كأنه اكتفى بما كان يمتدح به قومه

---

(١) الديوان ص ٦٦ ٠
(٢) الديوان ص ٧٢ ٠
(٣) سورة البقرة آية ٢٨٠ ٠
(٤) سورة الحشر آية ٧ ٠

من أمور الشجاعة ، فأغنت عما يجب أن يقال فيها . ولكننا لا نعدم ان نجد لذلك حكما قولية فى اشعاره . ومن ذلك قوله : " ان الكريم اذا يُحَرَّبُ يغْضَبُ "(١) فرفْضُ الضيم من الشجاعة ، أما السكوت عليه فليس من طبائع الكرام .

ومن ذلك ايضا قوله :(٢)

فالهَبِيْتُ لا فؤادَ لَـــهُ والثَّبِيتُ ثبتُـــهُ فَهِمُـــهُ

ان الجبان منخلع فؤاده ، يطير فى أول جولات القتال ، " فلا نامت أعين الجبناء " . أما الشجاع من الرجال ، فثابت ثقيل كالجبال ، يسنده عقله الواعى وقلبه القوى . وفى هذا من الحث على الشجاعة والقوة ، ما فيه .

ومن حث طرفة بحكمه على الصدق قوله : " والصِّدْقُ يألفُهُ اللَّبِيْبُ المُرْتَجَى "(٣) فهو طبع الكريم العاقل ، الذى يجرى الله الخير على يديه ، اما الكذاب فليس بلبيب ولا عاقل ، ولا يعول فى أمر عليه .

ومنها حثه على البر ، وذلك قوله : " والبِرُّ بِرُّ لَيْسَ فِيْهِ مَعْطَبُ "(٤) فهو يدعو اليه ويحضض عليه ، كما فعل فى حثه على التزام الحق بقوله :(٥)

وكيف تضلُّ القَصْدَ والحقُّ واضِحٌ وللحق بين الصالحين سبيلُ

ولقد صدق طرفة ، إذْ كيف يحيد المرء عن طريق الحق ، وتضل عنه خطاه وهو واضح بين لا حب لا وجه للمقارنة بيه وبين ماسواه .

وكذلك حث طرفة على التسامح بقوله :(٦)

---

(١) الديوان ص ١٠٨ .
(٢) الديوان ص ٨٠ .
(٣) الديوان ص ١٠٨ .
(٤) نفس المصدر .
(٥) الديوان ٨٣ .
(٦) الديوان ص ٨٥ .

وإنَّ امْرءًا لم يعْفُ يوماً فُكَاهَـةً ... لِمَنْ لَمْ يُرِدْ سُوءًا بِهَا لَجَهُـولُ

على أنه قد حـذر من فلتـات اللسان ، حتى لا يُكشف بفلتاتـه عن عـورات صاحبه يقول(١) :

وإنَّ لِسَانَ المرءِ مالمْ تَكُنْ لَهُ ... حَصَاةٌ ـ على عوراته لدليـلُ

وحق لطرفة أن يحث على صون اللسان ، واحكام لجامه ، فهو أدرى النـاس بخطره ، وأعلمهم بضرره ، فان لسانه هو الذى قتله .

ثم نفَّر طرفة بحكمه من الكذب قال : " والكَذِبُ يُألَفُهُ الدَّنِـىءُ الأَخْيَبُ "(٢)

وقد صدق فيما زعم ، فان الكذب ترفضه النفوس الكريمة الأبية ، ولا تقبله الا النفوس التى ترضى الدنيـة .

ثم نفر طرفة من الاثم بقوله :(٣) " والإِثْمُ داءٌ ليس يُرْجَى بُرْؤُهُ "

والاثم هو البطء عن الخير ، والتثاقل عن المعروف(٤) ، وهذا ماذهـب طرفة بقوله اليه ، وليس هو الاثم الذى نعرفه اليوم ، فقد كان طرفة غارقـا فى هذا إلى أذنيـه .

ومن العجب أن ينفر طرفة بحكمة بليغة من الجليس السوء ، يقول :(٥)

وَقِرافُ مَنْ لا يَسْتَفِيقُ دَعَـارَةً ... يُعْدِى كَمَا يُعْدِى الصَّحِيحَ الأَجْرَبُ

---

(١) الديوان ص ٨٥ .
(٢) الديوان ص ١٠٨ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) انظر معجم مقاييس اللغة (١ / ٦٠ ـ أثم) .
(٥) الديوان ص ١٠٨ .

فان الانسان ذا الشر والفساد والاذى ، لا يُقارَفُ أو يُقارَبُ أو يُصاحَبُ ، والا انتقلت اليك عدواه ، كما تنتقل بين الابل عدوى الجرب .

ويزول عجبنا حين نعرف قصد طرفة بالجليس السوء ، وهو ذلك الشرير المفسد المؤذى وحسب ، وليس الذى نعرفه نحن ، وهو الذى يجمع الى تلك الصفات ــ فسادا فى الخلق ، ورقة فى الدين . وعلى أى حال ، فان أيا منهما جليس سوء ، والعياذ بالله .

على أن أوقع حكم طرفة فى النفوس ، وأعمقها أثرا ، هى تنفيره من الظلم وذلك لانه جرب ظلم أعمامه وهو صغير ، وعاصر مظالم المجتمع وهو كبير . ولذلك فقد صورت حكمه فيه عن معاناة ذاتية ، وعن تجربة شخصية . يقول[1] :

قد يبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُهُ   حتى تَظَلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ

وفى هذا البيت من الحكمة والمثل والعبرة والعظة ، والتجربة .. ماترى . حتى قال عنه بعض النقاد ، بأنه أمير شعر طرفة .[2]

ويظهر أن طرفة لم يكن ينتظر من أهله بعض مافعلوه معه ، ومع أُمه من قبل ، وهو الذى بالغ فى مدحهم ، وجاوز الحد فى الافتخار بهم . فَلَمَّا لم يكونوا له كما أراد ، عز عليه ذلك ، وآلمه وأمضه وأسخطه ، فعبر عن ألمه وحرقته وسخطه بحكم بليغة لعل منها :[3]

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً   عَلَى النفسِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

---

(١) الديوان ص ١٠٧ .
(٢) انظر خاص الخاص للثعالبى ص ٧٦ .
(٣) الديوان ص ٤٠ .

فالظلم قوي وقعه ، بعيد أثره ، عميق جرحه ، شديد خطره . ولذلك فقد شدد الاسلام في تحريمه . أخرج مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه عن رب العزة تعالى قال : " يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا "(١) . وأخرج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "(٢).

هذا بين الناس أجمعين ، فكيف به بين الاقربين . أليس الاقربون أولى بالمعروف ؟

===

تلك هي الحكمة عند طرفة بن العبد ، وليدة التجربة ، ونتاج الخبرة والموهبة . فما كل مجرب بحكيم ، اذ لابد له من موهبة خاصة ، حتى تفرز تجربته مثل ما رأينا من حكم (٣) . والحكمة عند طرفة – كما ترى – ناضجة راقية ، تدل فعلا على عقل حكيم ، وذوق سليم . كما تدل على موهبة فذة ، وبصيرة نافذة ، وملكة ناقدة . كل ذلك في ذهن ثاقب واع ، يستفيد مما يجرب أو يسمع أو يرى . وكذلك كان طرفة .

ومما يسر النفس ويثلج الصدر ، أن نجد عنده فيما قال ، مثل تلك الحكم

---

(١) صحيح مسلم – ٤/١٩٩٤ – كتاب البر .
(٢) صحيح البخاري – كتاب المظالم – باب ٨ . ج ٣ من كتاب الشعب ص ١٦٩ .
(٣) ومن ذلك قول البحتري (ديوانه ١/٢٢٤) :

إِذَا المَرْءُ لَمْ تَسْتَدْهِنْ بِالحَزْمِ كُلَّهُ
قَرِيحَتُهُ ، لَمْ تُغْنِ عَنْكَ تَجَارِبُهُ

والامثال • والا كان أكثر قوله غثاء من الغثاء ، ليس فيه فائدة ، وليس فيه غناء •

ولم يكن شعر طرفة كذلك ، وانما كان كسائر شعر العرب ـ فيه الغث وفيه السمين ، وفيه الباطل وفيه الحق المبين • وفيه كذلك المغالاة والتفاخر والغرور ، ولكن فيه حُكْماً صادقا على كثير من الامور ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قال ـ فيما أخرجه الترمذى فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما : " إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْماً "(١).

على أن أفضل ما أغنى به ذلك الشعر تاريخ أدبنا ، وأقيم ما أمد به تراثنا هو الحكمة • وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال ايضا • فيما أخرجه البخارى فى صحيحه ، من حديث أبى كعب رضى الله عنه : " إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً " (٢).

فما أحوجنا الى تلك الحكمة ، وما أحرانا بالتقاطها نتفحصها ونتدارسها ثم نُجَنِّبُ الغثَّ منها بل نلقيه وراء ظهورنا ، ونعكف على السمين ، نجنى ثماره ونستفيد منه فى تصريف أمورنا • وذلك استجابة لقول النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما أخرجه الترمذى فى سننه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : " الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ • فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا "(٣).

---

(١) سنن الترمذى ـ ط دار الفكر ـ ٤/٢١٦ ـ حديث رقم ٣٠٠٢ •
(٢) صحيح البخارى ـ ط كتاب الشعب ـ ٨/٤٢ ـ باب ٩٠ من كتاب الادب •
(٣) سنن الترمذى ـ ط دار الفكر ـ ٤/١٥٥ ـ حديث رقم ٢٨٢٨ •

الآراء الخاصة فى الحياة

لم يكن طرفة قد شغل الناس بأشعاره وأخباره ، وعمره القصير - كما رأينا - وحسب ، ولكنه قد شغلهم أيضا بآرائه الخاصة فى الحياة ، وأعماله التى اتسمت بالجرأة وعدم المسئولية واللامبالاة ..

والحقيقة أن الناس فى عشقهم للآراء السديدة ، وحبهم للفعال الحميدة - أولاد عَلَّات وهم كذلك أيضا فى النفور من الآراء الشاردة الغريبة ، والصدود عن الأفعال الصاخبة المريبة . ولذلك فقد نفروا من كثير من قول طرفة وسفهوه ولاموه على كثير من فعله وعذلوه .

وهم حريون بذلك ، فلقد كانت لطرفة آراء خاصة نَدَّبِهَا عن الناس الذين عاصروه ، ونهب بها منهبا لم يألفوه . كما كانت له تصرفات عجيبة وأفعال غريبة ، خشى القوم أن يعدى شبابهم بها فيقلدوه ، ولذلك فقد اضطروا الى أن يتحاموا طرفة ويقاطعوه .

ولعل لحياة طرفة الاجتماعية الخاصة ، الأثرَ المباشر فى تفرده بتلك الآراء ، واقدامه على تلك الفعال . فقد نشأ يتيما كما رأينا ، فى مجتمع ينشغل فيه الناس بأنفسهم أكثر مما ينشغلون بغيرهم .

وافتقد طرفة بموت والده وهو صغير ، القدوة الصالحة والمربى الناصح ، والأسوة الحسنة ، والموجه الحريص . ولعل أعمامه قد أدوا دورهم ، وبذلوا جهدهم ، ولم يكن فى وسعهم خير مما كان . أما أمه ، فمن متى كانت الأمهات ذوات حرص وجد وشدة فى تربية الأبناء .. كذلك الحرص وذلك الجدّ وتلك الشدة

التى عندالآباء ..

ولذلك فقد انفلت طرفة فى حياته كما تنفلت الابل من عقلها وغاص على اللذات يقتنص منها ما اشتهى ، ويعب منها ما أراد ، بلا حاجز ولا حاجر ، ولامانع ولا راد ..

ورأت قبيلته منه ذلك ، فأَمضَّها شأنه ، وحيرها أمره .. فقد رأت فتى سادرا لاهيا يخوض ويلعب ، لايردعه الوعيد ، ولا يثنيه العذل الشديد . كما رأت فتى مسرفا مبذرا لايبقى على طارف من ماله أو تليد .

ولذلك فقد نحته كما رأينا عن شباب القبيلة جانبا ، كما ينحى المريض عن الأصحاء خشية العدوى ، وأفردته من بينهم افرادا كما يفرد عن بقية الإبل البعير الاجرب . وحق لها ذلك ، حتى لا تتفشى بينهم آراؤه ، فتفسد عليهم حياتهم ، كما أفسدت عليه حياته . يقول :(١)

وما زَال تَشْرابى الخمورَ ولذَّتى   وبيعى وانفاقى طريفى ومتلدِى
إلى أن تَحامَتْنِى العشيرةُ كلُّها   وأُفْرِدْتُ إفْرادًا لبعيرا لمُعَبَّدِ

والعجيب أن طرفة فى قوله مولع بالصراحة ، حتى وان كان منورائها رميه بالوقاحة . فهاهوذا يعلن عن الجرب الذى فيه ، والذى تحامته القبيلة بسببه ، فهو شِرِّيبٌ مدمن للشراب ، وهو فى لذاته خطير على أمثاله من الشباب

ثم انه سفيه فى التصرف فى ماله ، يورده المهالك ، وينفقه فيما التوى من المسالك ، ثم لايجد حرجا فى اعترافه بذلك

(١) الديوان ص ٣١ ، وشرحهما فى هامش ص   من هذا البحث .

والحقيقة أن كثيرين من شباب العرب في الجاهلية ، كانوا يفعلون كثيرا مما كان يفعله طرفة ، فيعاقرون الدنان ، ويطربون للقيان ، وينفقون كيف يشاءون ، ويلهون مع النساء ويعبثون.

ولكنهم كانوا يرون كما يرى بقية الناس ، أن هذه الأمور مثالب يأباها الخلق الكريم ، ويرفضها المسلك المستقيم. ولذلك فكثيرا ما كانوا ينفّرون الناس منها ، ويتواصون بهجرها والبعد عنها.

قال عدى بن زيد :(١)

فنفسَكَ فاحفظها عن الغَيّ والرَّدَى ... متى تَغْوِهَا يَغْوَ الذي بِكَ يَقْتَدِي

وقال المخبل السعدي:(٢)

إذا أنت لاقيتَ الرجالَ فلاقِهِمْ ... وعرضُك من غَثِّ الأمورِ سليمُ

ولا يعدمُ الغاوي على الغَيِّ لائما ... وإن هو لم يُشْفِقْ عليه يلومُ

فهم وإن كانوا كثيرا ما ينحرفون عن الجادة ، ويقارفون غث الأمور ، إلا أنهم كانوا يستهجنون ذلك ، ويرمون بالغي مقارفيه ويتهمون بدنس العرض مقترفيه . ولذلك فهم ينفرون منه ويتواصون بتركه والبعد عنه.

أما طرفة ، فكما كان غريبا عنهم ببعض أعماله ، كان كذلك فريدا بينهم ببعض آرائه وأقواله . فهو يرى الغي هو الطريق الرشيد ، ويعد رأيه فيه هو الرأي السديد ، ولذلك يرد على الناصحين والزاجرين واللائمين والعاذلين ، بقوله :(٣)

---

(١) جمهرة أشعار العرب - بتحقيق البجاوي - ص ٤٩٠

(٢) البيت الأول له في البيان والتبيين ٧٦/٤ ، والثاني له في حماسة البحتري ص ٣٧٤.

(٣) الديوان ص ٣١.

أَلا أَيُّهذا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى وأَنْ أَشْهدَ اللذاتِ هل أنتَ مخلِدِي

فهو ليس مُخَلَّدا في الدنيا ، ولذلك فلابأس عليه أن يشهد مع أقرانه ما يشهدون من المواقع والحروب ، والغارة على الاعداء . ولابأس عليه بعدذلك أن يخلص الى اللذات فينهل من مناهلها كيف شاء ..

وهو يجهر بهذا الرأي جهرا ، ويقول به شعرا ونثرا . ذكر الجاحظ في البيان والتبيين أن طرفة قد سئل عن أطيب عيش الدنيا فقال : " مَطْعَمٌ شَهِيٌّ ، ومَلْبَسٌ بَغِيٌّ ، ومَرْكَبٌ وَطِيٌّ "(١)

ولذلك فهو لايقيم للحياة وزنا ، ولايرغب في الاستمرار فيها الامن أجل هذه الأمور، ولولاها ، ما تعلق بالحياة ، ولا حرص عليها. يقول :(٢)

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من حاجة الفتى وجدك لم أحفِلْ متى قام عُوَّدِي
فمنهن سبقي العاذلاتِ بشَرْبَةٍ كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تُزْبِدِ
وكَرِّي إذا نادى المُضافُ مُحَنَّبًا كسيدِ الغضا نَبَّهْتَه المُتَوَرِّدِ
وتقصيرُ يوم الدَّجْنِ والدجن معجب بِبَهْكَنَةٍ تحت الطراف المُمَدَّدِ

تلك هي حاج طرفة في الحياة(٣) .. ، انهن ثلاث فقط . يحرص عليهن ويحيا من أجلهن. ولولاهن لاستوى الامر عنده ، أكان على ظهر الأرض أم كان في بطنها ..

فبُعْدًا لهن من حاجات ، ما أخسهن وما أهونهن.. حتى وان كانت النجدة والمروءة من بينهن .فبئست النجدة من السكارى المخمورين . وبئست المروءة من اللاهين والعابثين.

(١) البيان والتبيين ٢/١٧٨
(٢) الديوان ص ٣٢، ٣٣ ، ٣٤ وشرحها في هامش ص من هذا البحث
(٣) الحاج (كالعاج) ، والحاجات ، والحوج (كالعنب) ، والحوائج على غير قياس – جمع حاجة .

والحقيقة أن هذا الذى كان يذهب اليه طرفة ، مذهب خطير في الحياة ، لا اخال الا ثلة قليلة من فتيان العرب في الجاهلية هي التي كانت ترغب فيه وتهواه . أما الأكثرية منهم فقد رغبت عنه ونفرت منه ولفظته لفظ النواة .

أما فتيان العرب في الاسلام فقد انصرفوا الى حاجات سامية حثهم الدين الجديد عليها ، لم يكن أمثال طرفة يعرفونها أو يتسامون اليها . روى الجاحظ أيضا في البيان والتبيين قال بأن رجلا ذكر أبيات طرفة هذه أمام سيدنا عمر بن الخطاب فقال : « لولا أن أسير في سبيل الله ، وأضع جبهتي لله ، وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر ، لم أبال أن أكون قدْ مُتُّ »(١)

تلك هي الأهداف التي لايحتمل سموها اى جدل أو نقاش ، والتي لمثلها وحسب تحلو الحياة ويعشق المعاش ..

واليك رأيا آخر من آراء طرفة الخاصة ، لايقل غرابة عن الرأى الأول . وذلك هو الحاحه على انفاق المال كله قبل الممات يقول:(٢)

فإنْ كُنْتَ لاتَسْطِيعُ دفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أُبَادِرْهَا بما مَلَكَتْ يَدِي

فهو يدرك أن الموت لابد ملاقيه ، وان الأجل حتما سيوافيه ، وأن أحدا لايستطيع دفع المنية عنه بحال ، فلماذا اذن يشغل نفسه بكنز المال ..

ولكنه ــ يا أسفاه ــ تنكب الطريق الذى ينفق فيه المال فحض على اضاعته في الغواية ، وكأن المال ما كان الا لتلك الغاية يقول:(٣)

---

(١) البيان والتبيين ٢/١٩٥ (٢) الديوان ص ٣٢
(٣) الديوان ص ٣٦ .

أرى قبرَ نحّامٍ بخيلٍ بماله ... كقبر غويٍّ في البطالة مفسدِ (١)
ترى جثوتين من تراب عليهما ... صفائحُ صمٌّ من صفيحٍ منضّدِ (٢)

وتلك كلمة حق أريد بها باطل ـ كما يقولون ، فقبر البخيل الذى ضن بماله ، وقبر الغوى الذى أفسد ماله صنوان بين القبور ، فانك لاترى الا جثوتين متشابهتين من التراب . كما قال ..

ولكن السؤال الذى يخطر بالبال هو : ألايوجد إلاهذان السبيلان للتعامل بالمال .. فاما بخل شديد ، وشح بغيض تنفر منهما النفوس الكريمات ، واما افساد الاموال واضاعتها على اللذائذ والشهوات ..

وقد عجبت وأنا أعيد النظر فى آراء طرفة من هذا الرأى أشد العجب ، اذ كيف يخلص اليه ، وهو الذى دعا فيما دعا الى اعطاء المحتاجين ونجدة الملهوفين والصبر على الغارمين ، وتيسير العسرين ونَظِرَة المعسرين .. بل لقد كان يفعل ذلك بنفسه ويباشره بذاته كلما قدر عليه ، حتى كان الفقراء والمحتاجون يعرفونه كواحد منهم ، وذلك من كثرة صلته اياهم وعطفه عليهم يقول : (٣)

رأيتُ بني غبراءَ لاينكرونني ... ولا أهلُ هذاك الطرافِ الممدَّدِ

ثم ان لطرفة ـ أيضا ـ آراءه الخاصة فى مجالس اللهو والشراب التى كان مولعا بها . ومغرما بالحديث عنها وعمن فيها من الندماء والشاربين ، الذين كانوا يتبادلون كئوس الشراب وطرفة بينهم .

---

(١) النحام هو الذى يتنحنح اذا سئل من بخله .
(٢) الجثوة (بضم الجيم وفتحها وكسرها وسكون الثاء المثلثة) التراب المجموع .
(٣) الديوان ص ٣١

والولائد اللائى كُنَّ يدرن عليهم بالكئوس فينعشنهم ويسعدنهم وكذلك القيان اللواتى كن يغنينهم وينشدنهم ، ويسامرنهم ويطربنهم . ولطرفة فى كل أمر من تلك الأمور رأى خاص ، قد يوافق فيه آراء الناس وقد يخالفها .

فالكأس التى كانوا يتعاورونها ليست كغيرها من الكئوس العادية ، وانما هى كأس مليئة مزبدة رويّة . يَصْبَح بها النديم غداةً ويغبُقُه عشيا ، فاذا كان عطشان فهى ترويه ، واذا كان ريان فهى تزيده ريا . يقول:

مَتَى تَأْتِنِى أَصْبَحْكَ كَأْساً رَوِيَّةً (١) وَإِنْ كُنْتَ عنها ذَا غِنًى فاغْنَ وازْدَدِ (٢)

ثم ان الخمر عندهم ليست شحيحة ولا قليلة ، بل تتناثر فى جوانب ناديهم دِنانُها وزُقّانُها (٣) ، ولا يعجزهم طلبها أو تغليهم أثمانها فيا لحظها عندهم .. ويا لحظواتها لديهم ، انهم يشترونها بأكرم ابلهم وأغلاها عليهم . يقول: (٤)

لاتَعِزُّ الخمر ان طافوا بها بِسِبَاءِ الشَّوْلِ والكُومِ البُكُرْ (٥)

وأما الندامى الشاربون أنفسهم فهم بيض الوجوه كرام سمحاء لهم بين الناس من المكانة والمنزلة ما للنجوم فى السماء . يقول: (٦)

نَدامَاى بِيضٌ كالنجومِ ، وقَيْنَةٌ تروحُ علينا بين بُرْدٍ ومُجْسَدِ

وأما الولائد والاماء اللواتى يدرن بالخمر على أولئك الندماء فيجب فى رأى طرفة أن يمِشْنَ فى مشيتهن ، ويتبخترن فى تنقلهن

(١) الصبوح شرب الغداة وبابه قطع ، والغبوق شرب العشى وبابه نصر .
(٢) الديوان ص ٢٩
(٣) الدنان ـ كالتلال ـ أوعية الخمر واحدها دن ـ كتل ـ والزق ـ كالهر ـ هو السقاء ، وجمعه زقاق وزقان ـ كذئاب وذوبان .
(٤) الديوان ص ٦٤ .
(٥) السباء شراء الخمر ، والشول من النوق جمع شائلة وهى التى أتى عليها من نتاجها ستة أشهر او سبعة فخفت بطونها وضروعها والكوم جمع كوماء وهى العظيمة السنام ، والبكر المبكرة باللقاح .
(٦) الديوان ص ٢٩ .

وأن تتأود قاماتهن ، وتتثنى أعطافهن ، وأن يلبسن من الثياب منسوجة وغير منسوجة - ما يزيد ذلك الميسان والتبختر والتأود والتثني جمالا الى جمالهن ودلالا على دلالهن. يقول:(١)

وذالت كما ذالت وليدة مجلس ترى ربها أذيال سحل ممدد

وأما القيان في مجالس الشراب فلطرفة فيهن أيضا رأى خاص ، يقول:(٢)

رحيب قطاب الجيب منها رفيقة بجس الندامى بضة المتجرد
اذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا على رسلها مطروفة لم تشدد

فيجب أن تكون الواحدة منهن بضة ناعمة بيضاء رقيقة ، ويجب أن توسع من صدر ثوبها ليبدو صدرها البض الجميل ، فينظر اليه ويتلذذ به . ويجب كذلك أن تكون رفيقة بالندامى ، وهم يتحسسون من جسمها ما شاءوا ، فلا تصد ولا تنور ، ولا تعترض ولا تثور وباختصار لا ترد يد لامس"(٣).

ويجب أن تكون الى ما في طرفها من انكسار بين وفتور شديد ، على دراية بالغناء وعلم بالنشيد. فاذا انتدبت لشيء من ذلك خفت اليه وأخذت عفوها فيه.

فبئست الفتاة تلك الفتاة ، وبئست الأخلاق أخلاقها وبئس القول قول طرفة فيها . أفما كان الاجدر به أن يصفها بالعفة التي وصف عمرو بن كلثوم فتاته بها حين قال :(٤)

---

(١) الديوان ص ٣٠ (٢) نفس المصدر ص ٣٠.

(٣) يضرب مثلا للضعيف من الرجال ، والمتبذلة من النساء.
(٤) انظر جمهرة القرشي بتحقيق البجاوي ص ٣٤١ وشرح القصائد السبع الطوال لابن الانباري ص ٣٨١ ، وشرح القصائد التسع لابي جعفر النحاس ص ٦٢٢ ، ٧٨٥ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ص ٣٨٧.
(٥) الرخص اللين ، والحصان العفيفة.

وثَدْياً مِثْلَ حُقِّ العَاجِ رَخْصًا حَصَاناً منْ أَكُفِّ اللَّامِسِينَا (١)

أو أن يقول مثلما قال في نساء بكر بن وائل : (٢)

على آثارنا بيضٌ حِسَانٌ نُحاذِرُ أَنْ تُفَارِقَ أَوْ تَهُونَا

ظعائنُ من بني جُشَمِ بنْ بَكْرٍ خلطنَ بِمِيسَمٍ حَسَبًا ودِيْنَا (٣)

أولئك هن الفتيات الكريمات ، اللائي تشرف بسيرهن المجتمعات فيرتقي بناؤها ، ويرفرف لواؤها .

ولقد حرص الاسلام الحنيف ـ فيما حرص على تحصين فتيات المسلمين ، وستر مفاتنهن عن أعين الناظرين . وذلك حتى يظل مجتمعه قوية لبناته ، كراما وأعزة فتياته ، حَصَانًا وعفيفةً فتياته . فان المجتمعات لاتضعف بعد قوة ، ولا تنهد بعد بناء ، الا اذا تسرب التبذل فيها الى أخلاق النساء .

أما شاعرنا طرفة ، فلم يكن ذلك من اهتماماته ، ولا من أهدافه وتطلعاته . ولقد أخذني من أمر ذلك الفتى العجب كل العجب . اذ كيف يبلغ به العبث هذا الغور العميق ، وكيف ينزل به اللهو الى هذا الدرك السحيق .. ثم يعلن في صراحة عن اعجابه بتلك الترهات الفاسدة ، ويصرح في وقاحة عن ولعه بتلك التجارة الكاسدة . فأين منه ماضربه للناس في شعره من أمثاله وأين استفادته واتعاظه بالحكم التي قال..

---

(١) الرخص اللين ، والحصان العفيفة .

(٢) انظر جمهرة القرشي ـ بتحقيق البجاوي ص ٣٦٥ ، وشرح القصائد السبع لابن الانباري ص ٤٢١ ، وشرح القصائد التسع لأبي جعفر النحاس ص ٦٧٤ ـ ٦٧٥ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ص ٤٢٤ .

(٣) المِيْسَمُ (بالكسر) الجمال .

وبودى أن أسأل التاريخ عن طرفة سؤالا لا يفتأ يخامرنى ألا وهو: من أين كان يجد طرفة المتسع من الوقت لهذا العبث كله .. وهو الذى شغل نفسه مع القوم فى مجالسهم ومنتدياتهم فى إقامتهم وظعنهم وفى حلهم وترحالهم .. وفى حروبهم وغاراتهم .

أفكان طرفة يبالغ فيما زعم ويغالى فيما يقول .. لابد أن يكون الأمر كذلك ، ومبالغاته فى كثرة الشراب واللهو أقرب إلى المعقول ، وذلك لأن القوم فى ذلك المجتمع كانوا فى حاجة دائمة الى الجد فى أمورهم ، حتى يتأقلموا مع الشظف الذى كان يعترى حيواتهم ، ويتوائموا مع الجدب الذى كان يلف صحراواتهم ..

ولا يمنع ذلك من أن يميلوا أحيانا الى ما كان يميل اليه العابثون من الناس ، ولكن الجد فى الحياة والترفع عن العبث والانشغال بعظائم الأمور تظل هى الأساس .

وإذن فلا يزال سؤالنا قائما .. من أين كان يجد طرفة المتسع من الوقت لهذا العبث كله ..

ويحاول طرفة أن يجيب عن هذا السؤال بقوله (1) :

وإِنْ تَبْغِنِى فِى حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِى
وإِنْ تَقْتَنِصْنِى فِى الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

فهو مع القوم فى جدهم ، يشركهم فيما يبحثون ، ويخططون ويرسمون

(1) الديوان ص ٢٩ وشرحه فى هامش ص من هذا البحث .

وهو مع العابثين فى عبثهم ، يلهو كما يلهون ، ويشرب كما يشربون

ولكنها اجابة لاتبل الصدى ، ولاتشفى الغليل ، ولاتقدم لرد اتهامه بالمغالاة والتزيد والمبالغة - أى دليل..

فاما أن يكون جادا كل هذا الجد الذى كان يدعيه ، واما أن يكون سادرا فى غيه ، سابحا فى لهوه ، غارقا الى أذنيه فيه..

أما أن يجمع بين النقيضين بهذا الغلو فغير صحيح.

وكثيرا ما كان يعذل طرفة على أعماله العاذلون ، ويلومه على أقواله اللائمون ، أن يثوب لرشده فلا يثوب ، وينثنى عن غيه فلا يجيب ، ويقلع عن لهوه فلا يستجيب.

وليته اقتصر على ذلك ، اذن لهان الأمر.. ولكنه كان ينتصر لرأيه وكأنه الحق المبين ، ويلتمس له ما يعضده به من الأدلة والبراهين.

يقول :(١)

قَذَرْنِى أُرَوِّيهَا متى فى حَيَاتِهَا ... مخافةَ شُرْبٍ فى الحياة مُصَرَّدِ(٢)

كريمٌ يُرَوِّى نفسَه فى حياتـهِ ... ستعلم ان متْنَا صدىً أَيُّنَا الصَّدِى(٣)

---

(١) الديوان ص ٣٥

(٢) انظر شرحه فى هامش ص من هذا البحث

(٣) الصَّدَى: جسم الانسان بعد موته ، والصَّدَى العَطش ، فالصَّدَى العَطَش ، يقال رجل صَدٍ وصادٍ وامرأة صادية (معجم المقاييس ٣٤١/٣ - صدى).

تلك هى أشهر آراء طرفة الخاصة ، التى تميز بها عن غيره من فتيان العرب الجاهليين ، وانفرد بها عن أقرانه من الشعراء الأقدمين. وقد بينتها مقرونة بالأدلة من أشعاره وأخباره.

وقد كنت أقف - ما أسعفني الوقوف - عند كل رأى منها ، فأبين فساده ، وأوضح خطله ، وذلك حتى أدفع عن فتياننا أذاه ، وأصد عنهم خطره.

ولعل أبعد آرائه أثرا ، وأشدها خطرا ، هو رأيه فى أهداف الحياة ، ورأيه فى التصرف بالمال ، وبين هذين الرأيين كانت تدور بقية آرائه تقريبا.

فقد سن للحياة أهدافا ، دون أكثرها أهدافُ السوائم ، ونحا فى التصرف بالمال منحى لا يستمع فيه لناصح ، ولا يثوب للوم لائم. ولذلك حجرت قبيلته عليه ، حتى لاتنتشر بيه الشباب عدْواة ويعمهم أذاه.

وما أحرى فتيان العرب اليوم ، أن يصونوا أنفسهم عن ذلك الدنس الذى هويه طرفة ، وأن ينصرفوا اليها وجههم اليه دينهم الكريم ، وسار عليه رسولهم العظيم - صلى الله عليه وسلم من الخلق النظيف ، والمسلك العف الشريف. ورحم الله أبا عبادة البحترى اذ يقول: " صُنْتُ نَفْسِى عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِى " (١)

---

(١) ديوانه ص ١١٥٢ وعجز البيت " وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ " أى رغبت عن عطائه ، والجبس الجبان اللئيم وجداه : عطاؤه.

تلك هي الموضوعات البارزة في شعر طرفة . وقوفٌ بالأطلال والرسوم الدارسات ، تحسرا عليها كان له فيها من ذكريات . وغزلٌ ونسيبٌ وتشبيبٌ بالنساء الجميلات المترفات الناعمات . ووصفٌ مفصل تارة ، وموجز أخرى .

فقد فصل في وصف ناقته وأسهب ، وأوجز في وصفه لما دونها من الخيل والاسلحة وبعض البلاد التي جاب ، وبعض ظواهر الطبيعة في الصحراء ، وغير ذلك .

وفخرٌ بنفسه ، شجاعةً وفروسيةً وجراءةً وشدةً ، وكرماً ومروءةً وسماحةً وتضحيةً ونجدةً . وفخرٌ بقبيلته - وذكرٌ لمكارمها ومآثرها ومفاخرها . من محتد كريم ونسب شريف ، وشدة في القتال ، وضراوة على المغاوير من الرجال ، وسماحة فيما بينها وتجاوز عن أخطاء أبنائها ، واطعام المحتاجين والضيفان والجيران - وخاصة أيام الجدب والقحط والمحل وشدة الزمان ، واحترام مجالسها وتكريم منتدياتها ، فلا يقال فيها بفحش ولا يؤتى بخنا .

وهجاءٌ مقذع شديد لمن تعرض لهجائه من الناس ، وقد نال عمرو بن هند ونديمه عبد عمرو بن بشر بن مرثد من ذلك الهجاء النصيبُ الأوفر ، والحظُّ الاكبر .

وحِكَمٌ وأمثال ، فاق بها طرفة كل أقرانه ، وبز بها أهل زمانه ..

وأخيرا مجموعةٌ من الآراء الخاصة ، اندفع اليها طرفة بحكم حياته الخاصة ، وقد بينا - والفضل لله - فساد تلك الآراء ، وانحراف ما بنيت عليه من أهواء..

الى غير ذلك مما قال طرفة من أشعار..

فما هى خصائص شعره .. وما هى مميزاته ..

هذا ما أحببنا أن نجعله - باذن الله - خاتمة لبحثنا هذا. ولذلك ، فقد أفردنا له الفصل القادم..

* *

الفصل الثالث

خصائص شعر طرفة

المبحث الأول : أسلوب طرفة
المبحث الثاني : تطور شعره
المبحث الثالث : ملعقته وأثره فيمن جاء بعده

الفصل الثالث
خصائص شعر طرفة

تمهيد :

كانت أصداء تعبيرات طرفة التى رأينا عند الحديث عن موضوعات شعره — ترن فى أذنى ، وكانت خيالات معانيه وصوره وتشبيهاته ، تتراقص امام عينىَّ ، وأنا أشمر عن ساعدىَّ لابدأ الحديث عن خصائص شعره ومميزاته ·

وبرغم ذلك فقد ظللتُ طوف بما كتب الباحثون عن خصائص الشعر الجاهلى بعامة ، لاستهدى بما يقولون ، واتنقل بين أبيات طرفة جيئة وذهابا ، استنطقها خصائص شعره وصفاته ، واستمليها سمات أسلوبه ومميزاته · حتى هدانى الله — عز ثناؤه — الى مادة هذا الفصل ·

المبحث الأول : أسلوب طرفة :

لا نذهب بعيدا اذا قلنا ، إن أسلوب طرفة قد اتسم بأمور ، هى التى أبانت عن خصائص شعره ، وعبرت عن مميزاته · ولولا ها لاختلط بغيره من الشعر ، ولم تتبين معالمه الخاصة ·

ومن تلك الامور عشق طرفة العارم للصحراء ، فقد ارتمى بين احضانها ، يفترش أرضها ، ويلتحف بسمائها · ولذلك فانه لم يترك أمرا من أمورها ، أو شأنا من شئون الحياة فيها ، الا عاج عليه بوصف أو حديث ، عشقا لها وتأقلما معها ·

لقد تحدث عن نجادها ووهادها ، وتلالها وجبالها ، وطرقها ومرابعها ،

ورسومها وأطلالها ، وسوافيها ورمالها . كما تحدث عن نسائمها ورياحها ، وغيومها وأمطارها ، وبروقها ورعودها ، وحرها وقرها ، وعشبها وشجرها ، وحيوانها وطيرها ، وغير ذلك من أمورها .

ويكفى لتوضيح هذا الطابع الصحراوى فى أسلوب طرفة ، أن نعرف أن أطلال معشوقاته ومنازلهن ، قد تناثرت فى تلك الصحراء الرحيبة . فخولة أطلالها ببرقة ثَهْمَد [1] ، ولها طلل كذلك فى إضَم [2] . وهر تقيظ بنجد ، وتشتو بذات الحاذ من ثِنْيَىْ وُقُر . [3] وهند طلولها بحِزَّان الشُّرَيْف [4] .

وديار سلمى بتَثْلِيث أو نَجْران أو قيعان جاشس [5]

أما هو نفسه فلا يفتأ يُطَوِّف بتلك الصحراء ، من دَدٍ الى قُفِّ فجُرْثُم [6] ، ومن حَوْمَل الى خِفافٍ فمُثَقَّبٍ فاللِّوَى [7] ، ومن صحراء يُسُر إلى ذى النِّيِّر فالأَعْلام [8] ، إلى غير ذلك .

ومما يؤيد طابع أسلوب طرفة الصحراوى أيضا ، استعماله لأسماءٍ وألفاظٍ لا تكون غالبا الا فى البيئة الصحراوية . فالظباء وبقر الوحش وحمره ، والحجل والنعام ، وغيرها من الطير والحيوان ، ومن النبات والشجر الاراك والضال والسَّمُر والعُشَر والخِرْوع والأُقْحوان .

---

(١) انظر الديوان ص ٦ .
(٢) انظر الديوان ص ٩٠ .
(٣) انظر الديوان ص ٥٥ .
(٤) انظر الديوان ص ٨١ .
(٥) انظر الديوان ص ١١٩ .
(٦) انظر الديوان ص ٧ ، ١٢ ، ٩٣ .
(٧) انظر الديوان ص ٢٤ ، ٥٤ ، ٨٧ .
(٨) انظر الديوان ص ٥١ ، ١٢٠ .

أما انتزاعه صوره من الصحراء ، واستقاؤه تشبيهاته من نواحيها المترامية ، وشئونها المختلفة ، فهو أشهر من أن يوصف ، واكثر من أن يحصى • ويكفى أن نتذكر أن وجه معشوقته كان كشمس تلك الصحراء في البهجة والنقاء[١] ، وأن نداماه كانوا كنجومها في البياض والرفعة والصفاء[٢]• وأن أعناق خيل قومه كانت كجذوع نخلها عالية مشرفة طويلة[٣] ، وان معشوقته كانت ككثيب من كثبانها في الترجرج والتراكم واللين والسهولة[٤]• وغير ذلك مما لا يتسع لاستقصائه المقام •[٥]

ثم إننا نلحظ على أسلوب طرفة — غير الطابع الصحراوى — واقعيته التي تتسم بالصدق والوضوح ، وعدم ميله للتعقيد في تعبيره عما تعرض له من فنون ، ومعالجته لما عن له من شئون •

فقد استمد مادة شعره من الحياة حوله ، وعالج به البيئة المحيطة به • وهي بيئة كما عرفنا صحراوية بدوية واضحة بسيطة ، لا يلفها مايلف البيئات الحضرية من غبش او غموض ، ولا تجنح كما تجنح تلك البيئات الى المراوغة والتعقيد •

ولذلك فقد انصرف طرفة — ككثير غيره من شعراء تلك البيئة — يعالج مشكلاتها بصدق عميق ، ويتفاعل مع حوادثها باحساس مرهف ، وينقل واقعها بوضوح وعدم تكلف •

---

(١) انظر الديوان ص ١١ •
(٢) انظر الديوان ص ٢٩ •
(٣) انظر الديوان ص ٧٠ •
(٤) انظر الديوان ص ٥٨ •
(٥) انظر تشبيهه لجوف ناقته في الاتساع بالكناس يحتفره الثور في جذع شجرة الضال ليستكن فيه ص ١٦ من الديوان ، وانظر تشبيهه لاثار =

ولم يكن من شأن طرفة ، ـ بله الشعر الجاهلي كله ـ أن يطيل الوقوف بالاحداث ، أو يحلل المواقف ـ فعل المتحضرين من الشعراء ـ أو يلتمس للقضايا الحلول الفلسفية والافتراضية ، وغير ذلك مما أفرزته البيئات التي انتشر فيها الشعراء العرب فيما بعد ، وانما كان همه وهم الجاهليين ـ التعبير المباشر عن حياتهم ، واستمداد صورهم ومعانيهم من بيئتهم " بأساليب رائعة ، فيها جمال الفطرة وبساطة الصحراء ، بعيدة عن المبالغة والغلو التعقيد "(١)

نعم . كذلكم كان طرفة ، يعالج ـ كما قلنا ـ مشاكل بيئته بصدق ، وينقل أحداثها بوضوح . فالحرب عنده مثلا ، أسراب من الفرسان ينقضون على أعدائهم في غارة سريعة ، وبأسلحة بسيطة ، بسيوفهم البواتر ، ورماحهم العواتر ، وخيولهم الضُّمَّر .

والنصر كذلك عنده بسيط غير معقد ، فهو صبر أولئك الابطال ، حتى يفر أعداؤهم ، أو تتناثر جثثهم فوق الرمال . يقول :(٢)

نمسك الخيل على مكروهِهَا	حين لا يُمْسكها الا الصُّبُرْ
دُلُقُ الغارة في إفزاعهم	كرِعَالِ الطير أسرابا تَمُرّْ
تَذَرُ الأبطالَ صَرْعَى بينها	مايَنِى منهم كَمِيٌّ مُنْعَفِرْ

فأين هذه المقاتِلَة في بساطتها ووضوح أمرها ، من الجيوش في زمن ابى الطيب المتنبى مثلا وهو يقول :(٣)

= سيور الرحل في صدر ناقته ـ كذلك ـ بطرق الوراد في الصحراء ص ٢٠ من الديوان ، وغير ذلك كثير .

(١) الشعر الجاهلي ـ للدكتور يحيى الجبوري ـ ص ٨٦ .

(٢) انظر الديوان ص ٦٨ ، ٧١ وانظر شرح هذه الابيات في هامش ص ٣٣٧ من هذا البحث .

(٣) ديوان المتنبى ٤/ ٩٩ـ١٠٠ .

أتوك يجرون الحديد كأنهم ... سَرَوْ بجياد مالهن قوائمُ

اذا برقوا لم تُعْرف البيضُ منهمُ ... ثيابهمُ من مثلها والعمائمُ

خميسٌ بشرق الأرض والغرب زحفُه ... وفى أُذْن الجوزاء منه زَمازمُ

وأما الكرم عند طرفة ، فقد كان واضحا ـ هو الاخر ـ لا تعقيد فيه ، انه اطعام الطعام للاهل والجياع والمحتاجين ، وقرى الجيران والضيفان الغادين الرائحين . هكذا فى بساطة لا يشوبها التعقيد ، وفى وضوح لا يشوبه الغموض . يقول (١) :

بجفانٍ تَعْتَرِى نادِيَنا ... من سَدِيفٍ حين هاج الصِّنَّبِرْ

كالجوابى لا تَنِى مُتْرَعَةً ... لِقِرَى الاضيافِ أو للمُحْتَضِرْ

بل ان البساطة والوضوح قد بلغا بطرفة حدا جعله يقول فى معشوقته : (٢)

تَطْرُدُ القُرَّ بِحَرٍّ صَادِقٍ ... وَعَلَيْكَ القَيْظَ إنْ جَاءَ بِقُرّْ

أرأيت غاية ماكان يتمناه طرفة فيها ؟ ان تَطرد بنسائمها العليلة ، وأجنحتها الظليلة ـ الحر عنه اذا اعتراه ، وأن تمنحه بدفئها من البرد ، وتحفظه من أذاه .

أرأيت فى الامر وضوحا وبساطة ، كمثل هذا الوضوح ، وتلك البساطة . انها الوضوح والواقعية ، والبساطة فى الحياة الجاهلية .

واتسم أسلوب طرفة كذلك بولعه بالتصوير ، واعتماد التشبيه بخاصة ، وغيره من ضروب الصور البلاغية كالكنايات والاستعارات وغيرها . ولقد عم ذلك التصوير شعر طرفة حتى كاد يغطيه ، ويشمله من جميع نواحيه .

---

(١) انظر الديوان ص ٦٦ ، وانظر شرح البيتين فى هامش ص ٣٢٤ من هذا البحث .

(٢) انظر الديوان ص ٥٨ ، وانظر شرح البيت فى هامش ص ٢٧٠ من هذا البحث .

ذلك ان التصوير ملازم للوصف ، به يستطيع الشاعر أن ينقل احساساته ، وباجادته يبلغ الهدف من تشبيهاته ، ولذلك فقد تفنن طرفة فى رسم لوحاته . فاذا تذكرنا أن الوصف هو عماد فنون الشعر كلها أو يكاد يكون كذلك - أدركنا السبب الذى حدا بطرفة الى رسم هذا الحشد الهائل من اللوحات والصور والرسوم .

فالوقوف بالاطلال وصف للأطلال وما فيها من آثار ، ووصف لما كان للشاعر فيها من ذكريات وأخبار . ووصف كذلك لتحسره على ضياع تلك الذكريات ، ووصف لأساه وحزنه على ما فات .

والغزل وصف لجمال النساء ، أجسامهن واحاديثهن وحركاتهن وسكناتهن ، ووصف كذلك لما يعتلج فى صدور الشعراء نحوهن ، وما يحسونه من متعة بينهن ، ولوعة وأسى لفراقهن .

والكرم والشجاعة والفخر وما اليها وصف ايضا ، فهى وصف للجود والسخاء والشدة والمضاء ، والصبر عند اللقاء ، ونجدة الملهوفين ، ورد عوز المحتاجين .

وكذلكم المدح والهجاء . إنْ هما الا وصف لخلق الممدوح الكريم العلىّ ، أو خلق المهجو الوضيع الدنىّ . وهكذا يكاد الوصف - كما قلنا - يكون أساس كل فن من فنون الشعر ، وعماد كل ضرب من ضروبه . ولذلك فقد طوّف طرفة برسوماته وصوره ولوحاته بين مختلف الفنون الشعرية التى قال فيها .

على أن طرفة قد عرف بوصف الناقة واشتهر به ، حتى بز فيه المتقدمين والمتأخرين • ولذلك فان أكثر لوحاته وأوضحها وأدقها كان في وصف ناقته مع عدم المساس بانتشار صوره وجمالها في غيره •

هذا وقد تأخذ اللوحة عند طرفة بضعة أبيات حتى تكتمل ، وقد لا تحتاج الا الى بيت واحد فقط • على أن يراعه البارع قد يدبج اللوحة ويتقن رسمها في نصف بيت ليس الا •

فمن أمثلة الصور التي تحتاج الى أكثر من بيت قوله :(١)

ظَلِلْتُ بذي الأَرْطَى فويقَ مُثَقَّبٍ ببيئةِ سُوءٍ هالكًا أو كهالكِ

تردُّ علىَّ الريحُ ثوبىَ قاعدًا إلى صَدَفِيٍّ كالحَنِيَّةِ بَارِكِ(٢)

فها هو ذا طرفة يجلس فوق ربوة من ربا ذلك المكان ، المحاط بشجر الأَرْطَى ، كئيبا متهالكا من سوء المكان وسوء الجو ، فالريح شديدة تتلاعب بثيابه فترد ها على رأسه ووجهه ، وهو يستند الى بعيره البارك ، علّه يحتمي من شدة الريح ، بدون جدوى • فيالسوء الحال التي هو فيها ••

تُرى ! كم من الزمن يستغرق الرسام الماهر ، وكم من المواد الخام يستهلك ، حتى يخرج لنا صورة كهذه ؟

ومن الصور التي كان البيت الواحد يكفي طرفة لرسمها قوله :(٣)

---

(١) انظر الديوان ص ٨٧ ، ٨٨ ، وانظر شرح البيت الاول في هامش ص ١٤ من هذا البحث •

(٢) الصدفي البعير المنسوب الى صدف حي من حضرموت ، والحنية القوس شبه البعير بها لضمره •

(٣) الديوان ص ١٤ وشرحه في هامش ص ٣١٢ من هذا البحث •

كأنَّ جناحَيْ مَضْرَحِيٍّ تكنَّفَا حِفَا فيهِ شكَّا في العَسِيبِ بِمِسْرَدِ

ولابد للرسام حتى يستوفي جوانب هذه الصورة ـ بالطبع ـ من مهارة خاصة في رسم الطيور ، حتى يتقن رسم جناحي هذا النسر الملون ، الاحمر الذي يضرب الى البياض . ثم لابد له كذلك من مهارة خاصة في استعمال المخرز ، وذلك ليتمكن ـ كما تمكن طرفة ـ من شك هذين الجناحين بهذا المخرز في ذنب عظم الناقة .

ألست ترى معي دقة هذه الصورة ، وصدق تعبيرها عما أراد الشاعر ، وهو عِظَمُ هُلْبِ ذَنَب ناقته ؟

وأما الصور التي كان الشطر من البيت يكفي لرسمها عند طرفة فهي كثيرة كذلك ومن أمثلتها قوله :(١)

وَعامَتْ بِضَبْعَيْهَا نَجَاءَ الخَفَيْدَدِ

فلابد لاتقان هذه الصورة من رسم الناقة على شكل سباح ماهر ، تمد عضديها في الهواء كما يمد السباح يديه فوق الماء . وليس ذلك بكاف . اذ لابد من رسم ظليم مطرود في جانب من جوانب الصورة ، وكأن الناقة تباريه في السرعة ، وبذلك تكتمل الصورة وتستقر .

أرأيت كيف كان طرفة مولعا بالتصوير ، والى أي حد أبدع في رسم لوحاته الفنية .. وكذلك اتسم اسلوب طرفة ، بولعه بصياغة الحكم ، ومغالاته في ضرب الامثال ، وغرامه بالقاعدة القائلة " لكل مقام مقال " .

فأما الحكم والامثال فقد رأينا في الفصل السابق من أمثلتها مايغني عن

---

(١) الديوان ص ٢٥ .

عن تكراره هنا . وأما استعماله لكل مقام مقالا ، ولكل حادث حديثا ، فما أيسر التدليل عليه لكثرته . لقد كان اذا افتخر بنفسه أو بقومه ، وجه الحديث الى مايجب أن يكون فى الرجال ، من عقل وشجاعة وعدل وعفة ، ومايتفرع منها . قال قدامة بن جعفر فى نقد الشعر :

" انه لماكانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا من طريق ماهم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ماعليه أهل الالباب من الاتفاق فى ذلك ، انما هى العقل والشجاعة والعدل والعفة ، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الاربع الخصال مصيبا "(١)

وهل كان طرفة يفعل غير ذلك ؟

وكان كذلك اذا هجا قوما ، سلبهم مايجب أن يكون للرجال ، من كريم الخصال وحميد الفعال ، فكان فى الهجاء من المقذعين ، كما كان فى الفخر من المجيدين .

ولقائلٍ أن يقول : ولكنه قد بالغ فى كثير من الامور وغالى ، والجواب على ذلك هو أن المبالغة من ضروب الاستعمالات الجيدة التى ألفها فحول الشعراء ، وحمدها لهم جهابذة العلماء .

ومن لتزام طرفة بأن لكل مقام مقالا ، ضخامة الفاظه فى الفخر وقوتها ، وصعوبتها فى الوصف وغرابتها . ثم رقتها فى الغزل والنسيب ونداوتها وعذوبتها . واستمع — كمثال على ذلك — الى قوله :(٢)

أَصَحَوْتَ اليومَ أم شَاقَتْكَ هِرٌّ ... ومن الحُبِّ جنونٌ مستعِرْ

---

(١) نقد الشعر — مكتبة الخانجي — ص ٦٩ .
(٢) انظر الديوان ص ٥٠ ، ٥٥ .

لا يكن حبك داءً قاتلاً ليس هذا منك ماوىّ بحرّ
فلــه منها على أحيانهــا صفوة الراح بملذوذٍ خصر

ثم استمع الى قوله كذلك :(١) :

اعوجيات طوالاً شزبــا دوخل الصنعة فيها والضمر
من يعابيب ذكور وقــح وهضبات اذا ابتل العذر
جافلات فوق عوج عجــل ركبت فيها ملاطيس سمر

فهو فى الابيات الاولى يغازل احدى معشوقاته وهى هر ، فلا تكاد تجد كلمة صعبة أو غريبة المعنى • انها كلمات عذبة رقيقة ، غنية بالعاطفة ، تناسب الحال ، فقائلها واجد ملتاع متهالك شارد اللب مشغول البال •

اما الابيات الاخرى ، فهو يفتخر فيها بجانب من مكارم قومه ، واستعدادهم للغارة ، بهذه الخيول التى يصف • ولذلك فهى مليئة بالكلمات الضخمة الصعبة الغريبة ، كالوقح واليعابيب والهضبات والاعوجيات والشزب والملاطيس ، وغير ذلك مما لابد لفهمه من الرجوع الى المعاجم والقواميس •

وحق لطرفة ذلك فى الحالين ، وقد أجاد • فالنسيب الذى يتم بــه الغرض ــ كما قال قدامة ــ " هو ماكثرت فيه الادلة على التهالك فى الصبابة ، وتظاهرت فيه الشواهد على افراط الوجد واللوعة ، وماكان فيه من التصابى والرقة أكثر مما يكون فيه من الخشن والجلادة ، ومن الخشوع والذلة اكثر مما يكون فيه من الاباء والعز ، وأن يكون جماع الامر فيه ماضاد التحفظ والعزيمة ، ووافق الانحلال والرخاوة ، فاذا كان النسيب كذلك فهو المصاب به الغرض "(٢)

---

(١) انظر الديوان ص ٦٩ وانظر شرح هذه الابيات فى هامش ص ٣٢٠ من هذا البحث •
(٢) نقد الشعر ــ مكتبة الخانجى ــ ص ١٤٠ •

أفتؤدّي هذه المعاني التي ذكرها قدامة ، الا بألفاظ تناسبها وتعبيرات تلائمها . بحيث يكون فيها من الرقة والعذوبة والبعد عن الخشن والجلادة ما في الغزل نفسه من ذلك .

اما الوصف والفخر وما اليهما ، فهما في حاجة الى الالفاظ الجزلة القوية الضخمة المعبرة . حتى تنهض بما تحمل من أعباء تأدية المعاني العميقة المتشعبة المسالك ، وتقوم بما ترصد له من التعبير عن الصور البدوية الصحراوية فتؤدّي ذلك .

وهكذا كان طرفة يعرف لكل مقام مقاله الملائم ، ولكل حادث حديثه الموائم . كيف لا ! وهو الذي عرف النقد منذ صغره ، ولعله لذلك تحاشى ما استطاع أن ينقده أحد في كبره .

ذكر الرواة ــ كما رأينا سابقا ــ أن المسيب بن علس كان ينشد شعرا يصف به بعيره فقال :

وقد أَتناسى الهمَّ عند احتضاره بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ

وسمعه طرفة وهو صغير ، يلعب مع صبيان الحي ، فقال : " استنوق الجمل " فضحك القوم ، وذهبت مثلا .(١)

لقد أدرك طرفة أن الصيعريّة من سمات النوق ، وليست من صفات الفحول ، فأراد أن يُذَكِّر المسيَّب بقولهم : " لكل مقام مقال " . والا اختلت الموازين ، واختلطت الامور ، و " استنوقت الجمال " .

---

(١) انظر الموازنة للامدي ــ دار المعارف ــ ص ٤١ ــ ٤٢ .

هذا ، ولقد ظهر أسلوب طرفة كواحد من أرقى أساليب الشعراء الجاهليين وأقواها ، وأجزلها وأعلاها . فقد هجم على الالفاظ القوية ينتقيها انتقاء ولا يسف الى سواها . كما عززها بالمحسنات اللفظية التى زادت فى مزاياها . وغاص على المعانى العميقة يلتقطها بالشمال واليمين ، وتصرف فى اللغة تصرفا أذهل الباحثين .

ثم تناثرت بين أقواله ضروب من الثقافة والمعلومات العامة زادت أسلوبه قوة الى قوته وجمالا الى جماله . خاصة وانها كانت تأتيه عفو الخاطر ، لا يقصد اليها قصدا او يتكلفها تكلفا .

ومن أمثلة هذه المعلومات وتلك الثقافات معرفته للكثير عن الاولين ، والمامه بالكثير عن المعاصرين . فهو يعرف أن أجود الدروع هو ما كان يصنعه سيدنا داود عليه الصلاة والسلام ، ولذلك نسب دروع قومه اليه . يقول :(١)

وهمْ ما همْ إذا ما لَبِسُوا نَسْجَ داودَ لبأسٍ مُحْتَضَرْ

وهو يعرف أن عادًا وقرونا غيرها قد بادوا فيمرهاد فى الايام الخالية ، فهل ترى لهم من باقية ؟ يقول :(٢)

ولقد بَدَا لِى أنَّهُ سيَغُولُنِى ما غالَ عادًا والقرونَ فأشْعَبُوا (٣)

وهو يعرف ما كان عليه العرب جميعا ــ منذ كان أبواهم ابراهيم واسماعيل

---

(١) الديوان ص ٦٤ .
(٢) الديوان ص ١٠٨ .
(٣) بدا لى ظهر لى ، ويغولنى يهلكنى ، ويذهب بى . وأشعبوا ماتوا وفارقوا فراقا لا يرجعون بعده . واصله من صاروا الى شَعوب (كلعوب) وهى المنية .

عليهما الصلاة والسلام — من تقديس للبيت العتيق ، وعدم الالحاد فيه .

يقول :(١)

نَزَعُ الجَاهِلَ فِي مَجْلِسِنَا ... فترى المَجْلِسَ فِينَا كالحَرَمْ

وغير ذلك من أخبار الغابرين .

ثم إنه يعرف كثيرا كذلك عن الامم المعاصرة ، والشعوب المجاورة .

فأهل الشام نصارى أهل كتاب . ولذلك فهم أهل كتابة وقراءة وقراطيس

فشبه خد ناقته بصفحة بيضاء من صفحات قراطيسهم .

وأهل اليمن مشهورون بدبغ الجلود ، ودباغهم أجود الدباع وأفضلها ،

ولذلك فقد شبه مشفر ناقته بنعال مصنوعة من جلود البقر المدبوغة في

اليمن . يقول :(٢)

وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشَّآمِي وَمِشْفَرٌ ... كَسِبْتِ اليَمَانِي قِدُّهُ لَمْ يُجَرَّدِ

والروم أهل أنهار وقنوات وزراعة ، كما أنهم أهل صناعة وبناء وعمارة .

ولذلك فقد سبقوا في صناعة أدوات البناء كالآجُرّ ، كما سبقوا في اقامة

القناطر والجسور ، واتقان صنعها . ولهذا فقد شبه ناقته في عظم جِرْمها ،

وإحكام خَلْقها ، بقنطرة الرومي المشيدة بأقوى مواد البناء وأصلبها في ذلك

الزمان وهو القَرْمَد . يقول :(٣)

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أقسم ربُّها ... لتُكْتَنَفَنْ حتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدِ

وأهل عَدَوْلَى مشهورون بصناعة السفن ، وعدولى هذه جزيرة من جزر

---

(١) الديوان ص ١١١ .

(٢) الديوان ص ٢٣ وشرحه ص ٣١٠ من هذا البحث .

(٣) الديوان ص ١٨ وشرحه في ص ٣٠٨ من هذا البحث .

الخليج [١]، أو هي قرية من قراه [٢] . ولذلك فقد شبه هودج معشوقته وهوادج صاحباتها بالسفن العَدَوْلية . يقول [٣] :

كأنَّ حُدُوجَ المالِكيّةِ غُـدْوَةً   خَلَايَا سَفِيْنٍ بالنَّواصِفِ مِنْ دَدِ
عَدَوْلِيَّةً أو مِنْ سفين ابْنِ يامِنٍ   يجورُ بها المَلَّاحُ طَوْرًا ويَهْتَدِي

وهذا يجرنا عن الحديث عن البحر عند طرفة . فقد تناثر في شعره ذكره او ذكر مايعود عليه وينسب اليه .

فالخلايا التي ذكر آنفا ، هي السفن العظام ، وواحدتها خلية . والخلية كما ذكر ابن الانباري عن أبي عبيدة ، هي " السفينة العظيمة معها قارب . اي زورق صغير " [٤] . وابن يامن الذي نسب اليه طرفة السفن الجيدة ، هو ملاح من أهل هجر [٥] . فهل يدرك هذه الامور ، الا من له بالبحر صلة ؟

على أن طرفة لم يقف علمه بالبحر عند هذا الحد ، ولكنه يصف سير السفن على صفحة الماء ـ مثلا ـ وصف المعاين الخبير . فهي تتجه مرة للشمال ومرة لليمين ، وتضل القصد تارة ، وتمضي للقصد أخرى . وربانها ممسك بزمام دفتها ، يديرها الى حيث تهديه خبرته بالطرق في البحار . يقول [٦] :

" يجورُ بها المَلَّاحُ طورًا ويَهْتَدِي " .

ثم قف على البحر يوما ، وانظر الى السفن وهي تمخر عباب الماء ، أتراك تتخيل تعبيرا أقرب الى ماتشاهد ، وتصويرا ادق في نقله من قول طرفة : [٧]

---

(١) انظر شرح القصائد السبع الطوال ص ١٣٧ .
(٢) انظر الديوان ص ٧ .   (٣) الديوان ص ٧ .
(٤) شرح القصائد السبع الطوال ص ١٢٥ .
(٥) نفس المصدر ص ١٣٧ .   (٦) الديوان ص ٧ .
(٧) الديوان ص ٨ .

يَشُقُّ حَبابَ الماءِ حَيْزُومُها بِها ... كما قَسَمَ التُّرْبَ المُفايِلُ بِاليَدِ

ان طرفة يضيف الى خبرته بلعبة الصبيان فى الرمال ، وهى المعروفة بالفيال [1]، خبرة بالبحر وأحوال السفين فيه .

ولا يفتأ طرفة يستمد بعض تشبيهاته ، وصوره وألفاظه من قاموس البحر ، حتى يؤكد لنا صلته به ، وقرابته منه ، تأكيدا لا مجال لنفيه . فناقته تعوم بضبعيها فى الهواء كما يعوم السباحون فى الماء [2] ، وعنقها تالع مشرف عال ، كأنه عُودُ المركب الذى ينصب عليه الشراع ، يقول : [3]

وأتلعُ نهّاضٌ اذا صَعّدَتْ به ... كَسُكّانِ بُوصِيٍّ بدَجْلَةَ مُصْعِدِ

وهل فى ذلك من عجب . لقد عرفنا أن منازل قوم طرفة كانت فى تلك المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية وأطراف العراق ، وهى منطقة بحرية ، معروفة بخلجانها وأنهارها وشواطئها . ثم ان طرفة لم يكن يهدأ فى منطقة دون أخرى . بل كان يتجول بين تلك المناطق ، من الحيرة فى العراق ، الى هجر فى الجزيرة . فيلتقط ببصره الحاد ، وبصيرته النافذة مايعلم أو يرى أو يسمع ، ثم يضمنه مايقول . ولذلك فليس مايمنع من أن نطلق عليه التسمية التى أطلقها عليه استاذنا الدكتور حسن باجودة [4] ، وهى قوله : " إنَّ طرفةَ كان شاعرًا بَرْمائِيًّا " [5].

---

(١) هى لعبة لصبيان الاعراب حيث يجمعون رملا ويخبئون فيه خبيئا ثم يأتى المفايل فيقسمه قسمين بيده ، ويقول أين الخبيء ، فان أصاب ظفر وان أخطأ قُمِر . وقيل له فال رأيك أى خاب .

(٢) الديوان ص ٢٥ .

(٣) الديوان ص ٢١ .

(٤) رئيس قسم الدراسات العليا العربية ــ بكلية الشريعة ــ بجامعة الملك عبد العزيز ــ بمكة المكرمة ــ والمشرف على هذا البحث .

(٥) مشافهة .

أما استعمال طرفة للمحسنات ، وولعه بالتشبيهات والكنايات ، والاستعارات ، وغيرها مما يقوى المعانى ويزين الالفاظ ، فهو لكثرته وشهرته يَنِدُّ عن الاستقصاء ، ويستعصى على الاحصاء .

فأنت لا تكاد تمر ببيت أو بضعة أبيات ، الا وتجد فيها مايقوى المعانى من تشبيه او استعارة او كناية ، او غير ذلك مما اخترع النقاد من تسميات كالتكافوء والاحتراس والالتفات . وانت لا تكاد تمر ايضا ببيت او بضعة أبيات ، الا وتجد فيها مايزين الالفاظ من المحسنات . كالازدواج أو الجناس أو الطباق أو المقابلات ، او غير ذلك مما فصل علماء النقد الحديث فيه ، ووضعوا له المؤلفات والمصنفات . فمن أمثلة التشبيهات عند طرفة قوله :(١)

وَجَاءَتْ بِصُرَّادٍ كَأَنَّ صَقِيعَهُ   خِلَالَ البُيُوتِ والمَبَارِكِ كُرْسُفُ(٢)

فقد ساقت الريح الباردة ، سحابا مليئا بالجليد الابيض ، الناصع البياض ، كأنه القطن .

ومن أمثلة استعاراته قوله :(٣) " لَعِبَتْ بَعْدِى السُّيُولُ بِهِ "

فقد جعل السيول صبيانا من صبيان الحى ، يلعبون بذلك الربع لعبا متواصلا حتى دَرَّسوه وعَدَّوه .

ومن كناياته قوله فى شدة الفزع (٤) : " يَوْمَ تُبْدِى البِيضُ عَنْ أَسْوُقِهَا " . وقوله فى حَمْىِ الوطيس وتبادل الطعان :(٥) " وَتَسَاقَى

---

(١) الديوان ص ١٣٠ .
(٢) الصراد سحاب لا ماء فيه ، والصقيع الجليد ، والكرسف القطن .
(٣) الديوان ص ٧٥ .
(٤) الديوان ص ١٠٩ .
(٥) الديوان ص ٦٤ .

القومَ كأساً مُرَّةً " .

ومن التكافوء قوله :[1] " بَطِيءٍ عَنِ الجُلَّى سَرِيعٍ إلى الخَنَا " .

قال قدامة بن جعفر : " فقوله سريع وبطيء تكافوء "[2] . والتكافوء هو أن يأتي الشاعر بمعنيين متكافئين ، اذا أراد أن يمدح أو يذم ، أو أراد أن يتكلم في معنى أي معنى .[3]

ومن الاحتراس عند طرفة قوله :[4]

فَسَقَى بِلادَكَ ـ غيرَ مُفْسِدِهَا ـ صَوْبُ الرَّبِيعِ ودِيمَةٌ تَهْمِي

فقد احترس بقوله : " غير مفسدها " . والا كان قوله دعاءً عليه لا دعاء له . قال الجاحظ في البيان والتبيين : " طَلَبَ الغيثَ على قَدْرِ الحاجة لأَنَّ الفَاضِلَ ضارٌّ "[5] .

وقد سمى قدامة هذا النوع من البيان بالتتميم ، وقال في معناه : " وهو أن يذكر الشاعر المعنى ، فلا يدع من الاحوال التي تتم بها صحته ، وتكمل معها جودته ـ شيئا الا أتى به "[6] . ثم قال : " فقوله : غير مفسدها ، اتمام لجودة ماقاله ، لانه لو لم يقل غير مفسدها لَعِيْبَ ، كما عيب ذو الرُّمَّةِ في قوله :[7]

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دارَ مَيَّ على البِلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلّاً بِجَرْعَائِكِ القَطْرُ "[8]

---

(١) الديوان ص ٤٦ .
(٢) نقد الشعر ـ مكتبة الخانجي ـ ص ١٦٤ .
(٣) انظر المصدر السابق ص ١٦٣ .
(٤) الديوان ص ٩٧ .
(٥) البيان والتبيين ١ / ٢٢٨ .
(٦) نقد الشعر ـ مكتبة الخانجي ـ ص ١٥٧ .
(٧) انظر ديوان ذي الرمة ـ بتحقيق د . عبد القدوس ابو صالح ـ ص ٥٥٩ .
(٨) نقد الشعر ـ مكتبة الخانجي ـ ص ١٥٨ .

قال أبو هلال فى الصناعتين : " فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها لان القطر اذا انهل فيها دائما فسدت "(١)

ومن أمثلة الالتفات عند طرفة قوله :(٢)

وَتَصُدُّ عنكَ مَخِيلَةَ الرَّجُلِ العِرِّيضِ ، مُوضِحَةٌ عن العَظْمِ

بحسامِ سيفكَ أو لسانِكَ ، والكَلِمُ الأَصيلُ كأرْغَبِ الكَلْمِ

قال قدامة : " فكأنه لما بلغ بعد " حسامك " الى لسانك " ، قَدَّر أن معترضا يعترضه فيقول : كيف يكون مجرى السيف واللسان واحدا ؟ فقال : والكلم الاصيل كأشد الجراح ، وأكثرها اتساعا "(٣) . وبمثل ذلك قال ابو هلال فى الصناعتين .(٤)

ومن أمثلة الازدواج عند طرفة قوله :(٥)

صُهَابِيَّةُ العُثْنُونِ ، مُوجَدَةُ القَرا ، بَعِيْدَةُ وَخْدِ الرِّجْلِ ، مَوَّارَةُ اليَدِ

وهذه المزاوجة فى التركيب ، كثيرة فى النثر ، جميلة فى الشعر ، كما يقول العلماء . قال أبو هلال : " لا يحسن منثور الكلام ، ولا يحلو ، حتى يكون مزدوجا "(٦)

أما الجناس عند طرفة فهو قليل ، وذلك أن الجناس وليد الصنعة والتروى ، ولم يكن الامر كذلك عند طرفة . ولذلك فانه لم يستعمل جناسا

---

(١) انظر الصناعتين — تحقيق البجاوى — ص ٣٩٠ .
(٢) الديوان ص ٩٦ وشرحهما فى هامش ص ٣٣١ من هذا البحث .
(٣) نقد الشعر — مكتبة الخانجى — ص ١٦٩ .
(٤) انظر الصناعتين — تحقيق البجاوى — ص ٣٩٣ .
(٥) الديوان ص ١٩ وشرحه فى هامش ص ٣١٥ من هذا البحث .
(٦) انظر الصناعتين — بتحقيق البجاوى — ص ٢٦٠ .

تاما الا فى موضع واحد ــ فيما أعلم ــ ، وذلك قوله :[1] " سَتَعْلَمُ إِنْ مِتْنَا صَدًى أَيُّنَا الصَّدِى " . وقد استعمل جناسا غير تام فى مواضع أخرى ، ولكنها قليلة ايضا . ومن أمثلة ذلك قوله :[2] " وَقَرَّبْتُ بِالْقُرْبَى " وقوله [3]: " بِالْجَهْدِ أَجْهَدِ " ، وغير ذلك .

أما الطباق والمقابلات ، فقد أكثر طرفة من استعمالاته لها الى حد بعيد ، وذلك أنها كانت تساعده على ابراز معانيه بالشكل الذى يريد . ومن أمثلة ذلك قوله : " بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِى "[4] ، " تَلَاقَى وَأَحْيَانًا تَبِينُ "[5] ، " لِجَرْسٍ خَفِيٍّ أَوْ لِصَوْتٍ مُنَدَّدِ "[6] ، " وَبَيْعِى وَإِنْفَاقِى طَرِيفِى وَمُتْلَدِى "[7] ، " وَإِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ ، وَإِنْ شِئْتُ أَرْقَلَتْ "[8] ، " بَطِىءٍ عَنِ الْجُلَّى ، سَرِيعٍ إِلَى الْخَنَا "[9] ، وأخيرا :

تَطْرُدُ الْقُرَّ بِحَرٍّ صَادِقٍ   وَعَكِيكَ الْقَيْظِ إِنْ جَاءَ بِقُرٍّ[10]

وغير ذلك .

وكذلك أولع طرفة فى أسلوبه ، باستعمال الكثير من صيغ المبالغة ، كفَعِيْلٍ وفِعَالٍ ، ومَفْعُولٍ ومِفْعَالٍ ، وفِعِّيلٍ وفَعِلٍ . فأما صيغة فَعِيْلٍ ،

---

(1) الديوان ص ٣٥ .
(2) الديوان ص ٣٨ .
(3) الديوان ص ٣٩ .
(4) الديوان ص ١٢ .
(5) الديوان ص ٢١ .
(6) الديوان ص ٢٤ .
(7) الديوان ص ٣١ .
(8) الديوان ص ٢٦ .
(9) الديوان ص ٤٦ .
(10) الديوان ص ٥٨ .

فهى أكثرها شيوعا عنده ٠

فأنفناقته عتيق ، ووخد رجلها بعيد ، ووجه معشوقته نقى ، والاقحوان الذى شبه بنوره فمها ، نابت فى كثيب ندى ، وصدر ثوب قينته رحيب ، وهى رفيقة بجس الندامى ، وصوت معشوقته رخيم ، وقد مرت به وبها أيام وكلاهما ناعم العيش غرير ، وطرفة انسان كريم ، وبغيه شديد ، وسيفه رقيق الشفرتين ، وهو به منيح ، ليس بالذليل ، ولا البطىء عن الجلى ، السريع الى الخنا ٠

وقبر البخيل عنده كقبر الغوى ، وناقته تسمع الصوت العالى كما تسمع الصوت الخفى ، والجبان هبيت ، والشجاع كمى ثبيت ، وليس على ريب الزمان كفيل ٠(١)

أما صيغة فَعَّالٍ فهى شائعة ايضا فى أسلوب طرفة ، ولكنها أقل من فَعِيْلٍ ٠ فناقته موارة اليد ، وعنقها أتلع نهاض ، وقلبها أروع نباض ٠ وقائد السفينة ملاح ، والبخيل نحام ، والطعن نشاج أى ينزلق بالدم ، والسحاب وكاف أى كثير المطر ، وقوم طرفة ضرابو البهم وطراد و القرم ٠(٢)

وكمثل صيغة فَعَّال تقريبا ، شاعت عنده صيغة فَعُولٍ ٠ فمعشوقته كالظبية الخذول ، وناقته أمون ، جنوح ، وعيناها طحوران عوار القذى ، والسحاب هطول ، وابن عمه بأسرار الكرام نَسُول أى سريع المشى لا فشائها

---

(١) انظر فى صيغة فَعِيْلٍ عند طرفة هذه الصفحات من ديوانه :
٩ ، ١١ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٤٦ ، ٥٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٣٢ ٠٠ وغير ذلك ٠

(٢) انظر فى صيغة فَعَّالٍ عند طرفة هذه الصفحات من ديوانه : ٧ ، ١٩ ،
٢١ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٨٢ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٣١ ٠

وغيـر ذلـك .(١)

واقل صيغ المبالغة شيوعا فى أسلوب طرفة، مِفْعَالٌ وفَعِيلٌ . فالاولى فى قوله " مرقال " عن ناقته (٢)، والثانية فى قوله " الرجل العريـض "(٣)

واما صيغة فَعِلٍ فهى من الشيوع فى أسلوبه بحيث تكاد تكون فى المرتبـة الثانية بعد فَعِيلٍ . فعدوه سرف الفؤاد ، وضرع ناقته حشف اى متقبض ، ومعشوقته كالغزال الخدر ، وهو الفاتر العظام . وريقها كالماء الخصـر ، اى البارد ، وصوتها عطر . وخف ناقته معر ، اى ذهب ماحوله من الشعر . وسؤدد قومه غير زمر ، اى غير قليل . وخلقهم مع من يعاديهم وعر(٤) .

وهكذا كان طرفة مولعا باستخدام صيغ المبالغة ، حتى ظهرت فـى أسلوبه كخصيصة من خصائصه ، وواحدة من مميزاته .

على أن أسلوب طرفة هذا الذى رأينا كثيرا من خصائصه ومميزاته ، لـم يَصْفُ من المثالب ، كما لم يَخْلُ من المعايب . ولكنها مثالب محدودة ، ومعايب معدودة . وصدق الذى قال : " كَفَى الْمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ "(٥).

وكان طرفة يسقط فى تلك المعايب سقطة الجواد ، كما ذكرنا ، مرة فـى اللفظ ، ومرة فى المعنى . ولكن العلماء أخذوها عليه ، ولم يغفروها له .

---

(١) وانظر فى صيغة فَعُولٍ هذه الصفحات :
٩ ، ١٢ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٨٢ ، ٨٥ .
(٢) الديوان ص ١٢ .
(٣) الديوان ص ٩٦ .
(٤) وانظر فى صيغة فَعِلٍ هذه الصفحات : ١٥ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٢ .
(٥) انظر التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ص ١٥ .

قال أبو هلال العسكرى فى الصناعتين : " ومن الخطأ قول طرفة يصف ذنب البعير :

كَأَنَّ جَناحَىْ مَضْرَحِيٍّ تَكَنَّفَا حِفَافَيْهِ شُكَّا فى العَسِيبِ بِمِسْرَدِ

وانما توصف النجائب بخفة الذنب ، وجعله هذا كثيفا طويلا عريضا "(١)

وكان المرزبانى قد سبق أبا هلال الى اكتشاف هذا الخطأ عند طرفة ، بل ان عبارة ابى هلال هذه ، تكاد تكون هى عبارة المرزبانى فى الموشح (٢).

على أن ابن طباطبا فى كتابه عيار الشعر ، كان قد سبقهما كليهما الى ذلك . وتكاد عبارتهما تكون هى نفس عبارته (٣). هذا وقد كنا قد أحصينا على طرفة هذه الكبوة ، فى أثناء حديثنا عن الوصف عنده .

وقال أبو هلال ايضا : " ومما عيب على طرفة قوله :

وإِذَا تَلْسُنُنِى أَلْسُنُهَا إِنَّنِى لَسْتُ بِمَوْهُونٍ فَقِرْ

والعاشق يلاطف من يحبه ولا يُحَاجُّه ، ويلاينه ولا يُلَاجُّه "(٤). وكان المرزبانى أيضا قد سبق أبا هلال الى توضيح ذلك عند طرفة (٥). على أن الأصمعى هو أول من وقعت عينه على ذلك الخطأ فقال : " لم يكن طرفة يحسن أن يتعشق "(٦). وكنا قد رأينا رأيا فى هذا المأخذ ، عند حديثنا عن غزل طرفة .

---

(١) انظر الصناعتين ـ بتحقيق البجاوى ـ ص ٩٣ .
(٢) انظر الموشح ـ بتحقيق البجاوى ـ ص ١٣٦ .
(٣) انظر عيار الشعر لابن طباطبا ص ٩٩ .
(٤) انظر الصناعتين ـ بتحقيق البجاوى ـ ص ٨٣ .
(٥) انظر الموشح ـ بتحقيق البجاوى ـ ص ٧٧ .
(٦) انظر فحولة الشعراء للاصمعى ص ٤٢ .

وقال أبو هلال ايضا : " ومما لم يوضع فيه الشيء مع لِفْقِهِ من أشعار المتقدمين قول طرفة :

ولستُ بحلَّال التِّلاعِ مخافةً ولكن متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ

فالمصراع الثاني غير مشاكل الصورة للمصراع الاول . وان كان لمعنى صحيحا ، لانه أراد : ولست بحلال التلاع مخافة السؤال ، ولكني أنزل الامكنة المرتفعة لينتابوني فأرفدهم .. وهذا وجه الكلام ، فلم يعبر عنه تعبيرا صحيحا ، ولكنه خلطه وحذف منه حذفا كثيرا ، فصار كالمتنافر . وأدواء الكلام كثيرة "(١)

وكان المرزباني أيضا قد سبق أبا هلال الى كشف هذا عند طرفة .(٢) على أن ابن طباطبا قد سبقهما كليهما حين قال في كتابه عيار الشعر : " واذا تأملت أشعار القدماء لم تعدم فيها أبياتا مختلفة المصاريع ، كقول طرفة : ولست بحلال التلاع (البيت) ، فالمصراع الثاني ، غير مشاكل للاول "(٣).

وهناك خطأ آخر من أخطاء طرفة ، أخذه عليه بعض العلماء ، واستحسنه منه بعضهم الاخر ، وهو قوله : وُقوفًا بِهَا صَحْبِي .. (البيت) . فقد أخذه من قول امرئ القيس . وسنعرض لذلك بالتفصيل عند حديثنا عن معلقته بعد قليل . ان شاء الله تعالى .

وبودي أن أختم الحديث عن أخطاء طرفة بهذين الخطأين الصغيرين اللذين أَوْقَعَ طرفةَ فيهما الوزنُ والقافيةُ . أما الاول فهو قوله :(٤)

حَابِسِي رَسْمٌ وَقَفْتُ بِهِ لَوْ أُطِيعُ النَّفْسَ لَمْ أَرِمُهْ

---

(١) انظر الصناعتين ــ بتحقيق البجاوي ــ ص ١٤٣ .
(٢) انظر الموشح ــ بتحقيق البجاوي ــ ص ٧٣ .
(٣) انظر عيار الشعر ص ١٢٥ ــ ١٢٦ .
(٤) الديوان ص ٧٥ .

قال الاعلم الشنتمرى فى شرحه لهذا البيت : " وكان ينبغى أن يقول " لـم أَرُمْهُ • فلما وقف ، ألقى حركة الهاء على الميم • ولا يجوز ذلك فى الوصل • ومثله يجىء فى الكلام ، واكثر مايجىء فى الشعر "(١)

واما الثانى فهو قوله :(٢)

بِجِفَانٍ تَعْتَرِى نَادِيَنَا　　　مِنْ سَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصِّنَبِرّْ

وكان ينبغى أن يقول الصِّنَّبْرُ(٣) ، ولكن الوزن والقافية لم يمكناه مما ينبغى •

ذلك هو أسلوب طرفة ، بخصائصه ومميزاته ، وأخطائه • وهو واحد ــ كما ذكرنا ــ من أرقى أساليب الشعراء القدماء ، ولا ينتقص من رقيه ماورد فى ثناياه من هنات وأخطاء •

---

(١) الديوان ص ٧٦ •

(٢) الديوان ص ٦٦ • المكسورة

(٣) الصنبر بالصاد المهملة والنون المشددة المفتوحة والباء الساكنة هو البرد الشديد (انظر معجم مقاييس اللغة ٣ / ٢٥٣ باب ماجاء فى كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله صاد) •

المبحث الثاني : تطور أشعاره :

ان التجارب الاولية ـ عادة ـ في كل صناعة ، تضيع وتندثر ، وتعفو آثارها . ولا يبقى بين الايدي غير تلك النتائج الناضجة المستقرة ، التي أتت أكلها ونضجت ثمارها . والناس معذورون في ذلك ، فان مايعنيهم هو هذه النتائج . أما التجارب التي كانت أساسا لها ، فلا تعني الا العلماء والمتخصصين .

والشعر صناعة ـ كما نعرف ـ من تلك الصناعات ، ولم يصل الى ماوصل اليه الا بعد أن تخطى العقبات الشديدة ، واجتاز التجارب العديدة ، وليس من العقل في شيء أن يكون الشعر قد وجد هكذا ، منظوما قويا ناضجا نضيدا ، كما أنه ليس من العقل أن ينزل الشاعر من بطن أمه فطحلا مجيدا .

لابد اذن من مراحل متعددة ، وتجارب متنوعة ، ومحاولات شتى ، وذلك حتى يجود الشعر أو يجيد الشاعر . ولكن الناس ـ كما قلنا ـ معنون بالنتائج وليس لهم عناء بالتجارب . ولذلك فقد حفظوا الاشعار الجاهلية ، وتناقلوها ، ونسوا التجارب الاولية التي قامت عليها ، وأهملوها .

واذا كان هذا هو شأن الشعر الجاهلي كله ، فانه يصلح أن يكون شأن كل شاعر من شعراء ذلك العصر على حدة . اذ تضيع التجارب الاولية التي كان يهذى بها في أول حياته ، قبل أن يجود شعره ، وينتشر بين الناس أمره .

بل ان الشاعر ـ كل شاعر ـ غير حريص على أن تعلن تلك التجارب للناس ،

وتذيع فيما بينهم • فان فيها مرا لا خطاء والسقطات والعثرات ، ماقد يجعله اضحوكة لهم •

وهكذا كان طرفة بن العبد ، فقد وصلنا شعره ناضجا كله كما رأينا • بحيث لا يستطيع الناقد أن يَفرُقَ(١) من مجموعه بواكيره (٢) • ولذلك يصعب عليه أن يحدد للناس — جازما — مراحل تطوره وارتقائه ، أو أن يدلهم — يقينا — على أوائل شعره وأواخره •

حتى قصيدته " ماتنظرون بحق وردة فيكم "(٣) ، التى قالها لاعمامه ، عندما أبوا أن يقسموا مال أبيه ، وظلموا أمه حقها فيه • لا نستطيع أن نجزم بأنها أول شعره ، كما جزم ابن السكيت بذلك • فقد قال فى شرحه لديوان طرفة : " كان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فأبى أعمامه أن يقسموا له ماله ، فقال طرفة ، وهو أول ماقال من الشعر ، فعرف به ونما شعره وكثر ، حتى عرف به "(٤).

غير أن الذى يتصفح هذه القصيدة ، ويمعن النظر فى أبياتها ، لا يوافق ابن السكيت على ماقال • واستمع الى طرفة وهو يقول فيها :(٥)

مَاتَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةَ فِيكُمُ	صَغُرَ البَنُونَ وَرَهْطُ وردةَ غُيَّبُ
قَدْ يَبْعَثُ الأَمرَ العظيمَ صغيرُه	حتى تظلَّ لـه الدِّماءُ تَصَبَّبُ

---

(١) فرق يفرق — كنصر ينصر — أى بيَّن • قال تعالى : " وقرآنا فرقناه لتقرأه على النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً " (الاسراء ١٠٦) •

(٢) الباكورة أول الفاكهة •

(٣) انظر ديوانه ص١٠٧ •

(٤) انظر المخطوطة الاولى ورقة ٢٨ ، والمخطوطة الثانية ظهر ورقة ٢٤ •

(٥) الديوان ص١٠٧ •

فهل يبدو لك صاحب هذا الشعر ، فتى ناشئا يتشبث بتلابيب أعمامه ، أن يستمعوا إلى شكاته ، ويتضرع اليهم أن يتفضلوا برد الحقوق الى أهلها ، وأن يتكرموا باعطاء أمه ما سلب من أموالها .. فان لم ينصفوه أو يسمعوه أو يجيبوه ، انصرف الى أمه شاكيا باكيا ، تماما كما يفعل الصبيان ، ليجد عندها ما افتقده فى أعمامه من حنان ؟ . أتراك تجد طرفة فى هذه الأبيات كذلك ؟ .

أم أنك تجد فيها شابا قويا ، يَجْبَهُ أعمامَه بما يريد ، فى صراحة الرجال ، وقوة الأبطال . بل يهددهم ويتوعدهم ويصغر من شأنهم ، ويحقر من أمرهم . إذ كيف تهبط مروءتهم إلى حد الاعتداء على امرأة ضعيفة ، أيِّمٍ ، وكيف تخف أحلامهم الى درجة أكل أموال أبنائها الأيتام .

ثم يضرب طرفة لأعمامه — فى هذه القصيدة — من الحكم ، ما ينم عن خبرة بالأمور ، ويشف عن علم بما كان فى غابر الدهور . يقول (١) :

ولقدْ بَدَا لى أنَّه سَيغُولُنِى ماغالَ عادًا والقرونَ فأشْعَبُوا

أَدُّوا الحقوقَ تَفِرْ لكم أعراضُكُمْ إنَّ الكريمَ إذا يُحَرَّبُ يغضَبُ

إن طرفة قد خبر الحياة ، وعرف من صروف الزمان ، ما جعله لا يخشى غائلة ، ولا يهتم من حَدَثان . ولذلك فهو لا يخاف أعمامه ، ولا يرهبهم ، بل يهددهم ويتوعدهم . فليردوا لأمه حقها الذى ظلموها إياه ، وإلا تعرضوا لهجوم طرفة ، ونالهم أذاه .

فاذا أضفت الى ما فى هذه الأبيات ، من تجارب وحكم ، ونضج فى معالجة

---

(١) نفس المصدر ص ١٠٨ .

الامور نضجا فى الأسلوب ، ألفاظًا ومعانىَ وصياغةً ، تأكد لك أنّ هذا الشعر، ليس هو أول شعر طرفة كما قال ابن السكيت ، اذ لابد أن تكون قد سبقته محاولات ، ومحاولات .

والأرجح مما ذهب اليه ابن السكيت ، هو ماذهب اليه الأعلم الشنتمرى، وذلك قوله فى تقدمته لتلك القصيدة : " ويقال إنها من أول ما قال "(١).

أما المحاولات الشعرية التى سبقت تلك القصيدة ، فيجوز أن يكون هذا الرجز الذى قاله طرفة فى القنابر وهو صغير ــ واحدا منها . فان المعانى التى حواها ذلك الرجز ، والمبانى التى حبكه بها طرفة ، ونُتَف الأخبار التى وردت عنه ، تؤيد مانقول . يقول :(٢)

يَالَكِ مِنْ قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ
خَلَالَكِ الجَوُّ فَبِيْضِى واصْفِرِى
ونَقِّرِى ماشِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِى
قدْ رَحَلَ الصَّيَّادُ عنك فأبْشِرِى .
ورُفِعَ الفَخُّ فمَاذَا تَحْذَرِى ؟
لا بُدَّ مِنْ صَيْدِكِ يومًا فاصْبِرِى

فهو يتحدث الى قبرة صغيرة حذرت فخه ، فيغبطها على ماهى فيه من حرية لا حدود لها . فالجو الفسيح ، والربع الخلاء ، تبيض فيهما وتصفر كيف تشاء . وعندها كذلك من الحب الذى نثره لها ، مايكفيها مئونة الطعام ، ولكنه يتهددها بأنه سيصيدها فى يوم من الأيام .

---

(١) انظر ديوان طرفة ص ١٠٧ .
(٢) انظر المصدر السابق ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

أما من ناحية المعنى ، فتلك هي المعاني التي يشغل بها الصبيان أنفسهم . وأما من ناحية اللفظ والصياغة ، فأنت ترى فيها الألفاظ السهلة الدارجة ، التي لا نظائر لها في أشعار طرفة الأخرى ، كما ترى فيها من الأخطاء مالم يكن طرفة ليقره لنفسه وهو كبير . أرأيت مافي قوله : " ورفع الفخ فماذا تحذري " ؟ .

وأما من ناحية نتف الأخبار التي وردت عن هذا الرجز ، فقد رأينا في موضع سابق أن طرفة قاله وهو صغير . وذلك عندما كان في رحلة مع بعض أعامه ، فلما حطوا في ذلك المكان يستريحون ، نصب طرفة فخه للعصافير ونثر عليه الحب ، وأخذ يراقبه من بعيد .. ولكن القنابر حذرته اليوم كله .

فلما أَذَّن القومُ بالرحيل ، ورفع طرفة فخه وانصرف ، أخذت القنابر تتساقط على الحب المنثور ، وتلتقطه من غير حذر . فقال فيها طرفة ذلك (١).

وقد ذكر أبو عبيد البكري في كتابه (فصل المقال) أن وردة أمَّ طرفة ، قد سرها منه ذلك ، فقالت له : " إني لأرجو أن تكون شاعرا ، وأن تشبه خالك "(٢)

لقد لمحت الأم بإحساساتها الخاصة ـ في ابنها ـ مَخَايِلَ النبوغ ، وهو بعد على عتبة الشباب . فتمنت له ـ من قلبها ـ تلك الأماني العذاب .

---

(١) انظر هذه القصة في الفاخر للمفضل بن سلمة ص ١٤٧ ، وفي شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

(٢) فصل المقال ص ٣٦٦ .

وصدقت احساساتها ، وتحققت أمنياتها . فجوّد طرفة في مقاله ، وسنّ خاله وغيّر خاله .

والعجيب أن شعر طرفة بعد ذلك استوى فجأة ، فليس بين هذا الرجز، وبين الشعر الناضج القوى ــ فترة انتقال ، كما يقال . ولابد إذن من أن تكون هناك في شعر طرفة ــ حلقات مفقودة . ومحاولات أخرى ، ولكنها ضاعت فيما ضاع . ولم يعلق بأذهان الناس الا هذا الرجز ، الذى ارتبط بأقصوصة من الأقاصيص ، يسهل على الناس أن يتناقلوها .

أما شعر طرفة الباقى ، فليس فيه من معالم الطفولة غير نتف من الأخبار من مثل قوله :(١)

يَشُقُّ حَبَابَ الماءِ حَيْزُومُها بِهَا كما قَسَمَ التربَ المُفَايِلُ باليَدِ

فها هو ذا طرفة ، لا يجد صورة للسفينة ، وهى تشق بصدرها عباب الماء ، أقرب من صورة ذلك الصبى وهو يقسم الترب بيديه ، فى لعبة الاطفال ، المعروفة بالفيال .(٢) وحق لطرفة أن يستخدم ذلك التشبيه ، وان يستعين بتلك الصورة ، فكم مرةٍ لعبها مع أترابه أيام الصبا ! وما أيام الصبا منه ببعيد .

ومن ذلك أيضا قوله :(٣)

بَدَّلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنْبِتِهِ بَرَدًا أَبْيَضَ مَصْقُولَ الأُشُرْ

فها هى ذى معشوقة طرفة ، قد استبدلت ــ من الشمس ــ بأسنانها العظمية الأصلية ، أسنانا أشد بياضا ونقاء وجمالا . فكيف حُشرت الشمس فى موضوع

---

(١) الديوان ص٨ .
(٢) انظر فى معنى الفيال هامش ص ٩-٤ من هذا البحث .
(٣) الديوان ص٥٧ .

كهذا ؟ • وهل لها به من صلة ؟ •

نعم• بل إن لها به — عند صبيان العرب فى أيام طرفة — صلة مباشرة• وذلك أن الصبى منهم كان "إذا سقطت له سن ، قذفها نحو عين الشمس ، وقال : ياشمس أعطيك سنا من عَظْمٍ ، فأعطينى سنا من فضة "(١)

وبقيت هذه التُرّهة — كذلك — عالقة فى ذهن طرفة ، من أيام صباه •

أما بقية أشعار طرفة ، فانها تكاد تستوى أسلوبا وصياغة ، وإن كانت معلقتُه ، إلى جانب ماحظيت به من الشمول والطول ، قد نالها منه أيضا حظ كبير من التجويد والإتقان ، حتى عده النقاد بها أفضل شعراء ذلك الزمان •

———

(١) انظر ديوان طرفة بشرح الاعلم ص ٥٧ •

المبحث الثالث : معلقة طرفة وأثرها فيمن جاء بعده :

معلقته :

كنت سأكتفي بهذا القدر ، من دراستي لشعر طرفة ـ فنونه وموضوعاته ، وخصائصه ومميزاته . ولكن معلقته استرعت انتباهي ، كما استرعت انتباه الكثيرين غيري ـ بما اتسمت به من شمول عز أن يوجد في غيرها من قصائد طرفة الاخريات ، وبما اتصفت به من طول قصرت عنه بقية المعلقات ، وبما حظيت به من العلماء في مختلف العصور ، من شروح ودراسات وتعليقات . ولذلك فقد أحببت أن اختصها بوقفة خاصة ، مهما تكن قصيرة ، استعرض فيها بعضا من تلك المميزات .

فأما طولها ، فلا خلاف بين العلماء ، في أنها أطول المعلقات جميعا ، سواء منها السبع أو التسع أو العشر . واليك الدليل على ذلك ، مستقى من مصنفات العلماء الذين عنوا بذلك .

لقد بلغت أطول معلقة بعد معلقة طرفة ، وهي قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا ... وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا

مائة وثمانية عشر بيتا ، في أطول رواية لها ، وذلك عند القرشي في جمهرة الاشعار . وهي عند ابن الانباري في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات أربعة وتسعون بيتا فقط ، وهي عند ابي جعفر النحاس في شرح القصائد التسع المشهورات ثلاثة وتسعون بيتا في نسخة ومائة وبيتان في نسخة أخرى ، وهي عند الزوزني في شرح المعلقات السبع بيتان ومائة . وهي عند التبريزي في شرح القصائد العشر ستة وتسعون بيتا فقط .

وتليها معلقة لبيد بن ربيعة :

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فمُقامُهـــا ... بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُهـــا

فهى عند كل من القرشى والتبريزى تسعة وثمانون بيتا ، وهى عند كل مـــن ابن الانبارى والزوزنى ثمانية وثمانون .

وتليها معلقة الحارث بن حلزة :

آذَنَتْنا بِبَيْنِهـــا أَسْمـــاءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّـــواءُ

فهى عند ابن الانبارى أربعة وثمانون بيتا ، وعند الزوزنى اثنان وثمانـــون ، وعند التبريزى خمسة وثمانون وهى كذلك عند ابى جعفر النحاس . ومن عجـــب الا يعرض لها القرشى فى جمهرة الاشعار بأى ذكر ، رغم شهرتها الـــتى نعـــرف .

وتليها معلقة امرئ القيس :

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْـزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فهى تسعون بيتا عند القرشى ، واثنان وثمانون عند كل من ابن الانبـــارى والتبريزى ، وثمانون فقط عند الزوزنى .

ثم تليها معلقة عنترة بن عمرو بن شداد :

هَلْ غادَرَ الشُّعَراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ... أَمْ هَلْ عرفتَ الدارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

فهى عند القرشى اثنا عشر بيتا ومائة ، وعند ابن الانبارى تسعة وسبعـــون ، وعند ابى جعفر النحاس ثلاثة وثمانون وعند الزوزنى خمسة وسبعون ، وعنـــد التبريزى ثمانون بيتا .

ثم قصيدة الأعشى ميمون بن قيس :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِـــلُ ... وَهَلْ تُطِيقُ وَداعاً أَيُّها الرَّجُـلُ

فهى عند كل من أبى جعفر النحاس والتبريزى اربعة وستون بيتا ، وليس لهـا

عند ابن الأنباري أو الزوزني ذكر .

اما القرشي فقد عد من ضمن معلقاته ، قصيدة أخرى للأعشى هي لاميته ذات المائة بيت :

مَابُكَاءُ الكَبِيرِ بالأَطْلالِ　　　وسُؤالِي ومَاتَرُدُّ سُؤالِي

ثم معلقة زهير بن ابي سُلْمَى :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ　　　بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

فهي عند القرشي خمسة وستون بيتا ، وعند كل من ابن الأنباري والتبريزي تسع وخمسون ، وعند الزوزني اثنان وستون .

ثم قصيدة النابغة الذبياني :

يَادَارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاءِ فالسَّنَدِ　　　أَقْوَتْ وطَالَ عليْهَا سَالِفُ الأَمَدِ

فهي خمسون بيتا عند كل من أبي جعفر النحاس والتبريزي ، وليس لها عند ابن الأنباري أو الزوزني ذكر . اما القرشي ، فقد عد من معلقاته قصيدة النابغة الرائية ، ذات الثلاثة والستين بيتا ، وهي قوله :

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ　　　مَاذَا تُحَيُّونَ مِنْ نُؤْيٍ وأَحْجَارِ

وأخيرا قصيدة عَبِيد بن الأبرص :

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ　　　فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ

فهي عند القرشي — في مجمهراته — ثلاثة وأربعون بيتا ، وهي عند التبريزي ثمانية وأربعون ، وليس لها عند ابن الأنباري أو الزوزني ذكر .

أما معلقة طرفة ، فقد تذبذب عدد أبياتها عند أولئك العلماء وغيرهم ممن عنوا بها ، بالزيادة والنقصان والحذف والاثبات ، ولكن أحدا منهم لم يروها أقل من مائة وثلاثة أبيات . فهي عند كل من ابن السكيت وابي جعفر

النحاس والتبريزي مائة وخمسة أبيات. وهي عند القرشي مائة وواحد وعشرون بيتا .(١)

وهي عند كل من ابن الأنباري والأعلم الشنتمري والبَطَلْيَوْسي مائة وثلاثة أبيات. وهي أخيرا عند الزوزني مائة وأربعة أبيات. فهي اذن اطول المعلقات بإجماع العلماء .

أما ما اختصها به الرواة والنقاد والباحثون والعلماء ، في مختلف العصور ، من شروح ودراسات وتعليقات ، فقد ذكرنا منه في مواضع سابقة مايغني عن تكراره هنا . ويكفي ان نضرب لذلك أمثلة وحسب .

قال ابن سلام في طبقات فحول الشعراء : " فأما طرفة فأشعر الناس واحدة "(٢) وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء في معرض حديثه عن طرفة " هو أجودهم طويلة "(٣). وقال أبو عبيدة ــ فيما ذكر ابن قتيبة : " طرفة أجودهم واحدة "(٤)

وقال أبو عمرو بن العلاء ــ فيما ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد : " طرفة أشعرهم واحدة "(٥) وقال ابن رشيق في العمدة : " وطرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء ، وهي المعلقة "(٦) . وروى السيوطي في شرح شواهد المغني قال : " وسئل حسان .. من أشعر الناس ؟ فقال :

---

(١) هذا في النسخة التي بتحقيق البجاوي. اما في جمهرة الاشعار ــ طبعة بولاق ــ فهي مائة وتسعة أبيات فقط .
(٢) طبقات الفحول ــ دار المعارف ــ ص ١١٥ .
(٣) الشعر والشعراء ــ ط القاهرة ــ ١ / ١٣٧ .
(٤) المصدر السابق ١ / ١٤٢ .
(٥) العقد الفريد ــ ط لجنة التأليف ــ ٥ / ٢٧١ .
(٦) العمدة ١ / ٦٥ .

قبيلة ؟ أم قصيدة ؟ قيل : كلاهما • قال : أما أشعرهم قبيلة ، فهذيل ، وأما أشعرهم قصيدة فطرفة " (١)• وقال كثير من العلماء ـ غير اولئك ـ بمثل ذلك •(٢)

فبم شغلت معلقة طرفة أذهان أولئك العلماء • وبم نالت اعجابهم حتى جعلوا طرفة بها أشعر الشعراء •

لقد بلغت تلك المعلقة كما رأينا طولا لم تبلغه معلقة غيرها • ولعل هذا الطول كأن من أسباب اعجاب العلماء بها • لان الجودة متوفرة لها ـ كما هى متوفرة لغيرها ، وكما شهد بذلك أولئك العلماء أيضا • فاذا تساوت المعلقات في الجودة أو تقاربت في ذلك على الاقل ، لم يبق الا الكم يتفاضل به أصحابها •

على أن معلقة طرفة قد جمعت الى طولها ـ شمولا جعلها تصلح لان تكون نموذجا صادقا لشعر طرفة • بل لعله النموذج الرائع • ففيها فنون شعره وموضوعاته ، وفيها خصائص أسلوبه ومميزاته •

فيها الوقوف بالاطلال ، والغزل والتشبيب • وفيها الوصف والفخر والهجاء وفيها الحكم والامثال • وفيها آراء طرفة الخاصة في الحياة • وفيها كل ما طرق طرفة في شعره من الفنون •

وفيها كذلك من خصائص أسلوبه عشقه للصحراء وولعه بها واستقاؤه صوره وتشبيهاته منها • وفيها كذلك ولعه بالتصوير وكثرة التشبيه • وفيها غير ذلك من محسنات الالفاظ والمعاني كليهما • فيها الكنايات والاستعارات وصيغ المبالغة والطباق والمقابلات وغيرها •

---

(١) شرح شواهد المغني للسيوطي ـ ص ٢٧٢ •
(٢) انظر المحاسن والمساوى للبيهقي ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ ، وانظر المزهر للسيوطي ٤٨٧/٩٢ • وانظر بلوغ الارب للالوسي ـ ١٢١/٣ •

وفيها كذلك ثقافات طرفة ومعلوماته ، وتجواله وتنقلاته ، وفيها حتى أخطاؤه وهناته . وفيها صلته بأهل البحر ، ومعرفته بكثير من أحوالهم وأحوال غيرهم من الناس في تلك الايام ، في اليمن وغيره من أنحاء الجزيرة، وفيما جاورها من العراق والشام .

واليك صورة موجزة عن تلك المعلقة ، لندلل بها على ماذكرناه :

بدأ طرفة معلقته ببيتين وقف فيهما على أطلال خولة ، احدى أحب معشوقاته اليه . فذكر مكان أطلالها في البيت الاول ، وتحسر عند مالاحت له تحسرا شديدا ، وبكى في روايةٍ بكاءً مرا ، حتى حَزِبَ عليه أُصحابه وأشفقوا . فأوقفوا في البيت الثاني ركائبهم عليه يواسونه ويسرون عنه . يقول :

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ   يَقُولُونَ لاَ تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ

وقد نال هذا البيت من اهتمام العلماء الشيء الكثير ، وذلك لانه يشبه تماما — الا القافية — بيتا لامرئ القيس في معلقته ، وهو قوله :[1]

وُقُوفًا بها صحبى علىَّ مطيَّهم   يقولون لا تَهْلِكْ آسى وتَجَمَّلِ

وممن خاض في هذا الموضوع من العلماء ، ابن سلام في طبقات الفحول[2] ، والخالديان في الاشباه والنظائر[3] ، وأبو هلال العسكرى في الصناعتين[4] ، وبديع الزمان الهمذاني في المقامات ،[5] وابو العباس الشريشي في شرح المقامات الحريرية[6]، وضياء الدين الموصلي في المثل السائر[7] ، ويحيى

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٩ .
(٢) انظر طبقات الفحول — دار المعارف ص ٤٨—٤٩ .
(٣) انظر الأشباه والنظائر ١/ ١٩ .
(٤) انظر الصناعتين — بتحقيق البجاوى — ص ٢٢٩ .
(٥) انظر مقامات بديع الزمان الهمذاني ص ١٥٦ .
(٦) انظر شرح المقامات الحريرية للشريشي ١/ ٣١٠ .
(٧) انظر المثل السائر ص ٤٧٢ .

ابن حمزة فى الطراز [١] ، وابن حجة الحموى فى ثمرات الأوراق [٢] ، وغيرهم [٣] .

وتشعبت فى الأمر آراؤهم ، فعده بعضهم من توارد الخواطر والأفكار ، قال ابن سلام : " وقد تفعل ذلك العرب لا يريدون به السرقة " [٤] وقال الأصمعى فيما ذكره الشريشى فى شرح المقامات الحريرية : " قلت لأبى عمرو بن العلاء : أرأيت الشاعرين يتفقان فى المعنى ويتواردان فى اللفظ ، لم يلق أحدهما صاحبه ولا سمع بشعره . فقال لى : تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها " [٥]

وقد ضرب الموصلى فى المثل السائر ، مثلا لذلك ببيتين للفرزدق وجرير .
قال الفرزدق : [٦]

أَتَعْدِلُ أَحْسَابًا لِئَامًا حُمَاتُهَا ... بِأَحْسَابِنَا إِنِّى إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ

فرد عليه جرير : [٧]

أَتَعْدِلُ أَحْسَابًا كِرَامًا حُمَاتُهَا ... بِأَحْسَابِكُمْ إِنِّى إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ

وعد بعض العلماء الاخرين ذلك من قبح الاخذ ، قال ابو هلال : " وقُبْحُ الأَخْذ ان تعمد الى المعنى ، فتتناوله بلفظة كله أو أكثره " [٨] ، ثم قال : " فمما أخذ بلفظه ومعناه وادّعى أخذه - أو ادُّعِىَ له - أنه لم يأخذه ، ولكن وقع له كما وقع للأول ، كما سئل أبو عمرو بن العلاء عن

---

(١) انظر الطراز ٣/١٩٠ .
(٢) انظر ثمرات الاوراق ص ٣١٩ .
(٣) انظر عقود الدرر ص ١٩٤ .
(٤) طبقات الفحول - دار المعارف - ص ٤٨ .
(٥) شرح المقامات الحريرية للشريشى ١/٣١٠ .
(٦) انظر ديوان الفرزدق ١/٤٢٠ ،
(٧) انظر ديوان جرير ص ٢٩٣ .
(٨) انظر الصناعتين - بتحقيق البجاوى - ص ٢٢٩ .

الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى ، فقال : عقول رجال توافقت على ألسنتها وذلك قول طرفة : وقوفاً بها صَحْبِي على مَطِيِّهِم يقولون لا تَهلِكْ أسًى وتَجَلَّدِ

وهو قول امرئ القيس : وقوفاً بها صَحْبِي عليَّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتَجَمَّلِ

فغير طرفة القافية "(١).

ولكن بعض العلماء قد عد ذلك سرقة من السرقة ، فقد ذكر الخالديان في الأشباه والنظائر ، بعد أن رويا بيت امرئ القيس قالا : " ولطرفة ابن العبد مثله حرفا بحرف ، الا أنه جعل مكان " تجمل " ، " تجلد " ومن تصفح أشعار العرب رأى من هذا عجائب . وهم يسمونه التوارد ، وهو عندنا سرقة لا محالة "(٢)

وذكر ابن حجة الحموى نوع تلك السرقة ، وهو كما قال : " وقوع الحافر على الحافر "(٣) . أما صاحب عقود الدرر ، فبعد أن روى البيتين قال : " الشاهد فيهما السرقة . فان طرفة أخذ بيت امرئ القيس كله ، الا أنه بَدَّلَ قوله " تجمل " بقوله " تجلد "(٤).

وبعد أن بكى طرفة على أطلال خولة ببيتين كما رأينا ، مضى يسترجع بذاكرته يوم ظعنها ويشبه حِدْجَها وحدوج صويحباتها بالسفن العظام كما ذكرنا ، وقد استغرق منه ذلك ثلاثة أبيات ، ثم استغرقت مغازلتُه خولة والتشبيبُ بها خمسة أبيات أخرى . شبهها فيها بالأحوى من الظباء ترعى فى الخمائل . ثم وصف ثغرها الجميل بِلثاته السمر وأسنانه البيض ،

---

(١) انظر الصناعتين ـ بتحقيق البجاوى ـ ص ٢٢٩ .
(٢) انظر الاشباه والنظائر ١/١٩ـ٢٠ .
(٣) ثمرات الاوراق ص ٣١٩ .
(٤) عقود الدرر ص ١٩٤ .

وشبهه بنَوْر الأُقحوان . ثم استعار لوجهها رداء الشمس ليظهر لونه الأبيض النقي البهيج .

ثم انتقل طرفة الى وصف ناقته انتقالا طبيعيا ، ليس فيه تكلف او تعسف فقد أهمه ظعن خولة ، وأمضّه فراقها ، وبرّح به الشوق اليها . فامتطى ناقته وسار بها في رحلة يُمضي بها ما اعتراه من هم ، ويزيل ما نزل به من غم . يقول :(١)

وإنّي لأُمْضِي الهَمَّ عندَ احْتِضَارِهِ بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وتَغْتَدِي

ولقد قضى طرفة مع ناقته نيفا وثلاثين بيتا ، مطوفا بين شئونها المختلفة وأعضائها المتعددة . فلا يكاد يترك شأنا من شئونها أو عضوا من أعضائها ألا عرج عليه ووصفه . فجمجمتها صلبة قوية كالسندان التي يضرب عليها الحداد حديده ، ومشفرها لين عتيق أعلم طويل كسبت اليماني ، ومنخرها مخروت .

وخدها أملس أبيض لا شعر فيه كقرطاس الشآمي ، وأذناها حادتان لا تكذبانها خبرا ، وعيناها صافيتان نقيتان واسعتان كالمرآة ، سليمتان من الاذى طحوران عوار القذى ، حادتا النظر كعيني بقرة وحشية مذعورة ، مشفقة على ولد لها .

وعنقها مشرف عال اذا صعدت به ورفعته ، وهو قوى الفقار ملتصقها . وجوفها واسع "كأَنَّ كِنَاسَيْ ضَالَةٍ يَكْنُفَانِهَا " . أي كأن على جانبيها كهفين مما تحتفر الثيران الوحشية في جذوع الضال ، لتسكن فيه .

---

(١) الديوان ص ١٢ .

ويداها مفتولتان قويتان ، متجافيتان عن صدرها ، فلا تحتكان به ولا تؤذيانها . وفخذاها ضخمتان مشرفتان كأنهما بابا قصر منيف . وظهرها عال مُتَراصُّ الفقار شديدها ، مَحْنِيُّ الأضلاع قويها .

وذيلها كثير الشعر ، كأن على جانبيه جناحي نسر ، وضرتها متقبضة لا لبن فيها . وقلبها شديد حديد ، كأنه الصخرة التي تدق بها الحجارة . وهي بمجموعها ناقة قوية ضخمة كأنها القنطرة ، نشيطة سريعة كأنها الظليم. وهي الى كل ذلك — مأمون عثارها ، سهل قيادها ، مطواع لقائدها ، اذا شاء لم ترقل ، وان شاء أرقلت .

أرأيت وصفا متكاملا ، دقيقا شاملا ، صادقا معبرا ، كوصف طرفة هذا الذي رأيت لناقته . لكأني به يريد أن ينحت لها تمثالا ، يستمتع بالنظر الى قسماته المتقنة كل راء ، أو يرسم لها لوحة فنية رائعة وشاملة ، يعجز عن مثلها غيره من الشعراء . وقد فعل .

ثم يخرج طرفة من وصف ناقته خروجا طبيعيا ، كما كان قد دخل فيه وينتقل الى الحديث عن مجالس اللهو والشراب التي كانت تشده وتستهويه . وذلك أن ناقته كانت تختال في سيرها ، وتميس في مشيتها ، وتتبختر في حركاتها ، فعل الوليدة من الإماء ، وهي تدور بالشراب على الندماء .

واذن فلابد لمجلس الشراب من وقفة خاصة ، يتحدث فيها طرفة عن نفسه — فخورا بما كان يقدم لأصحابه من شراب ، ومعتزا بسكناه التلاع ، ليراه الراءون ويسترفده المسترفدون . ثم يصف مجلس الشراب نفسه بما فيه من ندماء مشاربين ، وقيان يغنين ، وكئوس تدور ، ورؤوس تترنح من تشراب الخمور .

ومن ذلك ينتقل طرفة الى بث آرائه الخاصة في الحياة ، وكأنه يقدمها بين يدي وصفه لتلك الملذات ، حتى يُتَّقَى بها لوم اللائمين وعذل العاذلات.
ويظهر أن طرفة كان يأمل في ابن عمه عبد عمرو بن بشر بن مرثد ، أن يساعده في استرداد إبله التي أغار عليها عمرو بن هند، فقد كان عبد عمرو نديما له ، ولما لم يفعل عتب عليه طرفة ، وعرض به تعريضا هو الى الهجاء أقرب منه الى العتاب

واحتاج هذا الموقف من طرفة الى استعلاء وفخر ، فأوغل فيهما . حيث افتخر بشجاعته في القتال ، وشدته على الرجال ، غير متباطىء ولا متكاسل ولا متبلد عن نجدة قومه حين يطلبون ، بل إنه فتى القوم ، كما يقولون .

ولم ينس طرفة في هذا الموقف أن يتحدث عن سيفه البتار ، فهو حسام قاطع لا ينثني عن ضريبة ، وهو رفيقه الذي لا يفارقه بليل أو نهار . ثم يختم طرفة معلقته بعدد من الحكم الصائبة الصادقة ، التي ظل الناس منذ ذلك الزمان ، يتندرون بها في كل مكان .

تلك هي معلقة طرفة بشكل موجز ، وهي تصلح كما ذكرنا أن تكون نموذجا لشعره ، لاحتوائها على كل موضوعاته ، ولاحتوائها كذلك على كل خصائصه ومميزاته . ولقد سبق عند دراستنا لاسلوب طرفة ، ان ضربنا لكل خصيصة من خصائصه أمثلة من هذه المعلقة ، بحيث أغنى ذلك عن اعادته هنا ، خشية التكرار .

على أننا نود أن ننوه هنا الى أمرين لم يسبق لنا التعرض لهما ، احدهما من ناحية الموضوعات ، والاخر من ناحية الاسلوب . فأما الذي من ناحية

الموضوعات فهو نعى طرفة لنفسه اذ يقول :(١)

فَإِنْ مِتُّ فَانْعَيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ   وَشُقِّي عَلَيَّ الجَيْبَ يَابْنَةَ مَعْبَدِ

وَلَا تَجْعَلِينِي كَامْرِئٍ لَيْسَ هَمُّهُ   كَهَمِّي وَلَا يُغْنِي غَنَائِي وَمَشْهَدِي

وأنفذت أخواته تلك الوصية كما مر بنا ، فبكينه بكاء حارا ، وقالت الخرنق فيه شعرا موثرا .

وأما الامر الذى من ناحية الاسلوب فهو لجوء طرفة الى التضعيف فى قوافيه خاصة . وغنى عن البيان أثر التضعيف فى قوة الاسلوب . فطريق طرفة لاحب مُعَبَّد ، وضرع ناقته ذاو مُجَدَّد (٢)، والقصر الذى شبه فخذيها ببابه منيف مُمَرَّد . وفقار عنقها مُنَضَّدَة (٣)، وضلوعها مُؤَيَّدَة (٤).

وعضداها كالصفيح المُسَنَّد (٥)، وظهرها عال مُصَعَّد ، وقلبها فى شدة الصفيح المُصَمَّد .(٦) وسحل جاريته مُمَدَّد (٧)، وبيته كريم مُصَمَّد (٨) ، وسيفه مُهَنَّد ، واذا استله فهو مُجَرَّد . وبعض الشرب فى الحياة مُصَرَّد (٩) والكريم مُسَوَّد ، والذليل مُلَهَّد (١٠). الى غير ذلك من هذه الكلمات المضعفة ، التى كان يستعين بها طرفة لتعطى أسلوبه قوة إلى قوته .

---

(١) الديوان ص ٤٦ .
(٢) أى متقبض لا لبن فيه .
(٣) منضدة أى ملصقة ببعضها .
(٤) مؤيدة اى فيها قوة من الأيْد والآد وهو القوة .
(٥) اى الحجارة القوية التى أسند بعضها الى بعض.
(٦) المصمد هنا بمعنى المصمت.
(٧) السحل الثوب الابيض .
(٨) المصمد هنا المقصود .
(٩) المصرد الذى يقطع قبل الرى .
(١٠) الملهد من الرجال الملكوز بأيديهم .

فما أحرانا — والامر كذلك — فى ختام حديثنا عن معلقة طرفة — أن نحضض على دراستها ، والاستفادة من جودة الفاظها وعمق معانيها وحسن صياغتها . والاستفادة كذلك من جمال صورها ، وتشبيهاتها ، واستعاراتها وكناياتها وطباقها ومقابلاتها ، وغير ذلك من ضروب البلاغة فيها .

هذا فضلا عن الاستفادة منها فى دراسة البيئة الجاهلية ، ملامحها وظلالها ، بل ودراسة الشعر الجاهلى عامة — موضوعاته وخصائصه — من خلالها .

أقول ما أحرانا أن نوجه عنايتنا لهذا الامر ، وأن نَنْتَدِبَ اليه [1] ، وأن نلفت الانظار له ونحث الدارسين عليه . ولكن مع الحرص الشديد على الترفع عن آراء طرفة فى الحياة ، والاحتراس الشديد من التلوث بعبثه الذى رأيناه .

أثره فيمن جاء بعده :

انه لمن الصعب بمكان ، أن نحصر أثر السابقين فى اللاحقين ، الذين يجيئون بعدهم ويقتدون بهم . وذلك لكثرتها . واذا كان الأمر كذلك فى أى مجال من مجالات الحياة ، فانه فى الشعر أصعب . وذلك لأن لغة القوم واحدة . لا يختص بها سابق دون لاحق . أيكون من يستعمل اللغة — ألفاظا وتعبيرات وتراكيب — تابعا لمن قبله ،

---

(١) الندب (كالضرب) هو دعوة الناس الى الامر تقول : ندبهم الى الامر فانتدبوا هم (انظر معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤١٣ — ندب).

متأثرا به ، ومقلدا له ؟ .

واذن فان معنى أثر طرفة فيمن جاء بعده مختلف عن هذا . معناه أنه انفرد بتراكيب معينة ، وسبق إلى معان محددة ، فاشتهر بها دون غيرها من المعاني والتراكيب . فكل من استعمل معنى من تلك المعاني ، أو واحدا من تلك التراكيب ، فقد تأثر بطرفة تأثرا خاصا ، وقلده تقليدا مباشرا . وهو غير ذلك التأثير العام ، الذي ينسحب من السابقين ، على جميع اللاحقين ، في كل ميدان من الميادين .

ونحن في هذا البحث – معنون فقط بهذا الاثر الخاص ، الذي تركه طرفة على من جاء بعده . فقد اختص الرجل بتشبيهات خاصة به ، من مثل قوله :(١)

وَجُمْجُمَةٌ مِثْلُ العَلَاةِ كَأَنَّمَا ... وَعَى المُلْتَقَى مِنْهَا الى حَرْفِ مِبْرَدِ

فقد قال الاعلم الشنتمري في شرحه لهذا البيت : " وكان الاصمعي يقول : لم يأت أحد بهذا التشبيه غير طرفة "(٢)

وكمثل قوله أيضا :(٣)

يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا ... كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلُ بِاليَدِ

فقد قال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار ، بأن هذا التشبيه " من التشبيهات العُقْم ، الشافيات للبدائه المعتلة من السُّقْم "(٤).

فاذا اتفق أن استعمل أحد الشعراء فيما بعد ، واحدا من هذه التشبيهات ، فهو متأثر بطرفة ، ومقلد له . وماينطبق على التشبيهات والصور

---

(١) الديوان ص ٢٢ . (٢) نفس المصدر ص ٢٢ ايضا .
(٣) الديوان ص ٨ .
(٤) انظر مسالك الابصار مجلد ١ ج ٩ ورقة ١١ ، وانظر كذلك عنوان المرقصات والمطربات ص ١٦ .

والمعانى ، ينطبق كما قلنا على التراكيب . واليك على ذلك هذه الأمثلة :

قال طرفة :(١)

إِذَا القومُ قالُوا مَنْ فتىً خِلْتُ أَنَّنِى عُنِيتُ فلم أَكْسَلْ ولم أَتبلَّـــدِ

أخذه النهشلى فقال :(٢)

لَوْ كانَ فى الألف منا واحدٌ فدَعَوا مَنْ فارسٌ خالُهمْ إياهُ يَعْنُونــا

غير أن طرفة افتخر بنفسه ، والنهشلى افتخر بقومه . والمعنى واحد .

هذا وقد أخذ متمم بن نويرة ، معنى قول طرفة حين رثى أخاه مالكــــا بقولــه :(٣)

إِذَا القومُ قالُوا مَنْ فتىً لِمُلِمَّــةٍ فما كلُّهمْ يُدْعَى ، ولكنَّهُ الفَــتَى

وقال طرفــة :(٤)

يشق حَباب الماء حيزومُها بها كما قَسَمَ التربَ المفايلُ باليــدِ

أخذه لبيد فقال :(٥)

تَشُقُّ خمائِلَ الدَّهْنا يَــدَاهُ كما لَعِبَ المقامِرُ بالفِيَــالِ

وأخذه الطِّرِمَّاحُ بن حَكيم فقال :(٦)

وغَدَا تَشُقُّ يَدَاهُ أَوساطَ الرُّبَى قَسْمَ الفِيالِ تشقُّ أَوْسطَه اليدُ

وقال طرفــة :(٧)

وبلادٍ زَعِــلٍ ظِلْمانُهــــا
قَدْ تبطَّنْتُ وتحتى جَسْــــرَةْ

---

(١) الديوان ص ٢٧ .
(٢) الكامل للمبرد ١/١١٤، ٤/٨٠
(٣) المصدر السابق ٤/٧٩
(٤) الديوان ص ٨ .
(٥) ديوان لبيد ص ٨٠ وانظر الشعر والشعراء ــ ط القاهرة ــ ١/١٤٣ .
(٦) الشعر والشعراء ــ ط القاهرة ــ ١/١٤٣ .
(٧) انظر ديوانه ص ٦٠ .

فأخذ لبيد الصدر الأول قال :(١) قَـدْ تجاوزتُ وتحتي جَسْـرةٌ

وأخذ عدى بن زيد كلا الصدرين قال :(٢)

ومكان زَعِلٍ ظلمانُـــه

قد تبطنت وتحتي جسـرة

وقال عبدالله بن نَهيكٍ الأنصاريّ :(٣)

فَلولا ثلاثٌ هُنّ مِنْ عِيشَـةِ الفتى وجدّك لم أَحْفِلْ متى قام رامِـسُ(٤)

فمنهنّ سبْقي العاذلاتِ بشَرْبَـةٍ كأنّ أخاها مَطْلَعَ الشّمْسِ ناعِـسُ(٥)

ومنهنّ تجريدُ الكَواعِبِ كالدُّمَـى إذا ابتَزّعَنّ أكفالِهِنّ المَلابِـسُ(٦)

ومنهنّ تقْرِيطُ الجَوادِ عِنانَـهُ إذا اسْتبَقَ الشّخْصَ الخَفِيّ الفوارِسُ(٧)

فهل عرفتمن أين سرق ابن نهيك ، تلك الصور والالفاظ والتراكيب ، هـــذه السرقة الممقوتة الممجوجة . أليست من قول طرفة :(٨)

---

(١) ديوان لبيد ص١٧٤ وانظر الشعر والشعراء ــ ط القاهرة ــ ١/١٤٤ .

(٢) الشعر والشعراء ــ ط القاهرة ــ ١/١٤٤ .

(٣) انظر الشعر والشعراء ــ ١/١٩٢ ، ونهاية الأرب للنويرى ٢/١٥ ، ومعاهد التنصيص للعباسى ١/٣٦٦ .

(٤) رمس الميت (من باب نصر) دفنه ، والرمس (كالنصر) تراب القـــبر والرامس الذى يقوم بالدفن .

(٥) مطلع الشمس : بالفتح وقت طلوعها قال تعالى " حَتّى مَطْلَعِ الفَجْـرِ " . وبالكسر مكان طلوعها . قال تعالى : " حَتّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشّمْسِ " .

(٦) الكاعب والكَعاب ، الفتاة فى أول سن الشباب . والجمع كواعب . والكفـل (بالفتح) العجز .

(٧) تقريط الجواد عنانه : الباسه اياه ، قال ابن فارس : " وقرط فـلان فرسه العنان ، اذا طرح اللجام فى رأسه " (انظر معجم مقاييـــس اللغة ٥/٧٢ ــ قرط) .

(٨) الديوان ص٣٢ــ٣٤ .

فلولا ثلاثٌ هنَّ من حاجةِ الفتى　　　وجدِّكَ لم أحفِلْ متى قام عُوَّدِي

فمنهن سبقي العاذلاتِ بشربةٍ　　　كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماءِ تُزْبِدِ

وكرى إذا نادى المضافُ مُحَنَّبًا　　　كسيدِ الغضا نبهته المتوِّردِ

وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ　　　بِبَهْكَنَةٍ تحت الطِّرافِ المُمَدَّدِ

على أن ابن نهيك لم يَصْدُرْ من وقوعه على قول طرفة " وقوع الحافر على الحافر "، فيكتفي بسرقة الالفاظ والتراكيب والصور، بل لقد ذهب الى أبعد من ذلك حين غاص في الوحل الذي غاص فيه طرفة، وغرق في العبث الذي غرق فيه، وانحط الى الدرك الذي انحط له، وتلوث بالدنس الذي تلوث به . بل لقد زاد عنه بذلك التبذل وتلك الوقاحة اللذين عبر عن فجوره بهما .

وقال طرفة :(١)

أَبِيني أفي يُمنى يديكِ جَعَلْتِني　　　فأَفْرَحَ أم صَيَّرْتِني في شِمالِكِ

قال أبو هلال في الصناعتين : " وأخذه الرماح بين ميّادة، فقال :

أَلَمْ تَكُ في يُمْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي　　　فَلَا تَجْعَلَنِّي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَا "(٢)

وقال طرفة :(٣)

فإنْ مِتُّ فانْعِيني بما أنا أهلُهُ　　　وشُقِّي عليَّ الجيبَ يا ابنةَ معبدِ

أخذه القُطامي فقال :(٤)

إذا مِتُّ فانْعَيْنِي بما أنا أهلُهُ　　　لِتغلبَ إنَّ الموتَ لا بُدَّ غالِبي

---

(١) الديوان ص ١٨٥ .
(٢) انظر الصناعتين ــ بتحقيق البجاوى ــ ص ٣٥٥ .
(٣) الديوان ص ٤٦ .
(٤) انظر الامالي الشجرية ــ دار المعرفة ــ ٢/٦٠ .

وقال طرفة :(١)

رَأَيتُ القوافي يَتلِجْنَ مَوالِجًا ... تضايقَ عنها أنْ تولجها الإبَرْ

أخذه الأخطلُ فقال :(٢)

حَتَّى اشتكانوا وهُمْ مِنِّي على مضضٍ ... والقولُ ينفُذُ ما لا تنفذُ الإبَرُ

وكان طرفة هو أول من طرد الخيال من الشعراء ، كما ذكر أكثر من واحد من العلماء (٣) ، يقول :(٤)

فَقُلْ لخيالِ الحَنْظَليَّةِ يَنْقَلِبْ ... إليْهَا فإنِّي واصِلٌ حبلَ مَنْ وَصَلْ

فجاء جرير فقال :(٥)

طرقتكَ صائِدةُ القلوبِ فليسَ ذا ... وقتَ الزِّيارَةِ فارْجِعي بِسَلامِ

وقال طرفة :(٦)

فأنتَ على الأدْنَى شَمالٌ عريَّةٌ ... شآميةٌ تزوي الوجوهَ بليلُ

وأنتَ على الأقصى صَبًا غيرُ قرَّةٍ ... تذاءَبُ ، منها مُرْزِغٌ ومُسِيلُ

أخذه الحارث بن كلدة فقال :(٧)

مِنَ النَّاسِ من يَخشَى الأباعِدَ نفعُهُ ... ويشقَى به حتَّى المماتِ أقاربُهْ

فإنْ يَكُ خيرٌ فالبَعيدُ ينالُهُ ... وإنْ يكُ شرٌّ فابْنُ عمِّكَ صاحِبُهْ

---

(١) الديوان ص ١٦١ .

(٢) ديوان الأخطل ٢٠٢/١ .

(٣) كابن قتيبة في الشعر والشعراء — ١٩٦/١ ، والآمدي في الموازنة — دار المعارف — ١٨٨/٢ ، والشريف الرضى في طيف الخيال ص ٤٧ ، والحصرى في زهر الآداب ص ٧٠٢ ، وابن حجلة في ديوان الصبابة ص ١٢٣ .

(٤) الديوان ص ٩٢ .

(٥) ديوان جرير ص ٤٥٢ .

(٦) الديوان ص ٨٣ .

(٧) انظر الموازنة — دار المعارف — ١٨٧/١ .

وقال طرفة :(١)

أَبا مُنْذِرٍ أفنيتَ فاستبْقِ بعضنا ... حنانيكَ بعضُ الشر أَهْونُ من بعْضِ

وقال أبو خراش الهذلى يرثى أخاه :(٢)

حَمِدْتُ إلهى بَعْدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا ... خِراشٌ، وبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

ألا ترى أنه قد أخذ مصراعا بأسره لطرفة، وضمنه قوله ؟(٣)

وقد أخذه غير أبى خراش فقال :(٤)

وَرَفَعْتَ لِى ذِكْرِى وَماكانَ خامِلاً ... ولكنَّ بعضَ الذِّكْرِ أرفعُ مِنْ بعْضِ

قال الخالديان فى الأشباه والنظائر : " هذا الكلام خذو كلام طرفة، بل هو منه ، وان كان غير المعنى الذى أتى به أبو خراش وطرفة "(٥).

وقال طرفة :(٦)

فَسَقَى بِلادَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا ... صَوْبُ الرَّبيعِ ودِيْمَةٌ تَهْمِى

أخذه ذو الرمة ـ كما رأينا فى موضع سابق ولكنه قصر عن مجاراته ، لانه لم يحترس مما احترس منه طرفة .

ثم أخذته ولادة بنت المستكفى ، فسقطت كذلك فيما سقط فيه ذو الرمة، فقد كتبت الى ابن زيدون تقول :(٧)

سَقَى اللَّهُ أرْضاً قَدْ غَدَتْ لَكَ مَنْزِلاً

بِكُلِّ سَكُوبٍ هَاطِلِ الوَدْقِ مُغْدِقِ

---

(١) الديوان ص١٧٢ .
(٢) شرح اشعار الهذليين ٣/١٢٣٠ .
(٣) انظر الاشباه والنظائر للخالديين ١/١٧٦ .
(٤) انظر المصدر السابق ١/١٧٧ .
(٥) انظر المصدر السابق ١/١٧٧ .
(٦) الديوان ص٩٧ .
(٧) انظر ديوان ابن زيدون ورسائله ص٧٨٢ .

فكتب اليها ابن زيدون يقول : " وكنت ربما حثثتنى على أن أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا • وانى انتقدت عليك قولك : " سقيا لله أرضا قد غـــدت لك منزلا " ، فان ذا الرمة قد انتُقِدَ عليه قوله ، مع تقديم الدعاء بالسلامة :

أَلَا يَااسْلَمِى يادارَ مَىَّ عَلَى البِلَـى   ولَا زَالَ مُنْهلًّا بِجَرْعَائِـكِ القَطْـــرُ

إِذْ هذا أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له ، وأما المستحسن فقــول الاخر :

فَسَقَى دِيَارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَــا   صَوْبُ الرَّبِيعِ ودِيْمَةٌ تَهْمِـى "(١)

===

الى غير ذلك من الامثلة ، التى طبق فيها شعر طرفة الافاق ، وجــاب المفاوز ، وعبر البحار ، حتى وصل هناك الى ولادة وابن زيدون فى الاندلس • ولو ذهبنا نستقصى بقية الامثلة ، لطال بنا المقام • ولكن فى هذا القـــدر الكفاية ، فان ما أردناه به قد حصل ان شاء الله تعالى •

وهو أن شاعرنا طرفة بن العبد ، كان قد انفرد من بين الشعراء القدماء ، بكثير من الصور والتراكيب والتعبيرات ، التى تأثر بها وقلده فيها كثير ممـــن جاء بعده من الشعراء •

---

(١) انظر ديوان ابن زيدون ورسائله ص ٧٨٣ •

خاتمة المطاف

وأخيرا .. فانى أحمد الله ، أهل الحمد ، الذى شملنى بالتوفيق والسداد ، وتولانى بالهداية والرشاد ، فى كل خطوة من خطوات بحثى هذا ، حتى انتهى الى ما انتهى اليه . فما حالف الصواب فيه فان مرده الى الله ، وما جانب الصواب فيه فمن ضعفى وقلة حيلتى . وهل أنا إلا أحد الذين شملهم القول الصادق " وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا "*

وبودى فى نهاية هذا البحث أن أوجزه فى هذه النقاط ، باختصار شديد ، فان فى ثناياه الغناء لمن يريد أن يستزيد .

(١) لقد عاش طرفة بن العبد ، فى ذلك العصر المعروف بالعصر الجاهلى ، الذى درست أغلب آثاره ، وغمت علينا أكثر أخباره . وكانت حياة طرفة تقريبا بين سنتى (٥٢٨ ـ ٥٦٩ م) .

(٢) وكان شرق الجزيرة العربية هو مسقط رأسه ومرتع صباه اذ على أرضه أبصرت عيناه النور ، وبين ربوعه قضى عمره القصير . كما أنه ثوى فى احدى نواحيه مثواه الأخير .

(٣) وذلك أن ربيعة قبيلة طرفة ببطونها الكثيرة ، كانت منازلها هناك فى شرق الجزيرة . والحديث عن ربيعة يذكرنا بنسبها الذى يعود الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام . فهى اذن من كبريات القبائل العدنانية .

(٤) ولقد كانت ربيعة من القبائل ذات الأثر الملموس فى احداث

---

* سورة النساء آية ٢٨ .

ذلك الزمان . بأيامها الكثيرة ، وحروبها المشهورة . سواء مع الفرس كيوم ذى قار ، أو مع القبائل العربية الأخرى كأيامها الكثيرة مع تميم . أو بين بطونها المختلفة كأيام حرب البسوس ، التى كانت بين بكر وتغلب أكبر حيين فيها .

(٥) ولقد حظيت ربيعة فيما حظيت بكثرة الشعراء ، وكثرة الفحول بينهم . ولا عجب أن ينبغ طرفة فيها ، فقد كان جده سعد بن مالك شاعرا ، وكان عمه المرقش شاعرا ، وكان خاله المتلمس شاعرا . وغير أولئك

(٦) وكان للقبائل فى شرق الجزيرة مجتمعها الخاص ، الذى لا يفترق فى عاداته ، وطباعه وأهدافه ، وغاياته ووسائل عيشه ، عن المجتمع العربى الجاهلى فى الجزيرة كلها وان افترق عنه بالصلة المباشرة بينه وبين مملكة الحيرة وبما كان لتلك الصلة من آثار على الناس فى سلمهم وحربهم ، واقامتهم وظعنهم .

(٧) وقد كان بلاط الحيرة فى ذلك الزمان ملتقى الفحول من الشعراء ، ومحط أنظارهم ، يقصدون أمراءه بمدائحهم وأشعارهم ، ويتلقون منحهم وهداياهم ، وخلعهم وعطاياهم .

(٨) واتصل طرفة وخاله المتلمس – فيمن اتصل – ببلاط الحيرة ونعما بصحبة عمرو بن هند وأخيه قابوس مدة من الزمن ، وان كانت قصيرة .

(٩) وذلك أن طرفة ، كان يُدِلُّ بمكانته في قومه ، ومكانة قومه في الناس ، فنشأ معجبا بنفسه ، معتزا بها . فلم يعجبه ما اتسم به عمرو بن هند وأخوه قابوس من الأبهة والعظمة والخيلاء ، فهجاهما بدل أن يمدحهما ، وأقذع لهما في الهجاء .

(١٠) واحتال عمرو بن هند لقتله ، فانتظر حتى أمكنته من ذلك غِرَّة ألمت به . فكتب الى عامله على البحرين ، فقتله في القصة التي عرفت بصحيفة المتلمس . ولم يكن طرفة قد تجاوز من العمر ، منتصف العقد الثالث في أرجح الأقوال .

(١١) ومضى طرفة الى حيث تمضي الخلائق ، وصار الى حيث تصير ولكنه خلف لنا مادة لغوية قيمة ، وثروة شعرية ثمينة شغلت الرواة والنقاد والعلماء والباحثين وذلك لمضاهاته بها المجيدين من الفحول ، على قصر في حياته ، وبكور في وفاته .

(١٢) وقد ضَمَّ تلك الثروة بين دَفَّتيه ، ديوانُه الذي هو بين أيدينا الآن . والذي وصل الينا عن عدة طرق . منها شرح ابن السكيت وأهمها شرح الأعلم الشنتمري ، وكان آخر الأعمال فيه هو تحقيقه بشرح الأعلم الذي قام بطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

(١٣) وقد تيسرت لي بضعة أبيات نسبت لطرفة في بعض مصادر بحثي مما لم يتيسر لمحققي الديوان . وقد أثبتُّها في موضعها من البحث مرتبة على حروف المعجم .

(١٤) وقد حوى ديوان طرفة فيما حوى أنواعا ثلاثة من الشعر. فنوع صحيح النسبة لطرفة ، كما قرر الثقاة من العلماء القدماء وفى هذا النوع تتمثل موضوعات شعر طرفة ، كما تتمثل فيه خصائص أسلوبه ومميزاته ، ومنهجه الذى انتهجه فى حياته.

(١٥) ونوع آخر على النقيض من سابقه . فليس لطرفة به أدنى صلة لعدم ورود خبر صحيح بذلك من جهة ، ولبعده عن منهج طرفة وخصائص شعره وموضوعاته من جهة أخرى.

(١٦) ونوع ثالث تأرجحت نسبته لطرفة بين القوة والوهن. وذلك لاختلاف العلماء حوله من ناحية ، فمن مُوثِّق ومن مُضعِّف ولما فيه من مَشابِهَ لخصائص شعر طرفة وموضوعاته فى جوانب ، ومجافاته لتلك الخصائص والموضوعات فى جوانب أخرى.

(١٧) وقد استأثر النوع الأول من هذه الانواع بالقصائد والمقطوعات الأساسية فى الديوان وعددها ثمانى عشرة قصيدة ومقطوعة وتوزع النوعان الآخران الشعرَ المنسوبَ لطرفة فى صلة الديوان.

(١٨) ولقد تنقل طرفة فى أشعاره بين مختلف الموضوعات ، وعالج فيما عالج ، كثيرا من فنون الشعر الجاهلى المعروفة. كالوقوف بالأطلال ، والغزل والوصف والفخر والهجاء والحكم والأمثال.

(١٩) وكان طرفة يجيد فى بعض الموضوعات ، كما يجيد الآخرون. وذلك كما فعل فى الوقوف بالأطلال والغزل والفخر والهجاء. ولكنه برع فى بعضها الآخر ، براعة قصَّر عنها الكثيرون ، كما فعل فى الوصف والحكم والأمثال.

(٢٠) ثم كانت لطرفة آراؤه الخاصة ، التي استقاها من حياته العابثة اللاهية . كتلك الأهداف التي حيّ من أجلها ، وأكثرها هابط مرذول . كاللهو والشراب ، واللذائذ والشهوات ، وفراق اللاهين ومصاحبة العابثين من أهل الترف وانفاق المال في مختلف الوجوه خيرها وشرها ، انفاقا يصل الى حد السّرف.

(٢١) هذا ، وقد تميز أسلوب طرفة بمميزات عدة . أهمها عشقه للصحراء ، وانتقاؤه منها الصور والتشبيهات ، وولعه بالتصوير وكثرة التشبيه ، وميله الى الواقعية والوضوح وعدم التعقيد - شأن أكثر الشعراء الجاهليين - ، وتضمينه لأشعاره من الثقافات والمعلومات ، والحكم والأمثال ما يدل على نبوغ خاص ، ونباهة فريدة.

(٢٢) ومما تميز به أسلوب طرفة كذلك .. ذكر البحر ، فقد برز في شعره اتصاله به ، ومعرفته لبعض أسراره وأخباره ، وأحوال أهله وملاحيه ، واقتناص بعض تشبيهاته من السفن وهي تمخر فيه.

(٢٣) وقد ظهر أسلوب طرفة كما ذكرنا ، كواحد من أرقى أساليب الشعراء في زمانه ، وذلك بما تيسر له فيه من عميق المعاني وجيد الألفاظ ، وبما زينه به من المحسنات وأسباب البيان ، وحشده له من الصور والكنايات والاستعارات والتشبيهات الحسان.

(٢٤) وكان لطرفة آثار مباشرة خاصة - على من جاء بعده . فقد سبق

الى تشبيهات بعينها وتراكيب بذاتها ، عرفت به وعرف بها .
ثم جاء كثيرون من بعده ، فاستعملوها فى أشعارهم
متأثرين فيها به ، ومقلدين له .

(٢٥) وكان لطرفة أيضا - شأنه شأن بنى البشر - أخطاؤه وسقطاته
فقدكانت له فى معالجة بعض الموضوعات أخطاء ، كما كانت له
سقطات فيما خلفه من أفكار وآراء .

(٢٦) ففى الموضوعات أخذ العلماء على طرفة عدة مآخذ ، كوصفه
لذنب ناقته بكثرة الشعر وغزارته ، والجودةُ عكسُ ذلك
إذ توصف النجائب بخفة الذنب . كما أخذوا عليه تَحَدِّيه
لمعشوقته فى الغزل ، والموقفُ يتطلب اللين والرقة وعدم
المُلاجَّة .
وأخذوا عليه - كذلك - افتخاره بالعطايا التى كان يتكرم
بها قومه ، اذا لعبت برؤوسهم الكئوس ، والأجودُ ألَّا يكون
لكرمهم من دافع ، غير اكتساب الحمد وبلوغ المجد .

(٢٧) وأما سقطاته فى الآراء ، فقد انتدبت نفسى - ما استطعت
كلما وقعت على شىء منها ، لتوضيحه وتبيينه ، وتفنيده
وتهجينه . وذلك حتى يكون القارىء لتلك الآراء ، على
بينة من خطلها ، وفى منجاة من خطرها .

(٢٨) فليست صحيحة كل تلك الأمور التى رصد حياته لها ، اذ لا بأس
فقط بالنجدة التى عشق ، أما اللهو مع النساء ، والشرب مع
الندماء ، فانها أمور يترفع الكرام عنها ، ويتسامون الى
ماهو أجل منها . وحرى بالفتى الا يرصد حياته الا لنشر
عقيدته ، واعلاء شأن أمته .

(٢٩) وليس صحيحا كذلك رأى طرفة فى المال . فهو يرى انفاقه كله عن بكرة أبيه . وخصوصا على اللذائذ والشهوات وغنى عن البيان أن للمال وظائف هامة فى حياة الأمة . فيجب ألا ينفق الا فى وجوه البناء . كما يجب ألا يهضم منه حق الورثة والأبناء .

(٣٠) وليس صحيحا كذلك رأى طرفة فى المرأة ، فهى عنده ليست إلاّ أداة من أدوات المتعة ، وتمثالا من تماثيل الجمال . وللمرأة فى المجتمع الكريم كما نعرف ـ وظائف أرفع من ذلك بكثير . لعل من أهمها بايجاز ـ تربية الأجيال وأكرم بها من وظيفة .. فهل للأمة من ثروة أثمن من الأجيال ، التى تُعْقَدُ عليها الآمال؟!

وأخيرا .. ، فتلك هى النقاط البارزة فى بحثنا هذا أحببت أن أوردها بهذا الاقتضاب ، لأضع بين يدى القارئ معالمه الرئيسية ، وخطوطه الأساسية ، فحسب . وفى ثناياه ـ كما قلنا ـ الغناء للمستزيدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

*** *** ***

*** ***

المصادر والمراجع

١) أخبار النحويين البصريين ـ للسيرافي ـ (٣٦٨هـ) ـ طبع الحلبي بالقاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٥٥م.

٢) اختيار المنظوم والمنصور ـ لأبي الفضل بن طيفور (٢٨٠هـ) ـ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٥٨١ أدب) .

٣) الاختيارات ـ مما روى عن المفضل الضبي (١٧٨هـ) والأصمعي (٢١٦هـ) ـ مصورة دار الكتب المصرية رقم (٢٥٨٧٢ ف)

٤) أساس البلاغة ـ للزمخشري (٥٣٨هـ) ـ دار الكتب المصرية ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م.

٥) الأشباه والنظائر ـ للخالديين ـ أبي بكر محمد (٣٨٠هـ) ، وأبي عثمان سعيد (٣٩٠ ـ ٣٩١هـ) ـ لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٨م.

٦) الاشتقاق لابن دريد (٣٢١هـ) ـ مطبعة السنة المحمدية بمصر ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.

٧) الأشربة ـ لابن قتيبة (٢٧٦هـ) ـ مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٦/١٩٤٧م

٨) الإصابة في تمييز الصحابة ـ لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ـ تصوير دار صادر وبيروت ـ عن طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ

٩) الأصمعيات ـ للأصمعي (٢١٦هـ) ـ دار المعارف بمصر ١٣٧٥هـ

١٠) الأصنام ـ لابن الكلبي (٢٠٤هـ) ـ ليبزج ١٩٤١م

١١) الأضداد ـ لأبي حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٢م.

١٢) الأضداد ـ لابن الأنباري (٣٢٧هـ) ـ الكويت ١٩٦٠م

١٣) الأعلام ـ لخيرالدين الزركلي ـ الطبعة الثالثة

١٤) أعلام الكلام ـ للقيرواني (٤٦٠هـ) ـ مطبعة الخانجي بمصر ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م.

١٥) الاغانى - لابى الفرج الاصفهانى (٣٥٦هـ) - دار الكتب المصرية ومطبعة التقدم بمصر - ودار الثقافة بيروت ١٩٦٠م

١٦) الاكليل - للهمدانى (٣٣٤هـ) - بغداد ١٩٣١م .

١٧) ألقاب الشعراء - لمحمد بن حبيب (٢٤٥هـ) - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م

١٨) الامالى - لابى علي القالى (٣٥٦هـ) - تصوير دار الفكر - عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م .

١٩) أمالى المرتضى (٤٣٦هـ) ط الحلبى ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

٢٠) الامالى الشجرية - لابن الشجرى (٥٤٢هـ) - دار المعرفة

٢١) الامثال - لابى عبيد القاسم بن سلام (٢٤٤هـ) - مطبعة الجوائب - بالقسطنطينية ١٣٠٢هـ

٢٢) الامثال - لابى عكرمة الضبى (٢٥٠هـ) - مجمع اللغة العربية بدمشق

٢٣) الامثال لابى فيد مؤرج بن عمرو السدوسى (١٩٨هـ) - الرياض ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م -

٢٤) أمثال العرب للمفضل الضبى (١٧٨هـ) - مطبعة التقدم بمصر ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م .

٢٥) إنباه الرواة على أنباه النحاة - للقفطى (٦٤٦هـ)
- دار الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٣٩٣هـ / ١٩٥٠ - ١٩٧٣م .

٢٦) الانساب - للسمعانى (٥٦٢هـ)
- حيدر أباد بالهند ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .

٢٧) أنساب الاشراف للبلاذرى (٢٧٧هـ) -
- دار المعارف بمصر ١٩٥٩م .

٢٨) الانوار ومحاسن الاشعار للشمشاطى (بعد سنة ٣٧٧هـ) - الكويت ١٣٧٧هـ / ١٩٧٧م .

٢٩) البداية والنهاية - لابن كثير (٧٧٤هـ) - مطبعة السعادة بمصر ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، ومكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦م

٣٠) بغية الوعاة - للسيوطى (٩١١هـ) - طبع الحلبى بمصر ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م

٣١) كتاب بكر وتغلب - أو - حرب البسوس - لابن اسحق (١٥١هـ) وابن الكلبي (٢٠٤هـ) ط الهند ١٣٠٥هـ .
٣٢) البلغة في تاريخ أئمة اللغة - للفيروزبادى (٨١٧هـ) - دمشق ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م
٣٣) بلوغ الارب - للالوسي (١٢٧٠هـ) - المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م .
٣٤) البيان والتبيين - للجاحظ (٢٥٥هـ) - مكتبة الخانجي بمصر ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
٣٥) تاج العروس - للزبيدى (١٢٠٥هـ) .
٣٦) تاريخ الأدب الجاهلي - للدكتورعلى الجندى - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٩م .
٣٧) تاريخ الأدب العربي - بروكلمان - دار المعارف بمصر .
٣٨) تاريخ الأمم والملوك - للطبرى (٣١٠هـ) - مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م - ودار المعارف بمصر ١٩٦٨م
٣٩) تاريخ بغداد - للخطيب البغدادى (٤٦٣هـ) - دار الكتاب العربي بيروت .
٤٠) تاريخ الشعوب الاسلامية بروكلمان - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٨م .
٤١) تاريخ العرب - لفيليب حتى وآخرين - دار الكشاف بيروت ١٩٥٢م
٤٢) تاريخ العرب قبل الاسلام - للدكتور جواد على - المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .
٤٣) تاريخ اليعقوبي (٢٩٢)هـ - أوربا ١٨٨٣م ودار صادر وبيروت ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م .
٤٤) تذكرة الحفاظ - للذهبي (٧٤٨هـ) - دار احياء التراث العربي .
٤٥) التشبيهات - لابن أبي عون (٣٢٢هـ) - كمبرج ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م
٤٦) تفسير البحر المحيط - لأبي حيان الاندلسي (٧٤٥هـ) - مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ .
٤٧) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٧٧٤هـ) - دار الفكر - بيروت .
٤٨) تقريب التهذيب - لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) - دار المعرفة - بيروت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
٤٩) تقرير شامل عن الحفريات الاثرية في جزيرة فيلكا - الكويت ١٩٥٨ / ١٩٦٣م
٥٠) التمثيل والمحاضرة - للثعالبي (٤٣٠هـ) - القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م

٥١) التنبيه على أوهام أبي على في أماليه ـ لأبي عبيد البكري (٤٨٧هـ)
تصوير دار الفكر عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م

٥٢) تهذيب الاسماء واللغات ـ للنووي (٦٧٦هـ) ـ ادارة الطباعة المنيرية بمصر.

٥٣) تهذيب اللغة للأزهري ـ المؤسسة المصرية للتأليف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤

٥٤) تهذيب التهذيب ـ لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)
ـ حيدر أباد بالهند ١٣٢٧هـ.

٥٥) ثمرات الأوراق ـ لابن حجة الحموي (٨٣٧هـ)
ـ مصر ١٣٠٠هـ

٥٦) جامع البيان عن تأويل القرآن ـ أو تفسير الطبري ـ لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) ـ طبع بولاق بمصر ١٣٢٨هـ.

٥٧) الجامع لأحكام القرآن ـ أو تفسير القرطبي ـ
للقرطبي (٦٧١هـ) ـ دار الكتب المصرية ١٣٥١هـ/١٩٣٣م

٥٨) جغرافية شبه جزيرة العرب ـ لعمر رضا كحالة ـ مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م

٥٩) جمهرة أشعار العرب ـ للقرشي (أوائل القرن الرابع) ـ مطبعة بولاق بمصر ١٣٠٨هـ ـ ودار نهضة مصر ـ الطبعة الأولى ـ بتحقيق على محمد البجاوي.

٦٠) جمهرة الأمثال ـ لأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ) ـ المؤسسة العربية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م

٦١) جمهرة اللغة ـ لابن دريد (٣٢١هـ) ـ حيدر أباد بالهند ١٣٤٤هـ

٦٢) جمهرة أنساب العرب ـ لابن حزم (٤٥٦هـ) ـ دار المعارف بمصر ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م

٦٣) حضارة العرب ـ غوستاف لوبون ـ دار احياء الكتب العربية ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

٦٤) حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة ـ للدكتور مصطفى الرافعي دار الكتاب اللبناني ١٩٦٠م

٦٥) حماسة ابن الشجري (٥٤٢هـ) ـ دار الثقافة بدمشق ١٩٦٠م

٦٦) حماسة أبي تمام (٢٣١هـ) ـ بشرح التبريزي (٥٠٢هـ) طبع بولاق بمصر ١٢٩٦هـ.

٦٧) حماسة البحتري (٢٨٥هـ) ـ المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٩م.

٦٨) الحماسة البصرية ـ للبصري (٦٥٦هـ) ـ حيدر أباد بالهند ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.

٦٩) حياة الحيوان للدميرى (٨٠٨هـ) - طبع الحلبى بمصر ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م

٧٠) الحيوان للجاحظ (٢٥٥هـ) - طبع الحلبى بمصر ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م

٧١) خاص الخاص - لأبو منصور الثعالبى (٤٣٠هـ) - مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

٧٢) خزانة الأدب للبغدادى (١٠٩٣) هـ - مطبعة بولاق بمصر ١٢٩٩هـ.

٧٣) دائرة المعارف الاسلامية - كتاب الشعب - الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

٧٤) دائرة معارف القرن العشرين - مصر ١٩٢٤م.

٧٥) دراسات فى فقه اللغة - للدكتور صبحى الصالح - دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٣م.

٧٦) الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة - للأصبهانى (٣٥١هـ) - دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.

٧٧) دليل المتحف الكويتى - الكويت ١٩٧٠م

٧٨) الديارات - للشابشتى (٣٨٨هـ) - بغداد ١٩٥١م.

٧٩) ديوان ابن زيدون ورسائله لابن زيدون (٤٦٣هـ) - مصر ١٩٥٧م

٨٠) ديوان أبى تمام - دار المعارف بمصر.

٨١) ديوان أبى نواس - دار الكتاب العربى - بيروت.

٨٢) ديوان الأعشى - شرح الدكتور محمد محمد حسين - مكتبة الآداب بالقاهرة.

٨٣) ديوان امرىء القيس - دار المعارف بمصر ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م

٨٤) ديوان البحترى - دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية.

٨٥) ديوان جرير - دار صادر - بيروت.

٨٦) ديوان الحطيئة - طبع الحلبى بمصر - ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.

٨٧) ديوان حميد بن ثور الهلالى - الدار القومية عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ/١٩٥١م

٨٨) ديوان ذى الرمة - دمشق ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٨٩) ديوان زهير - أو شعر زهير بن أبى سلمى - دار القلم العربى بحلب ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م

٩٠) ديوان شعر الخرنق - تحقيق الدكتور حسين نصار - دار الكتاب ١٩٦٩م

٩١) ديوان شعر المتلمس - معهد المخطوطات العربية ١٣٩٠/١٩٧٠م

٩٢) ديوان شعر المثقب العبدى ـ معهد المخطوطات العربية ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م

٩٣) ديوان الصبابة ـ لابن حجلة (٧٧٦هـ) ـ على هامش تزيين الاسواق ـ للانطاكى ـ المطبعة البهية بمصر ١٣٠٢هـ

٩٤) ديوان طرفة ـ بشرح الشنقيطى ـ قازان بالروسيا ١٩٠٩م .

٩٥) ديوان طرفة ـ شرح ابن السكيت (٢٤٤هـ) مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٥٢ (أدب ش) .

٩٦) ديوان طرفة ـ شرح ابن السكيت (٢٤٤هـ) ـ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٩٦ أدب ش)

٩٧) ديوان طرفة ـ طبع فرنسا ١٩٠٠م .

٩٨) ديوان طرفة ـ بشرح الاعلم الشنتمرى (٤٧٦هـ) ـ تحقيق درية الخطيب ولطفى السقال مجمع اللغة العربية بدمشق . (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)

٩٩) ديوان طرفة ضمن شرح الشعراء الستة الجاهليين للبطليوسى (٤٩٤هـ) مصورة مكتبة جامعة القاهرة ـ رقم (٢٢٩٨٤) .

١٠٠) ديوان طرفة ـ ضمن شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين للبطليوسى (٤٩٤هـ) مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (١٨٣٧ أدب) .

١٠١) ديوان طرفة ـ تحقيق الدكتور على الجندى ـ القاهرة ١٩٥٨م .

١٠٢) ديوان عبيد بن الابرص ـ تحقيق الدكتور حسين نصار ـ طبع الحلبى ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م

١٠٣) ديوانا عروة بن الورد والسموأل ـ دار صادر وبيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م

١٠٤) ديوان علقمة ـ دار القلم العربى بحلب ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م

١٠٥) ديوان عنترة بن عمرو بن شداد ـ القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م

١٠٦) ديوان الفرزدق ـ دار صادر وبيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م

١٠٧) ديوان كثير عزة ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م

١٠٨) ديوان لبيد ـ بشرح الطوسى (بعد سنة ٢٥٠هـ) ، الكويت ١٩٦٢م

١٠٩) ديوان المتنبى ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت

١١٠) ديوان الهذليين ـ صنعة أبى سعيد السكرى وشرحه (٢٧٥هـ) ـ دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م

١١١) ذيل أمالى القالى ـ تصوير دار الفكر ـ عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م .

١١٢) الرسالة التدمرية ـ لابن تيمية (٧٢٨هـ) .

١١٣) رسالة في الصداقة والصديق ـ لابي حيان التوحيدى (٤١٤هـ) مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ؛ ١٣٠١هـ .

١١٤) زهر الآداب للحصرى (٤٥٣هـ) ـ طبع الحلبى بمصر ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م

١١٥) سمط اللئالى لأبى عبيد البكرى (٤٨٧هـ)
* لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م

١١٦) سنن ابن ماجة (٢٧٥هـ) ـ دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م .

١١٧) سنن الترمذى (٢٧٩هـ) ـ دار الفكر ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

١١٨) السيرة النبوية ـ لابن هشام (٢١٣هـ) ـ طبع الحلبى بمصر ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .

١١٩) شرح أدب الكاتب ـ للجواليقى (٥٣٩هـ) ـ القاهرة ١٣٥٠هـ .

١٢٠) شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين ـ للأعلم الشنتمرى (٤٧٦هـ) مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٤٥٠ شعر تيمور) .

١٢١) شرح دواوين الشعراء الستة الجاهلية ـ للأعلم الشنتمرى (٤٧٦هـ) مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٨١ أدب ش) .

١٢٢) شرح شواهد المغنى ـ للسيوطى (٩١١هـ) ـ المطبعة البهية بمصر ١٣٢٢هـ .

١٢٣) شرح القصائد التسع المشهورات ـ لأبى جعفر النحاس (٣٣٨هـ) بغداد ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م القسم الثانى فقط .

١٢٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ـ لابن الانبارى (٣٢٨هـ) ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية .

١٢٥) شرح القصائد العشر ـ للخطيب التبريزى (٥٠٢هـ) ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

١٢٦) شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف للحسن العسكرى (٣٨٢هـ) ـ طبع الحلبى بمصر ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م

١٢٧) شرح المعلقات التسع ـ لأبى جعفر النحاس (٣٣٨هـ) ـ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٩٧٧٦ أدب) .

١٢٨) شرح المعلقات السبع ـ للزوزنى (٤٦٨هـ) ـ طبع الحلبى بمصر ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م .

١٢٩) شرح المفصل ـ لابن يعيش (٦٤٣هـ) ـ ليبزج ١٨٨٢هـ .

١٣٠) شرح المفضليات لابن الانباری (٣٢٧هـ) - بیروت ١٩٢٠م.

١٣١) شرح المقامات الحريرية للشريشى (٦١٩هـ) - المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ.

١٣٢) شعر الاخطل - دار الاصمعى بحلب.

١٣٣) الشعر الجاهلى - للدكتور يحيى الجبورى - دار التربية ببغداد .

١٣٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٧٦هـ) - دار المعارف بمصر ١٩٦٦م ودار صادر ببيروت .

١٣٥) صحيح البخاری (٢٥٦هـ) - كتاب الشعب - مطابع الشعب بمصر.

١٣٦) صحيح مسلم (٢٦١هـ) - دار احياء التراث العربى بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٣٧) صفة جزيرة العرب - للهمدانى (٣٣٤هـ) مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣م.

١٣٨) كتاب الصلة لابن بشكوال (٥٧٨هـ) - الدار المصرية للتأليف ١٩٦٦م.

١٣٩) كتاب الصناعتين - لأبى هلال العسكرى (٣٩٥هـ) - طبع الاستانة ١٣٢٠هـ ودار احياء الكتب العربية ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

١٤٠) ضرائر الشعر للقزاز (٤١٢هـ) مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٥٧ ٥١ أدب) .

١٤١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام (٢٣١هـ) - دار المعارف بمصر ١٩٥٢م - ومطبعة المدنى .

١٤٢) طبقات المفسرين للداودى (٩٤٥هـ) - مطبعة الاستقلال بمصر ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م

١٤٣) طبقات النحاة واللغويين - لتقى الدين الأسدى (٨٥١هـ) - النجف ١٩٧٤م .

١٤٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى (٣٧٩هـ) - دار المعارف بمصر ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م .

١٤٥) الطراز - ليحيى بن حمزه (٧٤٥هـ) - مصر ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

١٤٦) طيف الخيال للشريف الرضى (٤٣٦هـ) - طبع الحلبى بمصر ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

١٤٧) كتاب العبر - أو تاريخ ابن خلدون (٨٠٨هـ) - مطبعة النهضة بمصر ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

١٤٨) العرب - تاريخ موجز - لفيليب حتى - دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٤م .

١٤٩) العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف - دار المعارف بمصر ١٩٦٠م .

١٥٠) العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٢٨هـ) لجنة التأليف ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ، ومطبعة الاستقامة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م .

١٥١) عقود الدرر - بلا نسبة - طبع حجر ١٩٣٧م .

١٥٢) العمدة - لابن رشيق (٤٦٣هـ) مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

١٥٣) عنوان المرقصات والمطربات - لنور الدين علي (١٠٤٤هـ) جمعية المعارف بمصر ١٢٨٦هـ .

١٥٤) عيار الشعر لابن طباطبا (٣٢٢هـ) - مصر ١٩٥٦م .

١٥٥) عيون الاخبار لابن قتيبة (٢٧٦هـ) دار الكتب المصرية ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م .

١٥٦) الفاخر للمفضل بن سلمة (٢٩٠هـ) - بريل بليدن ١٩١٥م .

١٥٧) فتح القدير - أو تفسير الشوكاني - (١٢٥٠هـ) - بيروت -

١٥٨) فحولة الشعراء للأصمعي (٢١٦هـ) القاهرة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م .

١٥٩) فصل المقال لابي عبيد البكري (٤٨٧هـ) بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

١٦٠) الفهرست لابن النديم (٤٣٨هـ) طهران ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

١٦١) فهرسة ابن خير الاشبيلي (٥٧٥هـ) - الخانجي بالقاهرة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م .

١٦٢) قواعد الشعر لابي العباس ثعلب (٢٩١هـ) طبع الحلبي بمصر ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

١٦٣) الكامل في الادب للمبرد (٢٨٦هـ) - طبع الحلبي بمصر ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .

١٦٤) الكامل في التاريخ - أو تاريخ ابن الاثير (٦٣٠هـ) - دار صادر وبيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

١٦٥) الكتاب - لسيبويه (١٨٠هـ) - طبع بولاق بمصر ١٣١٦هـ .

١٦٦) كنى الشعراء لمحمد بن حبيب (٢٤٥هـ) لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م .

١٦٧) لباب الاداب لاسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) - المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م .

١٦٨) اللباب في تهذيب الانساب لابن الاثير (٦٣٠هـ) - مكتبة المثنى ببغداد .

١٦٩) لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ) .

١٧٠) المؤتلف والمختلف للآمدى (٣٧٠هـ) - دار احياء الكتب العربية ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
١٧١) المثل السائر لضياء الدين الموصلي (٦٢٢هـ) طبع بولاق بمصر ١٢٨٢هـ.
١٧٢) مجاز القرآن لابي عبيدة (٢٠٩هـ) - مطبعة الخانجي بمصر ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.
١٧٣) مجمع الامثال للميداني (٥١٨هـ) - القاهرة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م
١٧٤) المحاسن والمساوى للبيهقي (٥٤٤هـ) - المانيا ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م.
١٧٥) المحكم لابن سيده (٤٥٨هـ) - طبع الحلبي بمصر - الطبعة الاولى -
١٧٦) مختارات ابن الشجري (٥٤٢هـ) القاهرة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.
١٧٧) مختار الصحاح للرازي (٦٦٦هـ) - .
١٧٨) المخصص لابن سيدة (٤٥٨هـ) - طبع بولاق بمصر ١٣١٨هـ .
١٧٩) مرآة الجنان - لليافعي (٧٦٨هـ) بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
١٨٠) مراصد الاطلاع - للبغدادي (٧٣٩هـ) دار احياء الكتب العربية ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
١٨١) مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي (٣٥١هـ) - دار نهضة مصر ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
١٨٢) المزهر في علوم اللغة للسيوطي (٩١١هـ) دار احياء الكتب العربية ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
١٨٣) مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (٧٤٩هـ) مصورة دار الكتب المصرية رقم (٥٥٩ معارف عامة) .
١٨٤) المستقصى في امثال العرب للزمخشري (٥٣٨هـ) حيدر اباد بالهند ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.
١٨٥) مسند الامام احمد بن حنبل (٢٤١هـ) المكتب الاسلامي ودار صادر بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
١٨٦) مصادر الشعر الجاهلي - للدكتور ناصر الدين الاسد - دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.
١٨٧) المصون في الادب - للعسكري (٣٨٢هـ) - الكويت ١٩٦٠م .
١٨٨) المعارف لابن قتيبة (٢٧٦هـ) دار المعارف بمصر .
١٨٩) معاني الشعر لابي عثمان الاشنانداني (٢٨٨هـ) - دمشق ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.
١٩٠) المعاني الكبير لابن قتيبة (٢٧٦هـ) حيدر اباد بالهند ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

١٩١) معاهد التنصيص للعباسي (٩٦٣هـ) - مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م.

١٩٢) معجم الأدباء لياقوت الحموى (٦٢٦هـ) - دار المأمون بالقاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

١٩٣) معجم البلدان لياقوت الحموى (٦٢٦هـ) .

١٩٤) معجم الشعراء للمرزبانى (٣٨٤هـ) دار احياء الكتب العربية ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

١٩٥) معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة - بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٩٦) معجم ما استعجم لابى عبيد البكرى (٤٨٧هـ) - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٥م.

١٩٧) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٥هـ) - طبع الحلبي بمصر ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

١٩٨) معجم وبستر الجغرافى مادة (ARABIA) .

١٩٩) كتاب المغتالين من الشعراء لمحمد بن حبيب (٢٤٥هـ) لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

٢٠٠) مفتاح السعادة لاحمد مصطفى (٩٦٨هـ) - مطبعة الاستقلال .

٢٠١) المفضليات للمفضل الضبي (١٧٨هـ) دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة .

٢٠٢) مقامات بديع الزمان الهمذانى (٣٩٨هـ) بيروت ١٩٢٤م.

٢٠٣) مقدمة ابن خلدون (٨٠٨هـ) المطبعة التجارية الكبرى بمصر .

٢٠٤) المنتحل للثعالبى (٤٣٠هـ) الاسكندرية ١٣١٩هـ/١٩٠١م.

٢٠٥) المنتخب من كنايات الادباء للجرجانى (٤٨٢هـ) مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

٢٠٦) الموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى (٣٧٠هـ) - مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٤م.

٢٠٧) ميزان الاعتدال للذهبى (٧٤٨هـ) دار احياء الكتب العربية ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

٢٠٨) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٨٧٤هـ) - مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

٢٠٩) نزهة الالباء فى طبقات الادباء لابى البركات الانبارى (٥٧٧هـ) دار نهضة مصر ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

٢١٠) نظام الغريب للربعى (٤٨٠هـ) - المطبعة الهندية بمصر .

٢١١) النقائض بين جرير والفرزدق لابى عبيدة (٢٠٩هـ) مطبعة الصاوى ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م.

٢١٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر (٣٧٧هـ) مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد - ١٩٦٣م.

٢١٣) نقود يونانية من جزيرة فيلكا - وزارة الارشاد والانباء الكويتية .

٢١٤) نهاية الارب - فى فنون الادب - للنويرى (٧٣٣هـ) - دار الكتب المصرية ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

٢١٥) نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب - للقلقشندى (٨٢١هـ) - القاهرة ١٩٥٩م.

٢١٦) النوادر فى اللغة لابى زيد الانصارى (٢١٥هـ) بيروت ١٨٩٤م.

٢١٧) نور القبس - لليغمورى (٦٧٣هـ) أوربا ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٢١٨) الوافى بالوفيات - للصفدى (٧٦٤هـ) المانيا ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.

٢١٩) الوحشيات - أو الحماسة الصغرى لابى تمام (٢٣١هـ) دار المعارف بمصر - .

٢٢٠) كتاب الورقة - لابن الجراح (٢٩٦هـ) دار المعارف بمصر ١٩٥٣م.

٢٢١) وفيات الاعيان لابن خلكان (٦٨١هـ) دار الثقافة بيروت -. ومطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

٢٢٢) الموشح - للمرزبانى (٣٨٤هـ) المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٣هـ. ودار نهضة مصر ١٩٦٥م بتحقيق على محمد البجاوى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين
